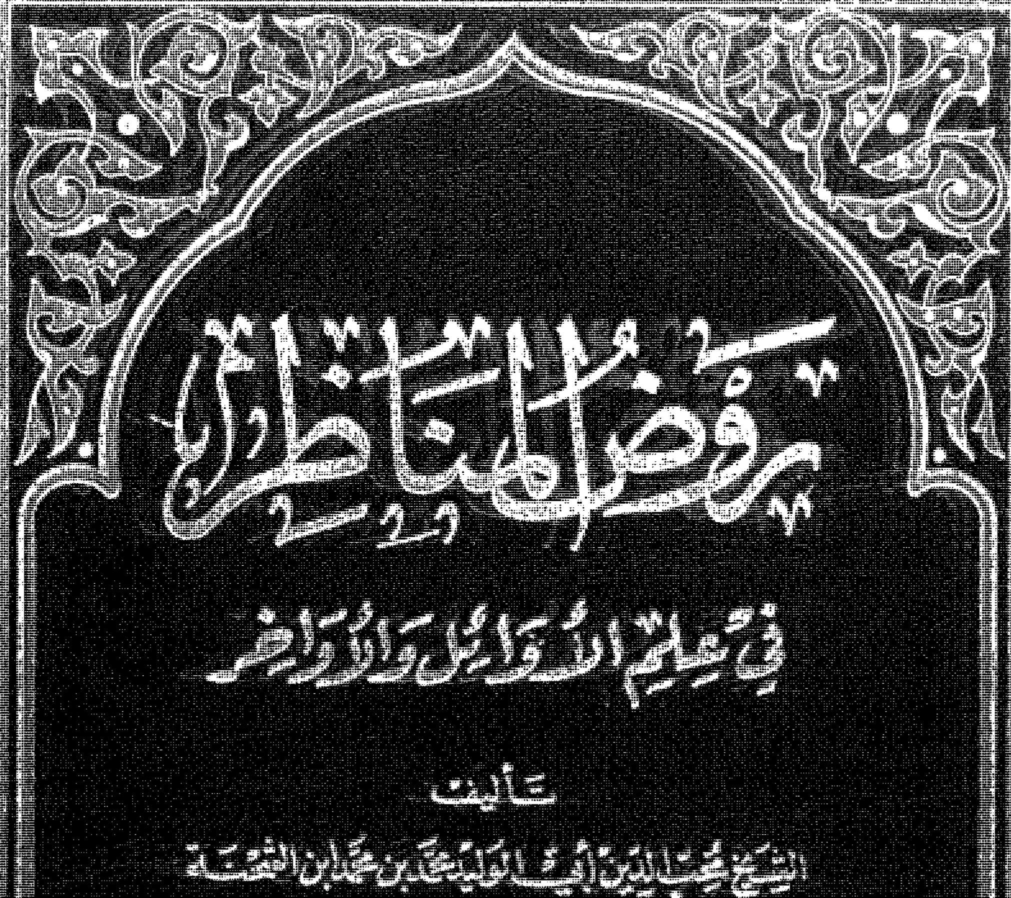


تأليف

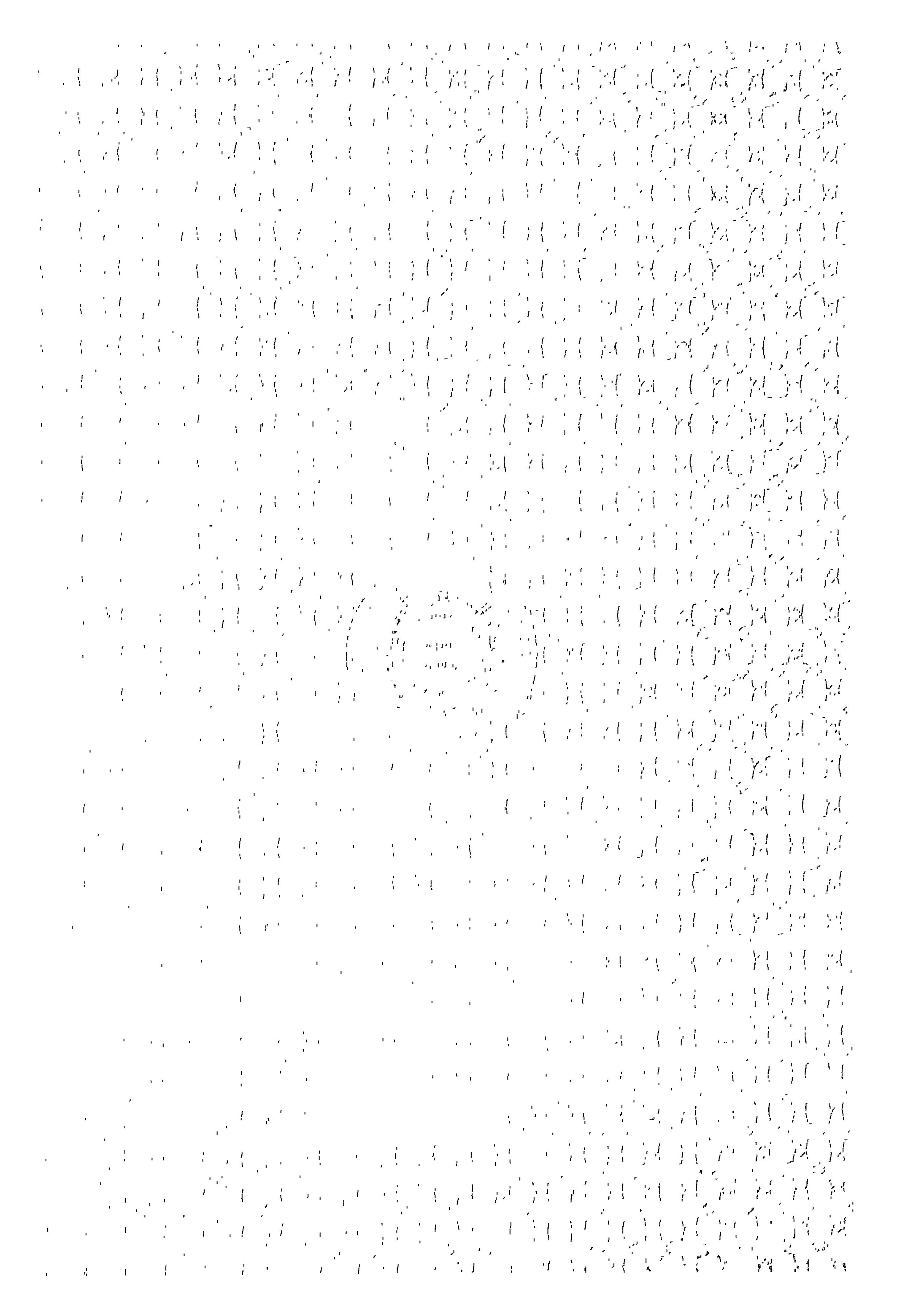
الشيخ محب الدين أبي الوليد محمد بن محمد ابن الشحنة

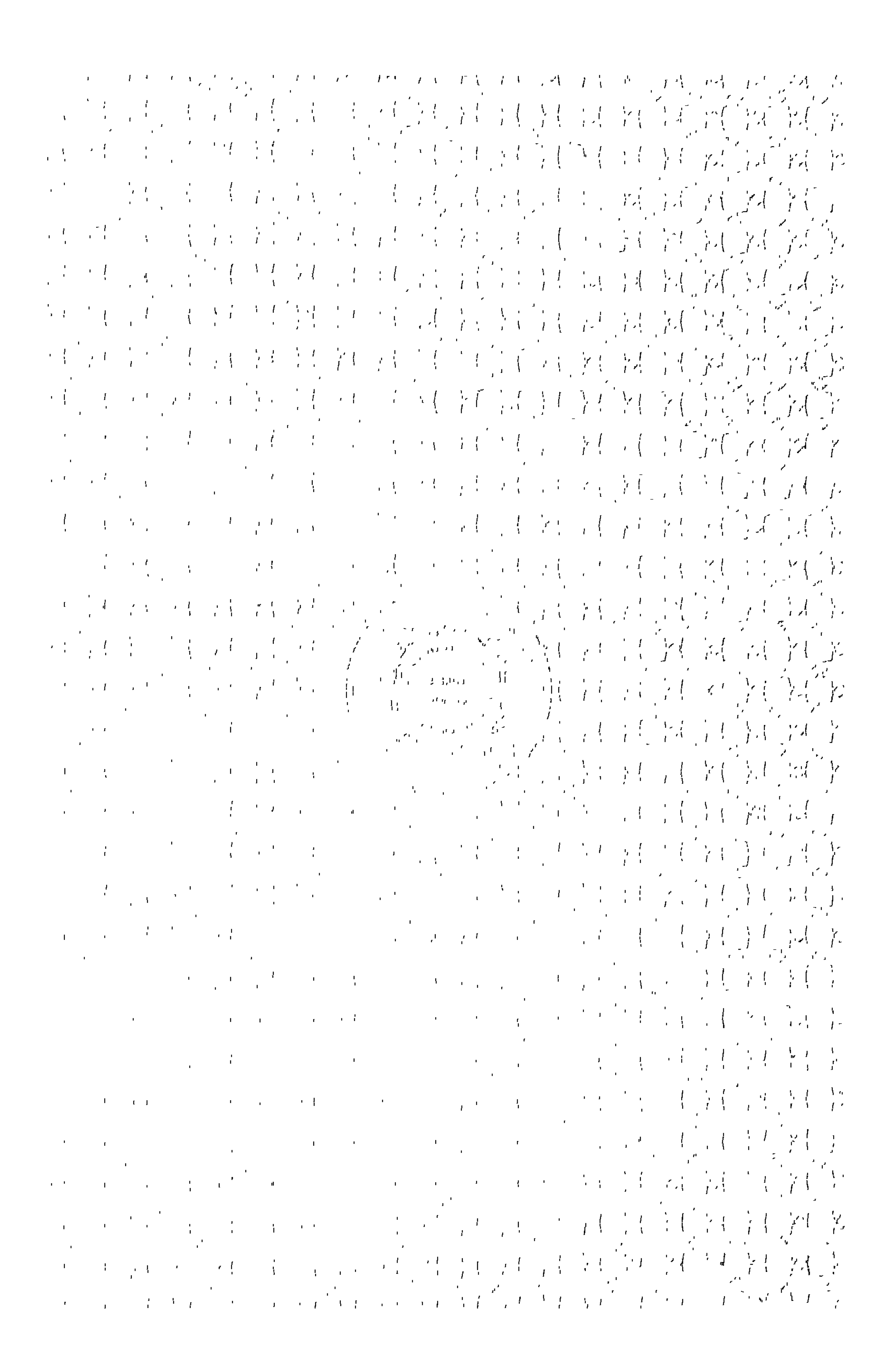
المتوفى ٨١٥ هـ

تحقيق

سيد محمد مهنى

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان





روض المناظر

في علم الأوائل والأواخر

تأليف

الشيخ محب الدين أبي الوليد محمد بن محمد ابن الشحنة

المتوفى ٨١٥ هـ

تحقيق

سيد محمد مهنى

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box . 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾.

أما بعد:

فإن معرفة التاريخ من الأمور المهمة التى تتخطى فوائدها حيز الأفراد إلى حيز المجتمعات، وذلك لما يكون فيه من الأحداث والعبر والعظات ما يصلح للأفراد والمجتمعات.

وقد أحسن العلامة ابن الأثير عندما ذكر بعضًا من فوائد التاريخ فى مقدمة كتابه الكامل، وأنا إن شاء الله أوردها مع شيء من الاختصار لما لها من الأهمية.

الفوائد الدنيوية:

١ ـ أن الإنسان لا يخفى أنه يحب البقاء، ويؤثر أن يكون فى زمرة الأحياء، فياليت شعرى أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين.

٢ ـ أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهى إذا وقفوا على ما فيه من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها وأعرضوا عنها، واطرحوها، وإذا رأو سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، ورأوا أن بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالهم درت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه.

٣ ـ ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما يصير إليه عواقبها، فإنه لا يحدث أمر إلاً قد تقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلاً، ويصبح لأن يقتدى به أهلاً.

٤ ـ ومنها ما يتجمل به الإنسان فى المجالس والمحافل من ذكر شىء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماع مصغية إليه، والوجوة مقبلة عليه، والقلوب متأملة ما يورده ويصدره.

الفوائد الأخروية:

١ ـ فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها، ورأى تقلب الدنيا بأهلها وتتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنها سلبت نفوسهم، وذخائرهم ثم خرجوا منها من غير شىء، وأنهم تركوا ما حاربوا من أجله وقتلوا وسفكوا الدماء فى سبيل الحصول على حطام الدنيا الفانى، فإنه يعرض عنها ولا يبيع آخرته الباقية ونعيمها الدائم بهذه الدنيا الفانية ونعيمها الزائل.

٢ ـ ومنها التخلق بالصبر والتأسى، وذلك عندما ينظر الإنسان إلى ما حدث لمن قبله من نزول الشدائد به وتوالى الكربات عليه، فإنه يعلم أن ذلك لا محالة نازل به ووارد عليه، فإنه يستعد لمثل هذا بالصبر ويشد من عزم نفسه، ويتحلى بالتأسى وأن ذلك حصل لمن هم أعلى منه همة وأشد قوة، فيحصل بذلك الأجر من الله واحتساب ذلك عنده. اهـ. ومن أجل ذلك شرع أئمة الإسلام فى تأليف الكتب التى تشتمل على حوادث من كان قبلهم من الملوك والأمراء، وبعض الحوادث التى حصلت والتى لابد من الوقوف عليها وأخذ العبرة والعظة منها.

فمن هؤلاء: الإمام أبو جعفر الطبرى، يعد كتابه من أعظم الكتب فى التاريخ وعليه

التعويل فيمن بعده.

ومنهم الحافظ العلامة ابن الجوزى فى كتابه المنتظم وهو موسوعة تاريخية يقصر اللسان عن وصفه.

ومنهم العلامة ابن الأثير فى كتابه الكامل، وهو منسوج على منوال لم يسبق إلى مثله فى الدقة والتقصى.

ومنهم العلامة الحافظ ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية وهو غاية فى الروعة والضبط، وهو من أحسن الكتب التى اعتنت بتحقيق الحوادث التاريخية، فلا عجب فمؤلفه هو العلامة المحقق المدقق ابن كثير.

ومنهم الحافظ ابن حجر فى كتابه إنباء الغمر.

ومنهم مؤلف كتابنا هذا وهو ابن الشحنة وألف كتابه روض المناظر، وهو مع اختصاره دقيق الألفاظ يحوى كثيرًا من الفوائد، فهو قد زاد بعد الأحداث التاريخية التى لم أجدها فى كل هذه الكتب المذكورة، وفضلاً عما زاده من بداية عصره وما حصل فيه، فجاء الكتاب إضافة جديدة لموسوعة كتب التاريخ وأضفى عليه رونقًا آخر، وفوائد لم تكن موجودة من قبل، وذلك لأن مؤلفه كانت له دراية كبيرة بالتاريخ وأحداثه كما شهد بذلك الكثير وشهد بذلك ونطق كتابه هذا.

فأسال الله أن يعم به النفع، وأن يجزيه الله خير الجزاء، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

* * *

توثيق المخطوطة

لا شك فى نسبة هذا الكتاب لابن الشحنة، فقد ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون قال: ومن آثاره: روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر وذكره الحافظ ابن حجر فى إنباء الغمر، وكذلك ذكره السخاوى وابن العماد والشوكانى وكل من ترجم له.

* * *

عملى فى الكتاب

١ ـ قمت بتصوير المخطوطة، وهى موجودة فى معهد المخطوطات عن نسخة مصورة من مكتبة أحمد الثالث بتركـيا تحت رقم ٥٧٠ تاريخ وهى نسخة بخط قلم معتاد ظاهرة واضحة ، إلا بعض المواضع الموجـودة على الهوامش فإنها كانت دقـيقة الخط ، ولكن بفضل الله استطعت قراءتها مع الاستعانة بالكتب الأخرى.

٢ ـ قمت بنسخ المخطوطة نسخًا جـيدًا مع ضبط الأسـماء غـير المنقوطـة من كتب التاريخ، ولم تكن فيها أخطاء إملائية ونحوية إلا قليلة.

٣ ـ قمت بتخريج الآيات القرآنية.

٤ ـ قمت بتخريج الأحاديث النبوية.

٥ ـ قمت بتخريج الأحداث التاريخية الهامة على المصادر التاريخية المعتمدة.

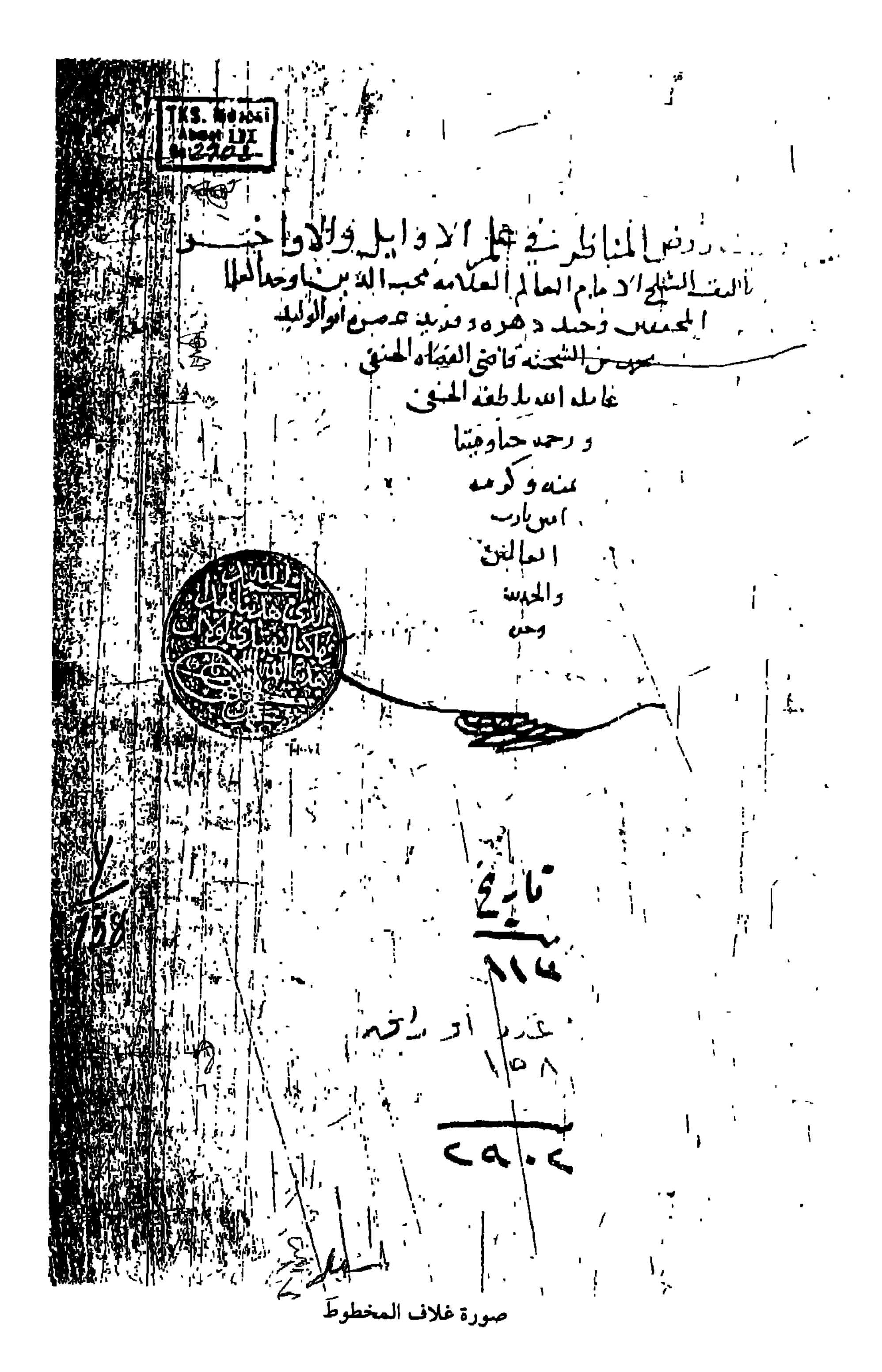
٦ ـ قمت بالتعليق على بعض المواطن فيما إذا احتاج المقام ذلك.

وأخيراً أرجو من الله أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجزى مؤلفه ومحققه خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه.

المحقق

* * *


روض المناظر في علم الاوايل والاواخر
تأليف الشيخ الامام العالم العلامة محب الدين ناوحد العلما
المجتهدين وحيد دهره وفريد عصره ابو الوليد
محمد بن الشحنة قاضي القضاة الحنفي
عامله الله بلطفه الخفي
ورحمه حيا وميتا
بمنه وكرمه
امين يارب
العالمين
والحمد لله
وحده

تاريخ
سنة ٨١٤

عدد اوراقه
١٥٨

صورة غلاف المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا اشرف الخلق محمد وعلى اله وصحبه وسلم
قال سيدنا شيخ الاسلام محب الدين ابو الوليد محمد بن الشحنة الحنفي متع الله المسلمين
بحياته واعاد عليهم من بركاته
الحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين فتبارك الله احسن الخالقين
وصلى الله على سيدنا محمد اشرف المرسلين والاول في الخلق الفايز في كل جود على كل موجود بدعوته
السبق وعلى اله الكرام واصحابه مصابيح الظلام وبعد فقد المسنى مرتاعنه من اجل
الماضين ومن هو لواء السعادة لما صب تروه عين الزمان سيط مولانا السلطان
اجسم العلما والسلاطين الملك المويد عماد الدين البارع النسيم الجامع بين محاسن السيف
والقلم الطيب الاصل المعظيم الفخار محمد بن موسى بن شهرك ناب السلطنة الشريفة بقلعة
حلب المحروسة حل الله بطلعته المواكب محطا هام الكواكب ما عنت الورق على اوراقها
واستملت منها على اطرافها ان اجمع له تاريخا بالحالي البارع وحيز الالفاظ المعاني ابين الغاوي
والمعاني فاعتقب اسماعها لمقاله ووجهت الى كتاب هو يكون سواله وامسك لاشارته الشريفة
التي طاعتها اعظم وظيفة وشرعت في جمع هذا الكتاب امتثالا لها حيث هو الصواب لان البارع
بابحثين من العلم ذو مضطر عن مفصل حسن التدبير لمن طرقهما مخلصين وجعلت
مفتاحا وخاتمة اما المفتاح ففي ابتدا خلق السماوات والارض وما فيها من العجايب
بخلق الله تعالى واما المصراع الاول ففي ما بين هبوط ادم عليه السلام الى هجرة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم ويطلعها على الارجح ستة الاف سنة وماية وستة عشر سنة
ونقصها البعض عن ذلك ما يلي ستة وتسعين وخمس سنة واما المصراع الثاني
لفيها الى اخر مره يقدر الله ان يترجم عنها نذكر فيها مشاهير الناس على انسابهم
وما اشتهر من الحوادث الغريبة فيهم واما الخاتمة فهي المشتملة على ما هو بالعيان عا كون
ذا احوال الزمان وسميته روض المناظر في علم الاوايل والاواخر والله الموفق لرد الجزء
ولتمامه مع حسن ترتيبه وجزالة انتظامه وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب
المفتاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شي معه والراجح ان اول شي خلق الله
اللوح ثم القلم وكتب فيه ما هو كاين الى يوم القيامة ثم خلق الله درة بيضا صيرها ما
وجعل عرشه على الما ثم خلق الله الكرسي ثم خلق الهوا ثم الارواح قال كعب الاحبار
اول ما خلق الله الارواح ثم حملة العرش ملايكة اربعة احدهم اسرافيل وهو اقرب الملايكة
ويؤيدهم يوم القيامة باربعة اخرى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وتابع خلق الملايكة
وما شا الله مما لا يعلمه الا هو ثم لما اراد الله سبحانه وتعالى خلق السموات والارض خلق
جوهرة بيضا ونظر اليها نظر هيبة فذابت وغلت وصعد لها دخان فخلق الله من

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

المدبر الارض والامواج الجبال والدخان السموات وجعل مدة خلق ذلك ستة ايام
ليتصور العاقل بها طبعا يوما لمادة الارض ويوما لصورتها ويوما لمادة السما ويوما لصورتها
ويومين لكمالاتهما من خلق الكواكب والنفوس وغير ذلك وكان ابتدا ذلك يوم الاحد
الى يوم الجمعة وسمي يوم الجمعة لاجتماع تكامل سور الخلق فيه واقرب ما روينا من [illegible]
ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين والجبال
وما فيها من المنافع يوم الثلاثا والشجر والنبات يوم الاربعا وخلق السما يوم الخميس
والشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة ثم فتق الله السما سبعا طباقا بعضها
فوق بعض فالاولى ان سما الدنيا من زمردة خضرا والثانية من فضة بيضا والثالثة
من درة بيضا [illegible] من ياقوتة حمرا والخامسة من ذهب احمر والسادسة من
ياقوتة صفرا والسابعة من نور [illegible] وفي هذه السموات السبع من الدلائل ما لا يعلمه
الا الله ثم فوقها حجاب النور سبعة وكذا الحجب سبعة [illegible] الا الله [illegible] والكل
مشحون بالملائكة على اصنافهم ومراتبهم وفوق ذلك الجنان اولها دار الجلال من اللولو
الابيض [illegible] دار السلام من الياقوت الاحمر والثالثة جنة المأوى من الزبرجد الاخضر
[illegible] جنة الخلد من المرجان الاصفر والخامسة جنة النعيم من الفضة البيضا والسادسة
جنة الفردوس من الذهب الاحمر والسابعة جنة عدن من الدر مشرفة على سائر الجنان وسقفها
عرش الرحمن قد اعد الله فيها لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وهي الدار الاخرة وهي وجه الله الذي لا تبيد ولا تبقى واما الدنيا ففي السموات
والارض والبيت المعمور فيها في السادسة او الاولى حيال الكعبة وهو الذي بناه ادم ورفع
زمن الطوفان واسمه الضراح وليس المراد بسما الدنيا الا السما القريبة لا سما الدار الدنيا فانما
سميت بذلك [illegible] وقد سمت الحكما هيكل السما افلاكا وزادوا فلكين اخرين وقالوا سما
الدنيا فلك القمر والثانية فلك عطارد والثالثة فلك الزهرة والرابعة فلك الشمس
والخامسة فلك المريخ والسادسة فلك المشتري والسابعة فلك زحل وهذه الانجم هي
السبعة السيارة واما الثوابت فهي في اثني عشر برجا وهي منقسمة الى ثمانية وعشرين
نجما تسمى المنازل وهي اجرام لا ارواح فيها على الصحيح قالوا والفلك الثامن فلك هذه الثوابت
الثابتة ويتحرك من المشرق الى المغرب وسير الافلاك السبعة على عكس ذلك من المغرب
الى المشرق قالوا والفلك التاسع فلك الافلاك ويسمى الفلك الاطلس والفلك الاعظم لانه
لا كوكب فيه [illegible] وهذا الفلك هو الذي يسير من المشرق الى المغرب [illegible]
[illegible] اخوكم [illegible] وجهي [illegible] فيك [illegible]
[illegible] القصد نحو المشرق [illegible] نحو المغرب [illegible]

صورة الصفحة الثانية من المخطوط

إلا وقلت إنكم ستسرون بعد قليل إمرًا عظيما بحرف البت وتكون ويكون وجد جبريل
عليه السلام حين جاء في صورة أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن الساعة فقال
صلى الله عليه وسلم ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك بأشراطها إذا رأيت الأمة
تلد ربتها وذلك من أشراطها وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان فذلك من أشراطها
وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذلك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا
الله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير
وحكي عن العافي أنه رأى بعض الخلفاء صورة ملك الموت في المنام فسأله عن موته فأشار
بأصابعه الخمس فأول بعض المعبرين تدل على خمس سنين أو خمسة أشهر أو خمسة أيام فقال أبو يوسف
هو إشارة إلى قوله تعالى إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الآية أي هي من العلوم الخمسة
لا يعلمها إلا الله تعالى والله سبحانه وتعالى مدح هذه الأمة في كتابه العزيز بأنهم الذين يؤمنون
بالغيب يريد به ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الماضي من أخبار الأمم الماضين
وبدء الخلق والآتي مما حكيناه عنه بطريق الصحة ومما ثبت عنه أنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن
قيام الساعة وما يتقدمها وخلق الملائكة والجان وعذاب القبر وفتنة القبر وأن القبر
روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار والحشر والبعث والحساب والصراط
والميزان والشفاعة وتحريمات الجنان ودركات النيران والحور والولدان والكوثر وغير
ذلك مما يقع منا موقع العيان بحق توقنه فإن المخبر عنه من الصادق مرئي بعين البصيرة
التي لا يخالطها ريب ولا شبهة بخلاف رؤية العين فقد ترى العين الشيء خلاف ما هو عليه
لضعف المزاج أو تخييل ساحر وقد وقع لي في هذا المعنى في أوائل قصيدة كتبت بها إلى باب دمشق ولها رأي بأبيه بعد وفاة

إن قمت تسألني معاطف الأغصان وغني الحمام على فروع البان
ورمايل الروح المروح بالصبا سحرا ونفحة روضة الريحان
وجنة الفردوس والعيش الذي يبقى بها والحور والولدان
ما تحملوا حدثتكم في مسمعي الأوائل حدثتكم عن عيان
يا أيها الحب على السماع وقيل ما تهوى العيون عشق الآذان
طافت كؤوس الراح من إذ ابكم ممزوجة بالعدل والإحسان
وشربت من طيها فصرت متيما سكران دون بقية الندمان
نشوان من طيب السماع وطالما فاق السماع مكان فوق عيان
تبرهان الإيمان بالمسموع من قول النبي ومحكم القرآن

تم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى بن أيوب بن الشحنة محمود، والشحنة جده الأعلى محمود، الشهير بابن الشحنة، التركى الأصل الحلبى الحنفى.

مولده:

ولد ابن الشحنة سنة تسع وأربعين وسبعمائة، كما ذكر ذلك هو نفسه عندما سأله تيمور لنك عن عمره فأجاب بما ذكرناه كما سيأتى فى أواخر الكتاب وكان ذلك فى حلب، فهو تركى الأصل حلبى المولد والنشأة والممات.

مكانته العلمية:

قال ابن العماد فى شذرات الذهب: حفظ القرآن العظيم وعدة متون، وتفقه وبرع فى الفقه والأصول والنحو والأدب، وأفتى ودرَّس.

وقال فى كشف الظنون: فقيه أصولى، مفسر، فرضى، أديب، ناظم، نحوى، مؤرخ، أفتى ودرَّس.

وقال ابن خطيب الناصرية: شيخنا وشيخ الإسلام، كان إنسانًا حسنًا، عاقلاً، دمث الأخلاق، حلو النادرة، عالى الهمة، إمامًا فاضلاً، ذكيًا له الأدب الجيد، والنظم والنثر الفائقان، واليد الطولى فى جميع العلوم.

وقال البرهان الحلبى: من بيوت الحلبيين، مهر فى الفقه والأدب والفرائض مع جودة الكتاب، ولطف المحاضرة، وحسن الشكالة، يتوقد ذكاءً، وله تصانيف لطاف.

وقال ولده: وحاصل الأمر أنه كان منفردًا بالرئاسة علمًا وعملاً فى بلده وعصره، وغرة فى جبين دهره.

وقال السخاوى فى الضوء اللامع: وقد وصفه شيخنا - يعنى ابن حجر - فى ترجمة أبيه من الدرر بالإمام العلامة، وفى إنباء الغمر بالعلامة، بل ترجم له فيه، وقال: إنه اشتغل قديمًا ونبغ وتميز فى الفقه والأدب والفنون، وأنه لما رجع من القاهرة إلى حلب -

يعنى قبل القرن ـ أقام ملازمًا للاشتغال والتدريس ونشر العلم، لكنه مع وصفه له بكثرة الاستحضار وعلو الهمة، والنظم الفائق والخط الرائق قال: إنه كثير الدعوى وفى تاريخه أوهام عديدة.

شيوخه:

قال السخاوى: ما علمت من شيوخه سوى السيد عبد الله فقد أثبته البرهان الحلبى، بل قال ولده: إن ابن منصور والأنفى أذنا له فى الإفتاء والتدريس قبل أن يلتحى.

قلت: بل كان له شيوخ كثيرون فقد قال هو نفسه: أخذ عن شيوخ البلد، والقادمين إليها، وارتحل فى حياة أبيه لدمشق والقاهرة فأخذ عن مشايخها.

تلاميذه:

ذكر ولده كما نقل السخاوى عنه أن بمن أخذ عنه وتتلمذ عليه: العز الحاضرى، والبدر بن سلامة بحلب، وابن قاضى شهبة، وابن الأذرعى بالشام، وابن الهام، وابن التنسى، والسفطى، وابن عبيد الله بمصر. وهؤلاء علماء أفاضل نجباء تتلمذهم عند ابن الشحنة يدل على كثرة علمه وعلو منزلته فى عصره.

محنته:

يقول حاجى خليفة: أفتى ودرس وتولى قضاء الحنفية بحلب، ثم بدمشق إلى أن قبض عليه الظاهر برقوق وقدم به إلى القاهرة، ثم أفرج عنه ورجع إلى حلب فأقام بها إلى أن قبض عليه الملك الناصر فرج لقيامه مع جماعة على الناصر المذكور، ثم استقر فى قضاء حلب وأعطى تداريس بدمشق.

توليه القضاء:

قال ولده: ولى قضاء حلب ودمشق والقاهرة، ثم قضاء الشام كله.

تصانيفه:

١ ـ روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر، وهو كتابنا هذا، وذكروا أنه اختصره من تاريخ المؤيد صاحب حماه مع التذييل عليه إلى زمنه، ولكن الظاهر أن هذا ليس صحيح، فقد ذكر هو فى أول الكتاب أنه ألفه لما طلب منه نائب السلطنة ذلك، ولم يذكر أنه اختصره من التاريخ المذكور.

٢ ـ له سيرة نبوية، ولم يذكر اسمها.

٣ ـ الرحلة القسرية بالديار المصرية.

٤ ـ أوضح الدليل والأبحاث فيما يحل به المطلقة بالثلاث.

٥ ـ شرح الكشاف للزمخشرى.

٦ ـ له مؤلف فى الفقه مختصر ألفه لابنه.

٧ ـ اختصر منظومة النسفى فى ألف بيت مع زيادة مذهب أحمد.

٨ ـ نظم ألف بيت فى عشرة علوم.

من شعره:

أسماء عشر رسول الله بشرهم ... بجنة الخلد عمن زانها وعمَّر

سعيد سعد على عثمان طلحة أبو ... بكر ابن عوف ابن الجراح الزبير عمر

ومنه:

كنت بخفض العيش فى زمعة ... منتصب القامة ظلى ظليلى

فاحدودب الظهر وها أضلعى ... تعد والأعين منى تسيل

وفاته:

توفى ـ رحمه الله ـ بحلب ، يوم ثانى عشر ربيع الآخر ، سنة خمسة عشر وثمانمائة رحمه الله ـ تعالى وجعل الجنة مثواه.

* * *

مصادر الترجمة:

ـ إنباء الغمر للحافظ ابن حجر (٧ / ٩٥).

ـ الضوء اللامع للسخاوى (٩ / ٢٩٥).

ـ معجم المؤلفين (١١ / ٢٩٥).

ـ شذرات الذهب لابن العماد (٧/ ١١٣، ١١٤).

ـ البدر الطالع للشوكانى (٢/ ٢٦٤، ٢٦٥).

ـ كشف الظنون (١٥٧، ٢٠٢، ٩٢٠، ٩٢١، ١٦٩٦).

ـ هدية العارفين (٢/ ١٨٠).

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

وصلى الله على سيدنا أشرف الخلق محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

قال سيدنا شيخ الإسلام محب الدين أبو الوليد محمد بن الشحنة الحنفى نفع الله المسلمين بحياته، وأعاد عليهم من بركاته:

الحمد لله الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، فتبارك الله أحسن الخالقين، وصلى الله على سيدنا محمد أشرف الرسل، وأكرم الخلق، الفائق فى كل جود على كل موجود بقضيب السبق وعلى آله الكرام، وأصحابه مصابيح الظلام وبعد:

فقد التمس منى من طاعته من أجلّ المناصب، ومن هو لرايات السعادة ناصب، قرة عين الزمان، سبط مولانا السلطان أحسم العلماء والسلاطين، الملك المؤيد عماد الدين البارع السيم، الجامع بين محاسن السيف والقلم، الطيب الأصل العظيم القدر محمد بن موسى بن شهدى نائب السلطنة الشريفة بقلعة حلب المحروسة، حمل الله بطلعته المواكب ممتطيًا هام الكواكب، ما غنت الورقاء على أوراقها، واستملت منها على أطواقها أن أجمع له كتابًا فى التاريخ وجيز الألفاظ والمبانى، أنيق الفحاوى والمعانى، فأصغيت إسماعًا لمقاله، ووجهت ركاب همتى نحو سؤاله، وامتثلت لإشارته الشريفة، التى طاعتها أعظم وظيفة، وشرعت فى جمع هذا الكتاب امتثالاً لها، حيث هى الصواب؛ لأن التاريخ باب حسن من العلم إبتداءً، ذو مصراعين مفصلين، حسن التدبير لمن طرقهما مخلَّصين، وجعلت له مفتاحًا وخاتمة.

أما المفتاح: فهو فى ابتداء خلق السموات والأرض وما فيها من العجائب من خلق الله تعالى.

وأما المصراع الأول: ففى مدة ما بين هبوط آدم - عليه السلام - إلى هجرة سيدنا

محمد ﷺ، وبينهما على الأرجح ستة آلاف سنة ومائتان وستة عشر سنة، ونقصها المنجمون عن ذلك ما بين ستة وتسعًا وأربعين سنة.

وأما المصراع الثاني: فمنها إلى آخره مدة يقدر الله أن نترجم عنها، نذكر فيها مشاهير الناس على أصنافهم، وما اشتهر من الحوادث الغريبة فيهم.

وأما الخاتمة: فهى المشتملة على ما هو كالعيان مما يكون فى آخر الزمان.

وسميته:

«روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر»

والله المأمول فى تحريره وإتمامه، مع حسن ترتيبه وجزالة انتظامه، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

* * *

المفتـاح

قال رسول الله ﷺ: «كان الله ولا شىء معه»[١].

والراجح أن أول شىء خلق الله اللوح، ثم القـلم، ثم الدواة ـ فى قول سـعيـد بن جبير ـ وقيل: القلم ثم اللوح[٢]، وكتب فيه ما هو كـائن إلى يوم القيامة، ثم خلق الله درة بيضاء صيرها ماءً، وجعل عرشه على الماء، ثم خلق الله كرسيه، ثم خلق الهواء ثم الأرواح.

قال كـعب الأحـبار: أول مـا خلق الله الأرواح، ثم حملة العـرش ملائكة أربعـة، أحدهم إسرافيل[٣]، وهو أقرب الملائكـة ويمدهم يوم القيـامة بأربعـة أخرى، فيـحمل

---

(١) أخرج البـخارى (٤/١٢٨) ، أحـمد فى المسند (٤/٤٣١) عن عـمران بن حـصين قـال : قال رسول الله ﷺ: «اقبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا: قد بشـرتنا فأعطنا فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن قـالوا: قد قبلنا فأخـبرنا عن أول هذا الأمر كيف كـان فقال: كان الله عـز وجل قبل كل شىء وكان عرشه على الماء وكتب فى اللوح المحفوظ ذكر كل شىء».

(٢) قال الحـافظ ابن كثـير فى البـداية والنهاية (١/٧): اخـتلف هؤلاء فى أيهـما خلق أولاً؟ فـقال قائلون: خلق القلم قبل كل هذه الأشـياء كلها، وهو اختيار ابن جرير وابن الجـوزى وغيرهما، قال ابن جرير: وبعد القلم السحاب الرقيق. واحتجوا بالحديث الذى رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى عن عبادة بن الصـامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له: اكتب فجرى فى تلك السـاعة بما هو كائن إلى يوم القيامة». لفظ أحمد، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح.

والذى عليه الجمهـور فيما نقله أبو العلاء الهمدانى وغيـره: أن العرش مخلوق قبل ذلك، وهذا هو الذى رواه ابن جرير من طـريق الضحاك عن ابن عـباس، كمـا دلَّ على ذلك الحديث الذى رواه مسلم فى صـحيحه حـيث قال: حدثنى أبو الطاهر أحـمد بن عمرو بن السـرح حدثنا ابن وهب أخبرنى أبو هانىء الخولانى عن أبى عبد الرحمن الجيلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مـقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء». قالوا: وهذا الـتقدير هو كتابته بالقلم المقادير، وقد دلَّ هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش. اهـ.

انظر المنتظم (١/ ١٢٠ ـ ١٢١)، تاريخ الطبرى (١/٣٢)، مرآة الزمان (١/٤٧).

(٣) روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قـال: «إن ملكًا من ملائكة الله تعالى يقال له إسـرافيل يحمل زاوية من زوايا العرش على كاهله ، وقدماه فى الأرض السـفلى ، قد رنق رأسه فى السماء =

عرش ربك يومئذ ثمانية، وتتابع خلق الملائكة وما شاء الله مما لا يعلمه إلا هو ثم لما أراد الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض خلق جوهرة بيضاء، ونظر إليها نظر هينة فذابت وغلت، وصعد لها دخان، فخلق الله من الزبد الأرض، والأمواج، والجبال، والدخان، والسموات وجعل مدة خلق ذلك فى سته أيام ليصير التأنى فيهما طبعًا، يومًا لمادة الأرض، ويومًا لصورتها، ويومًا لمادة السماء ويومًا لصورتها، ويومين لكمالاتهما، ثم خلق الكواكب والنفوس وغير ذلك، وكان ابتداء ذلك يوم الأحد إلى يوم الجمعة، وسمى يوم الجمعة لاجتماع تكامل أصول الخلق فيه.

وأقرب ما رويناه من ترتيب ذلك أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين، والجبال وما فيها من المنافع يوم الثلاثاء، والشجر والنبات يوم الأربعاء وخلق السماء يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة، ثم فتق الله السماء سبعًا طباقًا بعضها فوق بعض»(١).

ولكن فى «صحيح مسلم»: خلق الله التربة يوم السبت، والجبال يوم الأحد، والشجر يوم الإثنين، والماء يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء وبث الدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة(٢).

وقد أعلَّ بأن أبا هريرة رواه عن كعب، وأنه من الإسرائيليات.

وأقرب ما بلغنا أن سماء الدنيا من زمردة خضراء، والثانية من فضة بيضاء، والثالثة من درة بيضاء، والرابعة من ياقوته حمراء، والخامسة من ذهب أحمر، والسادسة من

= السابعة». رواه أبو نعيم فى الحلية (٦/ ٦٦). قال أبو نعيم: تفرد به إسماعيل بن عياش عن الأحوص عن شهر بن حوشب عن ابن عباس، ورواه عبد الجليل بن عطية عن شهر عن عبد الله ابن سلام.

(١) رواه الطبرى فى التاريخ (١/ ٢١) عن هناد بن السرى قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس.
ورواه الحاكم (٢/ ٥٤٣) وفيه حماد بن السرى ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس ـ مرفوعًا. وأبو سعيد البقال هو سعيد بن المرزبان العبسى البقال الكوفى الأعور مولى حذيفة فلعل فى تاريخ الطبرى تصحيف فى اسمه. قال فيه الحافظ فى التقريب: ضعيف مدلس. التقريب (١/ ٣٠٤).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٢٧)، مسلم (٢١٤٩)، الحاكم (٢/ ٤٥٠)، البيهقى (٩/ ٣)، الطبرى فى التاريخ (١/ ٢٣، ٤٥).

ياقوته صفراء، والسابعة من نور يتلألأ، وفى هذه السموات السبع من الخلائق ما لا يعلمه إلا الله، فوقها بحار النور سبعة، وبحار الحجب سبعة، متضاعفة إلى ما لا نهاية لها، والكل مشحون بالملائكة على أصنافهم ومراتبهم.

وفوق ذلك الجنان، واختلف فى عددها، فقيل إنها ثمانية: أولها: دار الجلال من اللؤلؤ الأبيض، وثانيها: دار السلام من الياقوت الأحمر، وثالثها: جنة المأوى من الزبرجد الأخضر، ورابعها: جنة الخلد من المرجان الأصفر، وخامسها: جنة النعيم من الفضة البيضاء، وسادسها: جنة الفردوس من الذهب الأحمر، وسابعها: دار القرار من المسك الأذفر، وثامنها جنة عدن من الدر، مشرفة على سائر الجنان، وسقفها عرش الرحمن، قد أعد الله فيها لعباده الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1]، وهى الدار الآخرة، وهى وجه الله الذى لا يبيد ولا يفنى.

وأما الدنيا فهى السموات والأرض، والبيت المعمور منها فى السادسة أو الأولى حيال الكعبة، وهو الذى بناه آدم، ورفع فى الطوفان، واسمه الضّراح، وليس المراد بسماء الدنيا إلا السماء القريبة، لا سماء الدار الدنيا، فالإضافة فيها لهى فى المسجد الجامع، وقد سمت الحكماء هيكل السماء فلكًا، وزادوا فلكين آخرين وقالوا: سماء الدنيا فلك القمر، والثانية فلك عطارد والثالثة فلك الزهرة، والرابعة فلك الشمس، والخامسة فلك المريخ، والسادسة فلك المشترى، والسابعة فلك زحل.

وهذه الأنجم هى السبعة السيارة، وأما الثوابت فهى اثنى عشر تسمى بروجًا، وهى منقسمة على ثمانية وعشرين نجمًا، تسمى المنازل، وهى أجرام لا أرواح فيها على الصحيح.

قالوا: والفلك الثامن فلك هذه الكواكب الثابتة، ومسيره من المشرق إلى المغرب، وسير الأفلاك السبعة على عكس ذلك من المغرب إلى المشرق.

قالوا: والفلك التاسع فلك الأفلاك، ويسمى فلك الأطلس، والفلك الأعظم، لأنه لا كوكب فيه، قال ابن الأثير: وهذا الفلك هو الذى يسير من المشرق إلى المغرب، والباقية بالعكس، ولله در القائل:

---

(١) هذا ما فى حديث أبى هريرة عند البخارى فى التوحيد باب ٣٥، بدء الخلق ٨، مسلم فى الإيمان ٣١٢، أحمد (٣١٣/٢، ٣٧٠، ٤٠٧، ٤١٦، ٤٣٨).

أنحوكم ويرد وجهى القهقرى عنكم فسيرى مثل سير الكواكب
القصد نحو المشرق الأقصى لكم والسير رأى العين نحو المغرب

وأجرام السموات شفافة من شدة صفائها، فلذلك ترى الكواكب السبعة كلها فى سماء الدنيا، والقمر نوره من نور الشمس وبسبب ذلك يزيد نوره وينقص بكون الخسوف والكسوف.

قال وهب[1]: خلق الله الشمس من نور عرشه، والقمر من نور حجابه.

وقال كعب: يؤتى بهما يوم القيامة فيقذفان فى النار.

وأنكر ابن عباس - رضى الله عنهما - ذلك وقال فى قوله تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكوير:٣] يكور الله الشمس والقمر يوم القيامة فى البحر، ويبعث ريحًا زبوراً فتضرمهما ناراً.

وقال على: والمجرة باب فى السماء، منه تنزل الملائكة، ومنه نزل الماء فى الطوفان، والدنيا كلها سمواتها وأراضيها، وكل ما فى ذلك كرة واحدة، مثل حبة خردلة فى جوف الكرسى، ونسبة الكرسى إلى العرش كذلك، فسطح هذه الكرة من كل جوانبها هو فوق ما فوقه، فهو أعلى عليين من أى جهة فرضية لهذه الكرة، وأعلاها هو الفلك الأعظم، وأسفل منه هو الفلك الذى يليه، وهلم جرا إلى سماء الدنيا المحيطة بكرة الأرض من كل جوانبها غير متصلة بشىء منها، بل هى واقعة فى الهواء بإذن ربها.

واختلفت الحكماء فى السبب المقتضى لذلك، فقال بعضهم، جذب الفلك لها من كل جهة على السواء، وقال بعضهم بل جذب مركزها لذلك، وقال بعضهم: بل تساوى الدفع منها، والحق أنه بإذن الله تعالى مخصوصية الموضع الآبق بها، ويطرد ذلك فى كل ذلك.

وكرة الأرض بجبالها وبحارها طباق سبعة بعضها جوف بعض على سطح العلياء منهن بنو آدم، وملائكة الأرض، وما شابه ذلك الآبق من الحيوان والنبات، وخفيف الجان.

وفى الأرض الذى أسفل منها ، وهلم جرا إلى السابعة من خلق الله ما لا يعلمه

(١) هو وهب بن منبه بن كامل اليمانى أبو عبد الله الأبناوى. ثقة من الثالثة، مات سنة بضع عشرة. التقريب (٢/ ٣٣٩).

إلا الله براً وبحراً، فالأسفل جوف الأرض السابعة، كما أن الأعلى فوق السماء السابعة، وأسفل من جوف الأرض السابعة بحار الظلمة سبعة مضاعفة إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وأسفل من ذلك جهنم طباق سبعة، هى أسفل السافلين.

وكرة الأرض غائصة فى بحارها المحيطة بها كالبيضة فى الماء، قليلها بارز، وعلى ذلك القليل أنهار عذبة، وجبال ونبات وحيوان لا يعلمه إلا الله تعالى، على اختلاف أجانسه وأنواعه، وهذه البقعة السابعة من الأرض كانت تتحرك، فأمسكها الله بجبل قاف محيطًا بها، والجبال كلها عروقه.

وأول ما ظهر من الجبال أبو قبيس[1]، ومن الأرض مكة ولذلك سميت أم القرى.

روى أنها كانت سفينة على وجه الماء يعبد الله عليها ملكان قبل خلق الأرض بألفى عام[2]، وهذه الكرة هى كالبيضة محمولة بإذن الله تعالى على ملك عظيم، قدماه على صخرة من ياقوته خضراء يحملها ثور عظيم اسمه كيوثان، قوائمه على حوت عظيم اسمه بهموت.

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: ودون الحوت البحر، ودون البحر جهنم.

وخص هذا الجانب من الكرة المشبهة بالبيضة بهذا الحمل لشرفه على سائر النواحى بسكنى بنى آدم فى الربع المعمور منه، قال الله تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر**﴾ [الإسراء: ٧٠].

وهذا الربع المعمور قسمه الذين طافوا به، كأفريدون النبطى، وتبع الحميرى، وسليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ، والإسكندر ذو القرنين، وأرد شير بن بابل الفارسى أقاليمًا سبعة، طولها من المشرق إلى المغرب، وعرضها من الشمال مدار الجدى، إلى الجنوب مدار سُهيل، وأطولها الإقليم الأول، وهو عشرة آلاف ميل، ومائتا ميل، مقسومة على مائة وثمانين جزء، سموا كل جزء درجة، وهذا هو نصف دور

---

(١) أبو قبيس هو الجبل المشرف على الصفا، سُمى برجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس، لأنه أول من بنى فيه، وكان يسمى فى الجاهلية الأمين، لأن الركن كان مستودعًا فيه عام الطوفان وهو أحد الأخشبين. المنتظم (١/١٣٨)، معجم ما استعجم (١٠٤٠)، الصحاح (٢/٩٥٧).

(٢) قال ابن الجوزى فى المنتظم (١/١٢٨): ورويناً أن الكعبة خلقت قبل الأرض. روى عكرمة عن ابن عباس قال: وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الله الدنيا بألفى عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت.

الأرض من أقصى بلاد الصين بالمشرق إلى طنجة أقصى بلاد المغرب، أرجل هؤلاء مقابلة لأرجل أولئك.

وابتداؤه عرضًا من ناحية الجنوب، تحت معدل النهار، حيث يكون الليل والنهار متساويين أبدًا إلى الإقليم الثانى الملاصق له من جهة الشمال، وكذلك إلى آخر الإقليم فى جهة الشمال، طوله أربعة آلاف وثمانون ميلاً.

قالوا: وجميع مسافة العرض ألفان ومائة وأربعون ميلاً، وما خلف الإقليم من جهة الجنوب من عمارة قليلة متفرقة من بلاد السودان، لا يعيش فيها حيوان من شدة الحر، ومن جهة الشمال من بلاد الصقالبة، ويأجوج ومأجوج، كذلك لشدة البرد.

وطول كل مدينة بعدها من أقصى المغرب، وعرضها بعدها عن خط الاستواء، فالتى فى أقصى المغرب لا طول والتى تحت خط الاستواء لا عرض لها، والتى فى الوسط عرضها تسعون درجة، وهى وسط الأرض، قالوا: هو وادى سرنديب، حيث هبط آدم - عليه السلام -.

وما روى عن رسول الله ﷺ «أن وسط الأرض هو الكعبة». فبالنسبة إلى المعمور منها، وما روى أنه بيت المقدس فلأنه المحشر، والمراد بالوسط حينئذ الأعدل، لقوله تعالى: ﴿كذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾ [البقرة: ١٣٤].

وهذه الأقاليم السبعة الإقليم الرابع منها هو أعدلها، وهو إقليم الأنبياء والحكماء، والمستولى عليه الشمس، ولأهله من البروج: الجوزاء، ومن الكواكب: عطارد، وعرضه ثلاثمائة ميل، ومن مدينة خراسان العراق والرى وأصبهان، وديار بكر، والشام، وبيت المقدس، ويليه فى الاعتدال الإقليمان الثالث والخامس، فالمستولى على الثالث: المريخ، ولأهله من البروج: العقرب، ومن الكواكب: الزهرة، وعرضه ثلاثمائة وخمسون ميلاً، ومن مدينة مصر، والحجاز إلى بلاد القيروان وطنجة، والمستولى على الإقليم الخامس الزهرة، وله من البروج: السرطان، ومن الكواكب: المريخ، وعرضه مائتان وخمسة وخمسون ميلاً، ومن مدينه خوارزم وأرمينية، والقسطنطينية الكبرى، إلى بلاد الأندلس.

والأقاليم الباقية أهلها ناقصون عن طبيعة الأفضل كالزنج والحبشة فى الأولين، ويأجوج ومأجوج والصقالبة فى الآخرين.

روى كعب الأحبار ـ رضى الله عنه ـ: أن الأرض سكنهـا الجن سبعمائة ألف سنة، فلما عـصوا وسفكوا الدماء أهلكهم الله، وأسـكنها الملائكة ألفى سنة[1]، ثم خلق الله آدم.

* * *

(١) وقال بعض العلماء: عمروا الأرض ألفى سنة، وقال بعضهم: أربعين سنة. المنتظم (١/ ١٦٩).

المصراع الأول

آدم ـ عليه السلام ـ[(١)]:

أول هذا النوع الإنسانى، سمى آدم، لأنه خلق من أديم الأرض[(٢)]، خلقه الله يوم الجمعة بعد العصر[(٣)]، آخر خلق خلقه الله فى الأرض من قبضة قبضها من جميعها، ومكث فيها ما شاء الله، ثم نقله إلى السماء، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وأسكنه الجنة ضحوة، ثم نام، فخلق الله من ضلعه الأيسر حواء، سميت حواء؛ لأنها خلقت من شىء حى وأخرجه منها بين الصلاتين، فكانت مدة إقامته فيها نصف يوم، خمسمائة عام فى عدد أهل الدنيا، ثم تاب عليه يوم عاشوراء، وأهبط إلى الأرض هو وحواء وإبليس والحية هبوطًا واحدًا.

قال كعب الأحبار: هبطوا جميعًا، ونزلوا فى بلاد متفرقة: آدم بالهند، وقيل: بسرنديب، وحواء بجدة، وإبليس بموضع من البصرة، والحية بنصيبين[(٤)]، وقيل:

(١) انظر المنتظم (١/ ١٩٨)، تاريخ الطبرى (١/ ٨٩)، تهذيب تاريخ ابن عساكر، (٢/ ٢٤١)، البداية والنهاية (١/ ٦٨)، الكامل (١/ ٢٦).

(٢) قال الحافظ ابن الجوزى (١/ ١٩٨): وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بعث رب العزة إبليس فأخذ من أديم الأرض ومن عذبها ومن ملحها فخلق آدم، فمن ثمَّ سُمى آدم، لأنه خلق من أديم الأرض، ومن ثم قال إبليس ﴿أأسجد لمن خلقت طينًا﴾.

(٣) جاء هذا فى الخبر الذى رواه أحمد (٣/ ٤٣٠)، ابن أبى شيبة (٢/ ١٤٩)، ابن خزيمة (١/ ١٧٢)، الحاكم (١/ ٢٧٧)، الطبرى فى تاريخه (١/ ١١٣) عن عمرو بن شرحبيل بن سعد ابن عبادة عن أبيه عن جده سعد بن عبادة أن رجلاً من الأنصار أتى النبى ﷺ فقال: أخبرنا عن يوم الجمعة ماذا فيه من الخير، قال: «فيه خمس خلال: فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه توفى، وفيه ساعة لا يسأل عبد فيها شيئًا إلا آتاه الله ما لم يسأل مأثمًا أو قطيعة رحم، وفيه تقوم الساعة، وما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا بحر إلا وهو يشفق من يوم الجمعة». والإسناد واللفظ لأحمد.

(٤) انظر تاريخ الطبرى (١/ ١٢١)، المنتظم (١/ ٢٠٨)، البداية والنهاية (١/ ٨١)، مرآة الزمان (١/ ٢٠٠).

قال ابن الجوزى: روى أبو صالح عن ابن عباس قال: أهبط ـ أى آدم ـ على جبل بالهند يقال له نود. وقال ابن إسحاق: أهل التوراة يقولون: أهبط بالهند على جبل يقال له واسم عند واد =

بأصبهان، فلمـا حج آدم ـ عليه السلام ـ إلى موضع البيت ماشيًا كـما أمره الله تعالى، اجتمع بحواء على جـبل عرفات، ولذلك سمى عرفات، فولد لـهما قابيل وهابيل، ثم ولد له شيث بعد مضى مائتـين وثلاثين سنة من عمره، وهو وصىّ آدم، ومعنى شيث: هبة الله، وإليه تنتهى أنساب بنى آدم كلهم.

وتوفى آدم وعمره تسعمائة وثلاثون سنة[1]، وكان نبيًا رسـولاً إلى بنيه، وبنى بنيه، وكانت عـدتهم عند مـوته أربعين ألفًا، منهم عـمود النسب شـيث، وابنه أنوش، وابن أنوش قينان، وابن قينان مهلائيل، ثم ولد لمهلائيل بعد موت آدم يزد، وولد ليزد خنوخ وهو إدريس ـ عليه السلام ـ.

ثم مات شيث وعمـره تسعمائة سنة واثنتا عشـرة سنة، ثم ولد لخنوخ متوشلج، ثم توفى أنوش وعمره تسعمائة سنة وخمسون سنة، ثم ولد لمتوشلج لامخ، وقيل: لامك، ولمك.

ورفع إدريس وعمـره ثلاثمائة سنة وخـمسـة وستـون سنة، وكان نبيًا انكـشفت له الأسرار السماويـة، ونزلت عليه الصحف، منها: «لا ترومو أن تحيطوا بـالله خبرة فإنه أعظم وأعلى من أن يدركه المخلوقون إلا من آثره».

ثم توفى قينان وعمره تسعمائة وعشرون سنة، ثم ولد للامخ نوح[2] ـ عليه السلام ـ بعد مضى ألف سنة وستمائة واثنين وأربعين سنة من هبوط آدم.

ونوح ـ عليه السلام ـ عاشر أب إلى آدم ـ عليه السلام ـ، وهو أول أولى العزم على الصحيح، وأرسله الله إلى قومه، وكانوا عبدة أوثان.

= يقـال له بهيل بين الدهنـج والمندل بلدين بأرض الهند. وقـال قوم: بل أهبط بسـرنديب على جبل يقال له نوذ، وأهبطت حواء بجدة من أرض مكة، وإبليس بميسان، والحية بأصفهان. وقال آخرون: أهبطت الحية بالبرية وإبليس بالساحل من بحر الأبلَّة. اهـ.

(١) ذكر الحافظ ابن الجوزى فى المنتظم (١/ ٢٢٦): أن آدم توفى وعمره ألف سنة سوى أربعين وهبها لابنه داود.

(٢) قال ابن الجوزى: هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس، وقال الزبير بن بكار: نوح بن ملكان ابن مثوب بن إدريس.

انظر تاريخ الطبـرى (١/ ١٧٩)، البـداية والنهاية (١/ ١٠٠)، مـرآة الزمـان (١/ ٢٣٦)، المنتظم (١/ ٢٣٩).

وحين بلغ عـمر نوح خمسمـائة سنة ولد له سام، وحام ويافث، وحيـن بلغ عمره ستمـائة سنة توفى متوشلج عن تسـعمائة وسبـعين سنة، ولما طاف على طغيـان قومه، واسـتطالوا فى أذاه وآيس من إيمانهم قـال: ﴿رب لا تذر علـى الأرض من الكافـرين ديارًا﴾ [نوح:٢٦] فاستجاب الله له.

وابتدأ الطوفـان، فعـمل السفينة، وأمـره الله أن يحمل فـيها سـام وحام، ويافث، ونساءهم قيل: وستة أنفس، وقيل: وثمانين رجلاً، منهم جرهم، كلهم من ولد شيث، وأدخل معهم من أمره الله تعالى من الحيوان، وتخلف عنه ابنه يام، وكان كافرًا.

وعلا الماء على رؤوس الجبال خمسة عشر ذراعًا ستة أشهر، وعشر ليالٍ، أولها حين صاروا فى السـفينة، عاشر رجب القـرى، وهو عاشر آب أيضًا، وآخرها عـاشوراء من المحرم، واستوت على الجودى من أرض الموصل.

وقد أنكر الطوفان جـماعة من كبار المجوس والهند والفـرس والصين، وسائر الأمم الشرقية، وبعض المجوس يقول: إنه لم يكن عامًا، ولم يتجاوز عقبة حلوان.

فجميع الناس من ولد نوح، لقوله تعالى: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ [الصافات:٦٦] فـسام أبو العـرب وفـارس والروم، وحـام أبو السودان، ويافث أبـو الترك، ويأجـوج ومأجوج والفرنج والـقبط من ولد قوط بن حام، وكذلك كنعان، فـإنه كنعان بن ماريع ابن حام، وقيل: كنعان من ولد سام.

وكان بنو كنعان بالشام إلى أن غزتهم بنو إسرائيل، وعمليق، الذى هو أبو العماليق، وفارس أخـوه، هما ولدا أردا بن سام، وإرم ولد سام أيضًا، وولد لإرم غـابر، ولغابر ثمود، وولد أيضًا لإرم عوص، ولعوص عاد، وكان كلام ولد إرم العربية، وسكنت بنو عاد الرمل إلى حضرموت، وسكنت بنو ثمود الحجر بين الحجاز والشام.

وولد لسام من عـمود النسب أرفخـشد بعد الطوفان بسـتين سنة، وولد لأرفخـشد قينان، ولقينان شالخ.

وبعد الطـوفان بثلاثمـائة وخمـسين توفى نوح ـ عليـه السلام ـ، وعمـره تسعـمائة وخمسين سنة، فى قول قتادة وغيـره، منها ثلاثمائة قبل الدعوة، وثلاثمائة فى الدعوة، وثلاثمائة وخمسون بعد الطوفان.

وقال ابن عـباس وغيره: بُعث وهـو ابن مائتى سنة وخمـسين، ولبث ألف سنة إلا

خمسين عامًا، وعاش بعد الطوفان مائتين، وقيل غير ذلك.

ثم ولد لشالخ عابر، ولعابر فالغ، ولفالغ رغو، وعند تولد رغو تبلبلت الألسن، وقسمت الأرض، وتفرق بنو نوح، ثم ولد لرغو ساروغ، واسمه فى التوراة سرور، ثم ولد لساروغ ناخور، ولناخور تارخ، ولتارخ إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وذلك لمضى ألف وإحدى وثمانين سنة من الطوفان.

أما عمر سام فستمائة سنة، وأرفخشد أربعمائة وخمس وستون سنة، وغابر أربعمائة وثلاثون سنة، وشالخ أربعمائة وستون سنة، وعابر أربعمائة وأربعة وستين سنة، وشالغ ثلاثمائة وتسعة وثلاثين سنة، ورغو كذلك، وساروغ ثلاثمائة وثلاثون سنة، وتارخ مائتين وخمسين سنة.

وسبب تبلبل الألسن أن بنى نوح اجتمعوا على بناء حصن خوفًا من مجيئ الطوفان ثانيًا يبلغ رأسه السماء، وكانوا اثنين وسبعين شعبًا، فجعلوا فيه بعدد الشعوب على أبرجة، كل برج كبير شعب، فانتقم الله منهم وفرَّق ألسنتهم إلى لغات شتى، ولم يكن غابر وافقهم على ذلك، فبقاه الله على اللغة العبرانية، فتفرقت بنو نوح، فصار ولد سام إلى العراق وفارس وما يلى ذلك إلى الهند، وصار ولد حام إلى الجنوب ومصر وما يلى ذلك مغربًا، وصار ولد يافث إلى الصين وما يلى ذلك مشرقًا.

وأرسل فيما بين نوح وإبراهيم ـ عليهما السلام ـ هود وصالح.

أما هود أرسله الله إلى عاد، وقيل: هو غابر الذى لم يوافق على بناء الحصن، قيل: كان من قومه شخص اسمه لقمان، غير لقمان الحكيم الذى كان على عهد داود ـ عليه السلام ـ كان قد توجه إلى مكة المشرفة قبل هلاك قومه يستسقى لهم من جدب حصل لهم، فسلم فقال له الله: اختر، ولا سبيل إلى الخلود، فقال: رب أعطنى عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة، حتى إذا مات أخذ غيره، وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة، وكان اسم النسر الذى مات معه لبد.

وأما صالح فأرسله الله إلى ثمود، وصالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود[1]، وهود اعتزل مع من نجا من قومه إلى حصن يعبد الله فيها حتى

---

(١) انظر تاريخ الطبرى (١/ ٢٢٦)، المنتظم (١/ ٢٥٥)، زاد المسير (٣/ ٢٢٣)، البداية والنهاية (١/ ١٣٠). وذكر ابن الجوزى: أن اسمه صالح بن عبيد بن جاذر بن جابر بن ثمود.

مات، ومدة عمره تقدم ذكرها، على أنه غابر، وصالح سار بعدها إلى قومه، إلى فلسطين، ثم انتقل إلى الحجاز، وعبد الله حتى مات، وعمره ثمانية وخمسون سنة[١].

ثم كانت قصة إبراهيم الخليل[٢] ـ عليه السلام ـ على ما جاء به التنزيل، ولد بالأهواز، وقيل: ببابل وهى العراق، وكان نمرود عاملاً على سواد العراق، وقيل: ملكًا مستقلاً، ولما خرج إبراهيم ـ عليه السلام ـ سالمًا من النار، سار هو وزوجته سارة ابنة عمه هاران، وأبوه آزر هو تارخ، وجماعة من قومه إلى حرّان، ثم سار هو وسارة إلى مصر، وطلب سارة فرعون مصر سنان بن علوان، وقيل: طوليس، فحماها الله من الفاجر، وأخدمها هاجر كما جاء فى الحديث الصحيح.

قال ابن هشام: جعل الله القصر كالزجاج، فرأى إبراهيم ـ عليه السلام ـ ما اتفق للفاجر، وردَّه خاسئًا زيادة فى تطييب خاطر إبراهيم ـ عليه السلام ـ فساروا إلى الشام، وأقاموا بين إيليا والرملة، وكانت سارة لا تلد، فوهبت هاجر من إبراهيم، فجاءت بإسماعيل، ومعناه مطيع الله، وكانت ولادة إسماعيل لمضى ستة وثمانين سنة من عمر إبراهيم، فحزنت سارة لذلك، فوهبها الله إسحاق، وعمرها تسعون سنة، وعمر إبراهيم مائة سنة.

وغارت من هاجر وابنها فسار بهما إبراهيم إلى الحجار وتركهما بمكة، ونشأ إسماعيل بمكة، وماتت هاجر بعد أن كان من قصتها وبئر زمزم ما جاء فى الصحيح.

وتزوج إسماعيل من جرهم، وقدم إليه أبوه وبنيا الكعبة، ثم أمر الله إبراهيم أن يذبح ولده، فمن قال: إنه إسحاق[٣] يقول: كان الذبح على ميلين من إيليا، وهو بيت المقدس، ومن قال: إسماعيل، يقول: كان بمكة.

ثم فى حياة إبراهيم توفيت زوجته سارة، وتزوج امرأة من الكنعانيين، وأولدها ستة أولاد، فجملة أولاده ثمانية.

---

(١) ووافقه ابن الجوزى على ذلك وأورد قولاً أنه عاش مائتى سنة وسبعين. المنتظم (١/ ٢٥٦).

(٢) انظر تاريخ الطبرى (١/ ٢٣٢)، المنتظم (١/ ٢٥٨)، البداية و النهاية (١/ ١٣٩)، الكامل (١/ ٧٢)، زاد المسير (٣/ ٧٠)، وذكر ابن الجوزى أن اسمه إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن غابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح.

(٣) بل الصواب أنه إسماعيل.

ولما بلغ إسماعيل ثلاث عشرة سنة تطهر هو وأبوه، وعاش إبراهيم مائة وخمسًا وسبعين سنة[١]، وأنزل عليه الصحف.

روى أبو ذر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «هى أمثال، فمنها: أيها السلط المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا، ولكن لترد عنى دعوة المظلوم، فإنى لا أردها ولو كانت من كافر، وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظًا للسانه، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه».

وإبراهيم ـ عليه السلام ـ أول من اختتن[٢]، وأضاف الضيف، ولبس السراويل[٣]، وفى حياته أرسل الله لوطًا ابن أخيه هاران إلى سدوم، بعد أن هاجر مع إبراهيم إلى مصر، وعاد إلى الشام، وكانت سدوم كفارًا يأتون الفاحشة، وقوم إبراهيم يعبدون الأصنام.

وأرسل الله بعد ذلك إسماعيل ـ عليه السلام ـ إلى قبائل اليمن، والعماليق، ثم مات بمكة وعمره مائة وسبعة وثلاثون سنة، ودفن عند أمه هاجر وبعد وفاة أبيه بثمان وأربعين سنة، وكان له اثنى عشر ولدًا.

وأما إسحاق فتزوج ابنة عمه، فولدت له العيص، ويعقوب، وهو إسرائيل، وتوفى بالشام وعمره مائة وثمانون، ودفن عند أبيه إبراهيم.

وأما يعقوب فتزوج ليّا بنت لايان بن شوميل بن ناحور أخى إبراهيم، فولدت له روبيل، وشمعون، ولاوى ويهودا، ثم تزوج عليها أختها راحيل، فولدت: يوسف، وبنيامين، وولد له من سريتين ستة أولاد أخر: بساحر، ودبلون قبل يوسف وأخيه، وبعدهما وان، وتقيالى، وكاد، وآسار، وهؤلاء الاثنا عشرهم آباء الأسباط.

ذكر أيوب ـ عليه السلام ـ[٤]:

ونبىء فى أيام يعقوب بن موص بن رازح بن العيص، كانت له أموال عظيمة،

(١) ذكر الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (١/ ١٦٣) أنه مات عن مائة وخمس وسبعين، فوافق ما قاله ابن الشحنة.

(٢) انظر تحقيق هذا وجمع طرق الحديث الذى يدل على ذلك فى البداية والنهاية (١/ ١٦٣ ـ ١٦٤).

(٣) روى هذا عن سعيد بن المسيب موقوفًا عليه، البداية والنهاية (١/ ١٦٤).

(٤) انظر المنتظم (١/ ٣٢٠)، تاريخ الطبرى (١/ ٣٢٢)، البداية والنهاية (١/ ٢٢٠)، زاد المسير (٥/ ٣٧٥ ـ ٣٨٠) وذكر أن اسمه أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم.

فذهبت، وتجذم، ودوّد، وبقى مرميًا على مزبلة، لا يمكن أن يشم رائحته أحد، وكانت زوجته رحمة تخدمه، فتراءى لها إبليس وقال: اسجدى لى وأنا أرد عليكم أموالكم، وأراها إياها، فاستأذنت أيوب، فغضب عليها، وحلف ليضربنها مائة، فعافى الله أيوب، ورد عليه ما ذهب من ماله، وحسّن امرأته وأفتاه الله تعالى فى يمينه بقوله تعالى: ﴿وخذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنث﴾ [ص:٤٤] الآية. وولدت له ستة وعشرين ذكرًا، توفى وعمره ثلاثة وتسعون سنة، وبعث الله ولده بشرًا، وسماه ذا الكفل وكان مقامه بالشام.

ذكر يوسف ـ عليه السلام ـ[١]:

ولما كان ليعقوب من العمر أحد وتسعون سنة ولد له يوسف، ولما بلغ ثمانى عشرة سنة كان فراقه ليعقوب، وكان من أمره ما قضى الله تعالى فى كتابه العزيز، وكانت مدة الفراق أحد وعشرين سنة، ثم اجتمعا بمصر مدة ستة عشرة سنة، وكان يوسف بمصر موضع العزيز على خزائن مصر، وكان القضاء إليه، ودعا فرعون مصر الريان إلى الإيمان، فآمن، ومات، ولم يؤمن المتولى عليه بعده قابوس بن مصعب من العمالقة، جد آخر فرعون، الذى أغرق.

وتوفى يعقوب وعمره مائة وسبعة وأربعون سنة[٢]، وأوصى إلى يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق، فسار به إلى الشام، ودفنه عند أبيه، ثم عاد إلى مصر، وتوفى بها فى ملكه، ودفن فيها إلى أن نبشه موسى، وحمله معه حين سار ببنى إسرائيل إلى التيه، ولما مات موسى حمله يوشع إلى الشام مع بنى إسرائيل، ودفنه عند الخليل، وقيل: بالقرب من نابلس.

ثم بعث الله شعيبًا إلى أصحاب الأيكة وأهل مدين، قيل: هو من نسل إبراهيم، وقيل: من ولد بعض الذين آمنوا بإبراهيم.

ذكر موسى ـ عليه السلام ـ[٣]:

ثم أرسل الله موسى بن عمران بن ماهان بن لاوى بن يعقوب بعد أن خرج من

---

(١) انظر المنتظم (١/ ٣١٠)، تاريخ الطبرى (١/ ٣٣٠)، زاد المسير (٤/ ١٨٠ ـ ١٩٨)، مرآة الزمان (١/ ٣٣٩).

(٢) انظر المنتظم (١/ ٣١٩).

(٣) انظر تاريخ الطبرى (١/ ٣٨٥)، المنتظم (١/ ٣٣١)، زاد المسير (٣/ ٢٣٧ ـ ٢٦٩)، البداية والنهاية (١/ ٢٣٧) ، وذكر ابن الجوزى أن اسمه : موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن =

مصر، هاربًا، وتزوج ابنة شعيب صفورة، ورعى غنمه عشر سنين، ونبىء فى إيابه إلى مصر حين تاه فى الطريق، وولدت امرأته ليلاً فى الشتاء ولم يجد ضوءًا، وقال: إنى آنست نارًا، كما أخبر الله عنه. وقدم مصر ليلاً، واجتمع مع أخيه هارون، وأخبره أن الله تعالى أرسلهما إلى فرعون مصر الوليد، وأراه آيته فى عصاه التى كانت بيده، حين ألقاها فصارت حية ذكرًا أشعث فاغرًا فاه، بين لحييه ثمانون ذراعًا، وضع لحيه الأسفل على الأرض، ولحيه الأعلى على سور قصر فرعون، وكان له مع فرعون القصر آيات أخر، وعجائب لا تحصى، وكانت قصته مع السحرة وغرق فرعون من معجزاته، ومنها قصته مع قارون ابن عمه، الذى كانت تحمل مفاتيحه أربعون بغلاً.

ثم أوحى الله إلى موسى أنى متوفى هارون، فأت به إلى جبل كذا، فانطلقا فإذا هما بسرير، فناما عليه، وأخذ هارون الموت؛ ورفع إلى السماء، وكان أكبر من موسى بثلاث سنين، توفى وعمره مائة واثنان وعشرون سنة، وشهر واحد، واتهم بنو إسرائيل موسى بقتل أخيه هارون حين رجع إليهم وحده، وأنزل الله السرير وعليه هارون، وقال: إنى مت ولم يقتلنى أخى.

ثم توفى موسى بعده بأحد عشر شهرًا، وعمره مائة وعشرون سنة، ثلثها الأخير فى التيه، وكانت وفاته فى التيه سابع آذار، فى أيام الملك منوجهر، لمضى ألف وستمائة وست وعشرون سنة من الطوفان.

واختلف فى كيفيه موته، قيل: كان هو ويوشع يمشيان فظهرت غمامة سوداء، فاعتنق يوشع موسى من خوفه، فانسل موسى من قماشه، ورجع يوشع بالقماش إلى بنى إسرائيل، فاتهموه بقتل موسى، ووكلوا به جماعة، فرأى كل منهم فى منامه أن يوشع لم يقتل موسى، بل رفعناه إلينا، فتركوه.

وقيل: بل نبأ الله يوشع وأوحى إليه، فسأله موسى عن ذلك وأخفى عنه، فعظم عليه، فسأل الله أن يتوفاه، وقيل غير ذلك.

وأما بنو إسرائيل فكانوا تحت حكم فراعنة مصر، على بقايا من شريعة يعقوب ويوسف - عليهما السلام - إلى أن خرج بهم موسى من مصر، بعد أن أقاموا بها مائتى

= يعقوب، كذلك قال ابن هشام، وقال ابن إسحاق: موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى.

سنة وخمسة عشر سنة، ولما مات موسى قام بتدبير بنى إسرائيل يوشع بن نون ابن عشرة إلى يوسف، أقام بهم فى التيه ثلاثة أيام، ثم سار بهم إلى نهر الشريعة، وانكشفت الأرض حتى عبروا، ثم عاد الماء، وذلك حين أمر يوشع حاملى صندوق الشهادة والألواح أن يقفوا بها على حافة الشريعة لما لم يجدوا سبيلاً.

ونزل بهم يوشع على أريحا قرية الجبارين، وصوت حولها بالقرون، فانهدمت أسوارها، وأخذها بالسيف، ثم سار إلى نابلس، إلى الموضع الذى فيه يوسف، ودفن عظامه هناك، ثم توفى يوشع بعد تدبيره بنى إسرائيل ثمانيًا وعشرين سنة، ودفن فى كفر حارس وعمره مائة وعشرون سنة[1].

ولم يتول على بنى إسرائيل ملك بعد موت موسى، ولكن حكام يدبرونهم كالقضاة مدة أربعمائة وثمانين سنة، فملك يوشع الشام، وفرق بين عماله وبين بنى إسرائيل نحو ثمان وعشرين سنة، ثم توفى وله من العمر مائة وعشر سنين، ودفن فى كفر حارس.

وفى تاريخ أبى سعيد المقرئ أنه مدفون فى المغمّس، ولم يزالوا به كذلك إلى شمويل النبى، فدبرهم أحد عشر سنة، ثم سألوا بنو إسرائيل أن يقيم فيهم ملكًا، فأقام شاؤل، وهو طالوت، قيل كان راعيًا، وقيل سقًّا، وقيل: دبَّاغًا، وكان آخر حكام بنى إسرائيل، فقاتل جالوت من جبابرة الكنعانيين، وكان من الشدة وطول القامة لا يمكن أحدًا أن يبارزه، فذكر شمويل علامة الرجل الذى يقتله، فوجدت فى داود، فبرز لجالوت وقتله، وكان عمره ثلاثين سنة، ومات شمويل وعمره اثنان وخمسون سنة.

وأحب الناس داود[2]، فحسده طالوت وأراد قتله، ثم ندم وقصد الفلسطينيين، وقاتلهم إلى أن استشهد هو وأولاده فى أواخر سنة خمس وتسعين وأربعمائة لوفاة موسى، فملك على أحد عشر سبطًا أيش يوشت بن طالوت، وعلى سبط يهودا فقط داود ـ عليه السلام ـ، وبينه وبين يهودا عشرة آباء.

ثم استوثق له الملك، ودخلت جميع الأسباط تحت طاعته، وانتقل إلى القدس،

---

(١) ذكر ابن الجوزى أنه دفن فى جبل إفراييم. المنتظم (١/ ٣٧٩).

(٢) هو داود بن إيشار بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن إرم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ.

البداية والنهاية (٢/ ٩). ولا نصدق هذا الكلام الذى قاله المصنف فى طالوت فإنه كان نبى، وهذا لا يجوز على الأنبياء، فلعله من كلام بنى إسرائيل وافتراءاتهم.

وفتح أرض فلسطين وعمان وباب وحلب، ونصيبين، وبلاد الأرمن، وملك أربعين سنة، وتوفى وعمره سبعون سنة، وأوصى بالملك لولده سليمان وعمره اثنا عشر سنة، وبين سليمان وإبراهيم أربعة عشر أبًا، وقد كان داود يشاور سليمان ابنه فى أموره مع صغر سنه، لوفور عقله وعلمه، وأتاه الله من الملك ما لم يؤته أحدًا.

قال محمد بن كعب القرظى: بلغنا أن عسكر سليمان(١) كان مائة فرسخ، خمسة وعشرون للناس، ومثلها للجن، ومثلها للطير، ومثلها للوحش(٢).

وقال أهل التاريخ: كان عمر سليمان ثلاثًا وخمسين سنة، وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ فى تجديد عمارة بيت المقدس حسبما أوصاه والده فى السنة الرابعة من ملكه، وهى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى.

وأقام سبع سنين يعمر، وكان ارتفاع البيت الذى عمّره ثلاثون ذراعًا، وطوله ستون، فى عرض عشرين، وعمل خارج البيت سورًا محيطًا به، امتداده خمسمائة ذراع فى خمسمائة، ثم شرع فى بناء دار مملكته بالقدس وكان قد بناه قبله يعقوب ـ عليه السلام ـ وبه يجاب عن قوله ﷺ: «كم نبنيها؟ قال: أربعون».

وشيدها فى ثلاثة عشر سنة، ثم جاءت بلقيس ملكة اليمن، وأطاعته جميع ملوك الأرض، وحملوا إليه نفائس أموالهم، واستمر ملكه إلى أن توفى وعمره اثنان وخمسون سنة.

وملك بعده ولده رخيعم، وكان ردىء الشكل شنيع المنظر، فشدد على بنى إسرائيل وقال: إن خنصرى أغلظ من ظهر أبى، فلم يبق منه غير سبطى يهودا وبنيامين، وملك على العشرة الأسباط الباقية عبد من عبيد سليمان اسمه برنعمه وكان كافرًا، وتفرق الملك، وصارت أولاد سليمان بمنزلة الخلفاء للمسلمين، وملوك الأسباط مثل ملوك الأطراف، ودخلت الأسباط الشام، واستقرت ولد سليمان بالقدس واستقر الحال على

---

(١) قال الحافظ ابن عساكر: هو سليمان بن داود بن إيشار بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون ابن عمينا داب بن إرم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وهذا يغاير ما ذكره الحافظ ابن كثير فى نسب داود نفسه ـ عليهما السلام ـ. البداية والنهاية (٢/١٧).

(٢) رواه الطبرى فى تاريخه (١/٢٨٨) قال: حدثنا القاسم بن الحسن قال: حدثنى الحسين قال: حدثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى ـ فذكره، وأبو معشر ضعيف ومدلس.

ذلك مائتى وإحدى وستين سنة، إلى أن اجتمع لولد سليمان الملك على جميع الأسباط بعد فترة فى أبنائهم، خرجت فيها امرأة أصلها من جوار سليمان، اسمها عثلياهو، وتتبعت بنى سليمان وأفنتهم، وسلم منها طفل أخفوه عنها، وكان اسمه يواش، واستمر حكمها سبع سنين ثم عدمت، وملك يواش وهو ابن سبع سنين، فملك أربعين سنة، ثم ابنه بعده، ولم يزل الملك إلى أن ظهر يوشم على ابنه، فقيل: ظهر فى أيام يوشم يونس النبى ﷺ وهو يونس ابن متّى[1]، ومتّى أمه لم يشتهر أحد من الأنبياء باسم أمه إلا هو وعيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ. وقيل: إن متى اسم أبيه، وقيل: إنه من سبط بنيامين أرسله الله إلى أهل نينوى، تجاه الموصل، يفصل بينهما دجلة، كانوا عبدة أصنام فلم يتوبوا فأوعدهم بنزول العذاب فى يوم كذا، فلما أظلهم العذاب آمنوا، فكشف الله عنهم، وجاء يونس فلم ير العذاب حلَّ بهم، فذهب مغاضبًا، ودخل فى سفينه، فوقفت بأهلها، فقال رائسها: من فيكم له ذنب؟ فتساهموا فوقعت القرعة على يونس فرموه، فالتقمه الحوت، وكان من أمره ما قضى الله فى كتابه العزيز.

قيل: وملك بعد يوشم ابنه أخر، فظهر فى أيام ولده الأخر أشعيا النبى ـ عليه السلام ـ وبعده ملك حزقيا ولده وبه انقضت دولة الخوارج ملوك الأسباط، وكان رجلاً صالحًا مظفرًا، فانضم إليه من سلم من الأسباط، وكان قد فرغ عمره قبل موته بخمس عشرة سنة، فزاده الله خمس عشرة سنة، وأمره أن يتزوج، أخبره بذلك نبى كان فى زمانه، وتوفى بعد أن هادته الملوك، وانقادت له فى أواخر سنة ستين وثمان مائة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ.

واستمر الملك فى ولده إلى أن ولى بختنصر على بابل فى سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ، وفى السنة الأولى من ولايته سار إلى نينوى ففتحها وقتل أهلها، وفى السنة الرابعة سار إلى الشام وغزا بنى إسرائيل فلم يحاربوه وصالحوه وأطاعوه، واستقر صدقيا آخر ملوك بنى إسرائيل تحت حكم بختنصر بالقدس، وكان أرميا النبى ـ عليه السلام ـ يخوّف بنى إسرائيل ويحذرهم من مجيئ بختنصر وتخريبه القدس فعصى صدقيا على بختنصر سنة عشرين من ولايته فسار بختنصر بالجيوش ونزل على بارين، وجهز وزيره لحصار صدقيا، فحاصره سنتين ونصف،

(١) وذكر الحافظ ابن الجوزى أن متّى أبوه.

وفتحها بالسيف وأسر صدقيا، وخرّب القدس وحرقه، وأباد بنى إسرائيل قتلاً، وكان بيت المقدس عامراً أربعمائة وثلاث وخمسون سنة ، وأقامت خرابًا بعد ذلك سبعين سنة.

وهرب جماعة من بنى إسرائيل من بختنصر إلى مصر، فطلبهم من فرعون مصر فمنعه، فقصده بختنصر والتقى هو وفرعون الأعرج، وانتصر بختنصر عليه وقتله وصلبه، وخرب مصر، وبقيت خرابًا أربعين سنة، وسار إلى الغرب وخرب البلاد وسبى العباد، وحصل معه دانيال النبى - عليه السلام - وحزقال، وجماعة من أولاد الأنبياء، وفسَّر دانيال لبختنصر منامه المشهور، فسجد له وأنعم عليه، وكانت مدة ملكه سبعًا وخمسين سنة وشهراً، وثمانية أيام. وتفسير بختنصر بالعبرية: عطارد مينطلق.

وفى مدة خراب بيت المقدس أوحى الله إلى أرميا أنى عامر بيت المقدس فاخرج إليها، فخرج إليها، ولما جاءها قال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، وقيل: إن صاحب هذه المقالة عزير، والأصح أنه أرميا.

وعمر بيت المقدس بعد خرابه سبعين سنة بهمن أحد ملوك الفرس، وهو كيرش، فتراجعت إليه بنو إسرائيل، ومن جملتهم عزير، ولبث عزير فيهم يدبرهم أربعين سنة، وتوفى لسنة ثلاثين ومائة لولاية بختنصر، وهو من ولد فيحاش بن العرز بن هارون - عليه السلام -.

واستمر فى بنى إسرائيل حكام منهم تحت حكم الفرس إلى أن ظهر الإسكندر فى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة لولاية بختنصر: وغلبت اليونان على الفرس، ونقلت التوراة من اللغة العبرانية إلى اللغة اليونانية، وهى أصح نسخ التوراة؛ لأنه اتفق عليها اثنان وسبعون عالمًا منهم.

ذكر عيسى - عليه السلام - ويحيى - عليه السلام -:

ثم بعد مضى ثلثمائة سنة وثلاث سنين للإسكندر ولد المسيح عيسى ابن مريم بنت حنة، وأبوها عمران بن ماثان[1] بن سليمان بن داود - عليهما السلام -، وكان

---

(١) فى المنتظم (٢/ ١٦) عمران بن ماثان بن اليعازار بن اليوز بن أحين بن صادوق بن عازور بن إلياقيم بن أبيون بن زربابل بن شليتل بن يوحنا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أجاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن يوشا فاظ بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود - عليهما السلام -.

زكـريا ـ عليه السـلام ـ تزوج إيساع أخت حـنة وأبوها عمـران بن ماثان، فـأرسل الله جبريل يبشر زكريا بيحيى مصدقًا بكلمة من الله[1] يعنى عيسى، وولد يحيى قبل عيسى بستة أشهر.

ولما ولد عيـسى اتهمت اليهـود زكريا بمريم فطلبـوه، فاختـفى فى شجرة، فـقلعوا الشجرة وقطعوا زكريا، وكان عمره نحو مائة سنة، وأما يحيى ـ عليه السلام ـ فإنه نبىء صغـيرًا، ودعـا الناس إلى عبـادة الله، ولبس الشعر، واجـتهـد فى العبادة حـتى نحل جسمه، وكان عيسى ـ عليه السلام ـ قد حرم نكاح بنت الأخ، وكان لهردوس وهو اسم لكل من حكم على بنى إسـرائيل من قبل اليونان بنت اخ، فـأراد أن يتزوجها كـما هو حلال فى دين اليـهود، فنهـاه يحيى عن ذلك، فطلبت أم البنت مـن هردوس أن يقتل يحيى فلم يجبها، وعاودته وسألته البنت أيضًا وألحا عليـه، فأجابهما وأمر بيحيى فذبح لديهما، وكان قتل يحيى قبل رفع عيسى بمدة يسيرة.

وولد عيسى فى سنة أربع وثلاثمائة لغلبة الإسكندر فى بيت لحم، من قرى القدس، وجرى لأمه مـا قصّه الله، ثم سارت به إلى مصر، ولما بلغ اثنتى عـشرة سنة عادت به إلى الشام ونزلا بالناصـرة، وبها سمـيت النصارى، وأقام بـها عيسى حـتى بلغ ثلاثين سنة، فأوحى الله إليه، وأرسله إلى الناس، وسـار به يحيى إلى الأردن، وهو نهر الغور المسمّى بالشريعة، وأعمده فيه لستة أيام خلت من كانون الثانى.

وأظهر عيسى المعـجزات، وأنزل عليه الإنجيل، وأحيا ميـتًا، يُقال له عازر بعد ثلاثة أيام من موته، وجعل من الطين طائرًا، قيل هو الخفاش، وكان يمشى على الماء، وكان الحواريون الذين له اثنى عشر رجلاً وهم: شمعـون الصفا، وشمعون العنانى، ويعقوب ابن زَنْدَى، ويعقوب بن حلقبا، وقـولوش، ومارقوش، وأندراوس، ويمونلا، ويوحنا، ولوقا، ويوما، ومـتى، وهم الذين سألوه المائدة، فأنزلها الله عليه، وهى سـفرة حمراء مغطاة بمنديل، فـيها سمكة مـشوية، حولهـا البقول خلا الكرات، وعند رأسـها ملح، وعند ذنبها خل، ومعهـا خمسة أرغفة، على بعضها زيتون، وعلى باقـيها رمان وثمر، فأكل منها خلق كثيـر ولم تنقص، ولم يأكل منها ذو عاهة إلا برىء، وكانت تنزل يومًا

(١) وهو قوله عز وجل: ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقًا بكلمة من الله وسيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين﴾ [آل عمران: ٣٩].

وتغيب يومًا أربعين ليلة(١).

وبعد ثلاث سنين من رسالته طلبه فيلاطوس ليقتله فتوفاه الله ورفعه إليه، وألقى شبهه على شخص، فمُسِكَ ذلك الشخص وصلب ست ساعات، وهو الذى دلهم عليه رائش على ذلك بثلاثين درهما، ثم استوهبه يوسف النجار ودفنه فى قبر كان أعده لنفسه.

وأنزل الله المسيح عيسى ابن مريم إلى أمه، وأخبرها أن الله رفعه إليه ولم يصبه إلا خير، فزال حزنها وبكاؤها، وجمعت له الحواريين فبثهم فى الأرض رسلاً، وكانت قصة النجار بأنطاكية، ثم رفع وكان وقت رفعه عمره ثلاثة وثلاثون سنة، وثلاثة أشهر(٢)، وعاشت أم عيسى بعده ست سنين، ثم توفيت وعمرها نحو ثلاثة وخمسين سنة.

وبعد رفع المسيح بأربعين سنة غزا طيطوس بيت المقدس وخرَّبه، وقتل اليهود وأسرهم، ولم يبق لهم بعد ذلك دولة ولا ديانة، وكان بيت المقدس عامرًا منذ عمّره أردشير بهمن سبعمائة وإحدى وعشرين سنة، ثم بعد تخريبه الثانى تراجع إلى العمارة قليلاً قليلاً، واستمر عامرًا العمارة الثالثة إلى أن خربته أم قسطنطين واسمها هلانة، وبنت كنيسة قامة على القبر الذى يزعم النصارى أن عيسى ابن مريم دفن فيه.

وصار موضع الصخرة مزبلة إلى أن قدم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وفتح القدس، واستدل على موضع هيكل بيت المقدس فنظفه من الزبائل وعمّره، وبنى به مسجد، إلى أن ولى الوليد بن عبد الملك الأموى فهدمه، وأعاده على الأساس القديم، وهو المسجد الأقصى والصخرة، وبنى قبابًا هناك وسمى بعضها قبة الميزان، وقبة المعراج، وقبة السلسلة، والأمر على ذلك إلى يومنا، أبقاه الله كذلك وحماه من المفتون تمرلنك.

وكانت الفترة من رفع عيسى إلى مولد النبى العربى محمد بن عبد الله ﷺ

---

(١) لم يذكر ابن الجوزى أنها كانت تنزل يومًا وتغيب يومًا أربعين ليلة. وذكر الحافظ ابن كثير أنها كانت تنزل كل يوم مرة، فيأكل الناس منها، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل: إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف، البداية والنهاية (٢/ ٨٠).

(٢) ورجح الحافظ ابن كثير أنه مات وعمره ثلاث وثلاثون سنة، وذكر الأخبار التى عارضت ذلك وبيَّن عورها فراجعه هناك. البداية والنهاية (٢/ ٨٨ ـ ٨٩).

خمسمائة وخمسًا وأربعين سنة، وبدولة النبى ﷺ انقضت سائر الدول، وانتسخت الملل وظهر دين الإسلام على الدين كله.

روى عن رسول الله ﷺ «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده»[1].

فلنذكر الملوك السالفة، والأمم، وبتمام ذلك يتم المصراع الأول من كتابنا، وبالله التوفيق فنقول:

إن أضخم الملوك دولة وأعظمهم سيرة وأسبقهم ملوك الفرس:

وهم أربع طبقات:

الفيشاذية: وهم تسعة، يقال كل واحد منهم فيشذاذ، ومعنى ذلك سيرة العدل، أولهم اسمه أوشهبخ، أول ملكه بعد الطوفان بمائتى سنة، وهو أول من رتب الملك ووضع الخراج، وأول من لبس التاج، وجلس على السرير.

ثم لم يشتهر بعده إلا طهيمورت بعد آباء عدة سلك سيرة جده، وهو أول من كتب بالفارسية.

ثم جم شيد، وجم: القمر، وشيد: الشعاع، ملك الأقاليم السبعة، وأحدث النيروز.

ثم الضحاك، يعرف بسور أسيد أى عشر آفات، ملك الأرض كلها، ووضع المكوس، واتخذ الملاهى والمغنيين، وكان النمروذ من عماله.

ثم أفريدون، قيل: هو ذو القرنين المذكور فى القرآن، ملك جميع الأرض.

ثم بنوجهر، ثم قرا سياب.

وفى أيام بنوجهر كان فرعون موسى الوليد بن الريان عاملاً له، ثم كر ساسف.

الطبقة الثانية: الكيابية، أوله كيقباذ، ثم كيكاوس، وكان له ولد فى غاية الجمال اسمه سياوس، ثم كيخسروا ولد سياوس المذكور، ثم كهراسف وكان بختنصر من عماله، ثم كيشا رسف وهو الذى يزعمون أنه باق فى جلنكدور، فى أيامه ظهر

(١) رواه أحمد (٥/ ٩٩)، البخارى (٤/ ١٠٤ ـ ٢٤٦)، مسلم فى الفتن باب ٧٥، الترمذى (٦/ ٢٢)، الطبرى (١/ ٣٥)، الطبرانى فى الأوسط (٢/ ٣٣٥)، البيهقى (٩/ ١٨١)، من حديث جابر بن سمرة ـ رضى الله عنه ـ.

زرادشت مصنف كتاب المجوس، ثم أردشير بهمن الذى عمر القدس بعد تخريب بختنصر، وملك الأقاليم السبعة، ومعنى بهمن: حسن النية.

ثم دارا، ثم دارا بن دارا، ثم كانت غلبة الإسكندر عليه، وكان أبوه فيلبس أول من اشتهر من ملوك اليونان، وهى الثالثة، فضعفت الفرس، وغلبت اليونان، وصارت لهم القوة والرئاسة، وكان الإسكندر[1] حين اجتمعت له مملكة الغرب بنى الأسكندرية، ورأس على سائر اليونان وأبادهم وكان أشقر أزرق، انصرف بعد غلبته على دارا يريد الأسكندرية فتوفى بأرض السواد، وقيل: بشهر زور بالسم، وقيل: بالجوانيق، وكان عمره ستًا وثلاثين سنة.

قيل: إن هذا هو بانى سد يأجوج ومأجوج، وقيل: بل هو أفريدون، وقيل: هو الصعب بن الرائس الحميرى، وسيأتى ذكره فى ملوك العرب، ويرجح ذلك قول ابن عباس - رضى الله عنهما - حين سئل عن ذى القرنين، فقال: هو من حمير، ولفظة ذو تؤيد ذلك أيضًا.

وكان الإسكندر بن فيلبس المذكور لما قتل دارا فضله قبل جميع ملوك الفرس، وأشار عليه أستاذه أسطاطاليس وتلميذه أرسطو أن يبقى من الفرس نوابًا عنه، ليقع بينهم التشاجر، فلا يجتمعون على واحد منهم يتملك، فقبل ذلك منهما، وملك منهم عشرين ملكًا على الفرس، وهم المسمون بملوك الطوائف، وبلغوا ما يزيد على السبعين ملكًا فى نحو خمسمائة واثنتى عشرة سنة.

واشتهر منهم طبقة وهم الأشغانية، وعدتهم أحد عشر: أشغا بن أشغان، ثم سابور ابن أشغان، وكان مولد المسيح فى أيامه، ثم جورا بن أشغان، ثم بيزن، ثم جودرز، ثم برشى، ثم هرمز، ثم أزدوان، ثم خسرو، ثم بلاش، ثم أزدوان الأصغر.

ثم كانت الطبقة الرابعة منهم: وهم الأكاسرة، أولهم أزدشير بن بابل وهو من ولد ساسان بن أردشير بهمن، وكان ساسان قد خرج زاهدًا فى أيام ابنه بهمن، ورعى الغنم، ونزل عن الملك لأخيه دارا، وبهذا أزدشير بن بابل انقضت ملوك الطوائف

---

(١) هو الإسكندر بن قيلبوس بن مطريوس ويقال: ابن مصريم بن هرمس بن هردس بن مسطون بن رومى بن يلظى بن يونان بن يافث بن توبة بن سرحون بن رومية بن يرنط بن توفيل بن روفى بن الأصفر بن أليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل - عليه السلام -. المنتظم (١/ ٤٢٥).

وغلب عليهم أزدشير بن بابك، وقتل الأردوانيين، واجتمع له ملك جميع الطوائف.

واعتدلت بهذا أردشير قوة الدولتين، أعنى الفرس واليونان، ثم ملك بعده ابنه سابور، وظهر فى أيامه مانى الزنديق، وادعى النبوة، وتبعه خلق كثير، وهم المسمون بالمانوية، وصانعته ملوك اليونان غير دقيانوس، وكتب الفلسفة ونقلها بالفارسية، واستخرج الملهاة المسماة بالعود.

ثم ملك هرمز ابنه، وكان بطلاً عظيمًا، ثم ابنه بهرام بن هرمز، ثم ابنه بهرام بن بهرام، ثم ابنه بهرام بن بهرام، ثم ابنه يرشى، ثم ابنه هرمز، فمات وامرأته حامل، ولم يكن له ولد، فعقدوا التاج على ما فى جوفها، فولدت سابور، فنجب وغزا فى العرب لكونهم طمعوا فى بلاده أيام صغره، ووصل إلى الحساء والقطيف وقتل منهم، وسفك من دمائهم ما لا يحصى، وسار إلى اليمامة، وقتل بها، وجعل لا يمر على ماء للعرب إلا طمه، ولما كان ينزع أكتاف العرب سمى سابور ذو الأكتاف.

وهادنه قسطنطين ملك الروم، ووقع الصلح بين فارس والروم، ثم ملك أخوه أردشير، ثم سابور بن سابور ذو الأكتاف، ثم أخوه بهرام بن سابور، وسمى كرمان شاه يزدجرد بن بهرام، ثم سابور، ثم بهرام جور، ثم ابنه يزدجرد، ثم ابنه هرمز، ثم أخوه فيروز، وظهر فى أيامه غلاء عظيم وغارت الأعين، ويبس النبات تسع سنين، ثم أعاد الله الخير أحسن ما كان، ثم ملك ابنه بلاش، ثم أخوه قيادو، وفى أيامه ظهر مزدك الزنديق وادعى النبوة، وأمر الناس بالتساوى فى الأموال والاشتراك فى النساء وأطاعه قياد، وعظم ذلك على الناس فخلعوا قياد وولوا أخاه حاماسف.

ثم انتصر قياد بالهياطلة، وعاد، ثم مات، وملك بعده ابنه أنوشروان، وعدل وقتل مزدك وكل من تبعه وضخمت دولته وفتح الرها مدينة هرقل، وأذعن له، فنصر بالطاعة، وقتل الهياطلة، وعاد ملك آباء سيف بن ذى يزن عليه، وقتل ملك الحبشة مسروق بن أبرهة الأشرم.

وولد النبى ﷺ فى السنة الثانية والأربعين من ملك أنوشروان، سنة ثمان وثمانين وثمانمائة من غلبة الإسكندر، وعليه كانت خاتمة عظمة الفرس، فإنه ملك بعده ابنه هرمز وخلع وسملت عيناه، واعتقل مدة، ثم خنق، ثم ابنه أبرويز، وهو الذى فعل ذلك مع أبيه، ثم حالف عليه بهرام حوس، وأراد أن ينتقم منه لأبيه، فهرب أبرويز إلى

ملك الروم واستنجد به، وعاد إلى ملكه، وجمع أموالاً عظيمة، وتزوج شيرين المغنية، وبنى قصر شيرين المغنية المشهور بين حلوان وخانقين، وفى أيامه كانت المعجزة الشريفة المحمدية، وعتا وتجبر فلبث فى داره، وخرجت عليه الرعية، وأقاموا ولده شيرويه فأحضر أباه أبرويز وقال: لا تعجب إن أنا قتلتك، فإننى أقتدى بك فى قتلك أباك، ثم أمر به فقتل، وقتل جميع إخوته، وكانوا سبعة عشر، ثم مات.

وملك بعده ابنه أردشير، فخرج عليه شهريار مقدم الفرس، وكان أقطعه الفرس الشام، فقتله وجلس على السرير، فقامت عليه عظماء الفرس، وأنزلوه عن السرير لأنه لم يكن من بيت الملك، وربطوا فى رجله حبلاً وجروه إقبالاً وإدباراً، وطلبوا أن يملكوا غيره، ولم يجدوا إلا بنت أبرويز، اسمها بوران، فملكوها عليهم فهلكت من قريب، فولوا خشنشبنده من بنى عم أبرويز، فلم يهتد للملك، فأقام أقل من شهر.

ثم ولوا بنت أبرويز الأخرى أزرودخت، وكانت من الجمال فى غاية، فخطبها فرخ شاه، فأبت، ثم أجابته إلى الاجتماع به ليلاً، فلما جاء إليها قتلته، فجمع ولده رستم عسكره وكان نائبًا على خراسان فقصدها، فقتلها، وكانت مدتها ستة أشهر.

ثم طلبوا ولم يجدوا إلا رجلاً من عقب أردشير بابل، اسمه كسرى بن مهرجسنس، فملكوه عليهم، فلم يليق به الملك فقتلوه بعد أيام، ثم طلبوا فلم يجدوا إلا رجلاً اسمه فيروز يزعم أنه من نسل أنوشروان، فرفعوا التاج على رأسه فلم يسع رأسه، فقال: ما أطيق هذا، فتطيروا من كلامه فقتلوه، ثم ملك فرخ ذادجروا من أولاد أنوشروان ستة أشهر، ثم قتلوه.

ثم طلبوا فوجدوا واحداً من أولاد شهريار بن أبرويز اسمه أزدجرد، كان مختفيًا بأصطخر حين قتل أخوه إخوته، وكان ملك يزدجرد المذكور كالجبال، وكانت الوزراء تدبره، وضعفت مملكة الفرس جدًا، وعرف المسلمون بلادهم وقتل يزدجرد المذكور بمرو فى خلافة عثمان - رضى الله عنه -، وانتسخ ملك الفرس بالإسلام إلى الأبد إن شاء الله تعالى، فكان أول الأكاسرة أردشير بن بابل، وآخرهم يزدجرد بن شهريار.

وأما ملوك اليونان:

فإنهم كانوا ملوك طوائف، ولم يشتهر منهم إلا فيلبس، ثم ولده الإسكندر، ولما مات الإسكندر بقى ملك اليونان فى البطالسة، وهم ثلاثة عشر ملكًا، وكانت مدة

ملكهم مائتان وخمس وسبعين سنة، أولهم بطليموس شسوس بن لاعوس، وكل واحد منهم يسمى بطليموس، ومعناه: أسد الحرب، ملك بعده عشرين سنة، ثم بعده فيلودقوس، ومعناه: محب أخيه ثمانيًا وثلاثين سنة، وهو الذى نقلت له التوراة من العبرانية إلى اليونانية.

ثم أوراخيطش خمسًا وعشرين سنة، ثم فيلوبطول ومعناه: محب أبيه سبع عشرة سنة، ثم أقنقيوس أربعًا وعشرين سنة، ثم فيلومطون، ومعناه محب أمه خمسًا وثلاثين سنة، ثم سيديرنطيس تسع سنين، ثم إسكندروس ثلاث سنين، ثم فيلودفوس ثمان سنين، ثم بطليموس الثانى تسعًا وعشرين سنة.

ثم فلوبطرا - وهى امرأة - اثنين وعشرين سنة، ثم غلبت الروم على الملك وقتلت فلوبطرا نفسها، وانقرض عليها ملك اليونان.

وأول من اشتهر من ملوك الروم:

غاليوس، ثم يولوس، ثم أغسطس، وهو الذى غلب على فلوبطرا، وابتدأ بسداد الملك فى الروم، فلقب قيصر، وصار بعده لقبًا لملوك الروم وهم بنو الأصفر، وكان ذلك لمضى مائتين وثمانين سنة لغلبة الإسكندر.

وملك أغسطس ديار مصر والشام، ودخلت بنو إسرائيل تحت طاعته، وفى أيامه ولد المسيح - عليه السلام - ثم ملك بعده طيباريوس وهو ثانى طُرَّتِه، ثم عابنوس، وفى أيامه رفع المسيح، ثم قلودلوس، ثم نارون، ثم ساسيانوس ثم طيطوس الذى خرب القدس الخراب الثانى، ثم منطنيوس، ثم ناروس، ثم طرايانوس، ثم أدريانوس وكان فى آيامه بطليموس صاحب المحنبطى، ثم أنطونيتوس، ثم مرقوس، ثم قوذمووس، وفى أيامه كان جالنيوس، ثم فوطنحوس، ثم سيباروس، ثم أنطنيسنوس الثانى، ثم الإسكندروس، ثم مكسمينوس، ثم عروديانوس، ثم دفيانوس ومنه هربت الفتية إلى الكهف.

ثم غالينوس، ثم أريانوس، ثم فلودفوس، ثم أدرفلينوس، ومات بصاعقة، ثم فروقوس، ثم فاروس، ثم دقلطيانوس، وهو آخر عبدة الأوثان من ملوك الروم.

ثم قسطنطين المظفر، انتقل من الرومية إلى البزنطية، فعمّر سورها وسماها قسطنطينة، وجمع الأساقفة، ووضعوا شرائع النصرانية، وسارت أم مهيلانى،

وأخرجت من بيت المقدس جثة الصليب، وأقامت عيدًا سموه عيد الصليب، وبنت عدة كنائس منها قمامة كنيسة الرها.

ثم ملكت أولاده الثلاثة بعده، ثم كليانوس، ثم يونيانوس وهو الذى اصطلح معها، ثم أليطيانوس، ثم أنوتيانوس، ثم خرطيانوس، ثم تاودويسوس الكبير، ثم أرفيارموس، ثم أومويروس، ثم باودويسوس فى أيامه انتبه أصحاب الكهف.

ثم مرقيانوس، ثم واليطيس، ثم لاون، ثم رينون، ثم أسطبنيوس وهو الذى عمر أسوار مدينة حماة، ثم تسبطينوس الثانى، ثم تسطينوس، ثم طبرموس الأول، ثم طبرموس الثانى، ثم ماريقوس، ثم مرقوس، ثم فوقاس، ثم هرقل، واسمه بالرومى: أوقليس، وكانت الهجرة فى السنة الثانية عشر من ملكه، وانتهت به دولة الروم، ومزقوا كل ممزق، كما أخبر به سيدنا رسولُ الله ﷺ.

وأما ملوك مصر:

فأول من ملك مصر بعد الطوفان بنص بن حام بن نوح، ثم ولده مصر، وبه سميت، ثم ولده قفط، ثم أخوه أتريب، ثم أخوه صانهم تدارس، ثم ابنه ماليق، ثم ابنه حرابا، ثم ابنه كليكلى، وهو أول من جمد الزئبق وصنع الزجاج، ثم حرما بن ماليق، ثم طوليس، وهو فرعون إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ثم أخيه جورباق، ثم زلفا بنت مانون، فغزتها العماليق من الشام.

وأخذ مصر منها الوليد بن دومع العملاقى، قيل: هو أول من سمّى بفرعون، فصار بعده لقبًا لكل من ملك مصر، وعبد البقر، ثم مات، وملك بعده الريان، وهو فرعون يوسف، ثم ابنه دارم، ثم كاسم بن معدان العملقى، وقصد أن يهدم الهرمين فأخبرته الحكماء أن خراج مصر لا يفى بذلك وأنهما قبر أشيت وهرمس، فأمسك عنهما، ثم ملك بعده الوليد بن مصعب فرعون موسى، قيل: هو من العمالقة، وقيل: هو من القبط، وهو الذى ادعى الربوبية، وكان هامان وزيره، وملك ثمانين سنة.

ثم ملكت بعده العجوز دلوكة من بنات ملوك القبط، وانتهى إليها علم السحر، وطال عمرها، ثم ملك بعدها صبى اسمه دركون بن ملطوش، ثم قودش، ثم لقاش، ثم تزيبا، ثم استماوس، ثم ملطوش بن مناكل، ثم مالوس بن مناكل، ثم بُولة واسمه شيشاف، ثم لم يستقر بعده إلا فرعون الأعرج، الذى صلبه بختنصر، وبقيت مصر

بعده خرابًا أربعين سنة.

ثم صار بمصر عمالاً من جهة بختنصر، ثم ولاة من جهة الفرس، فكان منهم كسرخوس، ثم طخارست الطويل، وفى أيامه كان بقراط الحكيم، وتوالت عليها نواب الفرس إلى ظهور الإسكندر، ثم نواب الروم إلى ظهور الإسلام.

وأما ملوك العرب:

فإنه لما تبلبلت الألسن، وتفرقت أولاد نوح نزل اليمن قحطان بن عابر بن شالخ، فملك اليمن، وهو أول من لبس التاج، ثم ملك بعده يعرب ولده، وهو أول من نطق بالعربية، ثم ابنه يسحب، ثم ابنه عبد شمس، فأكثر الغزو فى أقطار البلاد، فسمى سبأ، وهى مدينة سميت باسمه، ثم ملك بعده حمير بن سبأ، ثم وائل بن حمير، ثم السكسك بن وائل، ثم يعفر بن السكسك، ثم وثب على اليمن دورناس عامر بن وايان ابن عوف بن حمير، ثم نهض من بنى وائل النعمان بن يعفر بن السكسك فاجتمعت عليه الناس، وعظمت دولته، ولقب بالغافر لقوله:

إذا أنت عاقرت الأمور بقوة   بلغت معانى الأقدمين المنازل

ثم ملك بعده ابنه أسمح، ثم شداد بن عاد بن الماطاط بن سبأ، واتسع ملكه وبلغ أقصى العرب، وهى المدائن العظيمة، والآثار، ثم أخوه لقمان بن عاد، ثم أخوه ذو سدد، ثم ابنه الحرب، ولقب بالرائش، ثم ابنه ذو القرنين المصعب بن الرائش، ثم ابنه ذو المنار أبرهة، ثم ابنه أفريقش، ثم أخوه ذو الأدعار عمر بن ذى المنار، ثم شرحبيل من ولد السكسك، ثم ابنه الهدهاد، ثم ابنته بلقيس التى تزوجها سليمان، ثم عمها ناشر النعم، ثم ابنه شمروغش، ثم ابنه أبو ملك، ثم عمران من ولد الأزد من ولد كيهلان بن سبأ.

ثم أخوه مزقيا، سمّى مزقيا لأنه كان يمزق كل يوم البدلة التى يقلعها بكندا، وملك بعد مالك بن أبى مالك بن شمربرعش ابنه الأقرن، ثم ابنه حيشان، ثم أخوه مع ابن الأقرن، ثم ابنه كتكرب، ثم تُبع الأوسط، واسمه أسعد، ثم ابنه حيان، ثم أخوه عمر، ثم عبد كلال بن ذى الأعوار، ثم تبع بن حسان الأصغر، ثم ابن أخيه الخزب، ثم مرثد بن كلال، ثم ابنه وكيعة، ثم أبرهة بن الصباح، ثم صهبان بن محارب، ثم عنود بن تبع، ثم ذوسائر، ثم ذونواس، وهو صاحب الأخدود، وكان يلقى فيها كل

من لا يتهود، وهى مضرمة ناراً، ثم ذو جدن، وهو آخر ملوك حمير، قيل: كانت مدة ملكهم ألفى سنة وعشرين سنة.

ثم استولت الحبشة على اليمن، أولهم أرباط بن أبرهة الأشرم صاحب الفيل، ثم يكشوم، ثم مسروق بن أبرهة، فسار سيف بن ذى يزن الحميرى إلى أنوشروان، جهز معه أحد مقدمى الفرس فطرد الحبشة، وملك سيف بن ذى يزن ملك أجداده، وامتدحه الشعراء، ومنه ما قاله أمية بن الصلت:

لا يقصد الناس إلا كابن ذى يزن إذ خيم البحر للأعداء أحوالا
فـأمًّا هرقل وقد شـالت نعـامتـه فلم يجد عنده النصر الذى سالا
ثم التجى نحو كسرى بعد عاشرة من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتـى ببنى الأحرار يقـدمهم يخالهم فـوق متن الأرض أجيالا
لله درهم من فـتـية صـبـروا ما إن رأيت لهم فى الناس أمـثالا
بيض مـرازبة غلب أسـاورة أسد تربّت فى الغـيضات أشـبالا
فاشرب هنيئًا علـيك التاج مرتفعًا برأس غمـدان دارا مثل مـحلالا
تلك المكارم لا قـعـبـان من لبنٍ شِيبَا بماء فـعـادا بعـد أبوالا

ثم استمرت عمال كسرى على اليمن إلى أن كـان آخرهم باذان فأسلم على عـهد النبى ﷺ. وصارت اليمن للإسلام، وكان قد انحاز من العرب فى دولة ملوك الطوائف من ولد أزد الذى هو من كهلان بن سبأ اسمه مـالك بن فهم إلى أرض الحيرة فملكها، ثم أخوه عمـرو، ثم أخوه جذيمة بن مـالك، وكان به برص فلقبوه جـذيمة الأبرص، وعظم شأنه، وكان له أخت اسمها رقاش، فتـحابت هى وصاحب مجلس شراب أخيها عدى بن نصـر بن ربيعـة اللخمى من إياد فـخطبها من أخـيهـا حال غلبة السـكر عليه فأجابه، ودخل عليها فى الحال، فلما أفاق عـظم عليه ذلك فهرب عدى بعد ما حبلت منه رقاش فأنشد أخوها جذيمة:

خبرينى رقـاش لا تكذبينى أبحـرّ زنيت أم بهجين
أم بعبـد فأنت أهل لعبـد أم لدون فأنت أهل لدون

فقالت: من خيـار العرب، فولدت غلامًا وسمتـه عمرو، وأحبه جذيمـة، فاختطفه

الجن ـ فيما يقال ـ ثم أحضره شخصان يقال لهما: مالك وعقيل، ففرح جذيمة به، وقال لهما: اقترحا ما شئتما، فقالا له: ننادمك ما بقيت، فضرب بهما المثل وقيل: كندمانى جذيمة.

وغزا جذيمة ملك الجزيرة عمرو بن العرب العملقى وقتله، وكان له بنت اسمها الزَّبَّاء، فملكت الحيرة بعد أبيها، واحتالت على جذيمة وأطمعته فى نفسها حتى حضر إليها فقتلته وأخذت بثأر أبيها، فأخذ عمرو بن رقاش ابن أخت جذيمة فى ثأر خاله بالحيلة، وكان لجذيمة عبد اسمه قصير، فجدع عمرو أنفه وضربه بالسياط فهرب إلى الزباء على تلك الحالة، على أنه مغاضب لعمرو، فقربته وصار يتجر لها ويحضر لها من أموال مواليه، يريها أنه ربحها، حتى تألف، وحمل من الصناديق وفيها رجال، فارتابت الزباء من ذلك وأنشدت:

ما للجمال مشيها وئيدا　　أجَنْدَلاً يحملن أم حديدا
أم صرفانا بارداً شديدا　　أم الرجال جثمًا قعودا

فلما دخلوا حصنها خرجوا من الصناديق وقتلوا الزباء وأخذ قصير بثأر مولاه جذيمة، وضرب المثل به بقولهم لأمر: ما جدع قصير أنفه.

وطالت مدة عمرو بن عدى، ثم ملك بعده ابنه امرؤ القيس وهو وأبوه أول اللخميين، ثم ملك بعده ابنه عمرو، ثم ملك اثنان من العماليق، اسم الأول منهما أوس بن فلام، ثم عاد الملك إلى اللخميين، فملك امرؤ القيس من ولده عمرو بن امرئ القيس، ولقب بالمحرق؛ لأنه كان يعذب بالنار، ثم ابنه النعمان، ثم ابنه المنذر، ثم ابنه الأسود، ثم انتصر على غسان عرب الشام، ولما أراد أن يعفو عنهم ويطلق من أسر منهم أنشده ذو الرمة قصيدته المشهورة:

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا　　ولا يسوغه المقدور ما وهبا
وأحزم الناس من إن فرصة عرضت　　لم يجعل النسب الموصول مقتضبا
وأنصف الناس فى كل المواطن من　　سقى المعادين بالكأس الذى شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم　　بحد سيف به من قبلهم ضربا
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة　　من قال غير الذى قد قلته كذبا
قتلت عمراً وتستبقى يزيد لقد　　رأيت رأيًا يجر الويل والحربا

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها … إن كنت شهمًا فأتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرًا … وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
إن تعف عنهم تقول الناس كلهم … لم يعف حلمًا ولكن عفوه رهبا
هم أهله أهل غسان ومجدهم … عالٍ فإن حاولوا ملكًا فلا عجبا
وعرضوا بفداء وصفقن لنا خيلا … وإبلاً تروق العجم والعربا
أيحلبون دمًا منا ونحلبهم … رسلاً لقد فخرونا فى الورى حلبا
علام نقبل منهم فدية وهم … لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا

ثم ملك أخوه المنذر، ثم امرؤ القيس بن النعمان بن امرىء القيس المحرق، وهو الذى قتل سنمار الذى بنى قصره، ثم ابنة المنذر، وكان اسمها ماء السماء، سميت بذلك لحسنها، وهذا المنذر بن ماء السماء هو الذى طرده قباذ وولى مكانه الحارث بن عمرو بن حجر الكندى لعدم موافقته على الدخول فى دين مزدك، فلما ولى أنوشروان قتل مزدك، وأعاد المنذر بن ماء السماء إلى الحرة.

ثم ملك بعده ابنه عمرو مخرط الحجارة، وفى أيامه ولد النبى ﷺ، ومن ولده وُلد ولده المنذر بن النعمان بن المنذر بن المنذر بن ماء السماء. أخذ الحيرة خالد بن الوليد - رضى الله عنه - وكاتب المناذرة إلى نصر بن ربيعة عمالاً للأكاسرة على عرب العراق، مثلما كانت ملوك غسان عمالاً للقياصرة على عرب الشام.

وأصل غسان من بنى الأسد من ولد كهلان بن سبأ بن تفرقوا من اليمن من سيل العرم، ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان، فسموا به، وأخرجوا عربًا كانت قبلهم بالشام يقال لهم الضجاعمة من شلح، وكان ابتداء ملكهم قبل الإسلام بما يزيد على أربعمائة سنة.

أول من ملك منهم حسينة بن عمرو بن ثعلبة من ولد مزقيا ودانت له قضاعة، وتنقل الملك فى أبنائه آخرهم جبلة بن الأيهم، الذى تنصَّر فى زمن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بعد إسلامه على يده.

وأما ملوك كندة:

فأولهم حجر آكل المرار من ولد ريد بن كهلان، سمى آكل المرار؛ لأن زوجته من بغضها فيه قالت: كأنه جمل يأكل المرار انتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض

بكر بن وائل، وهذا حجر هو جد الحارث الذى كان ولاه قباذ موضع المنذر بن ماء السماء حين وافقه على دين مزدك، وكان قد عظم شأن الحارث بذلك، فملك ابنه حجر على بنى أسد، وبنى جذيمة، وملك باقى بنيه على سائر العرب.

وامرؤ القيس الشاعر هو ابن حجر بن الحارث هذا، فلما أعاد أنوشروان المنذر بن ماء السماء، وطرد الحارث زالت دولة الكنديين، وبقى منهم امرؤ القيس الشاعر، فتفرقت جموعه، ولم يأوه أحد، فقصد السموأل بن عادياء اليهودى فأكرمه، وأقام عنده مدة، ثم سار إلى قيصر وأودع أدراعه عند السموأل، وأنشد فى مسيره قصيدته المشهورة، التى منها:

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينيك إنما ... نحاول ملكًا أو نموت فتعذرا

ومات امرؤ القيس بعد عوده من عند قيصر فى بلاد الروم عند جبل يقال له: عسيب، وأنشد عندما أيقن بالموت:

أجارتنا إن المزار قريب ... وإنى مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيب

أجارتنا ما فات ليس يؤوب ... وما هو آت فى الزمان قريب

فإن تصلينى فالمودة بيننا ... وإن تبعدينى فالمزار قريب

وليس غريبًا من تناءت دياره ... ولكن من وارى التراب غريب

قيل: إن قيصر سمّه فى حلّة وهو بعيد، فجاء الحارث بن أبى شمر الغسانى إلى السموأل، وطلب أدراع امرىء القيس فأبى، وكان ابن السموأل أسيرًا عنده، فقال: إن لم تعطها قتلت ابنك، فأبى، فقتل ابنه وأنشد السموأل:

وفيت بأدرع الكندى إنى ... إذا ما ذم أقوام وفيت

وأما ملوك الحجاز:

فإن يعرب بن قحطان لما ملك اليمن ملك أخوه جرهم الحجاز، واستمر ملك الحجاز فى أبنائه إلى أن تزوج منهم إسماعيل ـ عليه السلام ـ فأنساب العرب كلها يجمعها قحطان بن غابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، فنزح عنه ابناه جرهم، ومن

نسله عبد الدار ويعرب، ومن نسله سبأ، واسمه عبد شمس.

وتفرع من سبأ ابناه حمير وكهلان، وعمر وأسعد، وعاملة، فمن حمير ملوك اليمن المذكورون، ومنهم قضاعة، ومنهم بنو كليب الذين من مشاهيرهم زهير بن جناب، وزهير بن شريك، وحارثة أبو زيد مولى رسول الله ﷺ. ومن قضاعة جهينة وتنوخ، وبنو سلح، وبنو فهر.

ومن كهلان أحياء كثيرة، والمشهور منها سبعة:

أولها: الأزد، وهم الغسّانيون، والأوس، والخزرج، وخزاعة، وبارق، ودوس، والعتيك، وغافق، ومن دوس أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ وأصح أسمائه عمير بن عامر[1].

وثانيها: طى، واسمه أدد، ومنها: جديلة، ونبهان، وبولان، وسلامان، وهى وسدوس، ومن طى زيد الخيل وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير، وحاتم المشهور بالكرم.

وثالثها: مذحج، واسمه مالك بن أدد، ومنها خولان وضبّة، وبنو سعد العشيرة، سمّى بسعد العشيرة، لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده ثلثمائة فارس، وكان إذا سئل عنهم يقول: هؤلاء عشيرتى دفعًا للعين عنهم، وزبيد قبيلة عمرو بن معدى كرب، والنخع، ومنهم: الأشتر النخعى واسمه مالك بن الحرث، والقاضى شريك، وسنان بن أبى سنان قاتل الحسين، رحم الله الحسين ولعن قاتله، وعنس قبيلة الأسود العنسى الكذاب الذى ادعى النبوة فى اليمن، وعمار بن ياسر.

ورابعها: همدان ولهم صيت فى الجاهلية والإسلام.

وخامسها: كندة، منهم: القاضى شريح، ومنهم: السكاسك والسكون.

وسادسها: بنو مراد.

وسابعها: بنو أنمار خثعمة وبجيلة قبيلة جرير بن عبد الله البجلى الصحابى، وكان حسن الوجه حييًا، سمّى يوسف الأمة، وفيه يقول القائل:

لولا جرير هلكت بجيلة ... نعم الفتى وبئست القبيلهْ

---

(١) بل اسمه على الصحيح عبد الرحمن بن صخر كما هو معروف عند أهل التحقيق.

ومن عمرو وجدام ولخم منـهم: بنو الدار رهط تميم الدارى، والمناذرة ملوك الحيرة، ومن أشعر الأشعريون منهم: أبو موسى الأشعرى، ومن عاملة: بنو عاملة.

والعرب كلها ثلاثة أقسام:

بائدة: وهم الذين ضلت عنا أخبارهم وبادوا، وهم عاد وثمود، وجرهم الأولى.

وعاربة: وهم قبل إسماعيل.

ومستعربة: وهم الذين بعده، سمّوا مستعربة، لأن إسماعيل لم يكن لغته عربية، بل عبـرانية، فلما تزوج من جرهم ولد له اثـنا عشر ولدًا، منهم قيـدار، فتوجتـه أخواله، وعقدوا له الملك بالحجاز وسدانة البيت.

وللعرب رجال مشهورة ووقائع مذكورة:

فمن مشاهيرهم عمرو بن يحيى بن حارثة من الأزد، كان كبير الحجاز، وإليه تنتسب خزاعة، سمـيت بذلك؛ لأنها انخزعت عن غيرها من قبـائل اليمن الذين تفرقت أيدى سبـأ من سيل العرم، ونزلت بطن مـرو بالقرب من مكة، وحصلت لهم سـدانة البيت والرئاسة، وبقيت سدانة البيت معهم إلى أن أسكر قصى بن كلاب رجلاً منهم اسمه أبو غبشـان واشترى منه مفاتيح الكعـبة بزق خمر، وهذا عـمرو بن لحى هو أول من سيب السوائب، وأول من حول الأصنام فوق الكعبة وعبدها.

ومنهم زهير بن جناب الكلبى، عـاش عمرًا طويلاً، وغزا غطفان؛ فـإنهم كانوا بنوا حرمًا مـثل حرم مكة، وظفر بهم بعـد حروب كثيـرة، وخرب حرمهم، ومـات بشرب الخمر صرفًا، وممن مات بشرب الخمر صرفًا عمرو بن كلثوم التغلبى، وأبو عامر ملاعب الأسنة العامرى.

ومنهم كليب بن ربيعة بن الحرث من ولد ربيعة الفرس بن نزار بن معدى بن عدنان، وكان اسمه وائل، نزل شخص من جرهم على خالة جـساس واسمها البسوس، وأرسل ناقته ترعى، فدخلت حمى كـليب فضربها بالنشاب فأخرم ضرعهـا، فوضعت البسوس يدها على رأسهـا وصاحت: وأذلاَّه، بسبب نزيلهـا الجرهمى، فانتـصر جسَّاس لخـالته البسوس، وقـصد كليبًا وهو منفرد فطعنه فقـتله، فقام مهلهل أخو كليب وجـمع قبائل تغلب واقتـتل مع بنى بكر بن وائل، ودامت الحروب بينهم أربعين سنة، وقـتل جسَّاس وعُدم مهلهل.

ومنهم زهير بن جذيمة العبسى، كان عظيمًا متجبراً، قتله خالد بن جعفر بن كلاب، فقام ابنه الملك قيس لأخذ ثأر أبيه فنزل بالحجاز واشترى حصانًا اسمه داحس، وحجرة يقال لها الغبراء، ونزل على حذيفة بن بدر الغزارى، وكان له فرسان يقال لهما: الخطار والحيفاء، فأراد أن يسابق مع فرس قيس فامتنع قيس، فأبى جذيمة إلا المسابقة، فأجروا الأربعة بموضع يقال له: ذات الأصاد، وكان المقدار مائة علوة، والعلوة أبعد رمية بسهم، وكان الرهن مائة بعير، فسبق داحس سبقًا بينًا، وكان حذيفة قد أكمن من يعترض داحسًا إن سبق، فاعترضوه وضربوه على وجهه فتأخروا وسبقت أيضًا الغبراء، فأنكر حذيفة ذلك، وادعى السبق، وجرت حروب كثيرة، منها ظهرت شجاعة عنتر بن شداد، وقتل حذيفة، وساح قيس فى الأرض وتنصر وترهب، وقيل: ولد له بعد ذلك فضالة، وبقى حتى أدرك رسول الله ﷺ، وقدم عليه، وعقد له على قومه.

وللعرب وقائع عظيمة:

أعظمها يوم مرج حليمة بين غسان ولخم، بلغ كل فريق عددًا لا يحصى، وعظم الغبار حتى احتجبت الشمس، وكانت النجوم ترى من خلاف جهة الغبار.

ثم يوم أوارة اسم خيل، وهو أنه كان بين المنذر بن امرىء القيس ملك الحيرة، وبين بكر بن وائل حرب، فظفر المنذر ببكر، وحلف لا يزال يذبحهم حتى يسيل دمهم من رأس أوارة إلى حضيضة، فبقى يذبح والدم يجمد فسكب عليه الماء حتى برّت يمينه.

ثم يوم ذى قار، وكان فى سنة أربعين من مولد النبى ﷺ، وسببه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر وحبسه فهلك فى الحبس، وكان سلاحه مودعًا عند هانىء ابن مسعود البكرى، فطلبه أبرويز فقال: ألا أؤدى أمانتى؟ فبعث الهرمزان فى ألفين من الأعاجم وألف من بهراء، فجمع لهم بكر بن وائل، والتقوا بذى قار، وجرت وقعة عظيمة، كسرت فيها الأعاجم وانهزموا، وأكثرت العرب الأشعار فى هذا اليوم، وجدّ هذا بكر بن وائل ربيعة الفرس بن نزار بن معدى بن عدنان، ويسمى ربيعة الفرس؛ لأنه اختص من مال أبيه نزار بالخيل، وكان أبوه نزار له أبناء أربعة: ربيعة الفرس هذا، ومضر الذى هو عامود النسب المحمدى، وأنمار، وإياد، ومن بيته كعب بن تامة الإيادى، وكان يضرب بجوده المثل، وقيس بن ساعدة الإيادى، وكان يضرب بفصاحته المثل.

ومن بكر بن وائل بنو سفيان، وطرفة بن العبد الشاعر، والمرقشان الأكبر والأصغر، وبنو حنيفة، ومنهم مسيلمة الكذاب.

ومن بنى أسد بن ربيعة الفرس بنو عنزة أهل خيبر، ومنهم الفازطان وولده لمضر على عمود النسب إلياس، وعلى عنزة قيس غيلان، وغيلان اسم فرسه، وقيل: اسم كلبه. ونتج من قيس المذكور قبائل كثيرة، منهم قبائل عقيل الذين كان منهم ملوك الموصل، ومنهم بنو عامر وصعصعة، وخفاجة أمراء العراق، وبنو عامر وجُشم الذين منهم دريد بن الصمة، وبنو هلال وثقيف، وبنو نمر وباهلة، ومازنة وغطفان، وبنو عبس الذين منهم عنترة العبسى، وادعاه أبوه شداد بعد أن كبر.

ومنهم قبائل سُلَم وبنو ذبيان الذين منهم النابغة الذبيانى، وبنو فزارة الذين منهم حسين الممدوح، يقول زهير:

تراه إذا جئته متهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وبنو عدوان الذين منهم ذو الأصبع العدوانى الشاعر.

وولد لإلياس على عمود النسب مدركة، وعلى غيره طابخة وأمهما خندق، فنسبوا إليها، يقال لهم بنو خندق، وصار من طابخة بنو تميم، وبنو ضبة، وبنو مزينة اسم أمهم.

وولد لمدركة خزيمة على عمود النسب، وعلى غيره هذيل، ومنهم: عبد الله بن مسعود، وأبو ذؤيب الهذلى الشاعر.

وولد لخزيمة كنانة على عمود النسب، وخارجًا عنه أسد، وإليه ينتسب كل أسدى.

وولد لكنانة النضر على عمود النسب، وخارجًا ملكان، وعبد مناة، وعمرو، وعامر، ومالك، فمن مالك بنو ملكان، ومن عبد مناة بنى غفار رهط أبو ذر الغفارى، وصار من عمرو العموريون، ومن عامر العامريون، ومن مالك أبو فراس، ومن بطون كنانة الأحابيش، فهم عرب لأحبوش، كما توهمه كثير من الناس.

وولد للنضر مالك ولم يشتهر غيره.

وولد لمالك فهر، قيل: هو قريش، سمّى به لشدته تشبيهًا بدابة تخرج من البحر يقال لها القرش تأكل كل داوب البحر، لم يولد لمالك غيره.

وولد لفهر غالب، وخارجًا عن عمود النسب محارب والحارث، فمن محارب بنو

محارب، ومن الحارث بنو نجيح، منهم: أبو عبيدة بن الجراح.

وولد لغالب علـى عمود النسب لؤى، وخـارجًا عنه تيم الأدرم، والأدرم: الناقص الذقن، ومنه بنو الأدرم.

وولد للؤى كعب، وخـارجًا عن عمود النسب سعـد، وخزيمة والحارث، وعـامر، وأسامة، فـمن عامر: عمـرو بن عبدود فارس العـرب الذى قتله على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ.

وولد لكعب مرة على عـمود النسب، وخارجًا عنه هصيص وعـدى، فمن هصيص بنو جمع، منهم أميه بن خلف، وأخوه أبى بن خلف عدوا رسول الله ﷺ، وبنو سهم منهم عمرو بن العاص، ومن عدى بنو عدى، منهم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وسعيد بن زيد من العشرة.

وولد لمرة كلاب، وخارجًا عن عمود النسب تيم، ونقطة، فمن تيم بنو تيم، ومنهم أبو بكر الصديق وطلحة، ومن نقطة بنو مخـزوم نسب خالد بن الوليد، وأبى جهل بن هشام.

وولد لكلاب قصى، وخارجًا عن النسب المحمـدى زهرة، منه بنو زهرة نسب سعد ابن أبى وقاص، وأم رسول الله ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف، وعظم قصى فى قريش وارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة كما تقدم شرحه، وأمثل مجد قريش ورئاستهم.

وولد لقصى عـبد مناف، وخارجًا عن عمود الـنسب عبد الدار وعبد الـعزى، فمن عبد الدار بـنو شيبة، ومنهم النضـر بن الحارث عدو رسول الله ﷺ، ومن عـبد العزى خديجة بنت خويلد وورقة بن نوفل.

وولد لعبـد مناف هاشم، وخارجًا عن عمـود النسب عبد شـمس والمطلب ونوفل، فمن عبد شمس أمية، ومنه بنو أمـية، منهم عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ابن أبى العاص بن أمية، ومنهم معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية، وسعيد بن العاص بن أمية، وعـقبة بن أبى معيط بن أبى عـمرو بن أمية، وعـتبة بن ربيعة بن عـبد شمس، وبنت عتـبة هند أم معاوية، ومن المطلب المطـلبيون، منهم الإمام الشـافعى، ومن نوفل النوفليون.

وولد لهاشم عـبد المطلب، قال بعـضهم: ولم يعلم له ولد غـيره، وفى ذلك نظر؛

لأن أسداً والد فاطمة أم على هو ابن هاشم، وصار ابن هاشم كبير قريش وشيخها وكانت الحبشة لما ملكوا اليمن - كما ذكرنا - بنى أبرهة بن الأشرم كنيسة عظيمة، وقصد أن يصرف الحج إليها، ويبطل الحج إلى الكعبة الحرام، فجاء شخص من العرب وأحدث فيها، فغضب أبرهة، وقصد الكعبة ومعه ثلاثة عشر فيلاً، يقال لكبيرهم محمود، فلما وصل الطائف أرسل الأسود بن معصود إلى مكة، فاستاق أموالها، ومعها عبد المطلب، وقالوا: هذا سيد قريش، فأكرمه أبرهة، ونزل عن سريره وأجلسه وقال له: ما تريد؟ فقال: أن ترد علىّ أباعرى، فقال أبرهة: كنت أظن أنك تطلب أن لا أخرب الكعبة، فقال: إنما أنا رب الأباعر فأطلبها، وللكعبة رب يحميها، فرد أباعره، فعاد بها إلى مكة، وأمر الناس بالتحرز، وأخذ حلقة باب الكعبة وهو يقول:

يا رب إن المرء يحفظ رحله فاحفظ رحالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فمرنا وما بدا لك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدواً محالك
جروا جموع بلادهم فى الفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلاً وما رقبوا جلالك

ثم قال:

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا فامنعهم أن يخربوا قراكا

فلما وصل أبرهة إلى المغمّس صد الله الفيل، وجعل كلما وجه نحو الكعبة أحجم، وإذا عدل قدم، وأرسل الله عليهم طيراً سوداً صُفْر المناقير، خضر الأعناق، طوالها، وقيل بُلْقًا وقيل: أشباه الخطاطيف أو الوطواط، نشأت من جانب البحر، ولها خراطيم الطير، وأكف الكلاب، وأنياب السباع، بحجر فى منقارها، وحجرين فى رجليها.

وقال عبد المطلب: طير غريبة أشباه اليعاسيب، لا نجدية ولا حجارية، أبابيل لا واحد لها، كعبابيد.

وقال الكسائى: واحدها أبّول كعجول، وقيل: أبّال كدنيال، ومعنى أبابيل كثيرة، وقيل: متتابعة، وقيل: مختلفة الألوان، وقيل: أقاطيع كالإبل المقطعة جمعًا بعد جمع، ترميهم بحجارة مثل حصى الخذف، وقيل: فوق العدس ودون الحمص، مكتوب عليها

اسم صاحبها.

قال أبو صالح: رأيت منها فى بيت أم هانىء نحو قفيز مخططة بحمرة مثل جزع اليمن، من سجيل، السجيل الآجر بالعربى، وقيل: السجيل: الشديد، وقيل: اسم سماء الدنيا، فجعلهم كعصف مأكول، أى كزرع أكلة الدود.

وقيل: كان الحجر ينقب البيضة والفارس والفرس، ويغور فى الأرض، وأصابت الكل إلا أبرهة، أصابت أنامله، فبلغ صنعاء، ثم ورم صدره وهلك.

وأنشد أبو طالب:

إن آيات ربنا ساطعات لا يمارى بهن إلا الكفور

حبس الفيل بالمغمَّس حتى فر يعوى كأنه يعفور[1]

وأنشد ابن مخزوم:

أنت الجليل ربنا لم تدنس أنت حبست الفيل بالمغمَّس

حبستهم فى هذه المكردس وما لهم من فرج ومنفس

وهذه أمم العرب كانوا فى الجاهلية أصنافًا:

صنف أنكروا الخالق، وقالوا بالطبع المحيى والدهر المغنى، وصنف اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث، وصنف عبدوا الأصنام، فكانت وُدٌّ لكلب بدومة الجندل، وسواع

(١) ذكر الحافظ ابن كثير هذه الأبيات فى كتابه السيرة النبوية (١/ ٤٠) فقال: ومن ذلك قول أبى الصلت ربيعة بن أبى ربيعة وهب بن علاج الثقفى. قال ابن هشام: ويُروى لأمية بن أبى الصلت:

إن آيات ربنا ثاقبات ما يمارى فيهن إلاَّ الكفور

خلق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور

ثم يجلوا النهار رب رحيم بمهاة شعاعها منشور

حبس الفيل بالمغمَّس حتى صار يحبوا كأنه معقور

لازمًا حلقة الجبران كما قدَّ من صخر كبكب محدور

حوله من ملوك كندة أبطال ملاويث فى الحروب صقور

خلفه ثم ابذعرُّوا جميعًا كلهم عظم ساقه مكسور

كل دين يوم القيامة عند الله إلاَّ دين الحنيفية يبور

وليست الأبيات لأبى طالب كما قال المصنف، والله أعلم.

لهذيل، ويغوث لمذحج، ونسر لذى الكلاع بحمير، ويعوق لهمدان، واللات لثقيف بالطائف، والعزى لقريش وبنى كنانة، ومناة للأوس والخزرج، وهبل أعظم أصنامهم كان على الكعبة، وأساف ونائلة على الصفا والمروة.

وكان منهم من يميل إلى اليهودية، ومنهم من يميل إلى النصرانية، ومنهم من يعبد الجن، ومنهم من يميل إلى الصابئة، وكانوا يعتقدون فى الأنواء اعتقاد المنجمين، وكان منهم من يعبد الملائكة، وكانت علومهم الأنساب والتواريخ والأنواء وتعبير الرؤيا، وكان أبو بكر الصديق أطولهم يداً فى هذه العلوم.

وكانوا على أشياء توافق شريعة الإسلام؛ لا ينكحون الأمهات، ولا البنات، ولا يجمعون بين الأختين، ويعيبوا التزويج بامرأة أبيه ويسمونه الطيزن، ويحجون البيت الحرام على هيئة الإسلام، ويغتسلون من الجنابة، ويواظبون على المضمضة والاستنشاق، والسواك، والاستنجاء، وحلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، والختان، ويقطعون يد السارق اليمنى، ويفرقون رؤوسهم، ويكتسون فى كل ثلاثة أعوام شهراً.

وأما أمة السريان والصابئين:

فهى أقدم الأمم، كان كلام آدم وبنيه بالسريان، يقال: إن الصابئة أخذوا دينهم عن شيث وإدريس، ولهم كتاب يعزونه إلى شيث، ويسمونه صحف شيث، يذكر فيه محاسن الأخلاق، مثل الصدق والشجاعة والتعصب للقريب، وأشباه ذلك، ويأمر به، ويذكر الرذائل وينهى عنها، ولهم سبع صلوات، خمس كخمس المسلمين، والضحى، والسابعة عند تمام ست ساعات من الليل ويشترطون النية، ولا يخلطون صلاتهم بغيرها.

ويصلون على الجنازة، من غير ركوع ولا سجود، ويصومون شهراً هلاليًا، يتجنبون فيه فطرهم عند حلول الشمس الحمل، يصومون من ربع الليل إلى غروب الشمس، يعظمون مكة وأهرام مصر، ويحجون مكانًا بظاهر حران.

وأعيادهم خمسة:

عند نزول زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد بيوت شرفها، وأعظم أعيادهم يوم نزول الشمس برج الحمل، ونسبتهم إلى صابىء بن إدريس المدفون بالهرم الثالث من أهرام مصر.

قال ابن حزم: والدين الذى انتحلته الصابئة أقدم الأديان، والغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث فبعث الله إبراهيم ﷺ بالدين الذى نحن عليه الآن.

قال الشهرستانى: والصابئة تفضل الروحانيين على الملك ضد الحنيفية فى تعظيم الجسمانيين، يعنى البشر.

وأما أمة القبط:

وهم من ولد حام بن نوح، سكناهم بديار مصر، كانوا صابئة يعبدوا الهياكل والأصنام، وكان منهم علماء الطلسمات والنيرنجات والماءى المخرقة للعقول والكيمياء.

وأما أمة الفرس:

وهم ولد فارس بن إرم بن سام، وقيل: ابن يافث، وهم يقولون: نحن ولد كيومرث، وكيومرث عندهم هو الذى ابتدأ منه النسل مثل آدم عندنا، ويذكرون أن الملك لم يزل فيهم خلا تقطع حصل فى مدة يسيرة، لا يعتد بها، وهم فرق: الديلم بساحل بحر طبرستان، ومنهم الكرد بشهرزور، وقيل: الكرد من العرب تنبطوا، وقيل: هم أعراب العجم، ومنهم الترك، وهم وراء جيحون ولهم ملة قديمة، يقال لعلمائها الكيومرتية، أثبتوا إلـهًا قديمًا وسمّوه يزدان، يعنون به الله، وإلهًا مخلوقًا من الظلمة وسموه أهرمن، يعنون به إبليس.

يعظمون النور حتى عبدوا النار، ويحترزون من الظلمة، ولا برحوا كذلك حتى ظهر زرادشت الذى ادعى النبوة، فقالوا بالبارى، وأنه خالق النور والظلمة، وأنه واحد لا شريك له، وأن الخير والشر والصلاح والفساد إنما حصل من امتزاج النور بالظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم، ولا يزالا يمتزجان إلى أن يتخلص الخير إلى عالمه والشر إلى عالمه.

وقبلة زرادشت إلى المشرق، وهذا دين المجوس كما قدمته.

ولهم أعياد: النور، وهو خمسة أيام: اليوم الأول من كانون الأول، ولهم النيركان والمهرجان، والفرودخان، وركوب الكوسج، وذلك أنه كان فى أول الربيع يأتى رجل كوسج راكب على حمار، قابض على غراب، يتروح بمروحة، يودع الشتاء، وله ضريبة يأخذها، ومتى وجد بعد ذلك ضرب، ولهم السدوق ليلة يوقد فيها النار يشرب حولها.

وأما أمة اليونان:

قال أبو عيسى: نجموا من رجل اسمه ألكن، ولد سنة أربع وسبعين لمولد عيسى - عليه السلام - ولم يكن لهم ذكر حين برع أوميرس الشاعر اليونانى فى سنة ثمان وستين وخمسمائة لوفاة موسى - عليه السلام - وكانوا أهل شعر وفصاحة.

وفيهم صارت الفلسفة، وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم، المنطقية والطبيعية والإلهية والرياضية، وكانوا يسمون العلم الرياضى جومطريا، وهو مشتمل على علم الهيئة والهندسة والحساب، واللحون والإيقاع، وكان العالم بهذه العلوم يسمى فيلسوفًا، ومعناه: محب الحكمة؛ لأن فيلو: محب، وسوفا: الحكمة.

وبلادهم الربع الشمالى الغربى والشرقى، ويتوسطها الخليج القسطنطينى، وأما نسبهم فقيل: إنهم من ولد يافث، وقيل: من جملة الروم من ولد صوفر بن العيص بن يعقوب وهم فرقتان: الأولى يقال لهم الإغريقيون، والثانية يقال لهم البطنتيون.

وأول علمائهم: قال الشهرستانى: أوتفدفليس كان فى زمن داود - عليه السلام -، وفيثاغورث كان فى زمن سليمان - عليه السلام - يزعم أنه أخذ الحكمة من معدن النبوة وأنه وصل إلى مقام الملك، وسمع هفيف الفلك وقال: ما سمعت ألذ من حركة الأفلاك، ولا رأيت أبهى من صورها.

ومن علمائهم بقراط الحكيم، وكان فى سنة مائة وستة وتسعين لبختنصر، قبل الهجرة بألف ومائة وبضع وستين سنة، ومنهم سقراط، وكان قد أعرض عن الدنيا، وأقام بغار، ونهى عن عبادة الأوثان، فألجأت العامة ملكهم، فحبسه ثم سقاه سمًا فمات، فقام مقامه تلميذه أفلاطن، ثم تلميذ أفلاطن أرسطو طاليس الحكيم المطلق المشهور، اشتغل عليه الإسكندر بن فليبس الذى ملك غالب المعمور خمس سنين وقال: من الفلسفة ما لم ينله غيره من تلامذة أرسطو طاليس.

ومنهم تالس الملطى، وكان فى زمن بختنصر، ومنهم الإسكندر الأوندويسى، كان بعد أرسطو، وكان من كبار الحكماء، ومنهم إقليدس صاحب كتاب الاستقطاب، كان بعد أرسطو فى أيام البطالسة، وليس هو مخترع كتاب إقليدس بل جامعه ومحرره.

وأما بطليموس وجالينوس فمتأخران عن زمن اليونان، بطليموس قبل جالينوس بقليل، قال ابن الأثير فى الكامل: وقد أدرك جالينوس بطليموس مصنف المجنيطى.

وأما أمة اليهود:

فبنو إسرائيل، وهو يعقوب ـ عليه السلام ـ، ومعناه صفوة الله، هم أصل هذه الأمة وغيرهم.

وحينئذ فكل يهودى إسرائيلى، وسُمُّوا يهودًا لقول موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿إنا هدنا إليك﴾، وكتابهم التوراة، وهى أسفار، ذكر فى السفر الأول مبدأ الخلق، ثم الأحكام والحدود والأحوال، والقصص والمواعظ والأذكار فى سفر سفر.

وأنزل على موسى الألواح أيضًا، وهى تشبه مختصر ما فى التوراة، وليس فى التوراة ذكر القيامة، ولا الدار الآخرة، ولا بعث ولا جنة ولا نار، وكل جزاء فيها إنما هو معجل فى الدنيا، يجزون على الطاعة بالنصر على الأعداء وطول العمر وسعة الرزق، ويجزون على الكفر والمعاصى بالموت ومنع المطر والحميات والحرب والغيا والظلمة، وليس فيها ذم الدنيا ولا الزهد فيها، ولا صفة صلوات معلومة، بل الأمر بالبطالة واللهو، والقصف.

واليهود تدعى أن الشريعة لا تكون إلا واحدة، بدأت بموسى وختمت، وأن ما كان قبل موسى كان حدودًا عقلية، وأحكامًا مصطلحية، ومنعوا النسخ أصلاً، وهم فرق: فمنهم الربانية، كالمعتزلة فينا، والقرّاؤن كالجبرية، والمشبهة فينا، والعنانية، ونسبوا إلى عنان بن داود، يعرف برأس جالوت، ولقب الحاكم على اليهود بالعراق، وكان قبل ذلك لقبه هردوس.

ومذهب العنانية أنهم يصدقون المسيح فى مواعظه، ويقولون إنه من أنبياء بنى إسرائيل المتعبدين بالتوراة، ولم يدَّع الرسالة، وأن الإنجيل ليس كتابًا منزلاً عليه، بل هو مقرر للتوراة، جمعه أربعة من أصحابه، وقد ورد فى التوراة ذكر المسيحا وهو المسيح فى مواضع كثيرة.

ومنهم السامرة والكونتانية، ولهم أعياد وصيام، منها الفسيخ، وهو الخامس عشر من نيسان، عيد كبير عندهم، وهو أول أيام الفطير عندهم السبعة، لا يأكلون فيها الخمير، وهو يدور من ثانى عشر آذار إلى خامس عشر نيسان، ولهم عيد العنصرة بعد خمسين يومًا من عيد الفطير، وهو يوم حضر فيه مشايخ بنو إسرائيل طور سيناء وسمعوا فيه كلام الله عز وجل، ولهم عيد الحنكة ثمانية أيام، وعيد المظال سبعة أيام.

والفـرض من صيـامهم صـوم الكبّور، وهو قبل غـروب الشمس من تاسع تشـرين بنصف ساعة إلى بعـد غروب الشمس من عاشره بنصف ساعـة لتتمة خمسـة وعشرين ساعة، وباقى صياماتهم نوافل على هذه الصفة.

وأما أمة النصارى:

قال الشهرستانى: للنصارى فى تجسد الكلمة مذاهب: منهم من قال: أشرقت على الجسد إشراق النور على الجسم المشف، وقائل: انطبعت فيه انطباع النقش فى الشمعة، وقائل: تدرع اللاهوت بالناسـوت، وقائل: مازجت الكلمـة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء.

واتفقت النصارى على أن المسيح قتلته اليهود وصلبته، وعاش بعد ذلك ورآه شمعون الصفاء، وأوصى إليه، ثم رفعه الله إليه.

وافـترق النصـارى اثنتين وسـبعـين فرقـة، كبـارهم ثلاثة: الملكانيـة والنسطورية، واليعقوبية.

فالملكانية: هم أصحاب ملكان الذى ظهر فى بلاد الروم واستولى عليها، يصرحون بالتثـليث، وأن المسيح ناسـوتى كلى، قديم من قديـم، وأن القتل والصلب وقـعا على الناسوت واللاهوت معًا، وأطلقوا الأبوة والبنوة على الله والمسيح.

والنسطورية: هم أصحـاب نسطورس، هـم من النصارى بمنزلة المعتـزلة منا، يقولون بالإشراق لا بالامتزاج وأن القتل والصلب وقعا فى مجرد الناسوت.

واليعقوبية: هم أصحاب يعقوب البودغانى، راهب القسطنطينية، يقولون: إن الكلمة انقلبت لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح.

قال ابن حزم: وهـم يقولون: المسيح هو الله، قتل وصلب وبقى العالم ثلاثة أيام بلا مدبر، تعالى الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

قال ابن سـعيد المغـربى: البطارقة للنصـارى بمنزلة الأئمة أصحـاب المذاهب عندنا، والمطران القـاضى، والأساقـفة المفـتيـون، والقسـيس المقرئ، والجـاثليق إمام الـصلاة كالخطيب عندنا، والشماسة القوام والمؤذنون.

وصلواتهم عند الفجـر والضحى والظهر والعـصر والمغرب والعـشاء ونصف الليل، يقرؤون فيـها بالزبور المنزل على داود تبعًا لليـهود فى ذلك، وقد يسجـدون فى الركعة

الواحدة خمسين سجدة، ولا يتوضئون للصلاة، واليهود يقولون: إن الأصل طهارة القلب.

ولهم صومهم الكبير تسعة وأربعون يومًا، أولها الإثنين الأقرب إلى الاجتماع الكائن فيما بين اليوم الثانى من شباط إلى الثانى من آذار.

قال السلطان عماد الدين: وأصح من هذا أن ينظر الريح وهو سادس كانون الثانى فى شهر هو من شهور الأهلة، فأى إثنين أقرب إلى سابع عشرين الشهر الذى يليه هو ابتداء صومهم، وإن كان هو الإثنين فهو أول صومهم.

قلت: وثم طريق أشهر من هذا، وهو أول إثنين يأتى بعد سادس عشرين شهر هلالى جاء فيه شباط هو ابتداء صومهم.

وتخصيصهم هذا الزمان لأنهم يعتقدون أن يوم الأحد الموفى الخمسين يومًا من صيامهم هذا يوافق اليوم الذى قام المسيح فيه من قبره، ويعتقدون أن يوم القيامة يكون فى مثله، ومن يوم الأحد الذى قبل هذا الأحد إلى الأحد ثمانية أيام تسمى عيد الشعانين، أى الفسيخ، يقولون: دخل المسيح ذلك اليوم إلى القدس راكب أتان يتبعها جحش، واستقبله الناس وبأيديهم ورق الزيتون، يقرأ بين يديه التوراة، وأنه اختفى عن اليهود يوم الإثنين ويوم الثلاثاء والأربعاء، وفيه غسل أيدى الحواريين وأرجلهم ومسحها بثيابه، ثم أفصح يوم الخميس بالخبز والخمر، وصار إلى منزل واحد من أصحابه، ثم خرج يوم الجمعة إلى الجبل، فسعى به يهودا وهو أكبر تلاميذته إلى كبير اليهود وارتشى منه بثلاثين درهمًا، فالقى الله شبهه على غيره كما قدمناه وصلبوه ثلاث ساعات من يوم الجمعة، أو ست ساعات، وتسمى جمعة الصلبوت، ثم دفنه يوسف النجار ابن عم عيسى فى قبر كان أعده لنفسه.

قالت النصارى: ومكث إلى صبيحة الأحد، قام منه، وهو عيدهم الأكبر، ولهم تلوه عيد الأحد الجديد، والتبلاقا، والقبطى، وعيد الصليب، وهو مشهور، والميلاد فى ليلة الخامس والعشرين من كانون الأول.

وكتابهم الإنجيل يتضمن أخبار المسيح من مولده إلى رفعه، كتبه أربعة من أصحابه. متى بفلسطين بالعبرانية، ومرقوس ببلاد الروم بالرومية، ولوقا بالأسكندرية باليونانية، ويوحنا بافسيس باليونانية أيضًا.

ولهم صيامات آخر: صوم السليخين: وصوم ينيوى، وصوم العذارى وهو ثلاثة أيام، أولها يوم الإثنين، يلى الذبح وفطره الخميس.

ودخل فى دين النصارى أمم: منها: الروم وهم بنو الأصفر، وهم روم العيص بن إسحاق، وكانوا على دين الصابئة إلى تنصر قسطنطين، وحملهم على دين النصرانية.

ومنهم الأرمن، وبلادهم الأمينية، وعمدة ملكهم أخلاط، فلما ملكها الملوك صاروا رعية، وتفرقوا فى طرسوس، ومصيصا، وكرسى ملكهم نسيس.

ومنهم الكرج، وبلادهم مجاورة لبلاد أخلاط، آخذة إلى الخليج القسطنطينى، ممتدة إلى نحو الشمال، وهم خلق كثير مصالحون التتر، وبيت الملك فيهم محفوظ يتوارثه رجالهم ونسائهم.

ومنهم الجركو: وهم على بحر نبطس، من شرقيه، وهم فى شظف العيش.

ومنهم الروس: ومنهم البلغار، وأسلم منهم جماعة، ومنهم الألمان، ومنهم الجرجان، ومنهم الفرنج، وأصل بلادهم فرنجة مجاورة لجزيرة الأندلس، وقد غلبوا على معظمها، ولهم فى بحر الروم جزائر مشهورة، منها صقلية وقبرص وأقريطش.

ومنهم الجنوية: منسوبون إلى جنوة مدينة عظيمة غربى القسطنطينية، ومنهم البنادقة، منسوبون إلى مدينتهم البندقية، ومعظم مدنهم رومية غربى جنوة والبندقية، وهى مقر خليفتهم واسمه الباب.

ومن أمم النصارى الجلالقة، وهم أشد من الفرنج، لا يغسلون ثيابهم أبدًا، بل يبقونها عليهم حتى تتقطع، وتبلى، ويدخل أحدهم دار الآخر بغير إذنه، وهم كالبهائم، وبلادهم كثيرة شمالى الأندلس.

ومنهم الباسقردية: من بلاد الألمان، وبلاد إفرنجة شرسوا الأخلاق، وفيهم مسلمون.

وأما أمة الهند:

فمنها الباسوية، يعظمون النار، ويبيحون الزنا، ويسجدون للبقر، ومنهم اليهودية لا يعافون شيئًا، ويمسحون أبدانهم بالرماد، ويحرمون الذبائح والنكاح، وجمع المال، ومنهم عبدة الشمس، ومنهم عبدة القمر، ومنهم عبدة الأصنام، ومنهم عبدة النار، ومنهم عبدة الماء.

ومنهم البراهمة أصحاب الفكرة، يعلمون الفلك والنجوم على طريقة يخالفون

منجمى الروم والعجم، أكثر أحكامهم باتصالات الثوابت دون السيارة، يعظمون الفكر، ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول، ويصرفونه عن المحسوسات، حتى تتجلى لهم المغيبات بالرياضة البليغه المجهدة، وينكرون النبوة.

ومنهم من يتقرب إلى النار بإلقاء نفسه فيها، وبإغراق نفسه فى الماء، خصوصًا فى نهر كلكته، ماءه عندهم كماء زمزم عندنا، وهو نهر كبير حاد الانصباب.

وللهنود ممالك منها: المانكين على بحر اللان، هى أعظم ممالكهم وأقربها إلى بلاد الإسلام، وهو الذى كان يغزوها محمود بن سبكتكين، ومملكة الفتوح فيها أصنام يتوارثون عبادتها ويزعمون أنها تزيد على مائتى ألف، ومملكة قمار التى ينسب إليها العود القمارى، يحرمون الزنا، ومملكة بنارس.

وقد منّ الله تعالى على أهل الهند بهدى جمهورهم إلى الإسلام وأصبحت مملكة الهند من أعظم الممالك الإسلامية حيث نقل ابن فضل الله فى كتابه: «مسالك النظار فى ممالك الأمصار» أنها حاوية على ألف مدرسة للعلم، وأن كلها حنفية وبها مدرسة واحدة للشافعية، ووصف ملكهم بالعدل الوافر والكرم الزائد، والفضل التام، وأنه يحفظ كتاب البداية فى مذهبه، ويبحث مع العلماء، ويجلهم ويقربهم، ويبالغ فى تعظيمهم، والله تعالى أعلم.

وأما أمة السند:

وهى غربى الهند قسمان، فقسم ببلاد اللان، والمنصورة، والدنل، والمسلمون غالبون عليها، وقسم ببلاد الشمير وأهلها يعبدون الأوثان، وكل من ملك الهند يقال له زنبيل.

وأما السودان:

وهم ولد حام، فأديانهم مختلفة، منهم مجوس، ومنهم عبدة الحيات، ومنهم أصحاب أوثان.

قال جالينوس: اختصوا بعشرة خصال: تفلفل الشعر، وخفة اللحا، وقبح المنخرين، وغلظ الشفتين، وحدة الأسنان، ونتن الجلد، وسواد اللون، وتشقق الكعاب، وطول الذكر، وكثرة الطرب، فمنهم الحبوش، وبلادهم تقابل الحجاز بينهما البحر، وتجاورهم فى الجنوب الزيلع، والغالب عليهم دين الإسلام، وتجاورهم من جهة الشمال النوبة، ومنهم لقمان الحكيم، الذى كان فى زمن داود ـ عليه السلام ـ وبلال بن حمامة، وذو

النون المصرى.

ومنهم البجاة، وهم شديدىَ السواد، عراة، يعبدون الأوثان، وفى بلادهم الذهب، وهم فوق الحبشة إلى جهة الجنوب على النيل.

وأعظم بلاد السودان غانة، فى أقصى جنوب المغرب، ووراء سلحماسة التى أقصى المغرب بمدة مديدة، من جمله مفازاتها اثنى عشر يومًا، لا يوجد فيها ما يحمل إليها التبن والملح والنحاس، ولا يعودون منها إلا بالذهب العين.

ومن السودان الدمادم، وهم شر السودان، وفى بلادهم الزرافات، ومنهم الزنج وهم أشد سوادًا من الجميع، ومنهم التكرور على غربى النيل وهم خير السودان.

وأما أمة الصين:

فبلادها واسعة عظيمة عرضها من بحر الصين فى الجنوب إلى سد يأجوج ومأجوج، وتشتمل على الأقاليم السبعة، عندهم العدل والسياسة والعقل، وحذق الصناعة، قصار القدود عراض الوجوه، عظام الرؤوس، منهم عبدة الأوثان ومنهم عبدة نيران، ومنهم مجوس، مدينتهم الكبرى حمدان وصين الصين نهاية فى العمران، ليس وراءه غير البحر المحيط بالمدينة العظمى سبتى، وأخبارهم منقطعة عنا.

وأما بنو كنعان:

وهم أهل الشام، سُمى الشام لسكنى سام بن نوح به، فإن اسمه بالعبرانية شام، وقيل: شامت به بنو كنعان، وكنعان نزل الشام حين تبلبلت الألسن، قيل: إنه كان من الذين اتفقوا على بناء الحصن، وهو كنعان بن ماريع بن حام، وكل من ملك كنعان يسمى جالوت إلى أن قتل داود جالوت، وكان اسمه كلياد.

وأما البربر:

فالأصح أنهم طائفة من بنى كنعان، سكنوا المغرب حين قتل جالوت، وتفرقوا، وقبائلهم كثيرة، منها كتامة وهم الذين أقاموا دولة الفاطميين مع أبى عبد الله الدمشقى، ومنهم صُباجة ملوك إفريقية.

ومنهم زنانة ملوك فارس وتلمسان وسلجماسة، ومنهم المصامدة الذين قاموا بنصرة المهدى محمد بن تومرت، وبهم ملك عبد المؤمن وبنوه ببلاد المغرب، ومنهم برغراط.

والبربر مثل العرب فى سكنى الصحارى، ولهم لسان غير العربى.

وقد آن الأوان أن نذكر ما لابد منه مما هو سابق على هجرة سيدنا محمد ﷺ، وهو:

أن عبد المطلب ولد له اثنا عشر ولد وهم: أبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب والزبير والحارث وخجل والمعصوم وحيراز وعبد الله وعبد الكعبة وعبد مناف، ومن البنات عاتكة وأميمة وأروى ونبرة. وكان رأى فى نومه أن يحفر زمزم فرأى شدة فى حفره فنذر إن [أظهره الله على قريش][1] لينحرن أحدهم عند الكعبة فلما منّ الله عليه بذلك صوب القدح فخرج على عبد الله فعظم على قريش لحبهم فيه، وقالوا: والله لا تفعل حتى نستفتى فيه [العرافة سجاح][2] ولئن فعلت كانت متبوعة. فقالت: كم الدية عندكم؟ قالوا: عشرة من الإبل [وكانت كذلك، قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا من الإبل حتى يرضى ربكم][3]، وكلما وقعت عليه تزاد الإبل، ففعلوا ذلك حتى بلغت الإبل مائة، [ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله][4] فوقعت القدح عليه مرة بعد مرة، فذبحوا الإبل، وبقيت عند الكعبة لا يصد عنها حتى تزوج عبد الله آمنه بنت وهب بن عبد مناف سيد بنى زهرة وحملت بسيد البشر محمد ﷺ.

قالت آمنة: لم آر ثقلاً، ورأيت فى نومى أنه خرج منى نور أضاءت به قصور الشام[5].

وأما عبد الله فتوفى فى يثرب وخلف خمسة أجمال وجارية حبشية هى أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ وأسمها بركة.

وهتف بآمنة هاتف إنك حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع بالأرض فسميه محمداً وقولى: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد.

ووضعته ﷺ مختونًا مكحولاً مسروراً لثنى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على

---

(١) ما بين المعقوفتين تصرفت فيه بعض الشىء من البداية والنهاية لعدم وضوحه جيداً فى المخطوطة.

(٢) ما بين المعقوفتين تصرفت فيه بعض الشىء من البداية والنهاية لعدم وضوحه فى المخطوطة.

(٣) كالذى قبله.

(٤) كالذى قبله.

(٥) أخرج ابن سعد فى الطبقات (١/ ١٠٢) قال: أخبرنا سعيد بن منصور قال: حدثنا فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبى أمامة الباهلى قال: قال رسول الله ﷺ: «رأت أمى كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام». وفيه فرج بن فضالة التنوخى الشامى وهو ضعيف.

الأصح، وقيل فى قصة الفيل فى منتصف المحرم سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الإسكندر، وهى السنة التى ورد فيها ارتجاس إيوان كسرى، وسقط منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاصت بحيرة ساوة، ورأى المؤبذان وهو قاضى الفرس فى منعة يقود خيلاً عرابًا قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها، فلما أصبح كسرى أرسل رجلاً يدعى لارتجاس الإيوان فقصَّ عليه المنام، وقال: لعل أمر يحدث من جهة العرب، فأرسل كسرى إلى النعمان بن المنذر أن يرسل إليه عالم العرب، فأرسل إليه عبد المسيح بن عمرو الغسانى، فأخبره كسرى بما جرى، فقال: علم هذا عند خالى سطيح بالشام، فوجه إليه وقدم عليه، وهو عند الموت فأنشده:

أصم أم يسمع غطريف اليمن	أم فاد فازلمَّ به شاو العنن
يا فاضل الخطة أعيب من ومن	كاشف الكربة عن وجه الغفن
أتاك شيخ الحى من آل سنن	والله من آل ذئب بن حجن
رسول قبل العجم يسرى بالرسن	لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
يجوب فى الأرض عليه أن الشجن	ترفعنى وجنا ويهوى بى وجن

ففتح سطيح عينه وقال: عبد المسيح على جمل مشيح، إنى إلى سطيح، وقد وفا على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا المؤبذان إبلاً سقابًا تقود خيلاً عرابًا، قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها، أعبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادى سماوة، وغاضت بحيرة ساوة فليس الشام لسطيح شامًا، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وكل ما هو آتٍ آت.

وقضى سطيح وعاد عبد المسيح فقال أنوشروان : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكًا، تكون أمور، فملك منهم عشرة فى أربع سنين، والباقون إلى خلافة عثمان - رضى الله عنه - كما قدمناه.

وأول من أرضعت رسول الله ﷺ ثويبة مولاة عمه أبى لهب مع ولدها مسروح، وأرضعت أيضًا بلبن مسروح حمزة، وأبا سلمة بن عبد الأسد، ولما قدمت المراضع مكة أخذته حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية، ومضت به إلى بادية بنى سعد، ووجدت من

الخير والبركة ما هو من بعض معجزاته[١].

ولما ترعرع خرج مع رعية حليمة فعاد ابنها وقال: إن أخى القرشى أخذه رجلان فشقا بطنه، فخرجت حليمة وزوجها يستبقان إليه، فوجداه قائمًا فقال لهما: جاءنى رجلان فشقا بطنى وأخرجا منه شيئًا وقالا: هذا حظ الشيطان منك، فاحتملته حليمة وعادت به إلى أمه[٢].

فإخوة رسول الله ﷺ من رضاع حليمة: عبد الله، وأنيسة، وجذامة، وهى الشيماء، أبوهم الحارث بن عبد العزى.

ولما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة، فكفله جده عبد المطلب.

ولما بلغ ثمان سنين مات جده وكفله عمه أبو طالب شقيق أبيه.

ولما بلغ ثلاث عشرة سنة، خرج به عمه أبو طالب فى تجارة إلى الشام، فلما رآه بحير الراهب ببصرى قال لعمه: ارجع بهذا الغلام واحذر عليه اليهود، فسيكون له شأن عظيم.

وشب رسول الله ﷺ، وكان أعظم الناس مروءة، وصدقًا وعفافًا، وأحسنهم خلقًا وخلقًا، وجوابًا، وأعظمهم أمانة، حتى سموه الأمين، وحضر مع عمومته حرب الفجار، وعمره أربع عشرة سنة، سميت الفجار لما انتهكت فيها حرمة الحرم، وانتصرت قريش آخراً.

---

(١) انظر القصة فى السيرة النبوية لابن حبان (ص ٥٤ ـ ٥٥)، السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٦٢ ـ ١٦٥)، دلائل النبوة للبيهقى (١/ ١٣٣ ـ ١٣٦)، دلائل النبوة لأبى نعيم (١١١ ـ ١١٣)، البداية والنهاية (٢/ ٢٧٣).

(٢) حديث شق صدره ﷺ رواه أحمد (٤/ ١٨٤)، الحاكم (٢/ ٦١٦)، البيهقى فى الدلائل (١/ ١٤٥ ـ ١٤٦)، فرواه أحمد والحاكم من طريق بقية حدثنى بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن ابن عمرو السلمى عن عتبة بن عبد السلمى أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ ـ فذكره.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبى: على شرط مسلم. ورواه البيهقى من طريق أحمد قال: حدثنا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثنى ثور بن يزيد عن خالد ابن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ.
قال البيهقى: رواه مسلم فى الصحيح عن شيبان بن فروخ، وهو يوافق ما هو المعروف عند أهل المغازى.

وسألته خديجة بنت خـويلد أن يسافر لها فى تجارة ومعه غلامها مـيسرة، فأجابها، ولما عاد حـدثها ميسـرة بما رأى من كرامة رسول الله ﷺ، وأن مـلكين كانا يظلانه من الحر، فـعرضت نفسهـا عليه فتـزوجها، وأصدقـها عشـرين بكرة، وكان عمره خـمسًا وعشرين سنة، وعـمرها أربعين سنة على الصـحيح، لم يتزوج قبلهـا ولا عليها، وكل أولاده منهـا إلا إبراهيم، فإنه من مـارية القبطيـة، وأخذها أيِّمًا، ولم يتـزوج بكرًا إلا عائشة ـ رضى الله عنها ـ.

وأولاده: القاسم، ثم الطيب، ثم الطاهر، وقيل: هما اسمـان لعبد الله، ماتوا قبل البعثة، ورقية، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة[1]، كلهن أدركن الإسلام، وهاجرن، وفرق رسول الله ﷺ بين زينب وزوجها أبى العاص بإسلامها، ثم ردها إلى أبى العاص بالنكاح الأول حين جاء وأسلم.

فلما بلغ خمسًا وثلاثين سنة وأرادت قريش أن تجدد بناء الكـعبة اختصموا عند وضع الحجر الأسود، حتى غمسوا أيـديهم فى الدماء من القتال، وتعاهدوا على الموت، فقال كبيرهـم أبو أمية بن المغيـرة: يا معشر قريش اجعلوا بينكم حكمًا أول من يدخل الحرم، فأجابوا، فكان أول من دخل رسـول الله ﷺ فقالوا كلهم: هذا محمـد الأمين، رضينا به، فدعا رسول الله ﷺ ببرد، وضع الحجر فيه وقال: لتأخذ كل قبيلة بطرف، وزرفعوه إلى موضعه، فثبته رسول الله ﷺ بيده[2].

فلما بلغ أربعين سنة أرسله الله إلى كافة الخلق ناسخًا بشريعته الشرائع كلها، وجاءه الملك بغار حـراء وكان لا يمـر على حجر ولا مـدر إلا يقول: السلام عـليك يا رسول الله.

وأول من أسلم من الناس خـديجة ، ثم علىّ وعمـره عشر سـنين ، كان قد ضـمه رسول الله ﷺ حين شكا أبو طالب كثرة العيـال فى مجاعة أصابت قريشًا، ثم زيد بن

---

(١) قال الحافظ ابن كثـير فى السيرة النبوية (١/ ٢٦٤): قال ابن هشـام: أكبرهـم القاسم ـ وهو الذى يكنى به ﷺ ـ ثم الطيب، ثم الطاهر. وأكبـر بناته رقية، ثم زينب، ثم أم كلثـوم، ثم فاطمة. اهـ. وكل أولاده من خديجة ـ رضى الله عنها ـ إلا إبراهيم فإنه من مارية.

(٢) رواه الإمام أحمد فى المسند: قال حدثنا عـبد الصمد حدثنا ثابت ـ يعنى أبا زيد ـ حدثنا هلال ـ يعنى ابن حبان ـ عن مجاهد عن مولاه ـ وهو السـائب بن عبد الله ـ أنه حدثه ـ فذكره. البداية والنهاية (٢/ ٢٨١).

حارثة، اشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، وقيل: وهبته خديجة له، وكان قد أخذ من أبيه حارثة الكلبى، وأنشد:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل … أحى يرجى أم أتى دونه الأجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها … وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل

وإن هبت الأرياح هيجن ذكره … فيا طول ما حزنى عليه ويا وجل

ولقيه أبوه بعد ذلك وأسلم، وخيّر رسول الله ﷺ زيدًا فاختار رسول الله ﷺ.

ثم أسلم بعد زيد أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - وقيل: هو أول الناس إسلامًا مطلقًا، ولا يخفى أنه أول من أظهر إسلامه، واسمه عبد الله بن عثمان، ولقبه عتيق، ثم أسلم بدعاء أبى بكر عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله ابن الجراح، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد، والأرقم بن أبى الأرقم، وعثمان بن مظعون وأخواه، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر - رضى الله عنهم -، ثم جماعة بعد جماعة[(١)].

وكانت دعوة رسول الله ﷺ سرًا ثلاث سنين ثم أظهرها، وكانت قريش لا تعارضه، بل منهم مصدق ومكذب فيما بينهم إلى أن عاب آلهتهم ونسبهم إلى الضلال، فأظهرت أعداؤه ما كان فى نفوسهم، وحشدوا عليه، فذب عنه عمه أبو طالب، فجاءت أشرافهم إليه عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد مناف، وأبو سفيان بن أمية بن عبد

---

(١) روى البيهقى فى دلائل النبوة (٢/ ١٦٣) قال: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل قال: أخبرنا عبد الله ابن جعفر قال: حدثنا يعقوب بن سفيان قال: حدثنا محرر بن سلمة قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن عبد الله عن محمد بن كعب القرظى: أن أول من أسلم من هذه الأمة برسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد، وأول رجلين هما أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب - رضى الله عنهما - وأن أبا بكر الصديق أول من أظهر إسلامه، وأن عليًا كان يكتم الإسلام فرقًا من أبيه حتى لقيه أبو طالب فقال: أسلمت، قال: نعم، قال: وآزر ابن عمك وانصره. وقال: أسلم على قبل أبى بكر.

وأسند عن ابن إسحاق أن أول من اتبع رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد زوجته، ثم كان أول ذكرًا آمن به على بن أبى طالب وهو يومئذ ابن عشر سنين، ثم زيد بن حارثة، ثم أبو بكر الصديق - رضى الله عنهم - فلما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله. دلائل النبوة (٢/ ١٦٥).

شمس، وأبو البختري بـن هشام، والأسود بن المطلب، وأبو جـهل، ونبيـه ومنبه ابنا الحجاج، والعاص بن وائل فقالوا: يا أبا طالـب إن ابن أخيك عاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا، فانهه أو خلِّ بيننا وبينه، فردهم بالحسنى

ثم عادوا إليه بذلك، وأخذت كل قبيلة تعذب من اسلم منها، وكان رسول الله ﷺ يومًا بالصفا فمر به أبو جهل فشتمـه فلم يرد عليه، وكان حمزة عمه فى القنص، وكان أعز فتى فى قريش وأشدها شكيمة، فلمـا عاد بلغه ذلك، فغضب وجاء إلى أبى جهل وضربه بالقوس فشـجه وقال: أتشتم محمـدًا وأنا على دينه، وتم على إسلامه[1]، وعز رسول الله ﷺ به.

ثم كان عمر بن الخطاب من أشد أعدائه ﷺ، فأخـذ يومًا سيفه وقصده ﷺ ليقتله، فقال له نعيم بن عبد الله الفحام: لا تدعك بنو عبد مناف بعد ذلك تمشى على الأرض، ولكن اردع أختك وابن عـمتك سعيـد بن زيد، وخبابًا، فـإنهم قد أسلموا فقـصدهم، فسمعهم يتلون سورة «طه» فقال: ما أحسن هذا، وتوجه إلى رسول الله ﷺ فأسلم[2].

---

(١) أخرج القصـة البيهقى فى دلائل النبوة قـال: حدثنا أبو عبد الله الحافظ إمـلاءً، قال: حدثنا أبو العباس محمـد بن يعقوب، قال: حدثنا أحمد بن عبد الجـبار، قال: حدثنا يونس بن بكير عن محمـد بن إسحاق قال: حدثنى رجل من أسلم كـان واعية ـ فذكره. وقد ذكـر فى ذلك حمزة شعرًا، ويجدر بنا أن ننقله، وهو ما ذكر السهيلى فى الروض الأنف قال:

حمدت الله حين هدى فؤادى ... إلى الإسـلام والديـن الحنيف
لدين جـاء مـن رب عـزيز ... خـبيـر بالعـباد بهم لطيف
إذا تليت رسـائله علينا ... تحـدَّر ذى اللب الحـصيف
رسائل جاء أحـمد من هداها ... بآيات مـبـيَّنة الحـروف
وأحمـد مصطفى فينا مطاع ... فلا تعنسوه بالقـول الضعيف
فـلا والله نسلمـه لقـوم ... ولما نقض فيـهم بالسـيوف
ونتـرك منهم قـتلى بقـاع ... عليها الطيـر كالورد العكوف
وقد خبِّرت مـا صنعت ثقيف ... به فجـزى القبائـل من ثقيف
إله الناس شـر جـزاء قـوم ... ولا أسقـاهم صوبُ الخـريف

(٢) قصة إسلام عمر رواها البيهقى فى الدلائل (٢/٢١٦) قال: أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عمر المقرئ بن الحمامى ببغداد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو الوليد محمد بن أحمد بن برد الأنطاكى، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحسينى، قال: ذكر أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال لنا عمر ـ فذكره. وفيه أسامة بن زيد بن أسلم وهو ضعيف.

وكان رسول الله ﷺ قد قال: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبى الحكم ابن هشام»[1] - يريد أبا جهل - فهدى الله عمر.

وأذن رسول الله ﷺ لمن ليس له عشيرة تحميه فى الهجرة إلى أرض الحبشة.

وقال ابن إسحاق: إن إسلام عمر كان بعد خروج من خرج إلى أرض الحبشة.

فخرج إليها عثمان بن عفان وزوجته رقيه بنت رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام، وعثمان بن مظعون، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وركبوا البحر، وتوجهوا إلى النجاشى، وتتابع المسلمون إلى أن بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً سوى النساء والصغار ومن ولد هناك.

وأرسلت قريش فى طلبهم عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص ومعهما هدية إلى النجاشى، فلم يجبهما، ورد الهدية فقال عمرو بن العاص: سلهم ما يقول نبيهم فى عيسى ابن مريم فقالوا: يقول: كلمة الله ألقاها إلى مريم البتول، فلم ينكر النجاشى ذلك، وردهما خائبين.

ولما جعل الإسلام يفشوا فى القبائل تعاهد المشركون على بنى هاشم وبنى عبدالمطلب ألا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، وكتبوا صحيفة ووضعوها فى جوف الكعبة، وانحازت بنو هاشم كفارهم ومسلمهم إلى أبى طالب فى شعبه، وخرج من بنى هاشم أبو لهب ابن عبد العزى بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان بن حرب، سماها الله حمالة الحطب لأنها كانت تحمل الشوك وتضعه فى طريق رسول الله ﷺ.

وأقام رسول الله ﷺ فى الشعب ثلاث سنين وقال لأبى طالب: «يا عم إن الله سلط الأرضة على الصحيفة، فلم تدع فيها غير اسم الله» فأعلم أبو طالب قريشًا بذلك وقال لهم: إن كان خبره صحيحًا فانتهوا عن قطيعتنا، وإن كان غير صحيح سلمته إليكم، فرضوا وكشفوا عن الصحيفة، فوجدوها كما أخبر به رسول الله ﷺ، فاختلفوا فيما بينهم، ونقض جماعة منهم عقد الصحيفة[2].

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٩٥)، الترمذى (٣٦٨١، ٣٦٨٣)، الحاكم (٣/ ٥٠٢)، أبو نعيم فى الحلية (٥/ ٣٦١)، ابن سعد (٣:١:٣، ١٧٣، ١٩١) عن خارجة بن عبد الله الأنصارى عن نافع عن ابن عمر - مرفوعًا. وخارجة بن عبد الله الأنصارى قال فيه الحافظ: صدوق له أوهام.

(٢) انظر خبر الصحيفة فى طبقات ابن سعد (١/ ٢١٠)، تاريخ الطبرى (٢/ ٣٤١)، سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٤)، الكامل (١/ ٦٠٤)، البداية والنهاية (٣/ ٩٥).

واشتد انتصار أبى طالب لابن أخيه ﷺ وأنشد:

ودعوتنى وعلمت أنك صادق فلقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا[1]

ومن هذا اختلف فى إسلامه والأرجح أنه مات كافراً، وللاختلاف سبب آخر، وهو أنه حين أدركته الوفاة سنة عشر من النبوة وكان بلغ عمره بضعًا وثمانين سنة قال له رسول الله ﷺ: «قلها أستحل بها لك الشفاعة»[2] فقال: يا ابن أخى لولا مخافة السبّة فى أن تظن قريش أنما قلتها جزعًا من الموت لقلتها، فلما تقارب منه الموت جعل يحرك شفتيه فأصغى إليه العباس بأذنه وقال: والله يا ابن أخى لقد قال الكلمة التى أمرته بها، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذى هداك يا عم، هكذا روى عن ابن عباس، وما فى الصحيح أصح، وهو مخالف لهذا، والله تعالى أعلم.

ثم توفيت خديجة بعد أبى طالب، وطمع المشركون فى رسول الله ﷺ، وكثر أذاهم له، فسافر رسول الله ﷺ إلى الطائف وعاد، وجعل يعرض نفسه على القبائل، ووجد شدة حتى دعا دعاءه المشهور:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمرى، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى، ولكن عاقبتك أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى صلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك، أو يحل علىّ سخطك،

---

(١) الأبيات هنا ناقصة وهى:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقرّ منك عيونا
ودعوتنى وزعمت أنك ناصحى فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت دينًا قد عرفت بأنه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتنى سمحًا بذاك يقينا

(٢) الحديث بهذا اللفظ رواه البيهقى فى الدلائل (٢/٣٤٦) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال: حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثنى العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس ـ فذكره مرفوعًا، وفى الإسناد مبهمون.

فلك العقبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»[1].

فلما أراد الله إعزاز دينه وإظهار نبيه خرج ﷺ إلى القبائل فى الموسم فبينما هو عند العقبة لقى نفراً من الخزرج، فعرض عليهم الإسلام وتلا القرآن فآمنوا به، وكانوا ستة نفر، ووصلوا إلى المدينة وأخبروا قومهم، فآمن خلق كثير، وفشا الإسلام فى دورهم.

ووافى الموسم فى العام الثانى منهم اثنا عشر نفراً، فبايعوا رسول الله ﷺ، وبعث معهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن، وشرائع الإسلام، فتلقاه أسعد بن زرارة أحد الستة الأول، وكان سعد بن معاذ سيد الأوس وهو ابن خالة أسعد وكان أسيد بن حضير أيضًا سيداً، فبلغهما نزول مصعب عند أسيد، فجاء أُسيد بن حضير بحربته فوقف على أسعد ومصعب وقال: ما جاء بكما تسفهان ضعفانا، اعتزلا عنا إن كان لكما حاجة بأنفسكما، فقال مصعب له: أو تجلس فتسمع، فجلس أسيد وأسمعه مصعب القرآن، وعرفه الإسلام فقال أسيد: ما أحسن هذا وأسلم، وقال: ورأى رجل إن بلغكما لم يتخلف عنه أحد - يعنى سعد بن معاذ - وانصرف إلى سعد بن معاذ، وبعث به إليهما، فلما وقف عليهما قال لأسعد: لولا قرابتك منى ما صبرت على أن تغشانا فى دارنا بما نكره، فقال له مصعب: أو ما تسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإلا عزلنا عنك ما تكره، فقال: أنصت، فعرض مصعب عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن، فأسلم وانصرف إلى النادى، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: والله لقد رجع سعد بغير الوجه الذى ذهب به، فقال: يا بنى عبد الأشهل كيف تعرفون أمرى فيكم؟ فقالوا : سيدنا وأفضلنا، قال: فإن كلامكم وكلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل أحد حتى أسلم.

قال أبو عمر: ماعدا الأصيرم فإنه تأخر إسلامه إلى بدر فأسلم واستشهد.

ويقى سعد بن معاذ ومصعب بن عمير فى دار أسعد بن زرارة يدعون الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وبها مسلمون إلا دار بنى أمية بن زيد، وخطمة، ووائل فإنهم أسلموا بعد ذلك.

(١) قال محقق زاد المعاد (٣/ ٣٢): أخرج القصة بطولها ابن هشام (١/ ٢٦٠ - ٢٦٢) عن ابن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى - مرسلاً، ورجاله ثقات دون قوله: «اللهم إليك أشكوا. . .» فقد أورده بدون سند، وأورده الهيثمى فى المجمع (٦/ ٣٥) من حديث عبد الله ابن جعفر، ونسبه للطبرانى وقال: وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

وعاد مصعب بن عمير ومعه من الذين أسلموا ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من الأوس والخزرج، واجتمعوا برسول الله ﷺ ليلاً بالعقبة فى أوسط أيام التشريق، ومعه عمه العباس ولم يكن أسلم بعد فقال العباس: يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث علمتم، وهو فى عز ومنعة فى بلده، وقد أبى الانحياز إليكم، فإن كنتم تقفوا عند ما دعوتموه إليه وتمنعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم، وإن كنتم مسلموه وخاذلوه فمن الآن فدعوه، فقالوا: قد سمعنا، فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

فتلا رسول الله ﷺ القرآن وقال: «أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعوا منه نساءكم وأولادكم»، فدار الكلام بينهم واستوثق كل فريق من الآخر وقالوا: إن قتلنا دونك فما لنا؟ قال: «الجنة»، قالوا: فابسط يدك، فبسط يده فبايعوه[1].

وأمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فخرجوا إليها أرسالاً وبقى معه بمكة أبو بكر وعلى - رضى الله عنهما - حتى أذن له، وكانت قريش خافت خروج رسول الله ﷺ، واتفقوا على أن يأخذوا من كل قبيلة رجلاً فيضربونه ضربة واحدة، حتى يضيع دمه فى القبائل وكان هذا رأى أبى جميل واستصوبه الشيخ النجدى إبليس قبحهما الله، فأمر رسول الله ﷺ عليًا أن ينام على فراشه، ويتشح ببرده، ويتخلف عنه ليرد ودائع الناس ، فاجتمع الكفار تلك الليلة على بابه يرصدونه ليثبوا عليه كما اتفقوا فأخذ رسول الله ﷺ حفنة من تراب وخرج، وتلا أول سورة يس، ورمى التراب على رؤوس الكفار فلم يروه.

فجاءهم آت وقال: إن محمداً خرج وجعل على رؤوسكم التراب فجعلوا ينظرون عليًا، وعليه القطيفة، فيقولوا: هذا محمد نائم، فلما قام عند الصباح وعرفوه انصرفوا خائبين ورد علىّ الودائع[2].

(١) الحديث رواه أحمد فى المسند، والطبرانى فى الكبير (١٩/ ٨٩) عن ابن إسحاق قال: حدثنى معبد بن كعب بن مالك بن أبى كعب بن القين أخو بنى سلمة أن أخاه عبيد الله بن كعب - وكان من أعلم الأنصار - حدثه أن أباه كعب بن مالك - وكان كعب بن مالك ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ - فذكره . وفيه قصة، وسياق الإسناد لأحمد - رحمه الله -.

(٢) قصة اجتماع الكفار برئاسة إبليس - عليه لعنة الله - أخرجها ابن هشام فى السيرة (١/ ٤٨٠، ٤٨٣) عن ابن إسحاق قال: حدثنى من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد بن جبر أبى الحجاج وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - وفيه مبهم وهو شيخ ابن إسحاق.

وكان رسول الله ﷺ حين خرج توجه إلى بيت أبى بكر وأعلمه أن الله أذن له فى الهجرة، فبكى أبو بكر سروراً، وقال: الصحبة يا رسول الله، واستأجر عبد الله بن أريقط، وكان كافراً حين ذاك ليدلهما على الطريق، ومضيا إلى غار بثور - جبل أسفل مكة - وخرجا منه بعد ثلاثة أيام ومعهما الدليل وعامر بن فهر مولى أبى بكر - رضى الله عنه -.

وجاءت قريش فى طلبهم، ولحقهم منهم سراقة بن مالك، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ ودعا على سراقة، فارتطمت فرسه إلى بطنها فى أرض صلبة، فقال: يا محمد خلصنى، ولك أن أرد عنك، فدعا له فتخلص، فنكث وعاد إلى الطلب فدعا عليه، فارتطمت فرسه ثانيًا، فسأله الخلاص، ودعا له فتخلص ورجع عنه، وجعل يقول لكل من لقيه: كفيتم ما هاهنا فحاروا[1].

وقدم رسول الله ﷺ المدينة ظهر يوم الإثنين ثانى عشر شهر ربيع الأول.

سنة إحدى من الهجرة:

وهذا ابتداء التاريخ الإسلامى، ولفظة التاريخ محدثة فى كلام العرب، وهى معرب ماه روز، وعن القولى: تاريخ كل شىء غايته ووقته.

وعن ميمون بن مهران أنه رفع إلى عمر بن الخطاب فى أيام خلافته صك محله شعبان، فقال: أى شعبان، وجمع وجوه الصحابة، واجتمعوا على وضع يعرف به التاريخ، واستحضروا الهرمزان عالم الفرس فقال: إن لنا حسابًا يقال له ماه روز، معناه حساب الشهور، فجعلوا اسمه التاريخ.

وطلبوا وقتًا يجعلونه أولاً لتاريخ دولة الإسلام، فاجتمع رأيهم على أن يكون أول التاريخ عام الهجرة، وقد وضع الملك المؤيد تاريخًا يتضمن ما بين التواريخ المتقدمة وتاريخ الإسلام.

ونزل رسول الله ﷺ بقباء، وأقام بقية يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجد قباء، فهو المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم.

وخرج من قباء يوم الجمعة، فما مر على دار من دور الأنصار إلا عرضوا ناقته

(١) راجع هجرة النبى ﷺ فى: طبقات ابن سعد (١/ ٢٢٧)، دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٤٦٥)، تاريخ الطبرى (١/ ٣٧٤)، سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٤)، التاريخ للذهبى (٢/ ٢١٨).

وقالوا: هلم إلى العدد والعدة، ويقول: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» إلى أن فصلت إلى موضع المسجد الآن فبركت فيه، فنزل عنها، وأقام بمنزل أبى أيوب الأنصارى إلى أن بنى المسجد ومساكنه[١].

وكان رسول الله ﷺ تزوج عائشة قبل الهجرة، فدخل بها بعد الهجرة بثمانية أشهر، وهى ابنة تسع، وكان اتخذ رسول الله ﷺ عليًا أخًا حين آخى بين المهاجرين قبل الهجرة، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وبين أبى بكر وخارجة بن زيد، وبين عمر وعتبان بن مالك، وبين أبى عبيدة وسعد بن معاذ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت، وبين طلحة وكعب بن مالك، وبين سعيد بن زيد وأبى بن كعب.

وأول مولود المهاجرين بعد الهجرة عبد الرحمن بن الزبير[٢]، وأول مولود الأنصار النعمان بن بشير.

وفى سنة اثنتين من الهجرة:

حولت القبلة، وكانت الصلاة إلى بيت المقدس بمكة، وبعد الهجرة بالمدينة ستة عشر شهرًا، وحولت يوم الثلاثاء منتصف شعبان وقيل يوم الإثنين منتصف شعبان فاستقبل المسلمون الكعبة فى صلاة الظهر، وتحول أهل قباء وهم فى الصلاة[٣].

وفيها: فرض صيام شهر رمضان[٤]، وفيها بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش فى ثمانية أنفس إلى بجلة بين مكة والطائف ليعرفوا أخبار قريش، فغنموا عيرًا لقريش، وأسروا اثنين وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون.

---

(١) انظر الدلائل للإمام البيهقى (٢/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤).

(٢) اسمه عبد الله وليس عبد الرحمن كما ذكر هنا ولعله تصحيف، المنتظم (٣/ ٩٦).

(٣) أخرج الحافظ ابن الجوزى فى المنتظم (٣/ ٩٣) عن الحارث بن أبى أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثنا زهير عن أبى إسحاق عن البراء: أن رسول الله ﷺ صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلَّى معه فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قِبَل البيت.

(٤) الخبر رواه ابن سعد فى الطبقات (١/ ٢/ ٨، ٩)، ابن الجوزى عنه فى المنتظم (٣/ ٩٥، ٩٦) عن عائشة، وابن عمر، وأبى سعيد ـ رضى الله عنهم جميعًا ـ.

وفيها: رأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصارى الأذان فى نومه، ونزل الوحى به، وقيل: كان ذلك فى السنة الأولى.

غزوة بدر الكبرى:

وفيها: كانت غـزوة بدر الكبرى[1]، قدم لقـريش قفل من الشام مع أبى سفـيان بن حرب فى ثلاثين رجلاً، فبعث رسول الله ﷺ إليهم المسلمين، وبلغ أبا سفيان، فأرسل إلى قريش فأعلمـهم، فخرج المشركون سراعًا، لم يتـخلف منهم غير أبى لهب، بعث مكانه العاص بن هشام، وكانت عدتهم تسعمائة وخمسين رجلاً، فيهم مائة فرس.

وخرج رسول الله ﷺ لثلاث خلون من رمضان، ومعـه ثلثمائة فارس، وثلاثة عشر رجلاً، سبعة وسبعون من المهاجرين والبـاقى من الأنصار فيهم فرسان، واحدة للمقداد ابن عمرو الكنـدى، والثانية قيل للزبيـر، وقيل لغيره، وكانت الإبل سـبعين يتعـاقبون عليها.

ونزل رسول الله ﷺ الضفـراء ، وجاءته الأخبار بأن العـير قاربت بدراً ، فسـبقهم رسول الله ﷺ ونزل أدنـى ماء من القـوم ببدر، وأشار سـعد ببنـاء العريش، فـعمل، وجلس عليه رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر.

وأقبلت قريش، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم هذه قـريش أقبلت بخيلائها وفخرها، تكذب رسولك، اللهم فنصـرك الذى وعدتنى»[2] وتقارب الفريقان، فـبرز من المشركين عتبة وشيبـة ابنى ربيعة، والوليد بن عتبة، فأمر رسول الله ﷺ أن يبرز لعـتبة عبيدة بن الحارث بن المطلب، ولشيـبة حمزة، وللوليد علىّ - رضى الله عن الصحـابة أجمعين - فقتل حمـزة شيبة، وعلىّ الوليد، وكرا على عتـبة فقتلاه، واحتملا عـبيدة وقد قطعت رجله فمات.

وتزاحفت القـوم ورسول الله ﷺ واقف على العريش يقول: «اللهـم وعدك وعدك» حتى خـفق، ثم أفاق وقال: «أبشـر أبا بكر فقـد أنجز الله لى ما وعـدنى»، وخرج من المعركة يحرّض المؤمنين على القتال، وأخذ حفنة من الحصباء ورمى بها المشركين وقال:

(١) انظر تاريخ الطبرى (٢/ ٤٢١)، سيـرة ابن هشـام (٣/ ٢٥٦)، طبقـات ابن سعـد (٢/ ١/ ٦)، الكامل (٢/ ١٤)، دلائل النبوة (٣/ ٢٥)، البداية والنهاية (٣/ ٢٥٦).

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٣٢١)، (٣/ ٥)، البداية والنهاية (٣/ ٢٦٨).

«شاهت الوجوه» وقال للمؤمنين: «شدوا عليهم»[1]، فحملوا عليهم وانهزمت المشركون.

وكانت الوقعة صبيحة الجمعة سابع عشر رمضان، وأحضر عبد الله بن مسعود رأس أبى جهل بن هشام، فسجد رسول الله ﷺ شكرًا، وكان عُمُر أبى جهل سبعون سنة، واسمه عمرو بن هشام، وقيل: أخوه العاص بن هشام.

ونصر الله المؤمنين بالملائكة المقربين، وجاء الخبر إلى أبى لهب بمكة فمات غبنًا، وكانت عدة قتلى المشركين سبعين رجلاً، والأسرى كذلك، وأمر رسول الله ﷺ بالقتلى فجر منهم إلى القليب أربعة وعشرين من صناديد قريش.

وأقام رسول الله ﷺ بعرصة بدر ثلاثة أيام، وجمع من استشهد من المسلمين أربعة عشر نفرًا، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، ولما وصل إلى الصفراء عائدًا ضرب عنق النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط.

وكانت مدة غيبته عن المدينة تسعة عشر يومًا، وكان عثمان بالمدينة بسبب مرض زوجته رقية.

غزوة قينقاع[2]:

وفيها: كانت غزوة بنى قينقاع، وهم أول يهود نقضوا عهد رسول الله ﷺ، خرج إليهم فى منتصف شوال، وكانوا حلفًا للخزرج، فشفع فيهم عبد الله بن أبى بن سلول المنافق، وألح، فتركهم له، وغنم المسلمون أموالهم، وأجلوا.

غزوة السويق:

وفيها: كانت غزوة السويق، كان أبو سفيان حلف لا يمس طيبًا ولا نساء حتى يغزو محمدًا بسبب قتلى بدر، فخرج فى مائتى راكب وبعير، قدامه رجال إلى المدينة،

---

(١) أخرج القصة البيهقى فى الدلائل (٢/ ٨٠ ـ ٨١) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال: حدثنا يونس عن ابن إسحاق، قال: حدثنا يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: حدثنى الزهرى ومحمد بن يحيى ابن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم من علمائنا ـ فذكر الحديث فى يوم بدر إلى أن قال فذكر القصة، وإسناده صحيح.

(٢) الدلائل للبيهقى (٣/ ١٧٣)، تاريخ الطبرى (٢/ ٤٧٩)، سيرة ابن هشام (٢/ ٤٧)، الكامل لابن الأثير (٢/ ٣٣)، طبقات ابن سعد (١/ ٢/ ٢٩)، البداية والنهاية (٤/ ٣).

فوصلـوا إلى العريض، وقـتلوا رجلاً من الأنصـار، فركب رسول الله ﷺ فى طـلبه، فهرب أبو سفيان بجمعه، وألقوا أجربة السويق، فسميت غزوة السويق.

وفيها: كانت غزوة قرقرة الكدْر[1]، قيل: كانت سنة ثلاث وهى مما يلى جادة العراق إلى مكة، بلغ رسـول الله ﷺ أن بهـا جمـعًا من سليم وغطفـان، فخـرج إليـهم فلم يجدهم، فساق ما بها من النعم وعاد.

وفيها: مات عثمان بن مظعون ـ رضى الله عنه ـ.

وفيها: تزوج علىّ بفاطمة ـ رضى الله عنهما ـ.

وفيها: كانت وقعة ذى قار الذى تقدم ذكرها.

وفيها: هلك أميه بن الصلت الذى رثى قتلى قليب بدر بقصيدته التى منها:

ألا بكيت على الكرام بنى الكرام أولى الممادح
كبكا الحمام على فروع الأيك فى الغصن الجوانح

وفى سنة ثلاث:

من رمضان ولد الحسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ.

وفيها: قتل كعب بن الأشرف اليهودى[2]، قتله محمد بن مسلمة الأنصارى.

غزوة أحد[3]:

وفيها: كانت غزوة أحد، اجتمعت قريش فى سـبعمائة درع، ومائتى فرس، قائدهم أبو سفيان، ومعه زوجته هند بنت عتبة فى خمسة عشر امرأة، يضربن بالدفوف تحرّضن على قتلى بدر، نزلوا بذى الحليـفة نهار الأربعاء رابع شـوال، فرأى رسول الله ﷺ أن يكون قتالهم بالمدينة، وكذلك عبد الله بن أبى بن سلول، ورأى الصحابة الخروج إليهم،

(١) انظر تاريخ الطبرى (٢/ ٤٨٢) الكامل لابن الأثـير، وذكر ابن الجوزى فى المنتظم أنهـا كانت فى سنة ثلاث، والكدر: ماء من مياه بنى سليم.

(٢) انظر سرية قـتل كعب بن الأشرف فـى: تاريخ الطبرى (٢/ ٤٨٧)، سيـرة ابن هشام (٢/ ٥١)، الكامل لابن الأثير (٢/ ٣٨)، البداية والنهـاية (٤/ ٥)، وذكرها الحافظ ابن كثير بطول فـراجعها منه.

(٣) طبقـات ابن سعد (١/ ٢/ ٢٥)، تاريخ الطبـرى (٢/ ٤٩٩)، البداية والنهاية (٤/ ٩)، سـيرة ابن هشـام (٢/ ٦٠)، دلائل النبـوة (٣/ ٢٠١) الكامل لابن الأثيـر (٢/ ٤٤)، صـحيح الـبخـارى (٥/ ٩٣)، مسلم (١٢/ ١٤٧) مع النووى.

فخـرج رسول الله ﷺ فى ألف من الصحـابة، فلما صار بين المدينة وأحـد انخزل عنه عبد الله بن أبى بن سلول فى ثلث الناس وقال: أطاعهم وعـصانى، علام نقتل أنفسنا، ورجع بمن معه من أهـل النفاق، فنزل رسول الله ﷺ الشعب من أحـد، وجعل ظهره إليه، وكانت الوقعة نهار السبت، وكانت عدة المسلمين سبعمائة فى مائة درع، وفرسين لرسـول الله ﷺ ولأبى بردة ـ رضى الله عنه ـ، ولواء رسـول الله ﷺ مع مصـعب بن عمير، وعلى مـيمنة المشركين خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبى جهل، ولواءهم مع بنى عبد الدار.

فالتقى الفريقان، وقاتل حمزة قتـالاً شديدًا، فقتل أرطأة حامل لواء المشركين، وقتل سباعًا، فبينما هو مـشغول بقتله غدره وحشى بحربة، فقتله، وقـتل مصعب بن عمير، فأعطى رسـول الله ﷺ الراية لعلى بن أبى طالب، وانهزمت المشركون، فطـمعت رماة المسلمين فى الغنيمة وكانوا خمسين رجلاً، وخالفوا رأى النبى ﷺ، ففارقوا المكان الذى قاله لهم رسول الله ﷺ «لا تفارقوه»، فأتى خـالد بن الوليد فى خيل المشركين، ونادى الصارخ: إن محمدًا قتل، فانكشفت المسلمون، وأصاب منهم المشركون.

واستشـهد من المسلمين سبـعون رجلاً، وشج رسول الله ﷺ عتـبة بن أبى وقاص، فقال رسـول الله ﷺ: «كيف يفلح قوم شـجوا وجه نبيـهم وهو يدعوهم إلى ربهم»(١) ومثلت هند بشـهداء المسلمين، واتخـذت من آذانهم وأنوفهم قلائد وبقرت بطن حـمزة ولاكته، فلم تسغه.

وقتل من المشركـين اثنان وعشرون رجلاً، وانصـرف أبو سفيان بمن مـعه وقال: يوم بيوم، الحرب سجال، والموعد العام القابل.

وأمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجوه ببرده، وصلى عليه، وكبر سبع تكبيرات، وكلما جيئ بشهيد صلى عليه مع حمزة، حتى صلى على حمزة ثنتين وسبعين صلاة، ثم دفن حمـزة بموضعـه، وأمر أن تدفن الشـهداء حيث صـرعوا، وكـان قد نقل بعـضهم إلى المدينة.

---

(١) رواه البخـارى (٥/ ١٢٧)، مسلم فى الجهاد باب ٢٧ رقم ١٠٤، أحـمد فى المسند (٣/ ٢٠٦)، ابن ماجه (٤٠٢٧).

غزوة بنى النضير[1]:

فى سنة أربع:

كانت غزوة بنى النضير من اليهود، حاصرهم رسول الله ﷺ فى ربيع الأول، ونزل تحريم الخمر. وهو يحاصرهم، ونزلوا بعد ستة أيام على أن لهم ما حملت الإبل والباقى لرسول الله ﷺ، فقسمه على المهاجرين دون الأنصار، إلا سهل بن حنيف، وأبا دجانة منهم؛ فإنهما شكوا فقراً.

غزوة ذات الرقاع[2]:

وفيها: كانت غزوة ذات الرقاع، غزا رسول الله ﷺ نجداً، فلقى جمعًا من غطفان، فتقارب الفريقان، ولم يقع قتال، وذلك فى جمادى الأولى، سميت غزوة الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم.

وفى شعبان منها: خرج رسول الله ﷺ لبدر الموعد، وهى بدر الصغرى، وولد الحسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ.

غزوة الأحزاب، وهى غزوة الخندق[3]:

وفى سنة خمسة:

كانت غزوة الأحزاب، وهى غزوة الخندق بُلِّغَ رسول الله ﷺ بحرب قبائل العرب،

---

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٢/ ٤٠) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٠) تاريخ الطبرى (٢/ ٥٥٠)، الكامل لابن الأثير (٢/ ٦٤)، البداية والنهاية (٤/ ٧٤)، دلائل النبوة (٣/ ١٧٦)، صحيح البخارى (٥/ ٨٨).

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١/ ٤٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٣/ ٢٠٣)، تاريخ الطبرى (٢/ ٥٥)، الكامل (٢/ ٦٦)، دلائل النبوة (٣/ ٣٦٩)، البداية والنهاية (٤) ٨٣)، المنتظم لابن الجوزى (٣/ ٢١٤)، وذكر أنها كانت فى سنة خمس. واختلف فى سبب تسميتها ذات الرقاع، فذكر الطبرى أنها سميت بذلك؛ لأن الجبل الذى سميت به ذات الرقاع جبل به سواد وبياض وحمره، فسميت الغزوة بذلك الجبل، وكذا ذكر ابن الجوزى، وذكر ابن هشام أنها سميت بذلك؛ لأنهم رقعوا فيها راياتهم، ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع. والصواب أنه سميت بذلك لأن الصحابة لفوا أرجلهم بالخرق فسميت ذات الرقاع، رواه البخارى فى صحيحه.

(٣) انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١/ ٤٧)، سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٤)، تاريخ الطبرى (٢/ ٥٦٤)، الكامل (٢/ ٧٠)، البداية والنهاية (٤/ ٤٢)، صحيح البخارى (٥/ ١٧)، دلائل النبوة (١٣/ ٣٩٢).

فحفر الخندق، قيل: بإشارة سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ وهو أول مشهد شهده مع رسول الله ﷺ.

وظهر له ﷺ عدة معجزات، منها ما رواه جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ: أنه اشتدت عليه كدية، أى صخرة، فدعا رسول الله ﷺ بماء، وضعه فى فيه، ثم نضحه على الصخرة، فانهالت تحت المساحى[1].

ومنها أن ابنة أخت النعمان بن بشير بعثتها أمها بغداء ابنها بشير وخالها عبد الله بن رواحة، وهو شىء قليل من التمر، فمرت برسول الله ﷺ فقال: «هات ما معك» قالت: فصببت ذلك فى كفيه فما امتلأتا، فدعا بثوب ورد ذلك فيه، ثم قال لإنسان: «اصرخ فى أهل الخندق أن هلموا إلى الغداء»، فجاءوا، وجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب[2].

ومنها ما رواه جابر من شبع جميع أهل الخندق من شويهة كان صنعها له وحده[3].

ومنها ما رواه سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ أنه ﷺ ضرب بمعول على صخرة، فلمعت بكل ضربة لمعة، فقال: «فتح الله على بالأولى اليمن، وبالثانية الشام والمغرب، وبالثالثة المشرق»[4].

وفرغ رسول الله ﷺ من الخندق، وأقبلت قريش فى أحابيشها، ومن معها من كنانة فى عشرة آلاف، وغطفان، ومن تبعها من أهل نجد، ونقض بنو قريظة العهد، وصاروا مع الأحزاب، وعظم الخطب، وظهر النفاق.

---

(١) أورده الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٤/٩٨) وقال: هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعًا عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ.

(٢) قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٤/١٠١): هكذا رواه ابن إسحاق وفيه انقطاع. وهكذا رواه الحافظ البيهقى من طريقه ولم يزد

(٣) قال الحافظ ابن كثير: وقد روى محمد بن إسحاق هذا الحديث وفى سياقه غرابة من بعض الوجوه، فقال: حدثنى سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله ـ فذكره، ثم قال: والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحاق عنه عن جابر مثله سواء.

(٤) قال الحافظ ابن كثير: قال البيهقى: وهذا الذى ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة فى مغازية، وذكره أبو الأسود عن عروة. ثم رواه البيهقى من طريق محمد بن يونس الكديمى وفى حديثه نظر.

وأقام المشركون بضعًا وعشرين ليلة ورسول الله ﷺ يقابلهم ولا قتال بينهم غير المراماة بالنبل، ثم خرج عمرو بن عبدود، من ولد لؤى بن غالب يريد المبارزة، فبرز إليه علىّ، فقال عمرو: يا ابن أخى والله ما أريد أن أقتلك، فقال: والله لكنى أحب أن أقتلك، فحمى عمرو واقتتلا، فسمع المسلمون التكبير فعرفوا أن عليًا قتله، فلما ارتفع الغبار إذا علىّ على صدر عمرو وهو يذبحه.

وأرسل الله ريح الصبا على قريش، فأكفأ قدورهم، ورمت خيامهم، وأوقع الله بينهم الخلاف فتفرقوا، ورحلت قريش، فبلغ غطفان فرحلوا، وأصبح رسول الله ﷺ مؤيدًا منصورًا، ورجع من الخندق إلى المدينة، فلما كان الظهر أتاه جبريل ﷺ، وأمره بالمسير إلى قريظة، فنادى منادى رسول الله ﷺ: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلى العصر إلى فى بنى قريظة.

وقدم عليًا بالراية، ثم نزل رسول الله ﷺ على نبر من أنبارهم، وتلاحق الناس، وحاصرهم خمسًا وعشرين يومًا، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فسأل الأوس رسول الله ﷺ فيهم، طمعًا أن يتركهم لهم، كما ترك بنى قينقاع لعبد الله المنافق، فقال لهم: «ألا ترضون بحكم سعد بن معاذ؟» فقالوا : نعم هو سيدنا، فأمر بسعد، وكان قد جرح فى الخندق، فى أكحله، فجاءوا به على حمار، فكان رجلاً جسيمًا، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا لسيدكم» قيل: عمَّ الناس، وقيل: خص الأنصار، فقاموا إليه، وقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد حكمك فى مواليك، فقال: أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذرارى والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات»[1].

ورجع إلى المدينة، وحفرت لهم خنادق، فضربت أعناقهم فيها، وكانوا سبعمائة رجل يزيدون أو ينقصون قليلاً، وقسم السبايا، وأخرج الخمس، واستبقى لنفسه ريحانة بنت عمرو، وبقيت فى ملكه إلى أن مات ﷺ.

وفى السنة السادسة:

كانت غزوة ذى قرد[2]، أغار عيينة بن حصين على لقاح رسول الله ﷺ، فخرج إليه رسول الله ﷺ، ووصل ذى قرد موضع على ميلين من المدينة، فاستعيد بعضها، وعاد

(١) قال الحافظ ابن كثير: ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها.

(٢) تاريخ الطبرى (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٨)، الكامل (٢/ ٧٨ ـ ٨٠).

بعد خمسة أيام.

غزوة بنى المصطلق[١]:

وفيها: كانت غزوة بنى المصطلق فى شعبان، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار، لقيهم رسول الله ﷺ على ماء يسمى المريسيع، ووقع القتال، وانهزم بنو المصطلق، فقتل وسبى ووقعت جويرية بنت قائدهم لثابت بن قيس، فكاتبته على نفسها، فأدى رسول الله ﷺ عنها وتزوجها، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، فأعتقوا من أجلها أسرى كثيراً، وكانت عظيمة البركة على قومها.

وفى هذه الغزوة: قال عبد الله بن أبى بن سلول: ليخرجن الأعز منها الأذل، ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ وكان لعبد الله ولد اسمه عبد الله، حسن الإسلام، فقال: يا رسول الله ائذن لى فأحضر إليك برأس أبى، فقال: «تحسن إليه».

وفيها: قال أهل الإفك ما قالوا، وهم مسطح، وحسان، وعبد الله بن أبى بن سلول، وأم حبيبة بنت جحش، رموا السيدة المبرأة عائشة ـ رضى الله عنها ـ بصفوان بن المعطل، فأنزل الله براءتها، وجلد رسول الله ﷺ الكل: إلا عبد الله، وقيل: إن حسانًا لم يكن من أهل الإفك[٢]، والله أعلم.

وفيها: نزلت آية التيمم، وقيل فى الرابعة[٣].

وفى هذه السنة: خرج رسول الله ﷺ فى ذى القعدة معتمراً لا يريد حربًا فى ألف

---

(١) ذكر قصة غزوة بنى المصطلق رواه البخارى (٥/ ١٣)، ومسلم فى الجهاد (١٧٣٠)، أحمد (٢/ ٣، ٣٢، ٥١).

(٢) خبر الإفك رواه البخارى (٥/ ١٩٨ ١ ٢)، (٨/ ٣٤٣، ٣٦٧)، ومسلم (٢٧٧٠)، الترمذى (٣١٧٩)، ابن هشام (٢/ ٢٩٧ ـ ٣٠٧).

(٣) الحديث أخرجه البخارى (١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨) ، مسلم (٣٦٠) عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذى قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء.

وليس معهم ماء. قالت عائشة: فعاتبنى أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى ولا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذى، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فقال أسيد بن خضير: ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر. قالت: وبعثنا البعير الذى كنت عليه فإذا العقد تحته.

وأربعمائة من المهاجرين والأنصار، فلما وصل الحديبية أسفل مكة نزل بها، فقالوا: نزلنا على غير ماء، فأخرج سهمًا من كنانته وأمر رجلاً أن يغرسه ببعض تلك القلب، فجاش الماء حتى صرف الناس عنه، فأرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفى سيد أهل الطائف فقال: إن قريشًا لبسوا جلود النمور، وعاهدوا الله ألا تدخل مكة عنوة أبدًا، فبعث عثمان بن عفان، فأعلمهم أنه لم يأت لحرب، بل زائرًا معظمًا لهذا البيت، فقالوا لعثمان: إن شئت الطواف فطف، فقال: لا أفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ، فأمسكوه وحبسوه.

فبلغ رسول الله ﷺ أنهم قتلوا عثمان، فقال: لا نبرح حتى نناجزهم، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وبايع المسلمون كلهم إلا الجد بن قيس استتر براحلته، ثم بلغ رسول الله ﷺ أن عثمان لم يقتل، فكانت قصة الصلح، صالح رسول الله ﷺ قريشًا على وضع الحرب عشر سنين، ومن أحب أن يدخل فى عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش وعقدهم فعل، وشهد فى عقد الصلح جماعة من المسلمين والمشركين[1].

ونحر رسول الله ﷺ هديه، وحلق رأسه، وفعل ذلك الناس معه، وقال: «يرحم الله المحلقين»، وبعد ثلاث قال: «والمقصرين»[2]. ثم قفل إلى المدينة.

وفى سنة سبع:

خرج رسول الله ﷺ فى منتصف المحرم إلى خيبر، وفتحها حصنًا حصنًا، وأخذ من سباياها لنفسه صفية بنت حُيىّ بن أخطب، فتزوجها، وجعل عتقها صداقها، وهذا من خصائصه.

وفيها: ظهرت مزية علىّ، وأن الله يحبه، وقتل مرحب، وكان الفتح على يده[3]،

---

(١) أخرجه البخارى (٧/ ٤٨، ٤٩)، أحمد (١/ ٥٩)، مسلم (١٨٥٦).

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٥٣)، (٢/ ١٦)، البيهقى فى السنن (٥/ ١٣٤)، وفى الدلائل (٤/ ١٥١) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٠٦) وفيها قال قال مرحب:

أنا الذى سمتنى أمى مرحب   شاكى السلاح بطل مُجرب

إذا الحروب اقبلت تلهّب

فبرز إليه على بن أبى طالب وهو يقول:

وترس بباب عجزت ثمانية أنفس أن يقلبوه.

ولما فرغ من خيبر افتتح وادى القرى عنوة، فلما قدم المدينة دخل بقية المهاجرين من الحبشة، منهم جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقال رسول الله ﷺ: «ما أدرى بأيهما أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»[1].

وقدمت معهم أم حبيبة بنت أبى سفيان، كان خطبها رسول الله ﷺ بالحبشة حين تنصر زوجها الذى هاجرت معه، وأقام بالحبشة هو وعبد الله بن جحش، فأمهرها النجاشى عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وعقد عقدها عنده ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص، ولما بلغ أبا سفيان ذلك فقال: ذلك الفحل الذى لا يقدع أنفه.

وفى غزوة خيبر: أهدت إلى رسول الله ﷺ زينب اليهودية شاة مسمومة، فأخذ رسول الله ﷺ منها قطعة ولاكها ولفظها وقال: «تخبرنى هذه الشاة أنها مسمومة»[2].

وفى هذه السنة: بعث رسول الله ﷺ رسله وكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فأرسل إلى «كسرى أبرويز» عبد الله بن حذافة، فمزق الكتاب[3]، وأرسل إلى باذان عامله باليمن، فأرسل باذان إلى رسول الله ﷺ رجلين قد حلقا لحيتهما فقالا: إن باذان يشير عليك بالمسير إلى كسرى وإلا يهلكك، فأخرا إلى الغد، ثم أصبح رسول الله ﷺ، فدعا بهما وقال: «إن ربى أخبرنى أن كسرى أبرويز قتله ابنه شهرويه، وأن ملكى سيعلوا على ملك كسرى وقيصر، فارجعا وأمرا باذان أن يسلم».

= أنا الذى سمتنى أمى حيدره   كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

(١) رواه ابن أبى شيبة (١٢/ ١٠٦)، ابن سعد (٢/ ١/ ٧٨)، الطبرانى فى الكبير (٢/ ١٠٧)، الحاكم (٢/ ٦٢٤)، وإسناده فيه ضعف

(٢) أخرجه البخارى (١٠/ ٢٠٩، ٢١٠)، احمد (٢/ ٤٥١) من حديث أبى هريرة، أبو داود (٥٠٩)، الدارمى (١/ ٤٢٣).

(٣) وهذا كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى كما أخرجاه فى الصحيحين:
«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أدعوك برعاية الله فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس» فلما قرىء عليه الكتاب مزقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مزق الله ملكه».

فرجعا وأخبراه، وجاءه كتاب شهرويه بقتل أبيه، فأسلم باذان، وخلق كثير من فارس.

وأرسل دحية إلى قيصر ملك الروم، فأكرمه ورده ردًا حسنًا.

وأرسل حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك مصر فأكرمه وأرسل هدية لرسول الله ﷺ أربع جوارى، وقيل جاريتين إحداهما مارية[١]، وبغلة اسمها دُلدل، وحمارًا اسمه يعفور.

وكان أرسل إلى النجاشى عمرو بن أمية قبل كتاب رسول الله ﷺ وأسلم على يد جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ.

وأرسل شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى، فلما قرأ الكتاب قال: ها أنا سائر إليه، وقال رسول الله ﷺ: «باد ملكه».

وأرسل سليط بن عميرة إلى هودة ملك اليمامة، وكان نصرانيًا فقال: إن جعل الأمر إلىّ من بعده سرت إليه وأسلمت ونصرته، وإلا حاربته، فقال رسول الله ﷺ «لا ولا كرامة، اللهم اكفنيه»، فمات.

وأرسل العلاء بن الحضرمى إلى ملك البحرين المنذر بن ساوى، فأسلم هو وجميع عرب البحرين.

وخرج رسول الله ﷺ فى ذى القعدة لعمرة القضاء، وساق معه ستين بدنة، وأخرجت قريش له غنمًا، واصطفوا عند دار الندوة، فدخل المسجد الحرام وطاف بالبيت، ورمل فى أربعة أشواط، وسعى بين الصفا والمروة، وتزوج فى سفره هذا ميمونة بنت الحارث، وهو محرم، زوجها منه عمه العباس، ودخل بها بسرف[٢].

وفى سنة ثمان:

قدم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة، وأسلموا، وقيل: بل كان ذلك قبل عمرة القضاء.

---

(١) فى رواية البيهقى فى الدلائل أن الأخرى وهبها رسول الله ﷺ لجهم بن قيس العبدى، فهى أم زكريا بن جهم الذى كان خليفة عمرو بن العاص على مصر.

واسمه المقوقس جريج بن مينا القبطى، كما ذكر الحافظ ابن كثير فى السيرة.

(٢) بل تزوجها وهو حلال كما هو ثابت، وهو الراجح فى المسألة.

وفى جمادى الأول منها: كانت غزوة مؤتة، بعث رسول الله ﷺ ثلاثة آلاف، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة، وقال: «إن قتل فالأمير جعفر بن أبى طالب، فإن قتل فعبد الله ابن رواحة»(١).

فاجتمعت عليهم الروم والعرب المتنصرة فى نحو مائة ألف، فالتقوا، فقتل زيد، فأخذ الراية جعفر، فقتل، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فقتل، فاتفق الناس على خالد ابن الوليد، فأخذ الراية ورجع بالناس إلى المدينة، واختلف الناس على من كانت الهزيمة، وفى البخارى: إنما كانت على الروم.

وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ حين رجع رسوله الذى كان أرسله إلى قيصر قتله عمرو بن شرحبيل، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره.

وفى هذه السنة: كان نقض الصلح مع قريش، وذلك أن بنى بكر كانوا فى عهد قريش، فقتلوا من خزاعة، وكانوا فى عقد رسول الله ﷺ، وأعانهم على ذلك قريش، فانتقض بذلك عهد قريش، فقدم أبو سفيان بن حرب ليجدد العهد، ودخل على ابنته أم حبيبة زوج النبى ﷺ، وأراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ فطوته عنه، وقالت: هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت نجس مشرك.

ثم أتى النبى ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئًا، وأتى كبار الصحابة فكلمهم فلم يردوا عليه شيئًا ورد خائبًا، وأخبر قريشًا.

وأراد رسول الله ﷺ أن يبغت قريشًا، فكتب حاطب بن أبى بلتعة إليهم كتابًا مع سارة مولاة بنى هاشم يعلمهم الخبر، فأطلع الله رسوله على ذلك، فأرسل عليّ بن أبى طالب والزبير بن العوام ـ رضى الله عنهما ـ فأحضرا الكتاب، وحضر حاطب واعتذر، وقبل منه رسول الله ﷺ، ومنع عمر من ضرب عنقه، وقال: «ما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(٢).

ثم خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من شهر رمضان فى عشرة آلاف، فلما قارب مكة أحضر العباس أبا سفيان بن حرب، فأمنه رسول الله ﷺ، ثم أحضره بالغداة

---

(١) أخرجه البخارى (٧/ ٣٩٣) عن ابن عمر، أحمد (٥/ ٢٩، ٣٠٠، ٣٠١) عن أبى قتادة.

(٢) رواه أحمد (١/ ٧٩)، البخارى (٤/ ٧٢)، مسلم (٧/ ١٦٨) مع النووى، أبو داود فى الجهاد (١/ ٢٦٢)، الترمذى (٩/ ١٩٨) مع التحفة.

وقال: «يا أبا سفيــان أما آن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟» قال: بلى، قال: «ويحك، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟» قال: بأبى أنت وأمى، أمـا هذه ففى النفس منها شىء، فقال له العبـاس: ويحك، تشهد قبل أن تضرب عنقك، فتـشاهد، وأسلم معه حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء.

وأمر النبى ﷺ الزبير بن الـعوام أن يدخل مكة ببعض الجيوش من كُدًا، وأمـر سعد ابن عبـادة سيد الخـزرج أن يدخل من ثنية كُدًا، وأمـر عليًا أن يأخذ الراية من سـعد، ويدخل بها لما بلغـه أن سعدًا قال: اليـوم يوم الملحمة، اليـوم تستحل الحرمـة، وقيل: أخذها منه وأعطاها ابنه قيسًا، وقيل: بل أعطاها الزبير، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة، ونهى عـن القتال، فلم يقـاتل إلا خالد بن الوليد، لقـيه جمـاعة من قريش فرموه بالنبل، فقاتلهم، وقتل منهم ثمانية وعشرين رجلاً.

وكان فتـح مكة يوم الجمعة لعـشر بقين من رمضـان، قال الشافعى ـ رحـمه الله ـ: فتحت مكة صلحًا، وقال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ قهرًا بالسيف، وهو قول جمهور أهل العلم.

وكان رسول الله ﷺ قـال: «من دخل دار أبى سفيان فهـو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن» فلما دخل رسول الله ﷺ مكة قال لقريش: «ما ترونى صـانعًا بكم؟» قالوا: نراك خير آخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»(1) فطاف رسول الله ﷺ بالبيت سبعًا على راحلته، واستلم الحجر بمحجن كـان فى يده، ودخل الكعبة، وطمس ما بها من الصـور، وصلى فيها، وأهدر دم ستة رجال:

أولهم: عكرمة بـن أبى جهل، فاسـتأمنت له زوجتـه أم حكيم فآمنه وقـدم عكرمة وأسلم.

وثانيهم: هبار بن الأسود فلم يوجد يوم الفتح، ثم أسلم بعد ذلك.

وثالثهم: عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخو عثمان بن عفان، وسأل فيه رسول الله

---

(1) رواه مسلم فى الجهاد بـاب ٣١، ٨٤، ٨٦، أحمد (٢/ ٢٩٢، ٥٣٨)، أبو داود فى الخراج باب ٢٥، البـيهـقى (٦/ ٣٤)، (٩/ ١١٧، ٨٢، ١٧١)، الطبـرانى فى الكبـيـر (٨/ ٩)، الدارقطنى (٣/ ٦٠)، البيهقى فى الدلائل (٥/ ٣٢، ٣٧، ٥٦).

ﷺ فسكت طويلاً ثم آمنه فأسلم، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إنما صمتُّ ليقوم عليه أحد فيقتله» فقالوا: هلا أشرت إلينا؟، فقال: «إن الأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين».

وهذا عبد الله كان أسلم قبل الفتح وكتب الوحى، وكان يبدل القرآن، ثم ارتد وعاش إلى خلافة عثمان، وولاه مصر.

ورابعهم: مقيس بن ضبابة قتله نميلة بن عبد الله الليثى الأنصارى يوم الفتح، وكان قد قتل الأنصارى الذى قتل أخاه خطأ، وارتد.

وخامسهم: عبد الله بن خطل، كان قد أسلم ثم قتل مسلمًا وارتد.

وسادسهم: الحويرث بن نفيل، كان يؤذى رسول الله ﷺ ويهجوه، فلقيه على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فقتله.

وأهدر دم أربع نسوة:

إحداهن: هند زوج أبى سفيان، أم معاوية التى أكلت من كبد حمزة، وتنكرت مع نساء قريش وبايعت رسول الله ﷺ، فلما عرفها قالت: أنا هند، فاعف عما سلف، فعفى عنها، ولما جاء وقت الظهر يوم الفتح أذن بلال على ظهر الكعبة، فقال الحارث ابن هشام: ليتنى مت قبل هذا، وقال عتاب بن أسيد: لقد أكرم الله أبى، فلم ير هذا اليوم، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وذكر لهم ما قالوه، فقال الحارث بن هشام: أشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد فبقولى أخبرك.

ومن النساء المهدورات الدم أيضًا سارة مولاة بنى هاشم التى حملت كتاب حاطب.

غزوة حنين[1]:

وفى هذه السنة: كانت غزوة حنين ـ وادٍ بينه وبين مكة ثلاثة أميال ـ وذلك أنه لما فتحت مكة تجمعت هوازن بحريمهم وأموالهم، ويقدمهم مالك بن عوف النصرى، وانضمت إليهم نصف أهل الطائف، وبنو سعد بن بكر، ومع بنى جشيم منهم دريد بن الصمة، وكان شيخًا فانيًا جاوز المائة، وأنشد:

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١/ ١٠٨)، تاريخ الطبرى (٣/ ٧١)، الكامل (٢/ ١٣٥)، سيرة ابن هشام (٢/ ٤٣٧)، البداية والنهاية (٤/ ٣٢٢).

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها وأضع

فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماعهم خرج فى ست من شوال وكان يقصر الصلاة بمكة إلى حين خرج فى اثنى عشر ألفًا، ألفان من أهل مكة والعشرة التى كانت معه.

وكان صفوان بن أمية مع رسول الله ﷺ ولم يكن أسلم، كان سأل أن يمهل بالإسلام شهرين، فأجيب، واستعار منه رسول الله ﷺ مائة درع.

وحضرها مع رسول الله ﷺ أيضًا جماعة من المشركين وانثنى رسول الله ﷺ إلى حنين والمشركون بأوطاس، وركب رسول الله ﷺ بغلته الدلدل وقال شخص من المسلمين لما رأى كثرة المسلمين: لن يُغلب هؤلاء من قلة، فلما التقى الجمعان انكشفت المسلمون، لا يلوى أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمن فى نفر من المهاجرين والأنصار، وأهل بيته، وأظهر أهل مكة ما فى نفوسهم من الحق فقال أبو سفيان لا ينتهى هزيمتهم دون البحر، وكانت الأزلام معه فى كنانته.

وصرخ كلدة: الآن بطل السحر، وهو أخو صفوان بن أمية لأمه وكان صفوان يومئذ مشركًا، فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك؛ لأن يرمينى رجل من قريش أحب إلى من أن يرمينى رجل من هوازن.

واستمر رسول الله ﷺ ثابتًا، وتراجع المسلمون واقتتلوا قتالاً شديدًا، وقال رسول الله ﷺ: «ألبدى ألبدى» فوضعت بطنها على الأرض، وأخذ حفنة تراب ورمى بها فى وجه المشركين، فكانت الهزيمة، ونصر الله المسلمين، وأثخنوا فى المشركين قتلاً وأسرًا، وكان فى الأسر حليمة مرضعة رسول الله ﷺ وابنتها الشيماء فعرفهما حين أرته عضته ﷺ فى ظهرها، وبسط لها رسول الله ﷺ رداءه، وردها إلى قومها بشوالها.

ولما انكسرت ثقيف انهزمت إلى الطائف فتبعهم رسول الله ﷺ، فأغلقوا باب مدينتهم، فحاصرهم سبعًا وعشرين يومًا بالمنجنيق، ثم قطع أعناق بنى ثقيف وارتحل عنهم حتى نزل بالجعرانة، وكانت غنائم هوازن بها، فدخلوا عليه، فرد عليهم نصيبه ونصيب بنى المطلب لما أنشد زهير بن صرد قصيدته التى أولها:

امنن علينا رسول الله فى كرم فإنك المرء يرجى وينتظر[1]

ورد للناس أبناءهم ونساءهم.

---

(١) فى الطبرى والمنتظم: فإنك المرء نرجوه وندخر.

ثم لحق مالك بن عوف برسول الله ﷺ فأسلم، وحسن إسلامه، واستعمله على قومه، وعلى من أسلم من تلك القبائل.

وكان عدة السبى الذى أطلقه رسول الله ﷺ سته آلاف نسمة، ثم قسم الأموال، وكان عدة الإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف، والفضة أربعة آلاف أوقية.

وأعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم مثل أبى سفيان وابنه يزيد ومعاوية، والأقرع ابن حابس التميمى، وسهل بن عمر، وعكرمة بن أبى جهل، وعمه الحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، هؤلاء من قريش، وعيينة بن حصين الذبيانى، ومالك بن عوف مقدم هوازن، وأمثالهم لكل واحد من أشرافهم مائة من الإبل، ومن ذويهم أربعين أربعين، وأعطى العباس بن مرداس أباعر لم يرضها فأنشد:

فأصبح نهبى ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وما كنت دون امرىء منهما ومن يضع القوم لم يرفع
وما كان حصين ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع

فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا عنى لسانه»، فأعطى حتى رضى.

ثم اعتمر رسول الله ﷺ، وعاد إلى المدينة، واستخلف عليها عتاب بن أسيد، وعمره دون عشرين سنة، وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس، وكان إسلام عتاب يوم الفتح وحسن إسلامه.

وفيها فى شوال: سرية الطفيل بن عمرو الدوسى إلى ذى الكفين. منهم عمرو بن حميد.

وبعد الانصراف من حنين كانت غزوة الطائف[1]،ولم يفتح حينئذ، فخرج رسول الله ﷺ عنها إلى الجعرانة، وبها قسم غنائم حنين كما تقدم.

وفيها: صلى ﷺ على النجاشى حين رفع له.

وفى ذى الحجة من هذه السنة: ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ.

وفيها: توفيت زينب بنت النبى ﷺ، وقيل: فى التى قبلها.

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١/ ١١٤)، تاريخ الطبرى (٣/ ٨٢)، سيرة ابن هشام (٢/ ٤٧٨).

وفيها: مات حاتم الطائى[١].

وفى سنة تسع:

قدم عروة بن مسعود الثقفى وأسلم، وسأل أن يكون داعيًا قومه إلى الإسلام، فقال له رسول الله ﷺ: «إنهم قاتلوك» فاختار المضى، فمضى إليهم بالطائف فقتلوه.

وفيها: قدم كعب بن زهير، الذى كان رسول الله ﷺ أهدر دمه بسبب أبيات قالها، فكتب إليه أخوه ينصحه، ويأمره بالقدوم على رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل من جاءه تائبًا فقدم وامتدح رسول الله ﷺ بقصيدته المشهورة التى أولها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

فأسلم، وأعطاه رسول الله ﷺ بردته، فاشتراها معاوية من أهل كعب بأربعين ألفًا، وتوارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون، حتى أخذها التتر.

وحين بلغه ﷺ أن الروم قد جمعوا جموعًا كثيرة، وأن هرقل رزق أصحابه لسنة، وأجلب معه لخم، وجذام، وعاملة، وغسان وقدموا مقدمًا بهم إلى البلقاء.

غزوة تبوك[٢]:

وفى رجب من هذه السنة: كانت غزوة تبوك، فأعلم رسول الله ﷺ مقصدهم وأنه يريد غزو الروم، وكان قبل ذلك يورى بغيره، وكان الحر شديدًا، والناس فى عسرة، والبلاد فى جدب، ولذلك سمى جيش العسرة.

وأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالنفقة، فأنفق أبو بكر جميع ماله، وأنفق عثمان نفقة عظيمة، قيل: كانت ألف دينار، وثلثمائة بعير طعامًا، روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يضر عثمان ما صنع بعد هذا اليوم»[٣].

---

(١) أهمل المصنف خلقًا ممن توفوا فى هذه السنة وهم: جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، سراقة بن عمرو بن عطية، شهر براز ملك الفرس، عبد الله بن رواحة بن ثعلبة أبو محمد، عبادة بن قيس بن عنبسة عم أبى الدرداء، عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب، ذكرهم ابن الجوزى فى المنتظم (٣/٣٤٦ ـ ٣٥١).

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٢/١/١١٨، ١١٩)، تاريخ الطبرى (٣/ ١٠٠)، ابن هشام (٢/ ٥١٥)، الكامل (٢/ ١٤٩)، البداية والنهاية (٥/ ٢)، ابن سيد الناس (٢/ ٢١٥)، شرح المواهب (٣/ ٦٢ ـ ٨٩).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٦٣)، الترمذى (٣٧٠٢) من حديث عبد الرحمن بن سمرة وسنده حسن. =

وتخلف عبد الله بن أبى المنافق، والثلاثة الـذين تيب عليهم من الأنصار: كعب بن مالك، وفزارة بن الربيع، وهلال بن أميـة، واستخلف رسول الله ﷺ عليًا على أهله، فقـال المنافقـون: إنما خلفه اسـتقـلالاً له، فلحق برسـول الله ﷺ فقال: «كـذبوا، إنما خلفتك لما ورائـى فارجع، أما ترضى أن تكون منى بمنزلـة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى»[1].

وكان مع رسـول الله ﷺ ثلاثون ألفًا فى عـشرة آلاف فارس، ووجـدوا فى الطريق شـدة من العطش، ونهاهم رسـول الله ﷺ عن ورود ماء الحـجر، وهى أرض ثمـود، وأمرهم أن يهريقوا ماءه، وأن يطعموا عجينة الإبل.

ووصل إلى تبوك وأقام بها عشرين ليلة، وقدم عليه بها يوحنا صاحب أيلة، فصالحه على الجزية[2]، فبلغت جزيتهم ثلثمائة دينار، وصالح أهل أذرُح على مائة دينار فى كل سنة.

وأرسل خالـد بن الوليد - رضى الله عنه - إلى أكـيدر بن عـبد الملك صـاحب دومة الجندل، وكـان نصرانيًا من كندة، فـأخذه خـالد وقـتل أخاه، وأخـذ منه ديباجًا لعـاد مخصـوصًا بالذهب، فجعل المسلمون يتـعجبون منه، وقدم بأكـيدر إلى رسول الله ﷺ فحقن دمه، وصالحه على الجزية.

وعاد رسـول الله ﷺ إلى المدينة فى شعبـان، وقدم عليه ثقـيف فى شهر رمـضان، وسألوا الإسـلام، وأن يعفوا مـن الصلاة، ويترك لهم اللات والعـزى ثلاث سنين، ثم نزلوا إلى شهـر، فأبى رسـول الله ﷺ وقال: «لا خيـر فى دين لا صلاة فـيه»[3]، ثم

= وأخرجه التـرمذى (٣٧٠١) من حديث عبد الرحمن بن حـباب - رضى الله عنه - بلفظ: «ما على عثمان ما فعل بعد هذه»، وفى إسناده فرقد وهو مجهول كما قال الحافظ فى التقريب.

(١) رواه البخارى (٨/ ٨٦)، مسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه -.

(٢) وهذا هو كتاب رسول الله ﷺ إلى أهل أيلة:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليُحنة بن رُؤبة، لهم ذمة الله ومحمد النبى، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثًا فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماءً يردونه، ولا طريقًا يردونه من بحر أو بر. زاد المعاد (٣/ ٥٣٧).

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢١٨)، أبو داود فى الخـراج باب ٢٦، البيهقى (٢/ ٤٤٥)، الطبـرانى فى الكبير (٩/ ٤٥)، فرواه أحمد عن حماد بن سلمة عن حمـيد عن الحسن عن عثمان بن أبى العاص. =

رضوا وأسلموا، وأرسل معهم المغيرة بن شعبة، وأبا سفيان بن حرب ليهدما اللات، فهدمها المغيرة، وخرجن نساء ثقيف وجلسوا يبكين عليها.

وفيها: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر ليحج بالناس، ومعه ثلثمائة رجل، وعشرون بدنة لرسول الله ﷺ، ثم بعث عليًا يقرأ سورة براءة على أثره، ويؤذن يوم الأضحى ألا يحج مشرك ، ولا يطوف عريان، وكان أبو بكر أمير الموسم وعلىّ مبلغًا عن رسول الله ﷺ، وقال: لا يبلغ عنى إلا أنا ورجل منى»[1].

وفيها: قدمت وفود من العرب.

وفيها: توفى عبد الله المنافق.

وفى سنة عشر:

دخل الناس فى دين الله أفواجًا، وتتابعت وفود العرب، فكانت تسمى سنة الوفود، وقد أفرد الناس ذلك بالتأليف.

وأسلم أهل اليمن، وملوك حمير، وأرسل رسول الله ﷺ عليًا إلى اليمن، واستسلم من بها، وأخذ صدقات نجران وجزيتهم، وعاد فلقى رسول الله ﷺ فى حجة الوداع، والأظهر عند العلماء أنه كان قارنًا، وعلم الناس مناسك الحج وخطب الناس بعرفة خطبة بيّن فيها الأحكام، منها:

﴿إنما النسىء زيادة فى الكفر﴾، وأن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات

= ورواه البيهقى من طريق أبى داود عن حماد عن حميد عن الحسن. قال البيهقى : ورواه أشعث عن الحسن ـ مرسلاً. قلت: والحسن مدلس وقد عنعن.

(١) رواه الحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان (١/ ٢٥٣) قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو سعيد جبير بن هارون حدثنا محمد بن جبير حدثنا حكام بن عنبسة عن أبى إسحاق عن حبشى بن جنادة السلولى قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «علىّ منى وأنا منه ولا يبلغ عنى إلا أنا أو علىّ» قالها فى حجة الوداع.

قال الحافظ فى الفتح (٨/ ٣٢١) فى كلامه على إرسال علىّ بعد أبى بكر فى حجة الوداع ليبلغ الناس، ولهذا قال العلماء: إن الحكمة فى إرسال علىّ بعد أبى بكر أن عادة العرب جرت بألا ينقض العهد إلا من عقده أو من هو منه بسبيل من أهل بيته، فأجراهم على ذلك على عادتهم، ولهذا قال: لا يبلغ عنى إلا أنا أو رجل من أهل بيتى. اهـ.

قلت: وكأن الحافظ يصحح الحديث. وقد أوردت هذا الكلام لكى لا يظن أحد أن هذا الحديث على إطلاقة.

والأرض، و ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهراً﴾.

وأنزل الله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ [المائدة:٣٣]، وأنزلت: ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونى﴾ وسميت حجة الوداع؛ لأنه لم يحج بعدها.

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وفيها: توفى إبراهيم ولد سيدنا رسول الله ﷺ، وعمره سنة وعشرة أشهر، وقيل: سنة ونصف.

وفى سنة إحدى عشرة:

يوم الإثنين لأربع بقين من صفر أمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم، ودعا من الغد أسامة بن زيد فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك فأوفيهم الخيل فقد وليتك على الجيش؛ ويوم الخميس عقد له رسول الله ﷺ ثم قال: اغز بسم الله وفى سبيل الله، فلم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتقد من تلك الغزاة، وقد قيل: بأن فيهم أبا بكر وعمر وأبا عبيدة، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد فى غضبه ﷺ لما قال قائل: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين فغضب فذكر ذلك وقال: إن طعنتم فى إمارتى أسامة لقد طعنتم فى إمارتى أباه من قبله، وأيم الله إن كان لخليقًا بالإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة.

ولكن قد ابتدأ برسول الله ﷺ مرضه الذى توفى فيه يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر. وكان فى بيت زينب، فدار على نسائه على عادته، ثم استأذن أزواجه أن يمرض فى بيت عائشة فأذنّ له. ولما اشتد وجعه قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»[1]. وقال: «ائتونى بكتاب اكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده» فتنازعوا، قال ابن عباس: إن الرزية فيما حال بينهم وبين كتاب رسول الله.

وأخبر ﷺ بقتل الأسود العنسى ساعة قتل قبل موت النبى ﷺ بيوم وليلة، وهذا

(١) رواه البخارى (١/١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٢، ١٨٣)، مسلم فى الصلاة (٩٤، ٩٥، ١٠١)، أحمد (١/٢٢٩، ٣٥٩)، (٤/٤١٢)، (٥/٣٦١)، (٦/١٥٩، ٢٠٢) النسائى (٢/٩٩)، الترمذى (٣٦٧٢)، ابن ماجه (١٢٣٢، ١٢٣٤)، عبد الرزاق (٩٧٥٤)، ابن خزيمة (١٦١٦)، الدارمى (١/٣٩)، ابن سعد (٣/١/١٢٧)، ابن حبان (٣٦٧، ٢١٧٤)، ابن أبى شيبة (٢/٣٢٩).

الأسود العنسى اسمه عبهلة بن كعب، ولقبه ذر الخمار؛ لأنه كان يقول بأننى ذو خمار، وكان يُشعبذ ويُرى الناس الجهال الأعاجيب، ويسلب عقولهم بمنطقه، وكان قد أسلم ثم ارتد، وكاتبه أهل نجران، وسار منها إلى صنعاء فملكها، واستفحل أمره، وكان خليفته فى مذجج عمرو بن معدى كرب، وكان رسول الله ﷺ بعث رسولاً إلى الأنبار أن يستعينوا على قتله برجال من حمير وهمدان، فاجتمعوا بقيس بن عبد يغوث: فوافقهم هو وامرأة الأسود العنسى على قتله، فإنه كان قتل أباها، فنقبوا عليه البيت، ودخل رجل اسمه فيروز فقتل الأسود، واحتز رأسه، فجأر فقامت الحرس، فقالت أم زوجته: إن الوحى ينزل عليه، فسكتوا، فلما أصبح أذن المؤذن أن محمداً رسول الله ﷺ، وأن عبهلة كذاب، فأعلم الله نبيه بذلك وهو فى مرضه.

ثم إن رسول الله ﷺ نعى نفسه للمسلمين، واستحل منهم وقال: «من كنت جلدت ظهره فهذا ظهرى فليستقد منى ومن شتمت له عرضًا فهذا عرضى، ومن أخذت له مالاً فهذا مالى[1]. وأوصى بالأنصار وقال: إن عبداً خُير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله، يعنى نفسه».

«وسارّ فاطمة أنه يموت من وجعه هذا فبكت، ثم سارّها أنها أولاهن لحوقًا به فضحكت»[2].

وعند وفاته ﷺ رفع بصره إلى السماء وقال: «اللهم الرفيق الأعلى».

وتوفى ﷺ يوم الإثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول، وعمره ثلاث وستون سنة على الصحيح، قبل البعثة أربعون سنة، وقبل الهجرة ثلاث عشرة سنة، وبعدها عشر.

ودفن ﷺ ليلة الأربعاء تحت فراشه فى بيت عائشة وولى غسله ـ وهو فى قيمصه لم يجرد عنه ـ على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ والعباس، وابناه الفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان عليه الماء[3]، ولم ير منه ما ير من الميّت، فقال على ـ رضى الله

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٤/ ٢٠٣) قال: وقد روى من وجه آخر عن ابن عباس بإسناد غريب ولفظ غريب، وذكر إسناده الحافظ البيهقى ثم قال: وفى إسناده ومتنه غرابة شديدة.

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٨٢)، البخارى فى المناقب باب ٢٥، مسلم فى الفضائل باب ١٦ رقم ٧.

(٣) ذكر ابن الجوزى أن الذى تولى غسل رسول الله ﷺ العباس، وعلى بن أبى طالب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وصالح مولاه ولم يذكر شقران، وذكر ابن الأثير =

عنه ـ: بأبى أنت وأمى طبت حيًا وميتًا، وكفن فى ثوبين سحولين وبردة حبرة[١]، درج فيها درجًا.

ما ولد النساء قبل محمد ﷺ مثله، ولا يكون بعده مثله، كان ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس كث اللحية[٢]، شثن الكفين والقدمين[٣]، ضخم الكراديس[٤]، مشربًا وجهه بحمرة[٥]، وقيل كان أدعج العينين[٦]، سبط الشعر[٧]، سهل الخدين، كأن عنقه إبريق فضة[٨]، كان فى مقدم لحييه عشرون شعرة بيضاء، وفى مفرق رأسه شعرات بيض، وكان يخضب بالحناء والكتم.

وكان بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة، تشبه جسده، وقيل: حمراء، حولها شعر، وكان أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأيًا، يكثر الذكر، ويقل اللغو، دائم البشر، مطيل الصمت، لين الجانب، سهل الخلق، يحب المساكين، ولا يهاب الملوك، يصابر مجالسه ومسائله حتى يكون هو المنصرف، يتفقد أصحابه ويسأل عما فيه الناس، يحلب العنز ويجلس على الأرض، ويخصف النعل، ويرقع الثوب .

وكان قد تزوج خمس عشرة امرأة، دخل بثلاث عشرة منهن، وجمع بين إحدى عشرة، ومات عن تسع: عائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر، وسودة بنت زمعة، وزينب بنت جحش، وميمونة، وصفية، وجويرية، وأم حبيبة، وأم سلمة ـ رضى الله عنهن ـ.

وكان له من السرارى أربع.

= شقران مكانه صالح، فلعل صالح اسمه، وشقران لقبه، والله أعلم.

(١) بل كانت ثلاثة أثواب بيض سحولية كما جاء ذلك فى الخبر الصحيح. وكذا ذكر ابن الأثير فى الكامل وابن الجوزى فى منتظم.

(٢) أى عظيم اللحية.

(٣) أى غليظ أصابع الكفين والقدمين.

(٤) أى ضخم الأعضاء، والكراديس: رؤوس العظام، وقيل: هما ملتقى كل عظمتين ضخمتين كالركبتين والمرفقين والمنكبين.

(٥) أى ازهر اللون.

(٦) أى شديد سواد العينين.

(٧) أى ليس أجعده.

(٨) أى فى صفاء الفضة.

وكان له من الأولاد: القاسم وهو أكبرهم وبه يكنى، والطيب، والطاهر، والصحيح أنهما وصف لواحد، وهو عبد الله، وماتوا صغاراً، وإبراهيم ابن مارية القبطية.

ومن البنات زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، وهى أفضلهن وصُغراهن أم كلثوم، وكلهن أدركن الإسلام، وهاجرن، وفرق رسول الله ﷺ بين زينب وزوجها أبى العاص بإسلامها، ثم ردها إليه بالنكاح الأول حين جاء مسلمًا، والكل من خديجة إلا إبراهيم، وماتوا جميعًا قبله إلا فاطمة.

وأعمامه: أبو طالب، والزبير، وعبد الكعبة، وأمهم فاطمة بنت عمرو، وهؤلاء أشقاء عبد الله والده، وحمزة، والمقوم، وحجل، قيل: والعوام، وأمهم هالة بنت وهب بنت عم آمنة أمه، والعباس، وضرار، وأمهما نهلة، وقيل: نتيلة بنت حباب، والحارث وهو أكبر ولد عبد المطلب، وبه كان يكنى، وشقيقه قثم مات صغيراً، وأمهما صفية بنت جندب، وأبو لهب عبد العزى، وأمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف، والغيداق، واسمه مصعب، وقيل: نوفل، وأمه صفية بنت عمرو بن مالك.

ومنهم من يعدهم عشرة فيسقط عبد الكعبة ويقول: هو المقوم، ويجعل الغيداق وحجلاً واحداً، ومنهم من يعدهم تسعة، فيسقط قثمًا أيضًا، ولم يسلم منهم إلا حمزة والعباس.

وأما عماته فست، لا خلاف فيهن وهن: أم حكيم، وعاتكة، وبرة، وأروى، وأميمة شقائق أبى طالب، وصفية شقيقة حمزة، أسلم منهن صفية وعاتكة وأروى.

وكان له من الموالى: ستة وخمسون، ومن الواليات: إحدى عشرة، وقيل: أربع عشرة، ومن الخدام الذكور: ستة وعشرون، ومن الإناث: خمسة.

وكان يكتب الوحى له أبو بكر، وعمر، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وخالد بن سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمى، وأول من كتب له أبى بن كعب، وكتب له زيد بن ثابت، وكتب عبد الله بن أبى سرح، ثم ارتد ثم أسلم بعد الفتح، وكتب له بعد الفتح الوحى معاوية بن أبى سفيان.

وكان له من السلاح سبعة[1]: ذو الفقار غنمه يوم بدر، من منبه بن الحجاج

(١) ذكر العلامة ابن القيم أنهم تسعة: مأثور، وذو الفقار، والعضيب، والقلعى، والبتار، والحتف، والدسوب، والمخزم، والقضيب.

السهمى، وقيل من غيره، وسمى ذو الفقار لفقرات كانت فيه مثل فقرات الظهر، وكان له سيف يقال له مأثور [وهو أول سيف ملكه][1] وسيف يقال له القضيب وغنم من بنى قينقاع ثلاثة أسياف، وقدم معه إلى المدينة سيفان، شهد بأحدهما بدر.

وكان له خمسة أرماح وثلاثة قسى، ودرعان غنمهما من بنى قينقاع، يقال إن أحدهما وهى السعدية كانت درع داود التى لبسها لقتال جالوت، والأخرى يقال لها: فضة، وكانت له درع يقال لها: ذات الفضول لطولها، وأخرى يقال لها: ذات الوشاح وذات الحواشى والبتراء والخزنق فتلك سبع، وكان له ترس فيه تمثال فأصبح وقد أذهب الله تمثاله، وترسان آخران يقال لأحدهما الزلوق، وللآخر الفتق، وكانت له جعبة يجمع فيها نبله، وكان له معفرات ومراكب ثلاثة وثلاثون، الخيل منها ثلاثة وعشرون، والبغال سبعة، والحمير ثلاثة، وعدة غزواته سبع وعشرون، وبعوثه وسراياه ستون.

ومؤذنوه وأصحابه لا يحصرهم العد على الصحيح، وقيل: كانوا مائتا ألف وأربعة عشر ألفًا على القول المعتمد عند أهل الحديث، وأفضلهم العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد نظمتهم فقلت:

أسماء عشر رسول الله بشرهم   بجنة الخلد عمن زانها وعمر
سعد سعيد على عثمان طلحة أبو   بكر ابن عوف ابن جراح الزبير وعمر

وكان من أصحابه أهل الصفة، فقراء لا مال لهم ولا عيال، كانت صفة المسجد مأواهم، ومن مشاهيرهم أبو هريرة، وأبو ذر، وواثلة بن الأسقع.

ولما توفى رسول الله ﷺ اضطربت الخلق، وارتجت مكة، وكادوا أن يرتدوا، فقام سهل بن عمرو على باب الكعبة ونادى: يا أهل مكة كنتم آخر الناس إسلامًا فلا تكونوا أول من ارتد، والله ليتمن هذا الأمر كما قال رسول الله ﷺ.

واختفى عتاب بن أسيد خوفًا على نفسه، وارتد أكثر العرب إلا أهل مكة والمدينة والطائف، وقال عمر بن الخطاب حين قبض رسول الله ﷺ: من قال إنه مات علوت رأسه بالسيف، فقرأ أبو بكر - رضى الله عنه -: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾ [آل عمران: ١٤٤] فرجع الناس إلى قوله، وبادروا سقيفة بنى ساعدة، فبايع عمرًا أبا بكر، وانهال الناس عليه فبايعوه خلا

(١) ما بين المعقوفتين من زاد المعاد لعدم وضوحه فى المخطوطة.

جماعة من بني هاشم، والزبير، وعتبة بن أبى لهب، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسى، وأبى ذر، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبى بن كعب، ومالوا مع علىّ بن أبى طالب، وكذلك تخلف عن بيعة أبى بكر أبو سفيان بن حرب.

ثم إن عمر جاء بيت علىّ ليحرقه على من فيه، فلقيته فاطمة - رضى الله عنها - فقال: ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة.

قال ابن واصل: فخرج علىّ على أبى بكر وبايعه.

وقالت عائشة: لم يبايع علىّ أبا بكر حتى ماتت فاطمة، فطلب علىّ أبا بكر فى منزله وبايعه.

وفى أيام أبى بكر ادعت سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية النبوة، وأطاعها بنو تميم، وأخوالها من تغلب، وقصدت مسيلمة الكذاب، وباتت عنده ثلاث ليال يزنى بها، وهذا مسيلمة كان قدم على رسول الله ﷺ، ثم ارتد، وادعى النبوة باليمامة استقلالاً، ثم مشاركة مع النبى ﷺ، وجهز إليه أبو بكر جيشًا وأمّر عليهم خالد بن الوليد، وجرى بينهم قتال شديد، ثم قتل مسيلمةَ وحشىٌّ قاتل حمزة بالحربة.

وأما سجاح فلم تزل فى أخوالها بنى تغلب حتى أتت معاوية عام بويع فيه، فأسلمت سجاح وحسن إسلامها.

وفى أيام أبى بكر جمع القرآن من الجلود والجريد، ووضع فى مكتوب عند حفصة، فلما ولى عثمان كتب بها نسخًا وفرقها فى الأمصار.

وفى أيام أبى بكر منعت بنو يربوع الزكاة، وكان كبيرهم مالك بن نويرة، وكان فارسًا مطبقًا، شاعرًا، قدم على رسول الله ﷺ فولاه صدقة قومه، فأرسل إليه أبو بكر خالد بن الوليد فقال مالك: أنا آتى الصلاة دون الزكاة، فقال خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة معًا، لا تقبل أحدهما إلا بالآخر، فقال مالك: لو كان صاحبكم يقول ذلك، ثم أعاد عليه هذه الكلمة مرة أخرى، فقال خالد: أو ما تراه لك صاحبًا؟ والتفت إلى ضرار بن الأزور، وأمره بضرب عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التى قتلتنى، وكانت فى غاية الجمال، فقال خالد: بل قتلك رجوعك عن الإسلام، فقال مالك: أنا مسلم، فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه، فضرب عنقه، وجعل رأسه

مع حجرين فطيخ[١].

وفى ذلك يقول أبو نمير السعدى:

ألا قل لحى أوطئوا بالسنابك   تطاول هذا الليل من أم مالك
قضى خالد بغيًا عليه بعرسه   وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف   عنان الهوى عنها فىٍّ ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك   إلى غير أهل هالكًا فى الهوالك

فلما بلغ ذلك أبا بكر وعمر قال عمر لأبى بكر: إن خالداً قد زنى فارجمه، قال: لا، فإنه تأول فأخطأ، قال: فإنه قتل مسلمًا فاقتله، قال: لا، فإنه تأول فأخطأ، قال: فاعزله، قال: ما كنت أخمد سيفًا سلَّه الله عليهم.

ورثا مالكًا أخوه قيثم بقصائد عديدة، من قصيدته المشهورة العينية:

وكنا كندمانى جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا   أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكًا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وفى أيام أبى بكر فتحت الحيرة بالأمان على الجزية.

وفى سنة اثنتى عشرة:

كانت وقعة اليمامة فى ربيع الأول فقتل مسيلمة وفتحت اليمامة صلحًا على يد خالد ابن الوليد بعد أن استشهد من الصحابة مائة وخمسون رجلاً، وقيل سبعمائة، وقيل: ألف ومائتان.

وفيها: توفى صهر النبى ﷺ أبو العاص بن الربيع السهمى، وهو ابن أخت خديجة.

---

(١) الذى ذكره ابن الأثير والحافظ ابن كثير ان خالداً قال لجنوده: ادفئوا أسراكم وكانت ليلة باردة، ففطن الجنود أنهم يقتلونهم، وكانت لغة عند العرب فقتلوهم، وقيل: لم يقتل مالكًا وعاتبه على ترك الصلاة والزكاة فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك، فقال خالد: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار اضرب عنقه، فضربت عنقه. وأما زواج خالد من امرأته، فإن خالداً إنما قتله لثبوت ارتداده عنده، وليس من أجل امرأته. وكونه تزوج منها فليس فى هذا حرج شرعى، بل الشرع كان يعطى سبايا المشركين غنيمة للمسلمين. ولعل امرأته كانت على ما كان عليه فأخذها خالد غنيمة. والله اعلم.

وفى سنة ثلاث عشرة:

جهز أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ البعوث إلى الشام، وأمّر على الجيش جماعة: أبا عبيدة، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبى سفيان، وشرحبيل، وبعث خالداً إلى العراق، فأصبح الأمير، وأغار على السواد، وحاصر عين التمر، وأوطأ الفرس ذلاً وهوانًا، ثم فرق البرية إلى الشام، واجتمع المسلمون، فكانت وقعة أجنادين بين الرملة وبين جيرن فى جمادى الأولى، واستشهد فيها جماعة من الصحابة ثم كان النصر للإسلام، وكانت ملحمة عظيمة.

وفيها: كانت وقعة اليرموك، ولما بلغ هرقل وهو بحمص هزيمة الروم من اليرموك هرب من حمص إلى الرها، فلما فرغ خالد وأبو عبيدة ـ رضى الله عنهما ـ من وقعة اليرموك قصدا دمشق فيما قاله سيف وتبعه عليه ابن جرير، وأما ابن عساكر فإنه يذكر عن يزيد بن أبى عبيد أنها كانت سنة خمس عشرة كما سيأتى والله أعلم.

وتوفى أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ليلة الأربعاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وعشرة أيام، وعمره ثلاث وستون سنة، وغسلته زوجته أسماء بنت عميس، وحمل على السرير الذى حمل عليه رسول الله ﷺ، وصلى عليه عمر فى المسجد بين القبر والمنبر، ودفن إلى جنب رسول الله ﷺ حسب وصيته، وكان عهد لعمر بالخلافة.

وكان موته قيل بسم سمته يهودية فى أرز، وقيل: فى حشو أكله هو والحارث بن كلدة، فماتا بعد سنة.

وعن عائشة أنه اغتسل بماء بارد فى يوم بارد فحم خمسة عشر يومًا، ومات ـ رضى الله عنه ـ وكان حسن القامة، خفيف العارضين، مغروورق الوجه، غائر العينين.

وبويع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بالخلافة يوم مات أبو بكر، بنص أبى بكر، ولم يختلف عليه أثنان.

وقال أول ما خطب: والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف من القوى حتى آخذ الحق منه، ثم كان من أول ما أمر به أن عزل خالد ابن الوليد عن الأمر، وولى أبا عبيدة على الجيش، وعلى الشام، وهو أول من سمى أمير المؤمنين.

وفى سنة أربع عشرة:

فتحت دمشق، فإن أبا عبيدة لما ولاه عمر سار أبا عبيدة ونازل دمشق من باب الجابية، ونزل خالد باب توما، ونزل عمرو بن العاص بناحية أخرى، وحاصرها نحو سبعين ليلة، وفتح خالد ما يليه بالسيف، فخرج أهل دمشق وصالحوا أبا عبيدة من الباب الآخر، فأمنهم، ودخل، فالتقى هو وخالد وسط البلد، وفى أيام عمر فتح العراق.

وفيها فى المحرم: أمر عمر بالبصرة فاختطت، وقيل فى سنة خمس عشرة.

وفيها: توفى أبو قحافة والد أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ وعمره تسع وتسعون سنة.

وفى سنة خمس عشرة:

قال ابن جرير: قال بعضهم: فيها مصّر سعد الكوفة.

وفيها: كانت وقعة اليرموك.

وفيها: افتتحت الأردن كلها عنوة، إلا طبرية.

وفيها: توفى سيد الخزرج سعد بن عبادة.

وفيها: فتحت حمص، صالحهم أبو عبيدة على ما صالح دمشق.

ثم سار إلى حماة، فخرجت إليه الروم الذين كانوا فيها، فصالحوه ووضع الجزية على رؤوسهم، والخراج على أراضيهم، وجعل كنيستهم العظمى جامعًا، وهو الذى بالسوق الأعلى اليوم.

قال ابن واصل: كانت حماة مدينة عظيمة فى زمن داود، وسليمان، وفى زمن اليونان، إلا أنها فى زمن الفتوح وقبله كانت هى وشيرز من عمل حمص.

ثم سار أبو عبيدة إلى شيرز، والمعرة، فصالحوه على حكم حماة، وكان يقال لها: معرة حمص، إلى أن أضيفت مع حمص فى خلافة معاوية إلى النعمان بن بشير، فقيل لها: معرة النعمان.

ثم سار إلى اللاذقية ففتحها عنوة، وفتح جبلة، وأنطرطوس، ثم نازل هو وخالد بن الوليد قنسرين كرسى المملكة الحلبية اليوم، وكانت حلب من جملة أعمالها، وكان بها جمع عظيم من الروم، وجرى بينهم قتال شديد، وانتصرت فيه المسلمون على الروم

وصالحوا أهلها بشرط تخريبها، فخربت إلى اليوم.

ثم فتح أبو عبيدة حلب وأنطاكية، ومنبج، ودلُوك، وسرمين وبيرين وعزاز، واستولى على الشام فى هذه الناحية.

وسار خالد إلى مرعش، فأخلا أهلها وخربها، وفتح الحدث، وتم ذلك كله فى سنة خمس عشرة، فأيس هرقل من الشام، وسار إلى الرها إلى قسطنطينة، ثم فتح قيسارية، وصفطية وبها قبر يحيى بن زكريا ـ عليه السلام ـ، ونابلس وأرد يافا، وملك البلاد جميعها.

وعصى بيت المقدس وطال حصاره، وطلب أهله الصلح على يد عمر بن الخطاب، فأرسل أبو عبيدة، وحضر عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ واستخلف عليًا ـ رضى الله عنه ـ على المدينة الشريفة وفتح القدس.

وفى هذه السنة: وضع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الدواوين وفرض العطايا للمسلمين، فبدأ بالعباس ـ رضى الله عنه ـ ففرض له خمسة وعشرين ألفًا، ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله ﷺ، وفرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، ولمن بعدهم إلى الحديبية إلى بيعة الرضوان أربعة أربعة، ولمن بعدهم ثلاثة ثلاثة، ولأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين، ولمن بعد القادسية واليرموك ألفًا ألفًا وللروادف خمسمائة خمسمائة، ثم ثلثمائة ثلثمائة، وأدناهم مائتين وخمسين.

وفى هذه السنة: كانت وقعة القادسية، وكان كبير المسلمين سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ وكبير العجم رستم، ودام القتال بينهم أيامًا، فسماه أولاً يوم أغواث، ثم يوم عماس ثم ليلة الهرير، لتركهم الكلام فيها، بل كانوا يهرون هريراً، ويقتتلون إلى الصحوة الكبرى، وهبت ريح عاصفة، فثار الغبار على المشركين وانكسروا، وانتهى القعقاع وأصحابه إلى سرير رستم فهرب، ولحقه هلال بن علقمة فأخذ برجله وقتله، وصعد على السرير ونادى: ورب الكعبة قتلت رستم، فتمت الهزيمة على العجم وقتل منهم ما لا يحصى.

ورحل سعد نحو مدائن كسرى، ونزل على نهر شير من دجلة، ودخل المسلمون المدائن، وقتلوا كل من وجدوا، وهرب يزدجرد، ونزل سعد بإيوان كسرى، وأحاط على الأموال من الذهب والفضة، والآنية، والثياب ما يخرج عن الإحصاء، من جملتها

بساط طوله ستون ذراعًا فى ستين، على هيئة روضة، حكى فيها كل نوع من الزهر بمثله من الذهب والجواهر، استوهب سعد ما يخص أصحابه منه وبعثه إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقطعه عمر، وقسمه بين المسلمين، فباع علىّ القطعة التى أصابته بعشرين ألفًا.

وأقام سعد بالمدائن، وأرسل جيشًا إلى جلولاء، وكان بها جمع عظيم من الفرس، فقتل المسلمون منهم ما لا يحصى وكان يزدجرد بحلوان فهرب منها، وقصدها المسلمون، واستولوا عليها، وكان دخولهم المدائن وأخذهم لها فى أول سنة عشرة، وكبر المسلمون وقالوا: هذا ما وعد الله ورسوله.

وفتح المسلمون بعد ذلك تكريت والموصل، ثم ماسبذان وقرقيسا.

وفى هذه السنة: قدم جبلة بن الأيهم على عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ودخل فى زى حسن، وتلقاه جمع من المسلمين وقيدت الجبايب بين يديه، ولبس أصحابه الديباج، فحج جبلة مع عمر، فوطىء رجل من فزارة رداءه، فلطمه جبلة فهشم أنفه، فقال عمر: افتد نفسك وإلا أمرته فلطمك، فقال: جبلة: وكيف ذلك وأنا ملك وهذا سوقة، فقال عمر: إن الإسلام جمعكما وسوى بين الملك والسوقة فى الحد، فقال: أنظرنى ليلتى هذه، فأنظره، فسار جبلة ليلاً إلى الشام بخيله ورجله، ثم وصل إلى القسطنطينية ومعه خمسمائة من قومه فتنصروا جميعًا، ثم ندم جبلة على فعله ذلك، وأنشده:

تنصرت الإشراف من أجل لطمة   وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكيفى فيها لجاج وسخوة   وبعت بها العين الصحيحة بالعور

فيا ليت أمى لم تلدنى وليتنى   رجعت إلى القول الذى قاله عمر

وأرسل جبلة مع رسول المسلمين إلى حسان بن ثابت هدية فأوصلها عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إليه، فامتدحه بأبيات هى:

إن ابن حفنة من بقية معشر   لم يعرهم آباءهم باللوم

لم ينسنى بالشام إذ هو ربها   كلا ولا متنصراً بالروم

يعطى الجزيل ولا يراه عنده   إلا كبعض عطية المذموم

وفى سنة سبع عشرة:

اختطت الكوفة، وتحول سعد إليها، واعتمر عمر بن الخطاب، ووسع المسجد الحرام، وهدم منازل أقوام أبوا أن يبيعونها، وجعل ثمنهـا فى بيت المال، وتزوج أم كلثوم بنت فاطمة من على بن أبى طالب.

وفيها: كانت حكاية المغيرة بن شعبة، كان عمـر قد ولاه البصرة، وكان بعلية يقابلها عليه فيها أربعة رجال: أبو بكرة مولى رسول الله ﷺ، وأخوه لأمه زياد بن أبيه، ونافع ابن كلدة، وشبل بن معـبد، فرفعت الريح الكوة عن علية المغيـرة فنظر الرجال الأربعة وهو على أم جميل بنت الأرقم بن عامـر بن صعصعة، فكتبوا إلى عـمر بذلك، فعزل المغيرة، وولى البصرة أبا موسى الأشعرى.

وشهـد أبو بكر ونافع وشبل على المغيـرة بالزنا، ولم يفصح زياد بن أبيه الشـهادة، وكان قـد قال قبل أن يـتكلم زياد، أرى رجلاً أرجو ألا يفـضح به رجلاً من أصـحاب رسول الله ﷺ، فـقال زياد رأيته جـالسًا بين رجلى امرأة، ورأيت رجليـن مرفوعـتين كأذنى حمار، ورأيت نفسًا تعلو، وإستًا ينبـو عن ذكر، ولا أعرف ما وراء ذلك، فقال عمر: هل الميل فى المكحلة؟ قال: لا، قال: فهل تعرف المرأة؟ قال: لا، ولكن أشبهها، فجلد عمر الثلاثة الذين شهدوا حد القذف.

وفيها: فتح المسلمون الأهواز ونهـرشير وكان المتولى عليها الهـرمزان عظيم الفرس، ونزل من قلعته على حكم عمر، فأرسل به إليه مع أنس بن مالك، والأحنف بن قيس، وجمـاعة، فلما وصلوا إلـى المدينة ألبسوه كـسوته من الديباج الذهـب، وتاجه المكلل بالياقوت، ودخلوا فوجدوا عمر نائمًا فى المسجـد فى زى فقير غريب، فقال الهرمزان: أين هو عمر؟ فجلس عمر وقال: الحمد لله الذى أذل بالإسلام هذا، واستهانه، ونزع ما عليه، وألبسه ثوبًا صفيقًا وجرى الكلام بينهـما، وطلب الهرمزان ماء، فأتى به، فقال: إنى أخاف أن تقتلنى وأنا أشرب فقال عمر: لا بأس عليك، فرمى بالإناء فتكسر، فصد عمر عن قتله، فقالت الصـحابة إنك أمنته بقولك: لا بأس عليك إلى أن تشرب، ولم يشرب ذلك الماء، فأسلم الهرمزان، وفرض له عمر ألفين.

وفى سنة ثمان عشرة:

حصل بالمدينة قحط عظيم وبالحجاز، وأرسل عمر إلى سائر الأمصار يستعينهم، فجاء

أبو عبيدة بن الجراح من الشام بأربعة آلاف راحلة من الزاد.

ولما اشتد القحط استسقى المسلمون وعمر بالعباس فسقوا وجعل الناس يتمسحون بأذيال العباس.

وفيها: كان طاعون عمواس بالشام، مات فيه أبو عبيدة بن الجراح العمرى، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، واستخلف معاذ بن جبل، فمات أيضًا بالطاعون، واستخلف عمرو بن العاص، ومكث الطاعون شهرًا، ومات فيه خمسة وعشرون ألفًا، وكان فى البصرة مثله.

ودخلت سنة تسع عشرة وسنة عشرين:

فيهما فتحت مصر والأسكندرية على يد عمرو بن العاص، والزبير بن العوام، واختط عمرو مصر، وبنى الجامع المعروف به الآن موضع فسطاطة.

وفى سنة عشرين:

توفى بلال بن حمامة ـ رضى الله عنه ـ مولى أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وحمامة اسم أمه، وهو من ولد الحبشة، مات بالشام، ودفن بالباب الصغير.

وفى سنة إحدى وعشرين:

توفى خالد بن الوليد، ودفن بحمص، وقيل بالمدينة، وهو الصحيح.

وفى سنة اثنتين وعشرين:

فتحت أذربيجان، والرى، وجرجان، وقروين، وزنجان، وطبرستان، وسار عمرو بن العاص إلى برقة وصالح أهلها على الجزية، وسار إلى طرابلس العرب، وفتحها عنوة.

وسار الأحنف بن قيس إلى خراسان، وافتتح هراة عنوة، وسار إلى مرو، وهرب يزدجرد إلى بلخ، ولحقه المسلمون فعبر نهر جيحون، واختلفت عليه عساكره، وانضم غالبهم للمسلمين.

وفيها: توفى أبى بن كعب بن قيس من ولد مالك بن النجار، وكان يكنى أبا المنذر.

وفاة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ:

وفى سنة ثلاث وعشرين:

توفى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ طعنه ـ عبد المغيرة بن شعبة ـ فيروز أبو

لؤلؤة بخنجر فى خاصرته، وهو فى الصلاة، وذلك لست بقين من ذى الحجة، وتوفى يوم السبت سلخ ذى الحجة، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم سنة أربع وعشرين، فكان مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام، ودفن عند النبى ﷺ وكان عمره خمسًا وخمسين سنة، وقيل ستين، وقيل ثلاث وستين.

وكان أبيض، أصلع، طويل القامة، وهو أول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وجمع الناس على أربع تكبيرات فى صلاة الجنازة بعد أن كانوا يكبرون أربعًا وخمسًا وستًا، وأول من جمع الناس على إمام يصلى بهم التراويح، وأول من عسّ بالليل، وأول من حمل الدرة.

مبايعة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ:

وبويع عثمان بن عفان[1] ـ رضى الله عنه ـ بالخلافة بعد ثلاث من المحرم ، بايعه عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ، ثم الناس فرقًا على المنبر، وحمد الله وتشهد، ثم ارتج عليه فقال: إن أول كل أمر صعب، وإن أعش فستأتيكم الخطب على وجهها، ثم نزل، وأقر ولاة عمر سنة؛ لأنه كان أوصى بذلك، ثم عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وولاها سعد بن أبى وقاص، ثم عزله وولاها عبد الله بن عقبة بن أبى معيط، وكان أخاه لأمه أروى.

وفى سنة خمس وعشرين:

توفى أبو ذر الغفارى جندب بن جنادة ـ رضى الله عنه ـ بالربدة، وكان نفاه إليها عثمان لما شكا منه معاوية وهو بالشام أنه ينكر عليه كنز الذهب والفضة، ويتلو: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾.

وفى سنة ست وعشرين، وسبع وعشرين، وثمان وعشرين:

عزل عمرو بن العاص عن مصر، وولاها عبد الله بن أبى سرح أخاه من الرضاعة، وفتح عبد الله إفريقية، وسار هو وعسكر عظيم من جهة معاوية إلى البحر، وحاصروا قبرص، وفتحوها صلحًا على سبعة آلاف دينار فى كل سنة، وقتل وسبى كثير.

---

(١) هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، يكنى أبا عمرو ويقال أبا عبد الله. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. وأمها أم حكيم، وهى البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

وفى سنة تسع وعشرين:

عزل أبو موسى الأشعرى عن البصرة، وولاها ابن خاله عبد الله بن عامر بن كرز، ثم عزل الوليد بن عقبة عن الكوفة بسبب أنه يشرب الخمر، وصلى بالمسلمين الصبح أربعًا، ثم التفت فقال: هل أزيدكم؟

فقال ابن مسعود: ما زلنا معك فى زيادة منك اليوم.

وفى سنة ثلاثين:

نسخ عثمان المصاحف لما بلغه ما وقع من الاختلاف فى القرآن.

وفيها: سقط من عثمان خاتم النبى ﷺ فى بئر أريس.

وفى سنة إحدى وثلاثين:

هلك يزدجرد آخر ملوك الفرس قيل: نزل بمرو، وثار أهلها عليه فقتلوه.

وفيها: مات أبو سفيان بن حرب أبو معاوية.

وفى سنة اثنان وثلاثين:

توفى عبد الله بن مسعود، جاء فى بعض الروايات أنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وصاحب هذه الرواية يسقط أبا عبيدة بن الجراح.

وفيها: فتحت نيسابور، وسار معاوية وتوغل فى الروم.

وفيها: توفى العباس عم رسول الله ﷺ، وأبو الدرداء وكان حكيمًا مفوه الأمة، ولى قضاء دمشق، وتوفى فيها.

وفى سنة ثلاث وثلاثين:

تكلم جماعة من الكوفة فى حق عثمان وأنكروا عليه ولاية جماعة من أقاربه لا يصلحون، وقال الناس فى عثمان.

وفى سنة أربع وثلاثين:

أقطع عثمان مروان بن الحكم فدك صدقة رسول الله ﷺ، ولم تزل فى يد مروان وبنيه إلى أن ردها عمر بن العزيز صدقة.

وفيها: توفى المقداد بن الأسود، والأسود كان قد تبناه، فلما دعيت الناس لآبائهم كما أمر الله تعالى سمى المقداد بن عمرو، وكان عمره نحو سبعين سنة.

وفى سنة خمس وثلاثين:

قدم المدينة من مصر جمع دون الألف، وكذلك من الكوفة، وكذلك من البصرة، فلما جاءت الجمعة قام عثمان على المنبر وقال للجموع: يا هؤلاء يعلم الله وأهل المدينة يعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فقام محمد بن مسلمة وقال: أنا أشهد بذلك، وثار القوم بأجمعهم وحصبوا الناس وعثمان حتى خر على المنبر مغشيًا، وحمل إلى داره، وقاتل عن عثمان ذلك اليوم سعد بن أبى وقاص، والحسن بن على، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، حتى أرسل إليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف، فانصرفوا، وصلى عثمان بعد ذلك بالناس ثلاثين يومًا، ثم منعوه، ولزم أهل المدينة بيوتهم، وعثمان محصور فى داره، ودام ذلك أربعين يومًا أو خمسين يومًا، ثم وقع الاتفاق على ولاية محمد بن أبى بكر مصر، وعزل عبد الله بن أبى سرح.

وتوجه محمد بن أبى بكر بعد أن ولاه عثمان مصر إليها فى عدة من المهاجرين والأنصار، فبينما هم فى أثناء الطريق، وإذا بعبد على هجين مجهدة، فقالوا له: إلى أين؟ قال: إلى عامل مصر، قالوا: هذا عامل مصر ـ يعنون محمد بن أبى بكر ـ فقال العبد: بل العامل الآخر، فأمسكوه، فوجدوا معه كتابًا عليه ختم عثمان يقول: إذا جاءك محمد بن أبى بكر ومعه بأنك معزول فلا تقبل، واحتل بقتلهم وقرّ فى عملك، فرجع محمد بن أبى بكر ومن معه من المهاجرين والأنصار إلى المدينة، وجمعوا الصحابة، وأوقفوهم على الكتاب، فاعترف عثمان بالختم، وحلف بالله أنه لم يأمر بذلك، فطلبوا منه مروان ليسلمه إليهم فامتنع فجدوا فى قتاله.

مقتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ:

وأقام علىّ ابنه الحسن يذب عنه، وأقام الزبير ابنه عبد الله يذب عنه، وأقام طلحة ابنه محمد يذب عنه، فتسورت الجموع على عثمان، ونزل عليه جماعة منهم، فقتلوه، وكان عثمان ـ رضى الله عنه ـ حين قتل صائمًا يتلو فى المصحف، وكان مقتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة، سنة خمس وثلاثين، وكانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يومًا، وكان عمره خمسًا وسبعين، وقيل: اثنان وثمانون، وقيل: تسعون، ومكث ثلاثة أيام لم يدفن، ثم أمر علىّ بدفنه.

وكان معتدل القامة، حسن الوجه، به أثر جدرى، عظيم اللحية، أسمر اللون،

أصلع، يصفر لحيته، وكان كاتبه ابن عمه مروان بن الحكم، وقاضيه زيد بن ثابت، ورثاه حسان بن ثابت الأنصارى بقوله:

من يشرب الموت صرفًا لا مزاج له فليأت مأدبة فى دار عثمانا[1]

ضحو بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا

صبراً فدى لكم أمى وما ولدت قد يقع الصبر فى المكروه أحيانا

لتسمعن وشيكًا فى ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمانا

وفضائل عثمان ـ رضى الله عنه ـ كثيرة، منها ما تقدم ذكره فى تجهيز جيش العسرة، ويشير ابن برزويه لقول النبى ﷺ: «إنى راضٍ عن عثمان فارضى عنه»، وقوله ﷺ: «كيف لا أستحى ممن تستحى منه الملائكة»[2]، وأنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وختن النبى ﷺ.

وفى أيامه كانت غزوة الأسكندرية، وسابور، وإفريقية، وقبرص، والأصطخر الأخيرة، وفارس الأولى، وجور، وفارس الأخيرة، وطبرستان، ويزدجرد، وكرمان، وسجستان، ثم الأساورة من البحر وغيرهن، والله أعلم.

وبويع على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ بالخلافة يوم قتل عثمان، وأجمع أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم طلحة والزبير، فأتوا عليًا وسألوه البيعة، فامتنع مراراً، وقال: لا حاجة لى فى أمركم، من اخترتم رضيت به، فأبوا إلا مبايعته، فأتى المسجد فبايعوه، وأول من بايعه طلحة بن عبد الله وكانت يده شُلاً من نوبة أحد، فقيل لا يتم هذا الأمر، فإن أول يد بايعته شلاء.

وتأخر عن البيعة سعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن عمر، وبايعت الأنصار إلا نفر قليل، منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدرى، والنعمان بن بشير، ومحمد بن مسلمة، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، وزيد بن ثابت.

---

(١) البيت فى الطبرى والبداية والنهاية هكذا:

من سره الموت صرفًا لا فراج له فليأت مأسدة فى دار عثمانا

(٢) رواه مسلم (٧/١١٦ ـ ١١٧)، البيهقى (٢/ ٢٣١)، الطحاوى فى مشكل الآثار (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

واعتزل عن البيعة سعيد بن سعد ، وعبد الله بن سلام ، وصهيب ، وأسامة بن زيد، وقدامة بن مظعون ، والمغيرة بن شعبة ، وسموا هؤلاء المعتزلة لاعتزالهم عن بيعة على.

ثم يوم الخميس لخمس بقين من ذى الحجة صعد علىّ المنبر واستعفى من الخلافة، فلم يعفوه، وسار النعمان بن بشير بثوب عثمان ملطخًا بالدم إلى الشام، فكان معاوية يعلقه على المنبر تحريضًا على قتال علىّ.

ثم فارقه طلحة والزبير ولحقا بمكة واتفقا مع عائشة على قتال علىّ، وكان عبد الله ابن عباس بمكة لما قتل عثمان، فجاء إلى المدينة فقال علىّ: إن المغيرة بن شعبة أشار علىّ بإقرار معاوية وغيره من عمال عثمان إلى أن يبايعوا ويستقر الأمر، فأبيت، ثم جاءنى الآن وقال: إن الرأى ما رأيته، فقال عبد الله: نصحك فى الأولى، وغشك فى الثانية، وأنا أشير عليك باستمرار معاوية، فقال علىّ: والله لا أعطيه إلا السيف، وتمثل:

ما من ميتة إن متها غير عاجز بعارٍ إذا ما غالت النفس غولها

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت شجاع، وأنا صاحب رأى، فقال علىّ: إذا عصيتك فأطعنى، فقال عبد الله: أفعل، فأيسر ما عندى طاعتك، وخرج المغيرة ولحق بمكة.

وفى سنة ست وثلاثين:

أرسل علىّ بن أبى طالب عماله، فبعث عمارة بن شهاب إلى الكوفة، وكان من المهاجرين، وولى عثمان بن حنيف الأنصارى الشام، فرجع من الطريق لما سمع بعصيان معاوية، وكذلك عمارة لقيه طلحة بن خويلد الذى ادعى النبوة فى خلافة أبى بكر، فقال له: إن أهل الكوفة لا يستبدلون بأبى موسى الأشعرى، فرجع.

ولما وصل عبد الله اليمن خرج الذى كان بها من قبل عثمان، وهو يعلى بن منبه بما بها من الأموال إلى مكة، وصار مع عائشة وطلحة والزبير، وجمعوا جمعًا عظيمًا وقصدوا البصرة، ولم يوافقهم عبد الله بن عمر، وأعطى يعلى بن منبه لعائشة ـ رضى الله عنها ـ جملاً كان اشتراه بمائة دينار اسمه عسكر، فركبته، ومروا بمكان اسمه الحوأب فنبحتهم كلابه، فقالت عائشة: أىّ ماء هذا؟ فقيل: هذا ماء الحوأب، فصرخت وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: «ليت

شعرى أيتكن ينبحها كلاب الحوأب»[١].

ثم ضربت عقد بعيرها فأناخته وقالت: ردونى، فأقاموا يومًا وليلة، وقال لها عبد الله ابن الزبير: إنه كـذب، ليس هذا ماء الحوأب، ولم يـزل بها وهى تمتنع، فقـال: النجا النجا، فقد أدرككم علىّ فارتحلوا، فوصلوا البصرة، واستنزلوا عليها بعد قتال عظيم مع عثمان بن حنيف، وقـتل من أصحاب عثمان بن حنيف أربعون رجـلاً، وأمرت عائشة بنتف لحيته وحواجبه وسجنته، ثم أطلقته[٢].

وبلغ ذلك عليًا، فسار فى أربعة آلاف من أهل المدينة، فـيهم أربعمائة ممن بايع تحت الشجـرة، وحامل رايته ابنه مـحمد بن الحنفيـة، وعلى ميمنتـه الحسن، وعلى ميـسرته الحسين، وعلى الخيالة عمار بن ياسر، وعلى الرجالة محمد بن أبى بكر، وعلى مقدمته عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهم ـ.

واجتـمع إلى علىّ من أهل الكوفة جـمع، وإلى عائشة جـمع، وسار بعـضهم إلى بعض، والتقوا بمكان يقـال له الخريبة، فى نصف جمادى الآخرة، وكـانت وقعة الجمل انتصر فيها علىّ بن أبى طالب، وصار هودج عـائشة كالقنفذ من النشاب، ورمى مروان ابن الحكم طلحة بسهم فقتله، وكلاهما من أصـحاب عائشة، قيل إنه كان ينسبه إلى أن عثـمان قتل باختـياره، وقتل من الفريقـين خلق كثيـر، وقطعت على خطام الجمل أيد كثيرة، وهرب الزبير نحو المدينة، فسمع الأحنف بن قيس فقال: جمع بين العارين قتال على والهزيمة[٣]، فقصـد إليه شخص من أصحابه اسـمه عمرو بن جرمـوز المجاشعى فوجده نائمًا بوادى السـباع فقتله، وعقـر جمل عائشة، وبقيت فـى هودجها إلى الليل

(١) رواه أحمد (٦/ ٥٢، ٩٧)، ابن حـبان (١٨٣١ ـ موارد)، الحاكم (٣/ ١٢٠) عن إسـماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن عائشة.
وهذا إسناد على شرط الصحيح كما قال الحافظ.

(٢) بل الذين نتفوا شـعر عثمـان أناس من أهل البصرة، دخلوا على عثـمان فى قصره فنتفـوا شعر وجهه وأخـرجوه على طلحة والزبير فأمـرت السيدة عائشة ـ رضى الله عنهـا ـ بإطلاق سراحه. البداية والنهاية (٧/ ٢٤٤) وكذا ذكر الطبرى فى تاريخه.

(٣) ذكر الحافظ ابـن كثير: إن عليًا ـ رضى الله عنه ـ دعـا الزبير ـ رضى الله عنهما ـ حـتى تعانقت خيلهما، فذكره علىّ بحديث قاله النبى ﷺ للزبير «أنك تقاتل عليًا وأنت له ظالم» فقال الزبير: لقد نسيـته حين سمعـته من رسول الله ﷺ وما تذكرته إلا الآن، ثم خـرج من المعركة، ثم بدأ الحافظ ابن كثير يتكلم على طرق الحديث فليراجع هناك.

وأدخلها أخوها محمد بن أبى بكر البصرة ليلاً، وطاف على القتلى وصلى عليهم ودفنهم، ولما مر بطلحة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لقد كنت أكره أن أرى قريشًا صرعى، وأنت والله كما قال الشاعر:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه   إذا ما بقوا يستغنى ويبعده الفقر

وصلى عليه وأمر عائشة أن تعود إلى المدينة، فسارت إليها مستهل رجب، وجهزها، وأحسن إليها، وسيّر أولاده معها يومًا، فتوجهت إلى مكة، وحجت، ثم عادت إلى المدينة.

قيل: كان عدة القتلى يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف، واستعمل علىّ - رضى الله عنه - على البصرة عبد الله بن عباس، وانتظم لعلى الأمر بالعراق، ومصر، واليمن، والحرمين، وخراسان، ولم يبق خارجاً عنه إلا الشام.

وأقام علىّ بالكوفة، وأرسل جرير بن عبد الله البجلى إلى الشام ليأخذ البيعة على معاوية، فماطله معاوية إلى أن وصل إليه عمرو بن العاص من فلسطين، واتفقوا على قتال علىّ، وعاد جرير، فأعلم عليًا، فسار من الكوفة نحو معاوية، وسار معاوية نحوه، وكانت وقعة صفين.

وقعت سنة سبع والجيشان بها، وفى صفر وقع القتال، قيل: كانت سنة تسعين وقتل فيها من أهل الشام خمسة وأربعون ألفًا، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفًا، منهم عمار بن ياسر وكان عمره تسعين سنة، وتقاتلوا ليلة سميت ليلة الهرير تشبيهًا بليلة القادسية، كانت ليلة الجمعة، استمر القتال فيها إلى الصبح، قيل: كبّر فيها علىّ أربعمائة تكبيرة، وكان لا يكبر حتى يقتل رجلاً.

ولما عجز معاوية رفع المصاحف وقال: بيننا كتاب الله، فاختلف على علىّ طائفة فسمُّوا بعد ذلك الخوارج، فكف علىّ عن القتال، وكتب بينهما مقاضاة مؤخرة إلى رمضان، والحكمان فيها من جهة علىّ أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص.

وسار علىّ على العراق، واعتزلت عنه المعتزلة، ثم بعث مع أبى موسى الأشعرى أربعمائة إلى الموعد، وبعث معاوية أربعمائة فيهم عمرو بن العاص، فغدر عمرو أبا موسى، واتفقا على خلع على ومعاوية ويولى الناس من تختار، فتشهد أبو موسى

وقال: أيـها الناس إنا لم نر الأصلح لهـذه الأمة إلا أن نخلع علـيًا ومعاوية، وإنـى قد خلعتـهما، وجلس فقـام عمرو، وتشهـد وقال: قد سمـعت ما قاله صاحـبى وإنى قد قررت خلع علىّ وثبت معـاوية، فإنه ولى عثمان والطالب بدمـه، وأحق الناس بمقامه، فقال أبو موسى: ما لك لا وفقك الله غدرت.

ولحق بمكة حياءً من الناس، ومن ذلك الوقت أخـذ علىّ فى الضـعف ومعـاوية فى القوة، وقاتل علىّ المعتزلة، وكانوا أربعة آلاف؛ فقتلهم عن آخرهم، ولم يقتل ممن مع علىّ إلا سبعة أنفس.

وجهز معاوية فى سنة ثمان وثلاثين عمرو بن العاص إلى مصر ليقاتل محمد بن أبى بكر، فأرسل إليه على بنجـدة الأشتر فسقـوه فى الطريق عسلاً مسمومًا، فـمات وأخذ عمـرو مصر، وهرب محـمد بن أبى بكر وقتله مـعاوية بن خديج، وأحرقـه فى جوف حمار.

وبعث معاوية سراياه على عمال علىّ، وجـعل كل منهما يقنت على الآخر، ويدعو عليه.

وفى سنة تسع وثلاثين:

توفيت أم المؤمنين ميمونة، وتنازع أصحـاب علىّ وأصحاب معاوية فى إقامة الحج، فمشى فى الصلح أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ حـتى أقام الموسم شيبة بن عثمان الحجبى.

وفيها: اجتمع ثلاثة من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن ملجم المرادى وعمرو بن بكر التميمى، والحـجاج بن عبد الله التميـمى، فقال عبد الرحمن: أنا أكـفيكم عليًا، وقال الحجاج: أنا أكفيكم مـعاوية، وقال عمرو: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، واسـتصحبوا سيوفًا مسمومة، وتواعدوا لتسع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين، فوثب الحجاج على معاوية فجاءت الضربة فى أليته، وأمـسك الحجاج، فقال لمعاوية: أطلقنى وأبشرك أن عليًا قتل، فـقال: لعله يسلم، وقـتله، وأما عمـرو بن العاص، فكان أخـرج عامل شرطته خارجة ليـصلى بالناس عوضه فوثب عليه عمرو بن بكر فقـتل خارجة، فقال: أردت عمرًا، والله أراد خـارجة، ووثب عبد الرحمن على علىّ وقـد خرج إلى الصلاة فضربـه فى وجهه فأمـسك وأحضر بين يديه مكتوفًا، فـأحضر ولديه الحسن والحـسين

وقال: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا، ولا تبكيا عن سرور ذرى عنكما، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين، وعمره ثلاث وستون سنة.

وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، واختلف فى موضع قبره، والأصح أنه حيث يزار اليوم بالنجف.

وأحضر عبد الرحمن بن ملجم فقطع عبد الله بن جعفر يده ورجله وسمل عينيه وأحرق بالنار، لعنه الله.

وكان على - رضى الله عنه - شديد الأدمة، حسن الوجه، معتدل القامة، كبير اللحية، عظيم البطن، وكان شريح قاضيه، وولاه عمر قضاء الكوفة، فاستمر إلى أيام الحجاج بن يوسف الثقفى، وولد له أربعة عشر ولدًا ذكورًا، وإناثًا كثيرة، من فاطمة: الحسن والحسين، ومحسن، وزينب، وأم كلثوم، لم يتزوج غيرها حتى ماتت، ولم يعقب من أولاده سوى الحسن والحسين، ومحمد بن خولة بنت جعفر الحنفية، والعباس من أم البنين بنت حزام الكلابية، وعمر من الصهباء بنت ربيعة، عمّر هذا التسعين سنة، وحاز نصف ميراث على[1].

بيعة الحسن - رضى الله عنه -:

ولما توفى علىّ - رضى الله عنه - بويع بالخلافة ولده الحسن - رضى الله عنه - ثم فى سنة اثنتين وأربعين سار الحسن بن على فى ربيع الآخر فى جيوشه إلى قصد معاوية، وسار إليه معاوية فى جيوشه، وتنازل الجمعان، فرأى الحسن فى عسكره اختلافًا وبعد مضى ستة أشهر صالح معاوية، وترك الخلافة على ألا يسب عليًا، ويعطيه ما ببيت المال بالكوفة، وخراج دار أبجرد.

ودخل معاوية الكوفة وبويع بالخلافة، وأقام الحسن بالمدينة إلى أن توفى فى ربيع الأول سنة تسع وأربعين، وقال بعضهم: ولم يف له معاوية بشىء مما عاهده عليه، غير

---

(١) قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٧/ ٢٧٧): وهذا مقتل عمار بن ياسر - رضى الله عنهما - مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب قتله أهل الشام فبان وظهر بذلك سر ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أن عليًا محق وأن معاوية باغ، وما فى ذلك من دلائل النبوة.

أنه أجرى عليه فى السنة ألفًا.

وكان الحسن مطلاقًا[١]، ولد له خمسة عشر ذكرًا، وثمان بنات، وكانت وفاته بسم سقته زوجته جعدة بنت الأشعث، قيل: فعلت ذلك بأمر معاوية، وقيل بأمر يزيد[٢]، وكان أوصى أن يدفن عند جده ﷺ، فمنعت من ذلك عائشة[٣] ـ رضى الله عنها ـ.

واستقل معاوية بالخلافة، وولى بعده من بنى أمية ثلاثة عشر خليفة مدة ولاية الجميع ألف شهر، ولى معاوية منها تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وكان قبلها أميرًا على الشام عشرين سنة، استعمله عمر أربع سنين واستمر مدة خلافة عثمان نحو اثنتى عشرة سنة.

وفى سنة ثلاث وأربعين:

فتحت الرجح من أرض سجستان، وفى خلافته توفى عمرو بن العاص سنة ثلاث وأربعين.

وفى سنة أربع وأربعين:

توفى أبو موسى الأشعرى، وفتحت كابل[٤]، وغزا المهلب أرض الهند، وتوفيت أم حبيبة بنت أبى سفيان، واستلحق معاوية زيادًا، وأثبت نسبه من أبى سفيان بشهادة أبى مريم الخمّار أنه زنى بأمه نسمية البغى وحبلت منه وجاء بزياد، وكان زياد ثابت النسب من عبيد الرومى، وشق ذلك على بنى أمية، ثم ولاه معاوية البصرة والكوفة، وخراسان، وسجستان والهند والبحرين وعمان، وظلم وفجر، وقويت به شوكة معاوية.

وكان معاوية وعماله يسبون عليًا على المنابر، وكان من عادة حجر بن عدى إذا سبوا عليًا عارضهم وأثنى عليه، ففعل ذلك فى إمرة زياد بالكوفة فأمسكه وأرسل به إلى

---

(١) قال أبو جعفر: قال علىّ: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن بن على فإنه مطلاق. وكانت لا تتزوجه امرأة إلا وهى تحبه وتندم على فراقه ـ رضى الله عنه ـ.

(٢) قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (٨/ ٤٤) بعد ذكر قصة جعدة: وعندى أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى.

(٣) الذى ذكر الحافظ ابن كثير أن عائشة لم تمنع من ذلك بل الذى منعهم بنو أمية فإنهم قالوا: لا تدعه يرقد مع رسول الله ﷺ أيدفن عثمان بالبقيع ويدفن الحسن بن على فى الحجرة؛ فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبى وقاص وأبو هريرة وجابر وابن عمر على الحسين ألا يقاتل فامتثل ودفن أخاه قريبًا من أمه بالبقيع ـ رضى الله عنهم ـ البداية والنهاية (٨/ ٦٦).

(٤) والذى فتحها عباد بن الحصين، كما ذكر ذلك ابن الأثير.

معاوية، فأمر بقتله وثمانية أنفس من جماعته، فقتلوا بقرية عذرا ـ رحمهم الله تعالى ـ وعظم ذلك على المسلمين.

قال السلطان عماد الدين ـ رحمه الله ـ: روى عن الشافعى ـ رحمه الله ـ أنه أسرَّ إلى الربيع أن أربعة من الصحابة لا تقبل لهم شهادة: معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة، وزياد.

وفى سنة خمس وأربعين:

توفى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بسم دسه إليه معاوية مع نصرانى[1].

وفيها: غزا معاوية بن شريح إفريقية.

وفى سنة ست وأربعين:

كانت الوقعة بين الربيع بين زياد الخدرى والترك على سقرة فانهزم الترك.

وفى سنة سبع وأربعين:

جمعت الترك فالتقى بهم عبد الله بن سوار العبدى ببلاد السند ومات فيها عبد الله.

وفى سنة ثمان وأربعين:

توجه سنان واليًا على أرض السند عوض عبد الله بن سوار.

وفى سنة تسع وأربعين:

توفى سيد شباب أهل الجنة أبو محمد الحسن بن على، وقتل مسمومًا وله سبع وأربعون سنة.

وفى سنة خمسين:

توفى عبد الرحمن بن سمرة، وكعب بن مالك، والمغيرة بن شعبة، وصفية أم المؤمنين.

وفى سنة إحدى وخمسين:

توفى سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود له بالجنة.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: وقد ذكر ابن جرير وغيره أن رجلاً يقال له ابن أثال، وكان رئيس الذمة بأرض حمص سقاه شربة فيها سم فمات. وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له فى ذلك ولا يصح. البداية والنهاية (٨/ ٣٤).

وفيها: توفى أبو أيوب الأنصارى على باب القسطنطينية.

وفى سنة اثنتين وخمسين:

توفى عمران بن الحصين، وكعب بن عجرة، ومعاوية بن خديج.

وفى سنة ثلاث وخمسين:

هلك زياد بأكلة فى يده.

وفيها: ولى خراسان سعد بن عثمان بن عفان، وغزا سمرقند.

وفى سنة سبع وخمسين:

عزل، وأضيفت خراسان إلى عبد الله بن زياد.

وفيها: توفيت أم المؤمنين عائشة، قال الواقدى: بل فى التى بعدها.

وفى سنة ثمان وخمسين:

توفى أحد الأجواد عبيد الله بن عباس، قيل؛ وتوفى فيها أبو هريرة.

وفى سنة تسع وخمسين:

توفى أبو محذورة المؤذن، وسعيد بن العاص، وكان جوادًا ممدحًا، وهو ممن اعتزل الجمل وصفين.

وفى سنة تسع وخمسين:

بايع معاوية بالخلافة لولده يزيد، وامتنع عن البيعة الحسين بن على، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبى بكر، وعبد الله بن الزبير.

وفى سنة ستين:

مات معاوية وكان عمره خمسًا وسبعين سنة، وكان يغلب حلمه على ظلمه، وكان داهية، يحسن سياسة الملك، دخلت عليه أروى بنت الحارث بن عبد المطلب فقال لها: مرحبًا بك يا خالة، كيف حالك، فقالت بخير يا ابن أخى، لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك؛ وكنا أهل بيت أعظم الناس فى هذا الدين بلاءًا حتى قبض الله نبيه مشكورًا سعيه، مرفوعًا منزلته، فوثب علينا بعده تيم وعدى وأمية، فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فرعون، وكان على ابن أبى طالب بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى.

فقـال لها عمرو بن العـاص: أيتها العـجوز الضالة أقصـرى عن قولك، مع ذهاب عقلك، فـقالت: وأنت يا ابن الباغـية تتكلم وأمك كـانت أشهر بغى بمكة وأرخـصهن أجرة، فدعاك خـمسة من قريش كل يقول هو ابنى، فسـئلت أمك عن ذلك، فقالت: كلهم أتانى، فانظروا أيهم أقرب شبهًا به، وكان أقربهم شبهًا العاص بن وائل، فألحقوك به.

فقـال لها معاوية: عـفا الله عمـا سلف، هاتى حاجتك، فـقالت: أريد ألفى دينار أشترى بها عينًا فوارة فى أرض خـوارة تكون لفقراء بنى عبد المطلب، وألفى دينار أزوج بها فقراء بنى الحـارث، وألفى دينار أخرى أستعين بها على شدة الزمـان، فأعطاها ستة آلاف دينار وانصرفت.

مبايعة يزيد بن معاوية:

ومعـاوية أول من بايع لولده، وأول من وضع البريد، وأول من جعل المقـصورة فى المسجد، وثانى خلفـاء بنى أمية ابنه يزيد بويع بالخلافة سنة ستـين، فأرسل أهل الكوفة إلى الحسين ليبايعـوه، فأرسل إليهم ابن عمه مسلمة بن عقـيل فبايعه ثلاثين ألفًا منهم، وكان العامل بالكوفة النعمان بن بشير، فعزله يزيد، وولى عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله ـ وكان واليًا على البصرة، فلما قدم عبيد الله الكوفة اجتمع عليه مبايعو الحسين وحاصروه فى قصره ومعه ثلاثون رجلاً، فأعمل عبيد الله الحيلة، وقلب الناس وفرقهم عن مسلم، وأحضر مسلم إليه، وأرسل رأسه، ورأس هانىء بن عروة الذى أخذ البيعة للحسين إلى يزيد.

وكان الحسـين بن على قد خرج نحو الـكوفة بجموع كثيرة، فلما بلغه قـتل مسلم تخاذل الناس عنه وتفرقوا، فلما وصل إلى مكان يقال له سراف وصل إليه الحر صاحب شـرطة عبـيـد الله بن زياد فى ألفى فارس، فـقـال له الحسـين بن على: مـا أتيت إلا بكتبكم، فإن رجـعتم رجعت، فأبى الحرُّ إلا أن يسيـر معه الحسين، فسـار معه، فورد كتاب عبيد الله بأن ينزل الحسين على غـير ماء، فأنزله بكربلاء يوم الخميس ثانى المحرم سنة إحدى وستين.

وقدم ثانى يوم من الكوفة عـمر بن سعيد بن أبى وقاص بأربـعة آلاف فارس لحرب الحسين، فطلب منهم الحسـين إما أن يمكن من العود أو إرحـاله إلى يزيد، فكتب عمر

إلى ابن زياد بذلك، فأرسل شمر بن ذى الجوشن إلى عمر بن سعيد إما أن تقاتل الحسين، وتبعث ربطًا بالخيل جثته، وإما أن تنعزل، ويكون الأمير على الجيوش شمر، فقال عمر بن سعيد: بل أقاتله، ونهض إليه عشية الخميس تاسع المحرم، فسألهم المهلة إلى الغد، فأجابوه، وأذن لأصحابه أن يتفرقوا حيث أرادوا، فقال أخوه العباس: لا نبقى بعدك، لا أرنا الله ذلك اليوم، وقال نحو ذلك أخوته وبنو أخيه، وبنو عبد الله بن جعفر.

قتل الحسين بن على ـ رضى الله عنه ـ ولعن قاتليه:

وكان الحسين وأصحابه يصلون الليل كله، يدعون على يزيد، فلما أصبح يوم عاشوراء يوم الجمعة ركب عمر بن سعيد فى الجيش وثبت الحسين ومن معه، وهم اثنان وثلاثون رجلاً فارسًا، وأربعون راجلاً، وتقاتلوا إلى الظهر، واشتد على الحسين العطش، وتقدم ليشرب، فرمى بسهم وقع فى فمه، ونادى شمر: ويحكم أقتلوه، فضربه زرعة بن شريك على كفه، وآخر على عاتقه، وطعنه سنان بن أنس النخعى بالرمح، فوقع فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه، وقيل الذى احتز رأسه هو الشمر.

وجاء به إلى عمر بن سعيد، فأمر جماعة فوطئوا ظهر الحسين وصدره بخيولهم، ثم بعث بالرؤوس والنساء والأطفال إلى عبيد الله بن زياد، فبعثها عبيد الله إلى يزيد، فجهزهم إلى المدينة، فلقيهم نساء بنى هاشم حاسرات، وفيهن ابنة عقيل تبكى وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبى لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترى وبأهلى بعد مفتقدى ... منهم أسارى وصرعى ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم ... أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

وقتل مع الحسين أربعة من أولاد على: العباس، وجعفر، ومحمد، وأبو بكر، ومن أولاد الحسين أربعة، وعدة من أولاد جعفر وعقيل.

واختلف فى موضع رأسه، فقيل: جهز إلى المدينة ودفن عند أبيه، وقيل: عند باب الفراديس بدمشق، وقيل: إن خلفاء مصر نقلوا من عسقلان رأسه إلى القاهرة، ودفنوه بها، وبنوا عليه المشهد المعروف بمشهد الحسين.

والصحيح أن عمره كان خمسًا وخمسين سنة، قيل: حج خمسًا وعشرين حجة، وكان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة.

وفى سنة اثنتين وستين:

اتفق أهل المدينة على خلع يزيد لقلة دينه، وأخرجوا نائبه عثمان بن محمد بن أبى سفيان منها.

ودخلت سنة ثلاثة وستين:

فجهز يزيد جيشًا مع مسلم بن عقبة، فسار إليها فى عشرة آلاف فارس، وحاصرها، وعمل أهل المدينة خندقًا، وجرى قتال شديد، قتل فيه الفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وجماعة من الأشراف والأنصار، وانهزم أهل المدينة، وأباح مسلم مدينة النبى ﷺ ثلاثة أيام يقتلون الناس، وينهبون الأموال، ويفسقون فى النساء، وبايع من بقى منها على أن يكونوا عبيدًا ليزيد، كل ذلك حب فى يزيد، وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذى الحجة، وتعرف بالحرة لأنهم التقوا بظاهر المدينة الشريفة، ثم سار الجيش إلى مكة، فهلك فى الطريق، وأقام معاوية الحصين بن نمير فى الحرم.

ودخلت سنة أربع وستين:

ففى أولها كان هلاك مسلم بن عقبة ومن أقبح القبائح أنه استباح المدينة وبعد الوقعة وقع مريضًا فى محفة لا جرم لم يمهله الله، ولا مرسله يزيد، بل هلك بعد بضعة وسبعين يومًا من وقعة الحرة، ومن قتل بها مشهوده.

ودخل الحصين إلى مكة وحاصر عبد الله بن الزبير بمكة أربعين يومًا حتى جاءهم الخبر بموت يزيد، فارتحل نحو الشام بعد أن رمى الكعبة بالمنجنيق وأحرقها بالنار، وكانت وفاة يزيد بحوارين من عمل حمص سنة أربع وستين، وعمره ثمان وثلاثون سنة، ومدة خلافته ثلاث سنين ونصف، وخلف عدة بنين وبنات، وكان شاعرًا فصيحًا، عربيًا، ربى فى بنى كلب مع أمه ميسون بنت مجدل الكلبية لما طلقها معاوية حين سمعها تنشد:

للبس عباءة وتقر عينى	أحب إلى من لبس الشفوف
وبيت تخفق الأرواح فيه	أحب إلى من قصر منيف
وبكر تبيع الأضغان صعب	أحب إلى من نعلٍ رفوف
وكلب ينبح الأضياف صعب	أحب إلى من نقر الدفوف
وحرف من بنى عمى ثقيف	أحب إلى من علج عسوف

فقال لها معاوية: ما رضيت يا ابنة بجدل حتى جعلتينى علجًا، الحقى بأهلك، فمضت إلى كلب ويزيد معها.

ومن شعر يزيد:

دعوت بماء فى إناء فجاءنى غلام به خمرًا فأوسعته زجرا

فقال هو الماء القداح وإنما تجلى به خدى فأوهمك الخمرا

ولما توفى يزيد بويع بالخلافة ولده معاوية، وكان شابًا دنيًا، فلم تكن ولايته إلا أربعين يومًا، وقيل: تسعين يومًا وعمره إحدى وعشرين سنة، كان قبل مرضه جمع الناس وقال: ضعفت على أمركم، فاختاروا من شئتم، ثم دخل منزله وتغيب حتى مات، وبايع الناس عبد الله بن الزبير، فقام مروان بن الحكم بالشام واجتمع عليه بنو أمية وجرت بينهما حروب، قتل فيها الضحاك بن قيس من جهة ابن الزبير، وآخر الأمر استقر عبد الله بن الزبير خليفة على الحجاز والعراق واليمن، ومروان بن الحكم خليفة على الشام ومصر.

وفى سنة أربع وستين:

هدم عبد الله بن الزبير الكعبة وكانت حيطانها مالت بسبب رمى المنجنيق، وأعادها على ما كانت عليه أولاً، وأدخل الحجر فيها.

وفى سنة خمس وستين:

مات مروان بن الحكم، خنقته زوجته أم خالد بن يزيد، وصاحت: مات فجأة، ودفن بدمشق، وعمره ثلاث وستون سنة، ومدة خلافتة تسعة أشهر وثمانية عشر يومًا، وبويع ابنه عبد الملك فى ثالث رمضان منها وطلب الشمر فقتله، وبعث إلى خولد بن يزيد الأصبحى فقتله وأحرقه بالنار، وقتل عمر بن سعد بن أبى وقاص وابنه حفص، وبعث رأسهما إلى محمد بن الحنفية بالحجاز، وأرسل الجنود لقتال عبيد الله بن زياد مع إبراهيم بن الأشتر النخعى، فانهزمت أصحاب زياد، وقتل إبراهيم عبيد الله، وأرسل برأسه وعدة رؤوس إلى المختار، وانتقم الله للحسين.

وفى سنة سبع وستين:

ولى عبد الله بن الزبير مصعبًا أخاه البصرة وطلب المهلب بن أبى صفرة من خراسان، وأمرهما بالمسير معًا لقتال المختار بالكوفة، فحصروا المختار حتى قتل، ونزل

أصحابه فقتلهم مصعب جميعهم، وكانوا سبعة آلاف.

وفى سنة ثمان وستين:

توفى ربانى الأمة، وحبر القرآن، بحر الحديث، الفقيه المفسر عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ.

وفى سنة تسع وستين:

كان طاعون الجارف بالبصرة، كان ثلاثة أيام، مات فى كل يوم سبعون ألفًا، وأصبح الناس فى الرابع لم يبق منهم إلا اليسير.

وفى سنة سبعين:

غدر عبد الملك بعمر بن سعيد بن العاص الأشدق، وذبحه، وكان قد وثب فى التى قبلها على دمشق وأراد الخلافة، فجرى بينهما قتال، ثم اصلطحا بعد أن حصر عمر بن سعيد، ونزل إليه بالأمان.

وفيها: ثارت الروم على المسلمين، فصالحهم عبد الملك على ألف دينار فى كل جمعة، وكان ذلك أول من دخل على الإسلام لاختلاف الكلمة.

وفى سنة إحدى وسبعين:

سار عبد الملك نحو مصعب وسار مصعب إليه، ولما التقى الجمعان نافق قوم مصعب وقاتل حتى قتل هو وولده، ودخل عبد الملك الكوفة، وبايعه الناس، واستوثق له ملك العراقين، وجهز عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفى إلى قتال ابن الزبير، وجرت بينهما وقعات كثيرة، آخرها أنه حصر عبد الله بن الزبير، ورمى البيت الحرام بالمنجنيق، وابن الزبير نفسه، وقاتل حتى قتل بعد حصار سبعة أشهر، وكان عمره ثلاثًا وسبعين سنة، ومدة خلافته تسع سنين، وبويع لعبد الملك بالحجاز واليمن واجتمع الناس على طاعته.

وفى سنة ثلاث وسبعين:

بعد موت ابن الزبير بثلاثة أشهر توفى عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعمره سبع وثمانون سنة.

وفى سنة أربع وسبعين:

تقدم الحجاج الكعبة وأخرج الحجر عن البيت وأعادها كما كانت على زمن رسول الله

ﷺ إلى الآن، واستمر الحجاج بالحجاز أميراً.

وفى سنة خمس وسبعين:

حج عبد الملك وخطب له على منبر النبى ﷺ، وعزل الحجاج، ثم ولاه العراق، وخرج فى أيامه شبيب الخارجى، وكثرت جموعه وحروبه مع الحجاج، وآخر الأمر أنه تفرقت جموعه وسقط من فوق الجسر بفرسه فمات.

وخرج عبد الرحمن بن الأشعث واستولى على العراق ثم الكوفة، ثم أمد عبد الملك الحجاج بجيوشه، وانهزم عبد الرحمن ولحق بالترك، فقبض عليه ملك الترك وأرسله مع أربعين من أصحابه إلى الحجاج، فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح، ومات فى الطريق.

وفي سنة ثلاث وثمانين:

بنى الحجاج مدينة واسط.

وفى سنة ست وثمانين:

مات عبد الملك بن مروان فى منتصف شوال منها ، وكانت مدة خلافته منذ وفاة عبد الله بن الزبير ثلاث عشرة سنة، وأربعة أشهر تنقص سبع ليال، وكان شديد النحر سمى لذلك بأبى الريان، وكان يلقب لبخله: ابن شيخ الحجر، وكان قد عهد لابنه الوليد، وفتحت فى خلافته جزيرة الأندلس، وما وراء النهر، وأضاف إلى الحجاج خراسان مع العراقين، وتغلغل الحجاج فى بلاد الترك، ومسلمة بن عبد الملك فى بلاد الروم فتحًا وسبيًا، وفتح محمد بن القاسم الثقفى بلاد الهند.

وفى هذه السنة: ولى الوليد بن عبد الملك ابن عمه عمر بن عبد العزيز المدينة، وأمره بتوسعة مسجد النبى ﷺ، فدعا عمر عشرة من فقهاء المدينة، وهم: عروة بن الزبير، وعبد الله بن عقبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن سلمان، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأخوه عبد الله، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد، وقال لهم: لا أقطع أمرًا دونكم.

وفى سنة سبع وثمانين:

وسّع عمر بن عبد العزيز مسجد النبى ﷺ، وأدخل بيوت زوجاته فيه، بحيث

صارت ساحة المسجد مائتى ذراع فى مثلها بصناع جهزها إليه الوليد.

وفى سنة ثمان وثمانين:

جاءت الترك فى جمع لم يسمع بمثله، فيقال: كانوا مائتى ألف، التقى بهم قبيصة ابن مسلم فهزمهم وأقبلت الروم فى جمع عظيم فالتقى بهم مسلم وكسرهم أيضًا ولله الحمد.

وفيها: عمّر الوليد الجامع المعروف ببنى أمية بالشام، وصرف عليه أموالاً لا تحصى.

وفى سنة تسع وثمانين:

غزا مروان السوس الأقصى، فبلغ السبى أربعين ألفًا، ثم استفتح عمورية.

وفى سنة إحدى وتسعين:

افتتح مسلمة بن عبد الملك بما وراء النهر، وأوطأ الكفار ذلاً، وفروا حتى بلغ أذربيجان.

وفى سنة اثنتين وتسعين:

افتتح طارق الأندلس.

وفى سنة ثلاث وتسعين:

كانت وقعة عظيمة بين قتيبة والترك، فلم يثبت من الترك إلا اليسير، وفتحت، ثم فتحت سمرقند، وكانت الفتوح بأرض المغرب والروم والهند، ولم يفتح المسلمون بعد خلافة عثمان مثل هذه الفتوح.

وفى سنة أربع وتسعين:

افتتح قتيبة فرغانة والساس.

وفى سنة خمس وتسعين:

قتل الحجاج سعيد بن جبير، أرسله إليه خالد القسرى أمير مكة بأمر الوليد، وقال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

وفى هذه السنة: توفى سعيد بن المسيب، وكان من كبار التابعين وفقهائهم.

وفيها: توفى زين العابدين على بن الحسين بن على ـ رضى الله عنهم ـ وكان مع أبيه

لما قتل، لكن سلم بسبب أنه كان مريضًا فى فراشه، دفن بالبقيع وعمره ثمان وخمسين سنة.

وفيها: هلك الحجاج وعمره أربع وخمسون سنة، وكانت مدة ولايته العراق نحو عشرين سنة، وكان أخفش رقيق الصوت، قتل مائة وعشرين ألفًا من المسلمين. الأخفش: الصغير العينين الذى لا يبصر بهما إلا قليلاً.

وفى سنة ست وتسعين:

مات الوليد بن عبد الملك بن مروان بدير مُرَّان، ودفن بدمشق، وكان عمره اثنان وأربعون سنة، ومدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر، وكان سائل الأنف جدًا، ولما مات فى جمادى الآخرة فى هذه السنة بويع بالخلافة أخوه سليمان بن عبد الملك، وكان بمدينة الرملة، فأتى دمشق وأحسن السيرة واستوزر عمر بن عبد العزيز، وعمَّر الجامع الأعظم بحلب مضاهيًا لأخيه الوليد فى عمارة الجامع الأعظم بدمشق.

وفى سنة سبع [وثمانين][١]:

حج بالناس خليفتهم سليمان بن عبد الملك.

وفى سنة ثمان وتسعين:

خرج بالجيوش إلى غزو القسطنطينية، وزرع بها الناس وأكلوا، ولم يزل مسلمة قاهرًا أهلها حتى جاءه الخبر بموت سليمان، وكانت وفاته فى صفر سنة تسع وتسعين، ومدة خلافته سنتان وثمانية أشهر، وعمره خمس وأربعون سنة، مات بالتخمة، فإنه كان أكولاً إلى الغاية، قيل: أتاه وهو بدابق آت بزنبيلين مملوءين تينًا وبيضًا فأكل الجميع تينه وبيضه فتخم ومات[٢]، وأوصى بالخلافة لعمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ فبويع بالخلافة، وأبطل سب علىّ ـ رضى الله عنه ـ وكان يُسَب من سنة إحدى وأربعين وجعل مكان السب: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠] الآية.

وفى سنة مائة:

توفى أبو الطفيل عامر بن واثلة، وهو آخر من رأى النبى ﷺ، وكان من شيعة

---

(١) هكذا فى المخطوط، والصواب تسعين.

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير أن هذا من مبالغات بنى العباس، وأنه يخالف ما كان عليه سليمان بن عبد الملك من نحافة الجسم وجمال المظهر. فنسأل الله الإنصاف.

على، ترك الكوفة، وتوفى بمكة. قيل: سنة عشر ومائة.

وفى سنة إحدى ومائة:

توفى الإمام العادل عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بخناصر، ودفن بدير سمعان، قال ابن واصل: والظاهر أن دير سمعان هو المعروف الآن بدير النقيرة من عمل المعرة.

وأكثر الناس على أنه مات مسمومًا، سمه بنو أمية، وكان مولده بمصر سنة إحدى وستين، فعمره أربعون سنة وشهور، ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر، وكان يدعى بالأشج؛ لشجة كانت فى وجهه.

ولما مات عمر بويع بالخلافة ليزيد بن عبد الملك بن مروان، وكان تعهد من سليمان ابن عبد الملك إليه بعد عمر.

وفى سنة اثنتين ومائة:

أخرج يزيد بن المهلب بن أبى صفرة من السجن، فخرج عليه يزيد بن المهلب بن أبى صفرة، فأرسل إليه أخاه مسلمة، فقاتله فقتله، وقتل جميع آل المهلب وكانوا مشهورين بالكرم والشجاعة حتى أنشد فيهم الشاعر:

تركت على آل المهلب شاتيًا غريبًا ... عن الأوطان فى زمن المحل

فما زلت فى إحسانهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم أهلى

وفى سنة ثلاث ومائة:

توفى عطاء بن يسار، ومجاهد بن جبير

وفى سنة أربع ومائة:

كانت وقعة نهراوان.

وفى سنة خمس ومائة:

توفى يزيد بن عبد الملك لخمس بقين من شعبان، وعمره أربعون سنة، وخلافته أربع سنين وشهر، وكان كثير اللهو والطرب.

واستقر فى الخلافة هشام، فإن يزيد بن عبد الملك كان عهد بالخلافة إلى أخيه مسلم، ثم من بعده إلى ابنه الوليد.

وفى عشر ومائة:

كانت وقعة الطين[١].

وفيها: توفى الحسن البصرى وكان مولده فى خلافة عمر.

وفيها: توفى محمد بن سيرين، وسيرين كان عبدًا لأنس بن مالك.

وفى سنة ثمانى عشرة ومائة:

توفى محمد الباقر بن زين العابدين وعمره ثلاث وسبعون سنة، ونقل ودفن بالبقيع.

وفى سنة تسع عشرة ومائة:

غزا المسلمون الترك وقتلوا منهم خلقًا عظيمًا، وقتلوا خاقان ملكهم، وكان أمير المسلمين أسد بن عبد الله التسترى.

وفى سنة اثنتين وعشرين ومائة:

قام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب بالكوفة، وبايعه جمع كبير، فقاتلهم الوالى على الكوفة - من جهة هشام - يوسف بن عمير الثقفى، فقتل زيد بسهم غرب، ودفن، واستخرجه بعد دفنه يوسف المذكور، وبعث برأسه إلى هشام، فعلق رأسه بدمشق، وصلب جثته بالكوفة أربع سنين حتى مات هشام، وولى الوليد، فأمر بحرق جثته، وكان عمر زيد لما توفى اثنتين وأربعين سنة، وكان زيد لما قام أتاه طائفة كثيرة، وقالوا: تبرأ من أبى بكر وعمر حتى نبايعك، فأبى، فقالوا: إذن نرفضك، فمن ذلك الوقت سموا الرافضة، وسميت شيعة الزيدية.

وفيها: كانت بالمغرب حروب وملاحم، وخرجت طائفة وبايعوا عبد الواحد الهوارى، ثم انتصر عليهم المسلمون، وقتلوا منهم خلقًا.

وفى سنة ثلاث وعشرين ومائة:

قتل بالمغرب كلثوم بن عياض القشيرى فى عدد من أمرائه واستبيح عسكره، هزمهم أبو يوسف الأزدى وأبى الصفرية، وثبت ابن عم كلثوم فكان النصر، وقتل فى المعركة أبو يوسف الأزدى.

---

(١) وفيها خرج خاقان الترك لمسلمة بن عبد الملك بجموع كثيرة وانهزم فيها الخاقان، ورجع مسلمة سالمًا وغانمًا. وسميت وقعة الطين، لأن المسلمين غرقوا فيها فى أوحال عظيمة، وما نجوا منها إلا بعد شدائد ومصاعب عظيمة.

وفيها: حج بالناس يزيد بن هشام بن عبد الملك.

وفى سنة أربع وعشرين ومائة:

توفى محمد بن مسلمة الزهرى، من كبار التابعين، وكان إذا جلس فى بيته وضع كتبه حوله، ولا يلتفت إلى أحد، فقالت له زوجته: والله إن هذه الكتب أشد علىّ من ثلاث ضرائر.

وفى سنة خمس وعشرين ومائة:

توفى هشام بن عبد الملك بالرصافة لست خلون من ربيع الأول، فكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر، وكان عمره خمسًا وخمسين سنة، وكان أحول بيِّن الحول.

وبويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكان فى أسوأ حال فى البرية خوفًا من هشام، فعكف على اللهو وشرب الخمر، ومعاشرة النساء، وزاد العطايا، ولم يقل فى شىء سئله لا، وثقل ذلك على الرعية، ورمى بالكفر، وغشيان أمهات أولاد أبيه، فخرج عليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وبايعه الناس، وجرت بينهما أمور، وآخر الأمر أنه أحضر إلى يزيد رأس الوليد، وطيف به فى دمشق، وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر، وعمره اثنتين وأربعين سنة.

واستقر يزيد بن الوليد بن عبد الملك فى الخلافة، ونقص الناس زياداتهم، فسمى يزيد الناقص، وخالف عليه أهل فلسطين وأهل حمص وقهرهم، وعصى عليه عامل العراق، ثم استبدل به، وبعد سنة أظهر الخلاف عليه مروان بن محمد، وكانت خلافته خمسة أشهر واثنتى عشر يومًا، ومات بدمشق.

واستقر فى الخلافة بعده أخوه إبراهيم المخلوع، ولم يتم له الأمر، كان يسلم عليه بالخلافة تارة، وبالإمارة تارة، ومكث أربعة أشهر، وقيل: سبعين يومًا، فإنه كان قد سار إليه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ليخلعه، فلما قرب من دمشق أرسل إليه إبراهيم بن سليمان بن هشام فى مائة وعشرين ألف، وكان مع مروان ثمانون ألفًا، واقتتلوا قتالاً شديدًا فانتصر مروان ودخل مروان دمشق وبويع بالخلافة، ورجع إلى منزله وجاء إليه إبراهيم المخلوع، وسليمان بن هشام بالأمان، وبايعاه.

وحالف عليه حمص وأهل دمشق وأهل حمص، وقهرهم، ثم سار مروان إلى قرقيسيا، فخلعه سليمان بن هشام، واجتمع عليه سبعون ألفًا من أهل الشام، وسار إليه

مروان والتقى الجمعان بأرض قنسرين فانكسر سليمان وقتل من عسكره ما يزيد على ثلاثين ألفًا.

وفى سنة ثمان وعشرين ومائة:

ظهر الضحاك بن قيس الخارجى وخافه مروان، ثم جرى بينهما قتال انهزم فيه مروان وقتل الضحاك فقام بأمر الخوارج شيبان، فقاتلهم مروان خمسة أشهر كل يوم، وإن مروان مهزوم، ثم دخل شيبان على حمية نحو شهرزور، ثم توجه إلى كرمان فقتل هنالك.

وفى سنة تسع وعشرين ومائة:

ظهرت دعوة بنى العباس بخراسان، وذلك أن أبا مسلم الخراسانى كان يختلف إلى محمد بن على بن عبد الله بن عباس، وولده إبراهيم المدعو بالإمام من بعده، وكانا بالزكة من عمل الشام بقرية يقال لها: الحميمة، ويستدعى الناس إلى مبايعة بنى العباس، ففطن به نصر بن يسار أمير خراسان، فأرسل إلى مروان يعلمه بذلك، وهو يتغفل عنه، ومن جملة ما أرسل إليه أبيات:

أرى تحت الرماد وميض نار توشك أن يكون لها اضطرام
فإن لم يطفئها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعرى أأيقاظ أمية أم نيام

وفى سنة إحدى وثلاثين ومائة:

مات نصر بن سيار بالقرب من جزيرة ساوة.

وفيها: استولى أبو مسلم على بعض بلاد خراسان، وبايع أهلها لإبراهيم الإمام بعد وفاة أبيه محمد بن على بن عبد الله بن عباس، فأرسل مروان إلى عامله بالبلقاء، فأمسك إبراهيم الإمام وأبعثه إليه فحبسه حتى مات فى حران، وكان إبراهيم الإمام نعى نفسه إلى أهل بيته، وأمرهم بالمسير من الحميمة مع أخيه عبد الله أبى العباس السفاح، وأوصى بالخلافة إلى أخيه السفاح، فسار بهم إلى الكوفة ومعه أخوه أبو جعفر، وقدم الكوفة واستخفى بها شهراً، ثم ظهر وسلم عليه الناس بالخلافة وعزوه فى أخيه إبراهيم.

ابتداء دولة بنى العباس بخلافه عبد الله أبى العباس السفاح:

ودخل دار الإمارة بالكوفة صبيحة الجمعة ثانى عشر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ودخل المسجد، وخطب الناس، وصلى بهم الجمعة، ثم عاد إلى المنبر، وصعد معه عمه داود، وخطبا الناس وحضاها على الطاعة، وجلس أبو جعفر المنصور يأخذ البيعة لأخيه السفاح فى المسجد، وخرج عسكر السفاح فعسكر بحمام أعين، وبعث عماله إلى البلاد، ثم ارتحل ونزل هاشمية الكوفة بقصر الإمارة. فسار مروان الحمَّار، ويسمى مروان الجعدى لأخذه بقول جعد بن درهم، وهو آخر خلفاء بنى أمية طالبا أبا عون عبد الملك بن يزيد الأسدى المستولى على شهرزور من جهة بنى العباس، فلما وصل مروان إلى الزاب التقى به أبو عون بما معه من الجموع، وكان مع مروان مائة وعشرون ألفا من العسكر، وحفر مروان خندقًا وعقد عليه جسرًا، وتكاثرت عليه جيوش السفاح والتقى الجمعان وانكسر مروان، وسار عبد الله عم السفاح فى أثره إلى دمشق وحاصرها وفتحها عنوة يوم الأربعاء لخمس بقين من رمضان، وأقام بها خمسة عشر يومًا، ثم رحل منها إلى فلسطين فأقام بها، وأرسل أخاه صالحًا وراء مروان، فلحقه وقد جاوز نيل مصر بقرية أبو صير، فطعن إنسانٌ مروانَ برمح فقتله، وهرب ابنا مروان عبد الله وعبيد الله إلى أرض الحبشة، وقتل عبد الله ونجا عبيد الله وبقى إلى خلافة المهدى، فبعثه عامل فلسطين إليه.

وكان عمر مروان إلى أن قتل اثنتين وستين سنة، ومدة خلافته خمس سنين وعشرة أشهر ونصف.

واستقر الأمر للسفاح وأعمامه، وكان السفاح قد قرب سليمان بن هشام بن عبد الملك، فدخل عليه شريف يومًا وأنشد:

لا يغرنك ما ترى من رجال   إن تحت الضلوع داء دويًا

فضع السيف وارفع السوط   حتى لا ترى فوق ظهرها أمويًا

فأمر السفاح بسليمان فقتل فى الوقت، أما عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس كان عنده نحو تسعين رجلاً من بنى أمية، وقد اجتمعوا للطعام، فدخل عليه سهل بن عبد الله مولى هاشم، وأنشد:

أصبح الملك ثابت الأساس   بالبهاليل من بنى العباس

طلبوا وتر هاشم وسقوها بعد مل من الزمان وباس
لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وغراس
انزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والأتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيدا وشهيداً بجانب الهراس
والقتيل الذى بحرّان أضحى ثاويًا بين غربة وتناس

فأمر عبد الله بهم فمزقوا مكانهم بالعمد، حتى ماتوا وبسط عليهم الأنطاع، ومد عليهم الطعام، وأكل الناس من فوقهم، وأنينهم يسمع.

ونبش عبد الله قبور بنى أمية بدمشق: معاوية وابنه يزيد وعبد الملك بن مروان، وهشام وجد صحيحًا فصلب ثم أحرق، وقتل أولاد بنى أمية عن آخرهم ولم يفلت منهم غير رضيع هرب إلى الأندلس، وقتل سليمان بن على بن عبد الله بن عباس جماعة من بنى أمية وأطعمهم الكلاب.

وولى السفاح أخاه يحيى محمد بن على بن عبد الله بن عباس الموصل وأخاه أبا منصور الجزيرة وما يليها، وعمه داود مكة والمدينة واليمامة، وابن أخيه عيسى بن موسى ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الكوفة وسوادها، وكان على الشام عمه عبدالله، وعلى مصر أبو عون بن يزيد، وعلى خراسان أبو مسلم الخراسانى.

وخلع أبو الورد بن الكوثر من أصحاب مروان طاعة بنى العباس، فسار إليه عبد الله وهو بقنسرين فى جمع عظيم، فاقتتلوا قتالاً شديداً وثبت أبو الورد حتى قتل وانهزم أصحابه وجدد عبد الله عم السفاح بيعة أهل قنسرين وعاد إلى دمشق، وكان قد خرج من بها عن الطاعة ونهبوا أهل عبد الله فهربوا منه حين عاد، ثم آمنهم فرجعوا.

وفى سنة ست وثلاثين ومائة:

مات السفاح بالأنبار فى ذى الحجة بالجدرى، وعمره ثلاث وستون سنة، ومدة خلافته من قتل مروان أربع سنين، وقبله ثمانية أشهر، وعهد بالخلافة إلى أخيه أبى جعفر المنصور فبريع بالخلافة، وقدم من الحج بعد أن بايعه بمكة أبو مسلم والناس، وقدم الكوفة وصلى بهم الجمعة وبايعه الناس وأقام بالأنبار، فقام عمه عبد الله بن على ابن عبد الله بن عباس وبايع الناس لنفسه، فجهز إليه أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراسانى فاقتتلا مدة، ثم هرب عبد الله، فكتب أبو جعفر بولاية مصر والشام لأبى

مسلم الخراسانى، وصرفه عن خراسان، فلم يجب إلى ذلك، فسار إلى خراسان فتغير أبو جعفر لذلك، وطلب أبا مسلم مراراً حتى جاءه فى ثلاثة آلاف رجل، وأخَّر باقى عسكره بحلوان، فقبل يده وانصرف، فلما جاءه بالغداة كان أبو جعفر أوقف جماعة من حرسه وراء السرادق، وقال: إذا صفقت بيدى فاخرجوا على أبى مسلم فاقتلوه، ففعلوا ذلك.

وكان مقتل أبى مسلم فى شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة بالمدائن، وكان أبو مسلم قد قتل فى دولته ستمائة ألف صبراً، ومن شعره:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بنى مروان إذا حشدوا
مازلت أسعى بجهدى فى دمارهم ... والقوم فى غفلة بالناس قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحدُ
ومن رعى غنمًا فى أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسدُ

وفى سنة ثمان وثلاثين ومائة:

وسع المنصور المسجد الحرام.

وفيها: أخذ فلسطين ملك الروم ملطية من المسلمين، وهدم سورها، وعفا عن أهلها.

ابتداء دولة الأمويين بالأندلس:

وفى سنة تسع وثلاثين ومائة:

ظفر المنصور بعمه عبد الله وأعدمه، وكان مستخفيًا عند أخيه سليمان.

وفيها: ابتدأت الدولة الأموية بالأندلس لعبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك.

وفى سنة أربعين ومائة:

أرسل المنصور ابن أخيه إبراهيم الإمام فى سبعين ألفًا من المسلمين وعمّر ملطية.

وفيها: أمر المنصور بعمارة المصيصة، وأسكنها ألف جندى وسماها المعمورة.

وفى سنة إحدى وأربعين ومائة:

ظهرت زنادقة يقولون بالتناسخ على مذهب أبى مسلم الخراسانى، فحبس المنصور

منهم نحو مائتى رجل، فأخذ الباقون نعشًا وأوهموا أنهم اجتمعوا لجنازة، فلما وصلوا باب السجن رموا النعش وكسروا باب السجن وأخرجوا أصحابهم، وتجمعوا نحو ستمائة رجل، وأتوا باب المنصور فخرج المنصور ماشيًا واجتمع عليه الناس، وكان معن بن زائدة مستخفيًا منه، فخرج وقاتل معه الزنادقة، فانكسرت الزنادقة وقتلوا عن آخرهم.

وفى سنة أربع وأربعين ومائة:

حبس المنصور من أولاد الحسن بن على أحد عشر رجلاً وقيدهم.

وفى سنة خمس وأربعين ومائة:

ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب بالمدينة وتبعه أهلها، فأرسل المنصور إليه ابن أخيه موسى بن عيسى، وخندق محمد بن عبد الله عليه، وتقاتلا فقتل محمد بن عبد الله وجماعة من أهل بيته، وكان هذا محمد بن عبد الله يلقب بالمهدى، وبالنفس الزكية.

وفى هذه السنة: ابتدأ المنصور فى عمارة بغداد.

وفيها: قدم أخو النفس الزكية إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة، قبل موت أخيه، ودعا الناس إلى بيعة أخيه فأجابوه، وعظم أمره وملك الأهواز وواسط، وبلغ عسكره مائة ألف، فلما جاءه خبر مقتل أخيه، وجاءه عيسى بن موسى وقاتله، وآخر الأمر أنه حمل رأس إبراهيم إلى المنصور.

عمارة بغداد:

وفى سنة سبع وأربعين ومائة:

تحول المنصور إلى بغداد لتكميل عمارتها، وكان قد أمر بتأسيسها فى السنة الماضية.

وفى سنة سبع: خلع المنصور العهد الذى كان عهده السفاح بعد المنصور لابن أخيه عيسى بن موسى، وبايع لابنه المهدى محمد بن منصور.

وفيها: ولى منصور خالد بن برمك الموصل.

وفيها: ولد الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك، وأرضعته الخيرزان أم الرشيد، فكان أخا الرشيد من الرضاعة.

وفى سنة ثمان وأربعين ومائة:

توجه حميد بن قحطبة فى جيش كثيف إلى أرمينية.

وفيها: توفى جعفر الصادق محمد بن الباقر[1]، ودفن بالبقيع، ومولده سنة ثمانين.

وفى سنة خمسين ومائة:

توفى الإمام أبو حنيفة[2] ـ رضى الله عنه ـ ببغداد مسجونًا على قبول القضاء، ودفن بها، وكان مولده سنة ثمانين، وقيل: سنة إحدى وستين.

أدرك أربعة من الصحابة: أنس بن مالك، وعبد الله بن أبى أوفى بالكوفة، وسهل ابن سعد الساعدى بالمدينة، وأبا الطفيل بن عامر بن واثلة.

قال أصحابه: لقى هؤلاء وروى عنهم وعن غيرهم، وقال غيرهم: نعم، أدركهم ولكن لم يلقهم ولم يرو عنهم والمثبت أولى من النافى.

وكذلك قال أصحابه: هو النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، وقال بعضهم: إنه النعمان بن ثابت بن زوطا مولى تيم الله بن ثعلبة، وكان زوطًا من أهل بابل، وقيل: كابل، وقيل: الأنبار، وهو مسَّه الرق فى زعمهم.

وقال إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة: ما وقع علينا رق قط.

روى أن ثابتًا ـ أبا أبى حنيفة ـ رآه على بن أبى طالب وهو صغير فدعا له ولذريته بالبركة، وأهدى جده النعمان بن المزربان لعلى، قالوا: وجاء يوم المهرجان فقال على ابن أبى طالب: مهرجونا كل يوم.

وكان أبو حنيفة عالمًا عاملاً زاهدًا ورعًا، حسن الوجه، حسن المنطق محجاجًا، قيل: صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة، وختم القرآن فى الموضع الذى مات فيه سبعة آلاف مرة.

---

(١) هو محمد بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو عبد الله جعفر الصادق. كان عالمًا زاهدًا عابدًا. من تلاميذه: سفيان الثورى، ويحيى بن الفرات. ولد سنة ١٤٧ هـ. انظر ترجمته فى التاريخ الكبير للبخارى (٢/ ٢١٨٣)، الجرح والتعديل (٢/ ١٩٨٧)، حلية الأولياء (٣/ ١٩٢)، صفة الصفوة (٢/ ٩٤)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٦).

(٢) هو الإمام النعمان بن ثابت بن زوطى، أحد الأئمة الأربعة وأكبرهم سنًا، قيل: إنه أدرك أنس ابن مالك فيكون تابعيًا، وقيل غير ذلك. من شيوخه حماد بن أبى سليمان، وعطاء بن أبى رباح، ونافع مولى ابن عمر. من تلاميذه: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، ورفر. من تآليفه المخارج فى الفقه، ومسند فى الحديث، ولد عام ٨٠ هـ وتوفى عام ١٥٠ هـ.
البداية والنهاية (١٠/ ١٠٧)، وفيات الأعيان (٥/ ٣٩)، تذكره الحفاظ (١/ ١٦٨).

وفيها: مات محمد بن إسحاق[١] صاحب المغازى، وكان ثقة لكنه طعن فيه مالك بن أنس، وكذلك لم يرو عنه البخارى ولم يخرج عنه مسلم إلا حديثًا واحدًا فى الترجمة.

وفيها: مات مقاتل بن سليمان البلخى.

وفيها: بنى المنصور الرصافة لابنه المهدى، وهى من الجانب الشرقى ببغداد.

وفى سنة إحدى وخمسين ومائة:

بنيت الرصافة.

وفى سنة اثنتين:

توفى إبراهيم بن أبى على عن سن عالية.

وفى سنة ثلاث:

غلبت الأباضية على إفريقية.

وفى سنة أربع:

سار المنصور إلى الشام وزار القدس وجهز يزيد بن حاتم فى خمسين ألفًا، وعقد له على المغرب، وجهزه إلى الخوارج الذين استولوا على المغرب.

وفى سنة خمس وخمسين ومائة:

افتتح يزيد بن حاتم إفريقية واستعادها من الخوارج.

وفى سنة ست:

توفى سعيد بن أبى عروبة[٢]، وحمزة الزيات.

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، ويقال: كومان المدنى أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله المطلى مولاهم نزيل العراق، إمام فى المغازى والسير وتكلم فيه بعضهم، ورفع من شأنه الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ. من شيوخه: الأعرج، وعبد الله بن عبد الله بن عمر، والقاسم بن محمد. من تلاميذه: يحيى بن سعيد الأنصارى، يزيد بن أبى حبيب وهما من شيوخه، وجرير بن حازم، وابن عون، والحمادان. مات سنة ١٥٠ هـ. انظر تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤ ـ ٤٠)، تاريخ بغداد (١/ ٢١٤ ـ ٢٣٦).

(٢) هو سعيد بن أبى عروبة، واسمه مهران العدوى مولى بنى عدى بن يشكر أبو النضر البصرى، ثقة حافظ إمام ولكنه كثير التدليس، واختلط، وكان من أثبت الناس فى قتادة، من شيوخه: قتادة، والنضر بن أنس، والحسن البصرى. من تلاميذه: الأعمش، وشعبة، وعبد الأعلى. انظر تهذيب التهذيب (٤/ ٥٦ ـ ٥٩).

وفى سنة سبع وخمسين ومائة:

مات الأوزاعى، واسمه عبد الرحمن بن عمر، وعمره سبعون سنة، واسم جده مجهد.

وفى سنة ثمان وخمسين ومائة:

مات المنصور، وكان خرج من بغداد يريد الحج ومعه ولده المهدى يودعه، فقال : يا ولدى إنى ولدت فى الحجة، ووقع فى نفسى أنى أموت فى الحجة هذه، ولذلك خرجت إلى الحج، فاتق الله فى عباد الله، فمرض بالإسهال ومات فى ست من الحجة من هذه السنة ببئر ميمونة محرمًا، وكان عمره ثلاثًا وستين سنة، ومدة خلافته اثنتين وعشرين سنة، وثلاثة أشهر، ولد بالحميمة، وكان أسمر خفيف العارضين، ودفن بالمصلى، وكان من أحسن الناس حلمًا فى الخلوق حتى يخرج إلى الناس، ووصل الخبر بموته، وبايع الناس ولده المهدى فى منتصف الحجة.

وفى سنة ستين ومائة:

حج المهدى وفرق أموالاً عظيمة، ووسع مسجد رسول الله ﷺ، وأمر برد نسب زياد إلى أبيه عبيد الرومى، وأخرجه من نسب الأمويين إلى ثقيف.

وفيها: مات داود الطائى الزاهد من أصحاب أبى حنيفة ، وتوفى عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى، والخليل بن أحمد البصرى النحوى، وسفيان الثورى[١]، وكان مولده سنة سبع وتسعين، وإبراهيم بن أدهم بن منصور البلخى الزاهد بن بكر بن وائل[٢].

---

(١) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهيه، يرجع إلى معد بن عدنان الثورى الكوفى، أجمع الناس على إمامته فى الحديث وغيره من العلوم، ودينه، وورعه، وزهده، وثقته، وكان من المجتهدين. من شيوخه: أبو إسحاق السبيعى والأعمش، وغيرهما. من تلاميذه: الأوزاعى ومالك وابن جريج وابن إسحاق. ولد عام ٩٦ هـ، توفى عام ١٦١ هـ. وفيات الأعيان (٢/١٢٧ ـ ١٢٨)، تاريخ بغداد (٩/١٥١)، تذكرة الحفاظ (١/٢٠٣)، طبقات المفسرين (١/١٨٦).

(٢) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلى التميمى أبو إسحاق البلخى الزاهد. روى عن يحيى بن سعيد الأنصارى، وسعيد بن المرزبان وجماعة. وروى عنه الثورى، وبقية بن الوليد، والأوزاعى. قال النسائى: ثقة مأمون أحد الزهاد. وقال ابن حبان: كان صابرًا على الجهد والفقه والورع الدائم والسخاء الوافر. انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٢ ـ ١٨٣).

وفى سنة ستين ومائة: توفى إبراهيم بن أدهم العجلى، أصله من علج وكان من أولاد الملوك.

وفى سنة إحدى وستين ومائة:

ظهر عطاء المقنع الساحر الملعون الذى ادعى النبوة، واستعدى خلائق، وأرى الناس قمرًا ثانيًا فى السماء يرى من مسيرة شهرين.

وفى سنة ثلاث وستين ومائة:

قتل المقنع عطاء[1] الخراسانى، كان يسحر ويخيل للناس صورة قمر تطلع، وادعى الربوبية، وتبعه جماعة، وبنى قلعة وسماها سنام وراء النهر، حوصر فيها، سقى نسوته سمًا فمتن، ثم تناول منه فمات، وقتل كل من فى قلعته من أشياعه، وكان أول أمره قصارًا فى مرو أعور مشوه الوجه،قصيرًا، اتخذ له وجهًا من ذهب، لذلك سمى المقنع.

وفى سنة أربع وستين ومائة:

كان مجيئ ميخائيل البطريق وطاراد الأرمنى فى تسعين ألفًا فقتل عبد الكبير، ومنع المسلمين عن قتالهم فهمَّ المهدى بضرب عنقه وسجنه.

وفى سنة خمس وستين ومائة:

غزا المسلمون وعليهم هارون الرشيد ومعه جيش كبير وفى مقدمته ربيع الحاجب، فالتقوا مع الروم وكسروهم، وفتحوا ساحل فى الروم، حتى وصلوا خليج قسطنطينية، وسبوا، وقتلوا، وصالحتهم ملكة الروم على مال جزيل، وقيل إنه قتل من الروم خمسون ألفًا، وغنم المسلمون ما لا يحصى، حتى بيع الفرس بدرهم، والبغل الجيد بعشرة دراهم.

وفى سنة ست وستين:

قتل بشار بن برد الشاعر على الزندقة، وكان ممسوخ العين خلقة، عاش تسعين سنة.

وفى سنة سبع وستين ومائة:

زاد المهدى فى المسجد الحرام ومسجد النبى ﷺ.

---

(١) ذكر ابن الجوزى أن اسمه حكيم. قال ابن كثير: قال ابن خلكان: كان اسم المقنع: عطاء، وقيل حكيم، والأول أشهر.

وفى سنة ثمان:

غزا المسلمون الروم لنقضهم الهدنة.

وفى سنة تسع وستين ومائة:

توفى المهدى محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس لثمان بقين من المحرم، وكانت خلافته عشر سنين وشهرًا، وعمره ثلاثًا وأربعين سنة.

وبويع ولده موسى الهادى، فظهر عليه الحسين بن على بن الحسين بن الحسن بن على ابن أبى طالب بالمدينة، وقوى أمره، وأخذ مكة، فقاتله من كان حاجًا من العباسيين فقتل الحسين وحمل رأسه مع رؤوس كثيرة من قومه إلى الهادى، فأنكر عليهم الهادى، وقطع جوائزهم، فإن الحسين المذكور كان شجاعًا كريمًا، قدم مرة على المهدى فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها ببغداد والكوفة، ورجع بفروة ليس تحتها قميص.

مبايعة هارون الرشيد:

وفى سنة سبعين ومائة:

مات الهادى وعمره ست وعشرون سنة، وخلافته سنة واحدة وثلاثة أشهر، وبويع أخوه هارون الرشيد بن المهدى، وأمه أم الهادى الخيزران، واستوزر يحيى بن خالد البرمكى، وألقى مقاليد الأمور إليه.

وفى هذه السنة: عمّر الرشيد طرطوس على يد فرح الخادم التركى.

وفيها: عمَّر عبد الرحمن الأموى أعلى الأندلس جامع قرطبة موضع الكنيسة، وصرف مائة ألف دينار.

وفى سنة إحدى وسبعين ومائة:

مات عبد الرحمن المذكور، وملك بعده هشام، وكان عُمر عبد الرحمن حين مات نيف وخمسين سنة، ومدة ملكه الأندلس ثلاثًا وثلاثين سنة، وكان طويلاً أصهب، أعور، خفيف العارضين، اجتمع من سلم من بنى أمية إليه بالأندلس.

وفى سنة ست وسبعين ومائة:

ظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب بالديلم، واشتدت شوكته، وجهز الرشيد الفضل بن يحيى بن البرمكى فى جيش عظيم، فصالحه

وأحضره إلى الرشيد فأكرمه، ثم أمسكه وحبسه ومات فى الحبس.

وفى سنة تسع وسبعين ومائة:

توفى الإمام مالك[١] بن أنس بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث من ولد ذى الأصبح أخى الحارث بن عوف من ولد يعرب بن قحطان، وكان مولده سنة خمس وتسعين، ودفن بالبقيع، وكان طويلاً أشقر.

وفى سنة ثمانين ومائة:

مات هشام بن عبد الرحمن بالأندلس وعمره سبع وثلاثون سنة وأشهر، ومدة خلافته سبع سنين، وسبعة أشهر، واستخلف بعده ولده الحكم، فخرج عليه عماه سليمان وعبد الله، ثم ظفر بهما، وقتل سليمان، وصالح عبد الله.

وفيها: توفى سيبويه[٢] النحوى بقرية يقال لها: البيضاء من قرى شيراز، واسمه عمر ابن عثمان بن قنبر، كان أعلم الناس بالنحو.

وبرز على شيخه الخليل بن أحمد، وقيل: توفى بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة.

قال أبو الفرج بن الجوزى: توفى سيبويه سنة أربع وتسعين ومائة، وعمره اثنان وثلاثون سنة بمدينة ساوه.

وذكر خطيب بغداد عن ابن دريد أن سيبويه توفى بشيراز وقبره بها، وسيبويه لفظ فارس معناه بالعربى: رائحة التفاح، وسبب تلقبه بذلك أنه كان حسن الوجه، وجنتاه كأنهما تفاحتان.

---

(١) هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبى عامر بن عمرو الأصبحى، ينتهى نسبه إلى يعرب بن قحطان. إمام دار الهجرة، أحد الأئمة الأربعة، أجمعت الأمة على علمه وورعه وحفظه وضبطه وصلاحه وأمانته، وإحاطته بالكتاب والسنة، وهو غنى عن التعريف وأعرف من أن يعرَّف، كتبت فيه الكتب المستقلة. من شيوخه: ربيعة الرأى، عبد الرحمن بن هرمز، نافع مولى ابن عمر، والزهرى. من تلاميذه: يحيى بن يحيى الأندلسى، والشافعى، والثورى، وغيرهم يبلغون الألف. من تآليفه: الموطأ، وتفسير غريب القرآن، ورسالة فى القدر. ولد عام ٩٢ هـ، وتوفى عام ١٧٩ هـ. تذكرة الحافظ (١/ ٢٠٧)، ترتيب المدارك (١/ ١٠٤)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤).

(٢) هو عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر مولى بنى الحارث بن كعب إمام النحاة. سمع من حماد بن سلمة، وأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، ودخل بغداد وناظر الكسائى. وقد صنف كتابه المعروف فى النحو، وعليه التعويل بعده. البداية والنهاية (١٠/ ١٨٢ ـ ١٨٣).

وجرى له مع الكسائى بحثه المشهور فى قولك: كنت أظن لسعة العقرب أشد من لسعة الزنبور، فإذا هو هى، فقال الكسائى: فإذا هو إياها، وانتصر الخليفة للكسائى فغضب سيبويه لذلك، وسافر من العراق إلى شيراز وتوفى بها.

وفيها: توفيت رابعة العدوية، وكانت الزلزلة التى وقعت بها بناية الأسكندرية.

وفيها: توفى مسلم بن خالد الزنجى شيخ الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ.

وفى سنة إحدى وثمانين ومائة:

توفى أبو يوسف[1] القاضى يعقوب بن إبراهيم، من ولد سعد بن خيثمة الصحابى الأنصارى، وخيثمة اسم أمه، واسم أبيه بجير.

قال محمد بن سماعة: سمعت أبا يوسف فى اليوم الذى مات فيه يقول: اللهم أنت تعلم أنى لم أحد فى حكم حكمته بين اثنين من عبادك تعمداً، ولقد اجتهدت فى الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك ﷺ، وكلما أشكل علىّ جعلت أبا حنيفة بينى وبينك، وكان عندى والله ممن يعرف أمرك، ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه.

وأخبار أبى يوسف كثيرة، وأكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه، وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائة، وتوفى فى سنة اثنتان وثمانون ومائة.

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائة:

توفى موسى الكاظم بن جعفر الصادق ببغداد فى حبس الرشيد، سمى الكاظم؛ لأنه كان يحسن إلى من يسىء إليه، وقبره ببغداد مشهور، وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائة.

وفى سنة سبع وثمانين ومائة:

أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى، وأكثر الناس على أن السبب أن الرشيد زوج أخته العباسة به ليحل له النظر إليها فواقعها سراً، وأحاط على جميع أموال

---

(١) هو قاضى القضاة يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى، فقيه كبير، له آراء خالف فيها شيخه أبا حنيفة. من شيوخه: أبو حنيفة، وهشام بن عروة، وأبو إسحاق الشيبانى. من تلاميذه: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، ومحمد بن الحسن. من تصانيفه: كتاب الخراج، وكتاب الجوامع، والرد على سير الأوزاعى. ولد عام ١١٣ هـ، وتوفى عام ١٨٢ هـ. تذكرة الحفاظ (١/ ٢٩٢)، وفيات الأعيان (٥/ ٤٢١)، الفوائد البهية ص ٢٢٥.

البرامكة فى سائر البلاد إلا محمد بن خالد بن برمك وذويه.

ولما قتل جعفر كان عمره سبعًا وثلاثين، وكانت الوزارة فيهم سبع عشرة سنة، وقال يحيى لما نكبوا: الدنيا دول، والمال عارية، ولنا بمن قبلنا أسوة، وفينا لمن بعدنا معتبر.

وفيها: توفى الفضل بن عياض[1] ـ رحمه الله تعالى ـ.

وخلعت الروم ملكتهم وولوا نقفورًا، فكتب إلى الرشيد: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد.. فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرُّخ، وأقامت نفسها مقام البيرق فحملت إليك من أموالها من ذلك لضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابى فاردد ما حصل قبلك وافتد نفسك، وإلا فالسيف بيننا.

فلما قرأ الرشيد الكتاب اشتد غضبه وتفرق جلساؤه خوفًا من بأدرة تقع منه، ثم كتب رده على ظهر الكتاب:

من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قرأت كتابك يا ابن الكافر، والجواب ما تراه دون ما تسمعه، ثم ركب من يومه وأسرع حتى نزل على مدينة هرقلة ووطء هونًا، فقتل وسبى، ونزل نقفور بعد الموافقة على خراج يحمله فأجابه، فلما رد من غزوته، وفى الرقة نقض نقفور، فكر راجعًا فى وقته حتى أناخ بفنائه، وبلغ منه مراده.

وفى سنة ثمان:

غزا المسلمون الروم فى درب الصفصاف، فجرح الملك نقفور ثلاث جراحات وانهزم وقتل وجيشه عن آخره.

وفى سنة تسع وثمانين ومائة:

توفى محمد بن الحسن الشيبانى[2]، كان والده الحسن من أهل حرستان من دمشق،

---

(١) هو الفضيل بن عياض أبو على التميمى. إمام ثقة فاضل زاهد، ولد بخراسان بكور أبيورد. سمع الأعمش، ومنصور بن المعتمر، وعطاء بن السائب وغيرهم. انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد (٥/ ٥٠٠)، التاريخ الكبير (٧/ ١٢٣)، الجرح والتعديل (٧/ ٧٣)، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩٤)، حلية الأولياء (٥/ ١٥).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى بالولاء، الحنفى، أصولى، فقيه، لغوى، مرجع أهل الرأى بالعراق، كتب له الشافعى يطلب منه بعض الكتب لينسخها لما أخرها عنه: =

فسافر إلى العراق وأقام بواسط، فولد له محمد، ونشأ بالكوفة وصحب أبا حنيفة.

وفيها: كان الفداء الذى لم يسمع بمثله، حتى لم يبق فى أيدى الروم مسلم.

وفى سنة تسعين ومائة:

توفى يحيى بن خالد بن برمك وعمره سبعون سنة فى حبس الرقة.

وفى سنة ثلاث وتسعين ومائة:

مات ابنه الفضل بن يحيى فى حبس الرقة أيضًا، وعمره خمس وأربعون سنة.

قال السلطان عماد الدين ـ رحمه الله ـ: وكان من محاسن الدنيا لم ير فى العالم مثله.

وفيها: مات الرشيد لثلاث خلون من جمادى الآخرة بمدينة طوس وكان عمره سبعًا وأربعون سنة وخمسة أشهر، ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهرين، وثمانية عشر يومًا، وكان جميلاً، أبيض، يتصدق كل يوم بألف درهم، وعهد بالخلافة إلى ابنه الأمين بن زبيدة، ثم إلى ابنه المأمون بن مزاجل، وكتب بينهما عهدًا بذلك، وجعله فى الكعبة.

الأمين بن هارون الرشيد:

وبويع بالخلافة الأمين، وخالف عليه أهل مصر، ثم أطاعوه، وكان يخطب للأمين والمأمون معًا، فلما كانت سنة خمس وتسعين ومائة أبطل الأمين اسم المأمون من الخطبة، وجعل موضعه فى العهد ابنه موسى، وسماه الناطق بالحق، وكان طفلاً، وجهز جيشًا لحرب المأمون، وكان طاهر بن الحسن مقيمًا بالرى من جهة المأمون فخلع بيعة الأمين وبايع بالخلافة المأمون وكسر عسكر الأمين، وقتل أميره على بن عيسى بن

=

وقل لمن لم تر عين	من رآه مثله
ومن كان من رآه	قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله	أن يمنعوه أهله
لعله يبذله	لأهله لعله

فلما قرأ محمد الأبيات، أرسل إليه الكتب التى طلبها فى وقته.

من شيوخه: أبو حنيفة، ومالك، والأوزاعى، ومن تلاميذه: الشافعى، والجوزجانى وعبيد الله الرازى. من تآليفه: الجامع الكبير، والجامع الصغير، والمبسوط، ولد عام ١٣٢ هـ، وتوفى عام ١٨٩ هـ. تاج التراجم ص ٢٥٤، الفهرست ص ٢٨٧، شذرات الذهب (١/ ٣٢٠).

ماهان، وحمل رأسه إلى المأمون بخراسان، وجرت حروب، وآخر الأمر أنه قوى أمر طاهر، ودخل بغداد وحصر الأمين وأمسكه وقتله ونصب رأسه على برج من أبراج بغداد، ثم أرسل إلى المأمون، فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر، وكسر وعمره ثمانيًا وعشرين سنة، وكان سبطًا أقزع الرأس، صغير العينين، جميلاً طويلاً، منهمكًا على المعاصى واللهو.

واستوثق الأمر المأمون شرقًا وغربًا، وولى الحسن بن سهل العراق وفارس والحجاز، واليمن والأهواز، وكان عقد لأخيه الفضل بن سهل فوق ذلك، وسماه ذو الرئاستين الحرب والقلم.

وظهر فى أيام المأمون ابن طباطبا العلوى محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن على بن أبى طالب بالكوفة، وقوى أمره، ومات فى سنة مائتين.

ظهر أيضًا إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوى، واستولى على الجزيرة، وكان يسمى الجزار لكثرة من قتل وسبى.

وفى هذه السنة: أمر المأمون بإحصاء بنى العباس، وكانوا ثلاثة وثلاثين ألفًا ما بين ذكر وأنثى.

وفى سنة إحدى ومائتين:

جعل المأمون ولى عهده عليًا الرضى أبو موسى الكاظم، وطرح السواد ولبس الخضرة، وكتب بذلك فى الآفاق فأظهر العباسيون الخلاف، وأنكروا عليه جعل الخلافة فى آل على، وتفويض الأمور للحسن بن سهل.

وبايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدى فى المحرم سنة اثنتين ومائتين وجرت فتن، فسار المأمون من مرو إلى العراق، فلما وصل سرجس وثب أربعة على الفضل بن سهل فقتلوه فى الحمام، فجعل المأمون لمن يحضرهم عشرة آلاف دينار، فلما حضروا قالوا للمأمون: أنت أمرتنا بقتله، فقتلهم.

وعقد المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل، وزوج ابنته من على الرضى.

فلما دخلت سنة ثلاث ومائتين:

مات على الرضى فجأة بطوس، وصلى عليه المأمون ودفنه عند قبر أبيه الرشيد، وكتب إلى بغداد بموته، وأن السبب فى اختلافهم عليه قد زال، فخلعوا إبراهيم بن

المهدى، واختفى إلى أن قدم المأمون بغداد، وكانت مدة ولايته نحو سنة وأحد عشر شهرًا.

وفى هذه السنة: فى الحجة كانت فى خراسان زلازل عظيمة أقامت تسعين يومًا، وهلك بها خلق كثير، وبلاد كثيرة.

وفيها: غلبت السوداء على عقل الحسن بن سهل حتى شد فى الحديد.

وفى سنة أربع ومائتين:

قدم المأمون بغداد فأعاد لبس السواد.

وفيها: توفى الإمام الشافعى[1] محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، كان مولده بغزة سنة خمسين ومائة، أخذ الحديث عن مالك بن أنس، والعلم عن محمد بن الحسن الشيبانى، وأثنى عليه.

قال الشافعى: حفظت القرآن وأنا ابن تسع سنين، والموطأ وأنا ابن عشر، وقدمت المدينة على مالك وأنا ابن خمس عشرة سنة.

قال: ورأيت على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فى منامى، فصافحنى وجعل خاتمه فى أصبعى، وفسرت المصافحة بالأمان من العذاب، ووضع الخاتم أنه سيبلغ اسمى فى الآفاق ما بلغ اسمه.

وكان حسن الشعر، ومنه قوله:

وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يبلى بعيش ضيق

وقوله أيضًا:

رعت النسور بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

---

(١) هو أبو عبد الله الإمام المطلبى، أحد الأئمة الأربعة، يجتمع مع النبى ﷺ فى عبد مناف، كان فى القمة من الفصاحة والبيان والبلاغة تأدب بآداب البادية، وأخذ العلوم من الحضر، رحل إلى المدينة والعراق واليمن ومصر، وهو أول من أظهر علم الأصول. من شيوخه: مسلم الزنجى، ومالك بن أنس. ومطرف بن مازن، وإبراهيم بن أبى يحيى الأسلمى. من تلاميذه: أحمد بن حنبل، والمدنى، والربيع بن سليمان المرادى. من تآليفه: الأم، والرسالة. ولد عام ١٥٠ هـ، وتوفى عام ٢٠٤ هـ. طبقات السبكى (١/ ٢٤ ـ ٣٤)، وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٥).

وفيها: توفى النضر بن شميل بن حريصة البصرى النحوى، خرج من البصرة مسافراً ومعه من أعيانها ثلاثة آلاف رجل يودعونه، فقال: والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما رحلت عنكم، فلم يكن أحد منهم يتكلف له ذلك ويرده، فصار إلى مرو، وصحب المأمون وحظى عنده، وصار ذا مال عظيم، ومما أفاده أن السداد ـ بفتح السين ـ: القصد فى الدين، ـ وبكسرها ـ: البلغة من العيش، فأمر له المأمون على ذلك بخمسين ألف درهم، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد.

وفيها: مات الحسن بن زياد صاحب أبى حنيفة، وأبو داود الطيالسى صاحب المسند.

وفى سنة خمس ومائتين:

توفى أبو سليمان الدارانى.

وفيها: استعمل المأمون طاهر بن الحسين على الشرق.

وفى سنة ست ومائتين:

مات الحكم بن هشام ملك الأندلس، وعمره ثنتان وخمسون سنة، ومدة ملكه ستة وعشرون سنة.

وفيها: مات قطرب تلميذ سيبويه، سماه سيبويه قطرب لأنه كان يبكر بليل للاشتغال عليه.

وفى سنة سبع ومائتين:

توفى الفراء[1] أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، وكان معلمًا لأولاد المأمون، لقب بالفراء لأنه كان يفرى الكلام، ولم يكن فراء فى الفِراء.

وفى سنة ثمان وثمانين:

مات الفضل بن الربيع.

وفيها: ماتت السيدة نفيسة.

---

(١) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الفراء مولى بنى أسد، حدث عن قيس بن الربيع، ومندل بن على، والكسائى. قال ثعلب: لولا الفراء ما كانت عربية، توفى الفراء ببغداد وقد بلغ ثلاثًا وستين سنة، وقيل: مات فى طريق مكة. انظر المنتظم (١٠/١٧٧ ـ ١٨٠)، تاريخ بغداد (١٤/١٤٩ ـ ١٥٠).

وفى سنة تسع ومائتين:

مات أبو عبيدة اللغوى محمد بن حمزة، وعمره تسع وأربعون سنة، وكان مع فضله فى العلوم لا يفهم وزن الشعر فى بيت يستشهد به، وبلغ عدد مصنفاته مائتين.

وفى سنة عشرة ومائتين:

ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدى وحبسه، وعفا عنه، ودخل على بوران بنت الحسن ابن سهل، ونثرت عليه جدة بوران أم الحسن ألف حبة لؤلؤ فوق البندق، وأوقدت شمعة زنتها أربعون منًا، وكتب الحسن أسماء ضياعه فى رقاع ونثرها على القواد.

وفى سنة إحدى عشرة ومائتين:

نادى منادى المأمون برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير.

وفيها: توفى الأخفش أبو الحسن سعيد بن سعدة، والأخفش: الصغير العينين مع سوء بصرهما، أخذ النحو عن سيبويه، وكان يقول: ما عمل سيبويه فى كتابه شيئًا إلا عرضه علىّ، وهذا الأخفش هو أفضل الثلاثة، وهو الذى زاد بحر الخبب فى العروض، والأخفش الذى قبله اسمه أبو الخطاب عبد الحميد من أهل هجر، كان نحويًا أيضًا، والذى بعده على بن سليمان بن الفضل، وكان نحويًا أيضًا، توفى سنة خمس عشرة وثلثمائة.

وفى سنة اثنتى عشرة ومائتين:

أظهر المأمون القول بخلق القرآن، وتفضيل علىّ على جميع الصحابة.

وفى سنة خمس عشرة ومائتين:

توفى أبو سليمان الدارانى بداريا، وتوفى مكى بن إبراهيم البلخى، وأبو سعيد الأصمعى اللغوى، واسمه عبد الملك بن قريب.

وفى سنة ست عشرة ومائتين:

غزا المأمون الروم، وأقام بها ثلاثة أشهر، وفتح أخوه علىّ حصون، وأغار جيشه فضموا وسبوا حتى رجع منصوراً إلى الديار المصرية.

وفى سنة سبع عشرة ومائتين:

كان الحريق العظيم بالبصرة حتى قضى على أكثرها فيما قيل.

وفى سنة ثمان عشرة ومائتين:

مات المأمون لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب، وحمل إلى طرسوس، ودفن بها، وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا، ومولده نصف ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وكان كثير الإحسان إلى العلويين، وأوصى بهم عند موته كثيرًا، وأعاد فدك إلى آل فاطمة، وكان فاضلاً مشاركًا فى علوم كثيرة، وشعره حسن، فمنه:

بعثتك مرتادًا فقرت بنظرة وأغفلتنى حتى أسأت بك الظنا

فما جئت من أهوى وكنت مباعدا فياليت شعرى عن دنوك ما أغنا

أرى أثرًا منهـا بعينيك بيّنا لقد أخذت عيناك من عينها حسنا

وأوصى بالخلافة لأخيه المعتصم فبويع بها، وأراد الجند مبايعة العباس بن المأمون فطلبه المعتصم فدخل عليه وبايعه وخرج إلى الجند وقال: قد بايعت عمى، فرضوا.

وفى سنة تسع عشرة ومائتين:

كان أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ قد صمم على عدم القول بخلق القرآن، وكان قد طلبه المأمون فلما أحضر إلى المعتصم جلده حتى غاب عقله وتمزق جلده، وقيده وحبسه.

وفى سنة عشرين ومائتين:

توفى محمد الجواد بن على الرضى بن موسى الكاظم وعمره خمس وعشرون سنة، ودفن ببغداد عند جده موسى الكاظم.

وفى سنة إحدى وعشرون ومائتين:

كانت وقعة عظمى بين بابك الحرمى وبغا الكبير، فانكسر بغا، ثم تقوى وقصد بابك فهزمه.

وفى سنة اثنتين وعشرين:

كان وقعة الأفشين والخرَّمية ومحا بابك، ولم تزل الأفشين يتحيل عليه حتى أسره بعد أن غار المعون وفسد العباد والبلاد، وأحضره فى آخر الأمر إلى بغداد أسيرًا، وكان يوم دخوله بغداد يومًا مشهودًا.

وفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين:

كان إحضار بابك إلى المعتصم وأمر بقطع أربعه وصلبه.

وفيها: خرج ملك الروم توفيل وبلغ رانطرا وقتل وسبى ومثل بالمسلمين وصاحت امرأة هاشمية بيدى الروم: وامعتصماه، وبلغ المعتصم فنهض من وقته بعساكر لا تحصى بينه وبين ميمنته فرسخان، وكذلك ميسرته، فخرب بلاد الروم وحرقها حتى وصل عمورية، وكانت أشرف بلاد النصارى، لم تؤخذ منهم قط، فحاصروها وأحرقها وخربها، وسبى أهلها، وغنم أموالها، وكان مقامه عليها خمسة وخمسين يومًا، وفى عوده أمسك العباس بن المأمون لما بلغه أنه بايع جمعًا من القواد، وقصد الوقوف عليه، وسلمه لرجل فلما وصل إلى منبج طلب طعامًا فأكل، ومنع الماء حتى مات.

وفي سنة أربع وعشرين ومائتين:

مات إبراهيم بن المهدى وصلى عليه المعتصم.

وفى سنة خمس وعشرين:

توفى أبو دلف.

وفى سنة ست وعشرين:

مات أبو الهذيل العطاف.

وفيها: غلب المعتصم على الأفشين وحبسه، ثم منعه الطعام حتى مات، وقيل: خنقه وصلبه.

وفى سنة سبع وعشرين ومائتين:

مات بشر الحافى، ومات المعتصم بسامراء، وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومين، وكان ثامن الخلفاء العباسيين، وترك ثمان بنين وثمانية بنات، وهو أول من أضيف إلى لقبه اسم الله، وكان مولده سنة سبع وتسعين ومائة، وكان طيب الخلق كثير الصدقة.

وبويع بالخلافة ولده الواثق بالله أبو جعفر ابن قراطيس الرومية.

وفى سنة ثمان وعشرين ومائتين:

فتح المسلمون أراضى جزيرة صقلية.

وفيها: مات أبو تمام حبيب بن أوس الطائى.

وفى سنة تسع وعشرين ومائتين:

صادر الواثق الكتاب.

وفيها: توفى خلف بن هشام المقرىء.

وفى سنة ثلاثين ومائتين:

مات عبد الله بن طاهر أمير خراسان، وعمره ثمان وأربعون، فقرر الواثق ابنه عوضه.

وفيها: خرجت المجوس من أقاصى الأندلس فى البحر، وعاثوا وانهزم منهم المسلمون أولاً، ثم اجتمعوا من كل جهة، فانهزم المجوس، وغنم المسلمون أربعة مراكب بما فيها وعاد المجوس إلى بلادهم.

وفيها: توفى محمد بن سعد كاتب الواقدى[1].

وفيها: مات البويطى العالم الشافعى منسوب إلى قرية من قرى مصر اسمها بويط.

وفيها: ورد كتاب الواثق على أمير البصرة بامتحان الأئمة بخلق القرآن.

وفيها: توفى محمد بن زياد الكوفى المعروف بابن الأعرابى، ولد فى الليلة التى مات فيها أبو حنيفة، وقيل: إن الشافعى ولد فيها أيضًا، والأعرابى منسوب إلى الأعراب، يقال: رجل أعرابى إذا كان بدويًا، وإن لم يكن من العرب، ورجل عربى منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدويًا، ويقال: رجل أعجم وأعجمى إذا كان فى لسانه عجمة، وإن كان من العرب، ورجل عجمى منسوب إلى العجم وإن كان فصيحًا، هكذا ذكر محمد ابن عزيز السجستانى فى كتابه المسمى بغريب القرآن.

وفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين:

مات الواثق بالله لست بقين من ذى الحجة، بالاستسقاء، وحضر المنجمون ونظروا فى مولده، وقدروا أنه يعيش من يومه ذلك خمسين سنة، فلم يعش إلا عشرة أيام، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وكسرًا، وعمره اثنان وثلاثون سنة، وكان محسنًا إلى العلويين، حتى أنه لم يبق فى الحرمين فى أيامه سائل.

---

(١) هو محمد بن سعد بن منيع الهاشمى مولاهم أبو عبد الله البصرى، كاتب الواقدى، أحد الحفاظ الكبار الثقات المتحرين. انظر تهذيب التهذيب (٩/ ١٦١).

وبويع أخوه المتوكل جعفر أبو الفضل بن المعتصم.

وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين:

قبض المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات، وصادره وعذبه وحبسه فى التنور الذى كان ابن الزيات اقترحه لعذاب الناس، فيه مسامير حديد، أطرافها إلى داخله، يمنع من فيه من الحركة.

وفيها: ولى المتوكل ابنه المنصور الحرمين والطائف واليمن.

وفيها: كانت زلزلة بدمشق عظيمة، دامت ثلاث ساعات، مات فيها بالروم خلق كثير، واشتدت إلى أنطاكية، فقيل: مات من أهلها عشرون ألفًا، وامتدت إلى الموصل فقيل مات من أهلها خمسون ألفًا.

وفيها: توفى يحيى بن معين[1] حجة الإسلام فى الحديث متوجهًا إلى الحج بمدينة النبى ﷺ وله من العمر خمس وسبعون سنة.

وفى سنة أربع وثلاثين ومائتين:

قبض المتوكل على إيتاخ التركى خوفًا منه وعمل لذلك حيلاً كثيرة، وأماته عطشًا وأخذ له ألف ألف دينار

وفيها: توفى النفيل وابن المدينى.

وفى سنة خمس وثلاثين:

ظهر رجل بسامراء يقال له: محمود بن فرج، ادعى النبوة، وتبعه سبعة وعشرون رجلاً، فأتى به إلى المتوكل، فأمر أصحابه أن يصفعوه، فصفعه كل واحد منهم عشر صفعات، وضربه حتى مات، وحبس أصحابه.

وفيها: مات الحسن بن سهل وعمره تسعون سنة.

وفيها: مات عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن، وكان شيعيًا، ومن أحسن شعره:

وقم أنت فاجتث كاسها غير صاغر ولا شق إلا خمرها وعقارها

---

(١) هو يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المرى الغطفانى مولاهم. قال البخارى: ما رأيت أحدًا أوقر للمحدثين من يحيى بن معين. انظر تاريخ بغداد (١٤/١٧٧)، طبقات الحنابلة (١/٤٠٢)، وفيات الأعيان (٦/١٣٩)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٥٦).

مشعشعة من كف ظبى كأنما تناولها من خده فأدارها

وفى سنة ست وثلاثين ومائتين:

أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن على، وكان كثير البغض لعلى بن أبى طالب، ولكنه أمر بالمنع من القول بخلق القرآن.

وفى سنة سبع وثلاثين ومائتين:

مات حاتم الأصم الزاهد ولم يكن أصم، وإنما كانت امرأة تسأله فخرج منها صوت فخجلت فقال: ارفعى صوتك حتى أسمع، فزال خجلها وغلب عليه هذا الاسم.

وفيها: وثبت بطارقة أرمينية على متوليها يوسف بن محمد فقتلوه، فجهز المتوكل إليهم بغا الكبير، والتقوا عند دُبيل فكسرهم بغا وقتل منهم زهاء ثلاثين ألف، وسبى وغنم.

وفيها: غضب المتوكل على أحمد بن أبى داود وآله، وأخذ منهم ستة عشر ألف ألف درهم.

وفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين:

مات عبد الرحمن بن الحكم ملك الأندلس، وكان مولده سنة ست وسبعين ومائة، وولايته إحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر، وخلف خمسة وأربعين ابنًا، وملك بعده ابنه محمد.

وفى سنة تسع:

عزل يحيى بن أكثم، وصودر، وأخذ منه مائة ألف دينار.

وفى سنة أربعين ومائتين:

مات أبو ثور إبراهيم بن خالد بن اليمان الكلبى البغدادى، كان حنفيًا، فلما قدم الشافعى العراق واختلف إليه نقل أقواله القديمة، وترك مذهبه الأول.

وفيها: توفى محمد ابن الشافعى، كان قاضى الجزيرة.

وفى سنة إحدى وأربعين ومائتين:

توفى الإمام أحمد بن حنبل[1] بن هلال بن أسد بن إدريس، ينسب إلى معد بن

(١) هو شيخ الإسلام، وسيد المسلمين فى عصره، أبو عبد الله الذهلى الشيبانى، أحد الأئمة =

عدنان، قال الإمام الشافعى: خرجت من بغداد وما تركت بها أتقى ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل.

وفى سنة اثنتين وأربعين ومائتين:

مات القاضى يحيى بن أكثم، كان عالمًا، ومن محاسنه أنه رد المأمون عن القول بحل المتعة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ [المؤمنون:٦، والمعارج: ٣٠] والمتمتع من لا زوجة ولا ملك يمين، وكان دميم الخلق، يرمى بمحبة الغلمان حتى قيل فيه:

وكنا نرجى أن نرى العدل ظاهرًا   فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها   وقاضى قضاة المسلمين يلوط

وأكثم بالتاء المثناة، والثاء المثلثة لغتان فى عظيم البطن، وكان قاضى القضاة ومدبر المملكة، وكان الوزراء لا تعمل شيئًا إلا بعد مطالعته.

وفى سنة ثلاث وأربعين:

توفى الحارث بن أسد المحاسبى.

وفى سنة أربع وأربعين:

رحل المتوكل إلى دمشق وجعلها دار الخلافة، ونقل دواوين الملك إليها وأنشد يزيد المهلبى:

أظن الشام تشمت بالعراق   إذا عزم الإمام على انطلاق
فإن يدع العراق وساكنيه   فقد تبلى المليحة بالطلاق

ثم استوبأ المتوكل دمشق، واستثقل ماءها، وعاد إلى سامراء، وكان مقامه بدمشق شهرين وأيامًا.

= الأربعة، نبغ من صغره، رحل فى طلب العلم إلى الشام والحجاز واليمن، امتحن محنته المشهورة التى لا يسع المقام للحديث عنها، من شيوخه: الشافعى، ووكيع، وابن مهدى. وأخذ عنه الإمامان البخارى ومسلم وأبو داود وأضرابهم، ألف المسند حوى ثلاثين ألف حديث، وله تفسير، والرد على الزنادقة، ولد عام ١٦٤ هـ، وتوفى عام ٢٤١ هـ.

انظر تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢)، والمنهج الأحمد (١/ ٥)، وتذكره الحفاظ (٢/ ٤٣١)، وفيات الأعيان (١/ ٤٧).

وفى هذه السنة: سأل المتوكل يعقوب بن السكيت إمـام النحو واللغة أيما أحب إليك أبنائى المعتز والعزيز أم الحسن والحسيـن، فقال: والله إن قنبرًا خادم علىّ خير منك ومن ابنيك، فأمر به فسل لسانه من قفاه، ومات من ساعته. والسكيت: الكثير السكوت.

وفيها: توفى أحمد بن منيع صاحب المسند.

وفى سنة خمس وأربعين ومائتين:

توفى ذو النون المصـرى الزاهد المشهـور، وأبو تراب اليخـشبى واســمه عـسكر بن حصين.

وفى سنة ست وأربعين:

توفى حفص بن عمر الدورى المقرىء، والعباس بن عبد العظيم العنبر بن ردعيل بن على الشاعر.

وفى سنة سبع وأربعين ومائتين:

قتل المتـوكل جماعة باللـيل بالسيوف فى خلوته، باتفـاق ولده المنتصر، وقتل مـعه وزيره الفتح بن خاقان لأربع خلون من شوال، وكانت خـلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام، وعمـره نحو أربعين سنة، فلما أصبح المنتصـر قال للناس: إن الفتح ابن خاقان قتل أبى فقتلته به.

وبويع المنتصر بالخلافـة، واسمه أبو جعفر محـمد، وهو أول من عدى على أبيه من الخلفاء، وبقى فيهـا ستة أشهر ومات بعد أن أمر بزيادة العلويين، وزيارة قـبر الحسين، وكان عمره خمـسًا وعشرين سنة، فاتفق أرباب الدولة بغا الكبير وبغـا الصغير وأتامش على ألا يولوا أحدًا من أولاد المتـوكل لكونهم قتلوا أباهم، وبويع المسـتعين أحـمد بن المعتصم.

وفيها: توفى أبو جعفر أحمد بن صالح الطبرى.

وفيها: توفى بغا الكبير عن سن عالية وأموال جزيلة.

وفيها: توفى أمير خراسان، وابن أميرها طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسن، ولى أمرة خراسان بعد أبيه ثمان عشرة سنة، ووليها بعده ابنه محمد عشر سنين.

وفى سنة تسع وأربعين ومائتين:

كانت الوقعة بين المسلمين والروم بمرج الأسقف.

وفيها: توفى على بن الجهم الشاعر.

وفيها: توفى أبو إبراهيم أحمد بن الأغلب، صاحب إفريقية، واستمر مكانه أخوه أبو محمد زياد.

وفى سنة خمسين ومائتين:

ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب بالكوفة، وكثر جمعه، ثم قتل وحمل رأسه إلى المستعين، ثم ظهر الحسن بن زيد ابن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب بطبرستان وكثر جمعه، ووثب أهل حمص على عاملهم الفضل فقتلوه، وتوجه إليهم موسى بن بغا الكبير وتقاتلوا بين حمص والرستق وكسر أهل حمص، وقتل جمعًا كثيرًا، وأحرقها.

وفى سنة إحدى وخمسين ومائتين:

قتل بغا الصغير باغر، وجرت فتنة بين الأتراك، فهرب المستعين من سامراء إلى بغداد فأخرجوا المعتز بن المتوكل من الحبس فبايعوه، فجهز أخاه طلحة فى خمسين ألف من الأتراك إلى المستعين فتحصن فى بغداد، وجرى قتال كثير، أدى إلى خلع المستعين نفسه، وبايع المعتز، ثم بعد زمان كتب المعتز إلى أحمد بن طولون بقتل المستعين فسلمه إلى الحاجب سعيد فضربه حتى مات، وحمل رأسه إلى المعتز، وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر وكسرًا، وعمره أربعًا وعشرين سنة، فتغلب عيسى بن الشيخ عامل الرملة على دمشق وأعمالها، وتغلب يعقوب الصفار على هراة وبوشنج، وعظم أمره.

وفى سنة أربع وخمسين ومائتين:

قتل بغا الصغير المعروف بالسراى، وحمل رأسه إلى المعتز.

وفيها: توفى على الزكى بن محمد الجواد، ويقال له العسكرى، وكان مولده فى رجب سنة أربع عشرة ومائتين لسكناه بسر من رأى؛ لأن اسمها العسكر لسكن العسكر بها، وهو عاشر الأئمة الإثنى عشر على مذهب الإمامية، وحادى عشرهم ولده الحسن العسكرى.

وُلد الحسن المذكور فى سنة ثلاثين ومائتين، وتوفى فى سنة ستين ومائتين، ودفن إلى جانب أبيه بسر من رأى وولد لهذا الحسن ولده محمد المنتظر ثانى عشرهم، ويقال له: العالم والمهدى، والحجة، ولد فى سنة خمس وخمسين ومائتين، تزعم الشيعة أنه

دخل السرداب الذى بدار أبيه بسرَّ من رأى وأمه تنظر إليه، ولم يخرج منه إلى الآن، وكان عمره تسع سنين.

وفى سنة خمس وخمسين ومائتين:

استولى يعقوب الصفار على كرمان، ثم استولى بالسيف على فارس، ودخل شيراز، ونادى بالأمان، وكتب إلى الخليفة أنه تحت طاعته، وبعث إليه هدية جليلة، منها عشرة بزاة بيض، ومائة مسك.

وفيها: طلبت الأتراك من المعتز نفقة فعجز عنها، فاتفقت الأتراك والمغاربة والفراعنة على خلعه، وصاروا إلى بابه، فنأذن لبعضهم فى الدخول، فجروا برجله وضربوه بالدبابيس وأقاموه فى الحر طويلاً، ثم أدخلوه حجرة وأحضروا القاضى أبو الشوارب وأشهدوا عليه بخلع نفسه، ثم منعوه الطعام والشراب إلى أن مات، فكانت مدة خلافته أربع سنين، وسبعة أشهر إلا سبعة أيام، وعمره أربعًا وعشرين سنة وثلاثة عشر يومًا.

وبويع لمحمد بن الواثق بالخلافة ولقب بالمهتدى، وأمسكت قبيحة أم المعتز، وظهر لها أموال عظيمة: ألف ألف دينار، تحت الأرض، وقدر مكوك زمرد، وقدر مكوك لؤلؤ، وكتلجة ياقوت أحمر، فقال صالح بن وصيف: قبح الله قبيحة؛ عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين ألف دينار وعندها هذه الأموال كلها، وكان المتوكل سماها قبيحة لفرط حسنها.

ثم سارت إلى مكة فكانت تدعو بصوت عال على صالح بن وصيف وتقول: هتك سترى، وقتل ولدى، وغربنى عن بلدى، وركب الفاحشة منى.

وفى هذه السنة: ظهر على بن محمد بن عبد الرحيم من ولد عبد القيس بجمع من الزنج، وادعى أنه علىّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، واستفحل أمره بالبصرة.

وفيها: توفى الجاحظ عمرو بن بحر، قال: ذكرت للمتوكل لأعلم أولاده، فلما استحضرنى استبشع منظرى، فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى، ولما جاوز التسعين سنة أنشد بحضرة المبرد:

أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما كنت أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس كالجديد من الثياب

كان موته لوقوع مجلدات العلم عليه وهو ضعيف.

وفى سنة ست وخمسين ومائتين:

قتل موسى بن بغا صالح بن وصيف، وكتب المهتدى إلى بأبكيال مقدم الأتراك أن يقتل موسى بن بغا، فأطلعه على ذلك واتفقا على قتل المهتدى فلما وصلا إليه أمسك المهتدى بأبكيال وحبسه وقتله، وركب إلى موسى، فحاصرت عليه الأتراك الذين كانوا معه وصاروا مع موسى، فهرب المهتدى، ثم أمسك، وأعصبر على خصيتيه حتى مات، فكانت خلافته أحد عشر شهراً ونصفًا وعمره ثمانيًا وثلاثين سنة، وكان ورعًا كثير العبادة، قصد أن يكون فى بنى العباس كعمر بن عبد العزيز فى بنى أمية.

وأخرج كبراء الدولة أبا العباس أحمد بن المتوكل من الحبس،وسموه المعتمد على الله وبويع بالخلافة، وهو خامس عشر خليفة من العباسيين، واستمر فى الخلافة ثلاثًا وعشرين سنة وستة أيام، وكان محكومًا عليه، ضيق عليه أخوه الموفق فى الأموال والأحكام واستقل أحمد بن طولون بمصر والشام.

واستولى صاحب الزنج المقدم ذكره على البصرة، وواسط وبلاد كثيرة، واستولى يعقوب الصفار على بلخ وكابل ونيسابور والأهواز، وملك الحسن بن زيد العلوى طبرستان، ونضر بن سامان ما وراء النهر وخرج بالصين خارجى مجهول الاسم والنسب واستولى على بلاد كثيرة، وقتل وسبى خلقًا كثيراً، ثم عدم وتغلب الأجناد والقواد على غالب البلاد، وقطع أحمد بن طولون خطبة الموفق واسمه من الأطرزة، فلعنه المعتمد على المنابر بإلزام أخيه الموفق.

وفى خلافة المعتمد توفى البخارى[1] محمد بن إسماعيل الجعفى فى سنة اثنتين وخمسين ومائتين هذه، وكان مولده لسنة أربع وتسعين ومائة، ورمى بأنه كان يقول بخلق القرآن، وخلق الأفعال للعباد، فأنكر ذلك، وارتحل عن بخارى، ونزل عند أقاربه بقرية من قرى سمرقند اسمها خرشل ومات بها.

وفى سنة سبع وخمسين ومائتين:

ملك يعقوب الصفار بلخ، ثم كابل.

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه الجعفى مولاهم أبو عبد الله البخارى. هو أعرف من أن يعرف. انظر تهذيب التهذيب (٩/ ٤١).

وفيها: أخذت الزنج البصرة، وخربوها، وقتلوا من بها.

وفيها: أخذ الحسن بن زيد العلوى طوجان وملكها.

وفى سنة ثمان وخمسين ومائتين:

أرسل المعتمد أخاه الموفق لقتال الزنج.

وفى سنة تسع وخمسين ومائتين:

هلك يعقوب الصفار بنيسابور

وفى سنة ستين ومائتين:

توفى مالك بن طوق بانى الرحبة.

وفيها: توفى الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على - رضى الله عنهم - وهو المعروف بالعسكرى.

وفيها: توفى الحسن بن الصالح الزعفرانى من أصحاب الشافعى البغداديين.

وتوفى حسين بن إسحاق العبادى الطبيب، وهو الذى نقل كتب الحكمة اليونانية إلى العربية، وعَرَّب كتاب إقليدس والمجنيطى فى سنة ستين ومائتين.

وفى سنة إحدى وستين ومائتين:

توفى أبو يزيد البسطامى، واسمه طيفور بن عيسى، وكان يقول: لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع فى الهواء فلا تغتروا حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر وحفظ الشريعة.

وفى سنة اثنتين وستين ومائتين:

لما عجز المعتمد عن يعقوب الصفار كتب إليه بولاية خراسان فلم يعجبه حتى يوافى باب الخليفة واغتر فى نفسه وتعجل فى الأمر وفى الحكم على المعتمد، وجاء فى سبعين ألفًا، فانكسر عسكره، وغنم أصحاب الخليفة منه ما لا يعد ولا يحصى.

وفى سنة ثلاث وستين ومائتين:

مات الوزير عبد الله بن يحيى بن خاقان.

وفيها: كان ابتداء أمر الساسانين.

وفيها: توفى مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح.

وفى سنة أربع وستين ومائتين:

مات إبراهيم المزنى صاحب الشافعى.

وفى سنة خمس وستين ومائتين:

مات يعقوب الصفار كان يعمل الصفر فى أول عمره.

وفى سنة سبعين ومائتين:

قتل صاحب الزنج وحمل رأسه بين يدى الموفق، وبعث به إلى بغداد، وكانت أيامه قد طالت على المسلمين خمس عشرة سنة، وقال العلماء: أنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة.

وفيها: توفى الزبير بن بكار، وفيها توفى أحمد بن طولون، وخلف ثلاثًا وثلاثين ولدًا، وترك عشرة آلاف دينار، ، وكانت إمارته بمصر والشام وكان عارفًا حافظًا وبنى جامعه المعروف بين مصر والقاهرة، وولى بعده ابنه خمارويه.

وفى سنة إحدى وسبعين ومائتين:

كانت الوقعة بين ابن الموفق وهو المعتضد وبين خمارويه بن أحمد بن طولون، صاحب مصر، وآخرها هزم المعتضد وفرَّ من دمشق والرملة إلى طرسوس فى نفر قليل، وهرب خمارويه إلى حدود مصر، وبات عسكره غير عالمين بهزيمته، فانهزم كل منهما ولم يعلم بهزيمة صاحبه، وذهبت حراس كل منهما، وهى من الغرائب.

وفيها: توفى الحسن بن زيد العلوى، وملك طبرستان بعده محمد بن زيد.

وفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين:

توفى محمد بن عبد الرحمن بن الحكم صاحب الأندلس، وكان عمره نحو خمس وستين، وملكه أربع وثلاثون سنة وأحد عشر شهرًا، وخلف ثلاثًا وثلاثين ذكرًا، وولى بعده المنذر.

وفيها: مات أبو داود[1] صاحب السنن سليمان بن الأشعث، والحافظ محمد بن يزيد ابن ماجه القزوينى[2] المشهور، وكانت ولادته سنة تسع ومائتين.

---

(١) هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر، الإمام العلم الثقة الحافظ. هو أشهر من أن يترجم له. انظر تهذيب التهذيب (٤/١٤٩ ـ ١٥٢).

(٢) هو محمد بن يزيد الربعى مولاهم أبو عبد الله بن ماجه القزوينى الحافظ. صاحب السنن، ثقة =

وفى سنة خمس وسبعين ومائتين:

قبض الموفق على ابنه المعتضد وبقى محبوسًا إلى أن مات والده الموفق، واسمه أبو العباس أحمد بن الموفق.

وفى سنة ثمان وسبعين ومائتين:

مات الموفق، وولى بعده ابنه المعتضد مكانه ولاية العهد، وكان قد بلغ ديوانه مائة ألف جندى.

وفى هذه السنة: تحرك القرامطة بسواد الكوفة، استذل عقلهم شخص اسمه كرمسة، ثم خنقوه فقالوا: قرمط، أحدث لهم دينًا، ودعاهم إليه، وغير الأذان والصيام، وأباح الخمر، ورفع غسل الجنابة.

ولما مات المعتمد فى سنة تسع وسبعين ومائتين من كثرة الخمر والأكل ليلاً أحضر المعتضد ابن أخيه الموفق طلحة ابن المتوكل القضاة، وأعيان الدولة، فنظروا إلى عمه المعتمد منتنًا، وحمل إلى سامراء، ودفن بها، وكان عمره خمسين سنة وستة أشهر، وبويع لأبى العباس أحمد بن المعتضد بالخلافة، وتزوج بنت خمارويه بن أحمد بن طولون.

وفى هذه السنة: توفى أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى صاحب السنن، تلميذ البخارى، وكان ضريراً.

وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين:

وضع المعتمد النيروز فى حزيران.

وفيها: قتل خمارويه، قتله بعض خدمه على فراشه بدمشق، وبويع ولده جيش صغيرًا.

وفيها: توفى أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى.

وفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين:

خلع طفج أمير دمشق جيش بن خمارويه بدمشق، واختلف جيش جيش عليه فقتلوه، ونهبوا مصر وأحرقوها، وأقعدوا مكانه أخاه هارون.

= إمام حافظ فقيه. هو أحد الأئمة المكثرين فى الحديث، وكتابه أحد الكتب الستة المعتمدة عند أصحاب الحديث، انظر تهذيب التهذيب (٩/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩).

وفيها: توفى سهل بن عبد الله التسترى.

وفيها: مات البحترى الشاعر بمنبج، أو بحلب، واسمه الوليد بن عبادة، وكان مولده سنة ست ومائتين.

وفيها: أمر المعتضد بتوريث ذوى الأرحام وأبطل ديوان المواريث، وأظهر سب معاوية وبنيه وأبيه، وصحح أن المفسرين اتفقوا على أن المراد بالشجرة الملعونة فى القرآن بنو أمية، ثم أحجم عن ذلك.

وفى سنة ست وثمانين ومائتين:

توفى المبرد، وهو أبو العباس محمد بن عبد الله بن زيد، ومولده سنة سبع ومائتين.

وفى سنة تسع وثمانين ومائتين:

توفى المعتضد لثمان بقين من ربيع الأول، ومولده فى ذى الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين وخلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يومًا وكان مهيبًا شهمًا خفيفًا شحيحًا، وبويع ولده المكتفى بالله.

واشتدت شوكة القرامطة حتى حضروا دمشق وقتل كبيرهم يحيى المعروف بالشيخ، وأقاموا أخاه الحسين أحمد، وله شامة فى وجهه، زعم أنها آيته، وكبر جمعه، وصالحه أهل دمشق على مال دفعوه إليه، فأخذه وانصرف عنهم، وأخذ حمص، وخطب له على منابرها، وتسمى أمير المؤمنين المهدى، وعهد إلى ابن عمه عبد الله وسماه المدثر المذكور فى القرآن، ونهب حماة، والمعرة، وبلادهما، وقتل الأطفال، فخرج المكتفى ونزل الرقة، وأرسل إليه الجيوش فكسروه، وأدخل رأس صاحب الشامة بين يدى المكتفى إلى بغداد، وطيف به.

وفيها: توفى ثعلب إمام الكوفة فى النحو واللغة.

وفى سنة ثنتين وتسعين ومائتين:

جهز المكتفى بالله جيشًا إلى الشام ومصر وفتحها جديدًا، وقتل أولاد طولون، وكانوا بضعة عشر رجلاً.

وفى سنة ثلاث وتسعين:

قويت شوكة القرامطة وأخذوا دمشق، ونهبوا وسفكوا، وتوجهوا إلى الكوفة، وجهز

إليهم المكتفى جيشًا فكسروه، وقتلوا وغنموا من المسلمين خلقًا كثيراً، ومالاً كثيراً.

وفيها: توفى الزنديق أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى المتكلم، قال السلطان عماد الدين: له عدة مصنفات فى الكفر والإلحاد، وسماها: قطب الذهب، وكتاب اللامع، وكتاب الفريد، وكتاب الزمرد، وتوفى برحبة مالك بن طوق.

قال القاضى شهاب الدين بن أبى الدم: كان عمره ستًا وثلاثين سنة، وقال ابن خلكان: كانت وفاته فى سنة خمس وأربعين ومائتين، وقيل سنة خمسين ومائتين.

وفى سنة أربع وتسعين ومائتين:

أخذت القرامطة الحجاج العراقيين وقتلوهم عن آخرهم وبلغت عدة القتلى عشرين ألفًا، وجهز إليهم المكتفى بالله جيشًا، واقتتلوا وانكسرت القرامطة، ومات كبيرهم زكرويه.

وفى سنة خمس وتسعين ومائتين:

توفى المكتفى بالله بن المعتضد لاثنتى عشرة ليلة خلت من القعدة، وكانت خلافته ست سنين، وستة أشهر، وتسعة عشر يومًا، وعمره ثلاثًا وثلاثون سنة، وبويع أخوه المقتدر جعفر، وقيل: إسحاق، وعمره ثلاث عشرة سنة.

وفيها: توفى المنذر بن محمد بن عبد الرحيم بن الحكم الأموى بالأندلس، وبويع أخوه عبد الله بن محمد.

وفى سنة ست وتسعين ومائتين:

خلع القواد والقضاة المقتدر بالله، وبايعوا عبد الله بن المعتز وتلقب بالمقتدر، وجرت بسبب ذلك حروب وخنق، وكان مولده لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين ومائتين، وكان فاضلاً شاعراً، وتشبيهاته إليها النهاية، ولى الخلافة يومًا، ورثاه ابن بسام بأبيات منها:

ما فيه لولا ولا كيف فينقصه   وإنما أدركته حرفة الأدب

والحق أنه أصابته دعوة العلويين، فإنه كان يقول: إن وليت ما أبقى علويًا، فدعوا عليه.

وفى هذه السنة: قوى أبو عبد الله الشيعى القائم بدعوة العلويين الفاطمية بالمغرب، وقتل جميع عساكر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن

الأغلب، وهرب زيادة الله إلى مصر، ثم مات، وانقضت دولة الأغالبة به، فكانت مدة ملكهم بإفريقية مائة سنة وثنتى عشرة سنة، فإن الرشيد كان ولى إبراهيم بن الأغلب إفريقية فى سنة أربع وثمانين ومائة.

وابتدأت دولة الفاطمية بإفريقية فى هذه السنة، وانقرضت بمصر سنة سبع وستين وخمسمائة، أولهم أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. وطعنت طائفة فى نسبه، فقالوا: إن اسمه سعيد بن أحمد بن عبد الله القداح بن ميمون بن ديصان، ويسمى القداح؛ لأنه كان يقدح العيون.

وبدولة الفاطميين انقضت دولة الأدارسة، ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب، وكان قد استفحل أمرهم بالمغرب بفاس والبربر، وطنجة، وحملت رؤوسهم إلى المهدى، وكانت مدة دولتهم فوق مائة سنة، ودولة بنى مدرار من سلجاسة،وكانت مدة ملكهم مائة وثلاثين سنة، ودولة بنى رستم، وكانت مدة ملكهم مائة وستين سنة.

ولما استقرت دولة عبد الله الفاطمى المهدى قتل أبا عبد الله الشيعى، وأخاه أبا العباس الذين أقاموا دولته ودعوا الناس إلى بيعته، قال ابن الأثير: كان قتلهما فى هذه السنة - أعنى سنة ست وتسعين ومائتين -، وقال صاحب الجمع والبيان فى تاريخ القيروان: أنه كان فى سنة ثمان وتسعين ومائتين وهو الظاهر.

وفى سنة سبع وتسعين ومائتين:

توفى أبو القاسم الجنيد بن محمد الصوفى، وكان فقيهًا صوفيًا، أخذ الفقه عن أبى ثور والتصوف عن سرى السقطى، وتوفى محمد بن داود بن على الظاهرى.

وفى سنة تسع وتسعين ومائتين:

قبض المقتدر على وزيره أبى الحسن بن الفرات ونهب داره، وولى محمد بن يحيى ابن عبد الله بن خاقان، وكان يرتشى كثيراً، ويعزل سريعًا حتى انشدوا فيه:

وزير قد تكامل فى الرقاعة ... يولى ثم يعزل بعد ساعة

إذا أهل الرشى اجتمعوا عليه ... فخير القوم أوفرهم بضاعة

ثم عزله المقتدر بعد سنة وولى علىّ بن عيسى.

وفى سنة ثلثمائة:

توفى عبد الله الأموى صاحب الأندلس وعمره اثنان وأربعون سنة وولايته خمس سنين وأحد عشر شهراً، وولى بعده ابنه عبد الرحمن المقتول كان قتله أبو عبد الله فى حد من الحدود، وهذا عبد الرحمن، سمى بعد ذلك بالناصر.

وفى سنة إحدى وثلثمائة:

اغتيل أحمد بن إسماعيل الساماني صاحب خراسان، ذبحه غلمانه ليلاً، وهو على سريره فى العيد، وهربوا، فحمل ودفن ببخارى، وولى بعده ابنه أبو الحسن نصر.

وفيها: قتل أيضًا كبير القرامطة أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى، قتله خادم له فى الحمام، واستدعى من كبرائهم أربعة واحد بعد واحد على لسان أبى سعيد وقتلهم فعلم الناس أمره فقتلوه وتولى بعده ابنه الأكبر سعيد، فقتله أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان.

وفيها: بعث المهدى جيشًا مع ابنه أبى القاسم محمد إلى ديار مصر، فاستولى على الأسكندريه والفيوم، فبعث إليهم المقتدر جيشًا طردوهم، فعادوا إلى المغرب.

وفيها: توفى محمد بن يحيى بن منده.

وفى سنة اثنتين وثلثمائة:

قبض المقتدر على الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهرى، وأخذ منه صنوفًا قيمتها أربعة آلاف ألف دينار.

وفيها: أرسل المهدى حباسة فى البحر، واستولى على الأسكندرية، فأرسل المقتدر مؤنس الخادم واقتتلوا بين مصر والأسكندرية، فكان المهدى قد أرسل ثلاث مرات لأخذ مصر، ويرسل المقتدر عساكر تدفعه عنها بعد أخذه الأسكندرية وبلاداً معها، ثم فى الرابعة انهزمت المغاربة بعد قتل خلق، وعادوا إلى بلادهم.

وبنى المهدى المدينة المشهورة ببلاد المغرب على جانب البحر، وجعلها دار ملكه، وجعل لها سوراً محكمًا، وأبوابًا عظيمة وزن كل مصراع مائة قنطار، وقال: الآن أمنت على الفاطميين.

وفى سنة ثلاث وثلثمائة:

توفى أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب النسائى[1] بمكة ، ودفن بين الصفا والمروة.

وفى سنة خمس وثلثمائة:

قدمت رسل ملك الروم إلى بغداد، فلما استحضروا صفت دار الخلافة بالأسلحة وأنواع الزينة، ووقف الغلمان بمناطق الذهب، والخدام، وكانوا أربعة آلاف خادم أبيض وثلاثة آلاف أسود، والحجاب وهم سبعمائة حاجب، وجعلت المراكب فى دجلة مزينة لا يحصى عددها، وكانت الستور المعلقة على الأبواب ثمانية وثمانين ألف ستر، منها ديباج مذهب اثنى عشر ألف وخمسمائة، وكانت البسط اثنى وعشرين ألفًا.

وجيئ بمائة سبّاع معها مائة سبع وعملت شجرة من ذهب وفضة، تشتمل على ثمانية عشر غصنًا، عليها عصافير وطيور من ذهب وفضة، والأوراق ذهب وفضة، والأغصان والطيور تصفر بحركات مرتبة مدهشة، فشاهدت الرسل ما يطول شرحه، وصار الوزير يبلغ كلامهم الخليفة ويرد عنه.

وفى سنة ست وثلثمائة:

جهز المهدى جيشًا كثيفًا مع ابنه القائم إلى مصر، فدخل الأسكندرية واستولى عليها، ثم دخل الجيزة وملك الأشمونيين وغيرها من الصعيد، وبعث المقتدر مؤنسًا الخادم، وجرت بينهما وقعات ووصلت إلى الأسكندرية من إفريقية ثمانون مركبًا لنجدة للقائم، وأرسل المقتدر خمسة وعشرين مركبًا لقتال مراكب القائم، فالتقت المراكب بالمراكب واقتتلوا، واقتتلت العساكر فى البر وانهزمت عساكر المهدى ومراكبه وعادوا إلى إفريقية بعد أن قتل منهم وأسر.

وفى سنة سبع وثلثمائة:

ظهر من الأدارسة حسن بن محمد وقام برد الدولة بعد انقراضها وعليه من جيوش، فلم يتم له مطلبه وانقرضت دولة الأدارسة من جميع المغرب الأقصى، وتغلب الزناتيون على فاس حتى ظهر يوسف بن تاشفين أمير المسلمين واستولى على ملك البلاد.

(١) هو أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن النسائى ، الحافظ صاحب السنن، إمام ثقة حافظ حجة بالإجماع. انظر تهذيب التهذيب (١/ ٣٢ ـ ٣٤).

وفى سنة ثمان وثلثمائة:

ظهر اختلال الدولة العباسية واضطربت العامة ببغداد، فركبت الجند وقصدت دار الوزير حامد ابن العباس، وكان له مماليك كثيرة فحموا داره ودام القتال أيامًا وقتل خلق ووقع النهب فى بغداد، وجرت فتن بها وبمصر، وملك العبيديون حتى الفسطاط، وهرب الناس، وانجفلوا.

وفى سنة تسع وثلثمائة:

أخذت الأسكندرية واستردت إلى نواب الخليفة.

وفيها: قتل الحلاج بن حسين بن منصور، وكان يجمع للناس فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس، ويمد يده فى الهواء ويعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب: قل هو الله أحد، يسميها دراهم القدرة، ويخبر الناس بما صنعوا فى بيوتهم، ويتكلم بما فى ضمائرهم، وفتن به خلق كثير، واختلفوا فيه اختلاف النصارى فى المسيح، وكان يصوم الدهر، ويفطر على ماء وثلاث عضات من قرص.

قدم من خراسان إلى العراق، وسار لمكة، وجاور بها سنة، ثم عاد إلى بغداد فالتمس حامد الوزير من المقتدر أن يسلمه إليه، فسلمه إليه، وجد الوزير فى قتله واستنطقه عن مجالس بحضور العلماء، آخرها أنه قرأ كتابه يتضمن أن من لم يمكنه الحج إذا أفرد من داره بيتًا نظيفًا ولم يدخله أحد فطاف حوله أيام الحج، وفعل ما يفعله الحاج ثم جمع ثلاثين يتيمًا وأطعمهم أجود الطعام فى ذلك البيت وكساهم، وأعطى كل واحد منهم سبعة دراهم، كان كمن حج، فقال القاضى للحلاج: من أين لك هذا؟ فقال: من كتاب الإخلاص للحسن البصرى، فقال القاضى أبو عمرو: كذبت يا حلال الدم، قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا، فطالبه الوزير بكتابة خطه أنه حلال أيامًا ويمتنع، ثم أجاب وكتب بإباحة دمه، ووافقه جماعة من العلماء، فقال الحلاج: ما يحل لكم دمى ودينى الإسلام، ومذهبى السنة، ولى فيها كتب موجودة فالله الله فى دمى، فأرسل الوزير الفتاوى إلى المقتدر فأذن فى قتله، فضرب ألف سوط، ثم قطعت يده، ثم رجله، ثم قتل وأحرق بالنار، ونصب رأسه ببغداد.

وفى سنة عشرة وثلاثمائة:

توفى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ببغداد، ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين،

وكان من المجتهدين وله مصنفات منها: التاريخ المشهور من أول الزمان إلى آخر سنة اثنين وثلثمائة، وله التفسير المعروف، ورموه بالرفض لكونه صنف كتابًا فى اختلاف العلماء لم يذكر فيه مذهب أحمد بن حنبل وقال: لم يكن أحمد فقيهًا إنما كان محدثًا[1]. قال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما أعلم أحدًا على وجه الأرض أعلم من محمد ابن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة، ذكر ذلك الذهبى فى العبر.

وفيها: توفى أبو بكر محمد بن السرى بن سهل المعروف بالسراج، أخذ النحو عن المبرد وأخذه عنه أبو سعيد السيرافى، وعلى بن عيسى الرمانى، وكان يجعل الداغباً.

وأما إبراهيم بن السرى الزجاج فتوفى فى سنة إحدى عشرة وثلثمائة.

وفيها: كبت القرامطة وأميرهم سليمان الجبانى البصرة ليلاً وعلوا على شيزر وقتلوا عاملها.

وفيها: توفى محمد بن زكريا الرازى الطبيب، كان فى شبيبته يضرب بالعود فلما التحى قال: كل غِنى يخرج من تحت شارب ولحية لا يستحسن، فأقبل على كتب الطب والفلسفة، وكان قد بلغ الأربعين فصار فيهما الغاية.

ثم جرت حروب كبيرة مع القرامطة وانتصر فيها كبيرهم أبو طاهر ومعه سبعمائة فارس ومثلها رجالة، أسر مرة أربعين ألفًا، وأسر أميرهم يوسف بن أبى الساج، وأخذ مرة الحجَّاج وأموالهم، وأخذ مرة البصرة وقتل عاملها ونهب أموالها، وأخذ مرة الكوفة، وما فيها، وأخذ مرة الرحبة ونهب وسبى.

وفى سنة اثنتى عشرة وثلثمائة:

ذبح المقتدر وزيره أبو الحسين بن الفرات وولده معًا واستوزر أبو القاسم الخلقانى.

وفى سنة خمس عشرة وثلثمائة:

وصلت القرامطة إلى الكوفة فسار إليهم يوسف بن أبى الساج من واسط بعسكر ضخم نحو أربعين ألفًا، وكانت القرامطة ألفًا وخمسمائة منهم ثمانمائة رجالة فاحتقرهم ابن أبى الساج، وقال: أصدروا الكتب إلى الخليفة بالنصر فهى والله فى يدى، واقتتلوا فقدَّر الله انهزام عسكره وأسره أبو طاهر القرمطى وقتله واستولى على الكوفة، ونهب

---

(١) الله الله، إن لم يكن أحمد - رحمه الله - فقيهًا فمن يكون الفقيه، وقد أوردت كلام الشافعى - رحمه الله - فى أحمد ومدحه فيه.

ثم جهّز المقتدر مؤنس الخادم فى عساكر فانهزم أكثر العسكر قبل الملتقى، ثم التقوا فانهزمت عساكر الخليفة ووقع الفشل فى بغداد خوفًا من القرامطة.

وفى سنة ست عشرة وثلثمائة:

استوزر أبا على بن مقلة عوضًا عن على بن موسى.

وفى هذه السنة: وصل الدمستق - وهم اسم النائب على البلاد - إلى شرقى القسطنطينية، وحضر أخلاط، ثم صالحهم على أن يضعوا الصليب مكان المنبر ففعلوا ورحل إلى برليس ففعل بها كذلك.

وفى سنة سبع عشرة وثلثمائة:

أنكر الجند والقواد على المقتدر استيلاء النساء والخدام على الأمور وأخذ الأموال الكثيرة، واجتمعوا إلى مؤنس الخادم وألجأوا المقتدر إلى أن أشهدوا عليه أنه خلع نفسه، وبايعوا أخاه محمد بن المعتضد ولقبوه القاهر، ونهبوا دار الخلافة ونهبوا من قصر بثينة أم المقتدر ستمائة ألف دينار، وثالث يوم بكر الناس وازدحموا وهجموا على القاهر فاستخفى وهربت جماعته وعاد الناس إلى بيت مؤنس الخادم، وطلبوا منه المقتدر فأخرجه فحملوه على رؤوسهم حتى أدخلوه دار الخلافة، وحضر إليه أخوه القاهر بالأمان، فرحب به وأقام عُذره وحبسه عند أمه فأحسنت إليه ووسعت عليه وسكنت الفتنة.

وفى آخر هذه: دخل أبو طاهر القرمطى يوم التروية إلى مكة فهبَّ أمير مكة، وقلع باب البيت وأصعد رجلاً ليبلغ الميزاب، فسقط ومات، وطرح القتلى فى بئر زمزم، ودفن الباقين فى البيت الحرام حيث قتلوا، وقسم كسوة البيت بين أصحابه.

وفى هذه السنة: وقعت فتنة عظيمة ببغداد بسبب تفسير قوله تعالى: **﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾** ودخلت فيها الجند والعامة، وقتل فيها قتلى كثيرة.

من ذلك أن الحنابلة قالوا وكبيرهم أبو بكر المروزى: معنى الآية أن الله يقعد النبى ﷺ معه على العرش، وقال غيرهم: إنما هى الشفاعة.

وفيها: توفى نصر بن أحمد البصرى الشاعر وكان أميًا وله الأشعار الفائقة منها:

خليلىّ هل أبصرتما أو سمعتما ... بأحسن من مولى يمشى إلى عبد

أتى زائرًا من غير وعد وقال لى ... أجلك عن تعليق قلبك بالوعد

فما يزال نجم الوصل بينى وبينه ... بأفلاك السعادة والسُّعد

وفى سنة عشرين وثلثمائة:

سار مؤنس الخادم إلى الموصل مغاضبًا المقتدر فاحتاط المقتدر على أمواله، وأمر أهل الموصل بقتاله فاجتمعت إليه العساكر بالموصل وقصد بغداد فخرج إليه المقتدر، وانكسر وقتل وحمل رأسه إلى مؤنس وهو بالراشدية، ولم يكن حضر القتال فلطم وبكى، وكانت مدة خلافته أربعًا وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا، وعمره ثمانيًا وثلاثين سنة.

وبويع القاهر بالله محمد ابن المعتضد فأحضر أم المقتدر وضربها وعلقها برجلها، وأخذ ما اعترفت به من المصاغ والثياب بعد أن حلفت أن ليس عندها غير ذلك.

ثم بعد سنة وبين سنة إحدى وعشرين:

قصد مؤنس الخادم خلع القاهر واتفق مع بليق الحاجب وابنه أن يبايعوا أبا جعفر أحمد بن المكتفى فظفر بهم القاهر وقتلهم، وعزل ابن مقلة الوزير.

وفى هذه السنة: توفى أبو هاشم الجبائى المعتزلى.

وفيها: توفى أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ومولده بمصر سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ابتلى فى كبره مع كثرة فضله بحب الخمر والعيدان وكان قد جاوز التسعين.

وفيها: توفى أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى الطحاوى، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر وكان شافعيًا فقال له يومًا شيخه المزنى: والله لا جاء منك، فغضب وانتقل إلى مذهب أبى حنيفة.

وفى سنة اثنتى وعشرين وثلثمائة:

ظهر بنو بويه، كان بويه من أوساط الناس بين الديلم، وكنيته أبو شجاع، ونسبه متصل إلى أردشير بن بابك من الأكاسرة، وكان له ثلاثة أولاد شجعان فى خدمة ماكان ابن كالىء الديلمى. وأسماؤهم عماد الدولة أبو الحسن على، وركن الدولة الحسن، ومُعز الدولة أبو الحسن أحمد. فلما طرد مرداويج ماكان بن كالىء عن طبرستان أحسن مرداويج إلى أولاد بويه، وولى عماد الدولة الكرج فظهرت شجاعته، وكسر صاحب أصفهان فى عشرة آلاف ومائة فارس، وعظم فى عيون الناس ونفوسهم، وأخذ غيرها من البلاد واستولى على شيراز، وجعل ابن مقلة يعمل الحيلة فى خلع القاهر ويوهم القواد منه حتى إنه كان يعطى المائة دينار لمنجم حتى يقول لهم: عليكم قطع من القاهر، ولمعتبر المنامات ليفسرها على هذا النحو فاجتمعت القواد عليه وأمسكوه وسملوا عينيه.

وكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام. وبويع الراضى بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر، واستوزر ابن مقلة، وذلك فى ست من جمادى الأولى سنة ثنتى وعشرين وثلثمائة.

وفيها: توفى المهدى عبد الله الفاطمى بالمهدية، وكانت ولايته أربعًا وعشرين سنة وشهرًا وعمره ثلاثًا وستين سنة، واستقر بعده القائم أبو القاسم بعد أن اختفى سنة.

وفيها: قتل محمد بن على الشملغانى ، وشملغان قرية من نواحى واسط ، وكان أحدث مذهبًا مداره على الحلول والتناسخ. أمسكه الوزير ابن مقلة، وأفتت العلماء بإباحة دمه، فقتل وصلب وأحرق بالنار، وكان مذهبه الخبيث ترك العبادات كلها وإباحة الفروج من ذوى الأرحام، وأنه لابد للفاضل أن ينكح المفضول ليولج فيه النور، وأنه من امتنع من ذلك عاد فى الدور الثانى أنثى.

وفى سنة ثلاث وعشرين:

ولى محمد بن طغج - وهو الإخشيد - مصر انتقل إليها من دمشق، وكان قد انتقل إلى دمشق من الرملة.

وفيها: أرسل القائم الفاطمى جيشًا والأندلس فى يد عبد الرحمن ففتح جنوده.

وفيها: أرسل الراضى طلب محمد بن رائق من واسط، وسلم إليه الأمر وبطلت الوزارة، واقتصر حكمه على بغداد وعملها، واستقرت البصرة بيد ابن رائق، وفارس فى يد عماد الدولة بن بويه، وأصفهان فى يد أخيه ركن الدولة، والموصل وديار بكر وربيعة ومضر فى يد بنى حمدان، ومصر والشام بيد الإخشيد، والمغرب وإفريقية فى يد القائم الفاطمى، والأندلس فى يد عبد الرحمن الأموى الملقب بالناصر، وخراسان وما وراء النهر فى يد نصر بن أحمد السامانى، وطبرستان وجرجان فى يد الديلم، والبحرين واليمامة فى يد الطاهر القرمطى.

وفى سنة ست وعشرين وثلثمائة:

أشار ابن مقلة على الراضى بمسك ابن رائق، فبلغ ابن رائق، وحبس ابن مقلة، ثم أخرج وقطعت يده، وكان يشد القلم عليها ويكتب، ثم بلغ ابن رائق دعاؤه عليه وعلى الراضى فقطع لسانه وحبس إلى أن مات فى أسوأ حال، ودفن مكانه ونبشه أهله فدفنوه فى موضع، ثم نُبش ودفن فى موضع آخر. فمن الاتفاق الغريب أنه ولى الوزارة ثلاث

مرات لثلاثة خلفاء المقتدر والقاهر والراضى، وسافر ثلاث مرات، ودفن ثلاث مرات.

وفى أواخر هذه السنة: سار بجكم من واسط ودخل بغداد وكسر ابن رائق، فهرب وخلع الراضى على بجكم وصار أمير الأمراء والحكم له، والخليفة معه عارية.

وفى سنة سبع وعشرين وثلثمائة:

سار بجكم والراضى إلى الموصل فهرب ناصر الدولة ابن حمدان، ثم وقع الصلح وولوه حران والرها.

وفى سنة ثمان وعشرين:

استولى ابن رائق على الشام وطرد بدرًا نائب الإخشيد، وبلغ العريش يريد مصر، وجرى قتال شديد آخره انزاح ابن رائق إلى دمشق ثم صار بينهما صلح، واستقرت دمشق لابن رائق ومصر للإخشيد.

وفى سنة تسع وعشرين وثلثمائة:

مات الراضى بالاستسقاء، فكانت خلافته ست سنين وعشرة أيام، وعمره اثنان وثلاثون سنة، وكان شاعرًا حسنًا سخيًا لحب الأدب، وبعده لم يبق من بيوت الخلفاء شاعر، وهو آخر خليفة دوَّن شعرًا، وأجرى النفقات وجالس الجُلَساء، ومن شعره:

يصفوا وجهى إذا تأمله ... طرفى فيحمر وجهه خجلاً
حتى كان الذى بوجنته من ... دم قلبى إليه قد ثقلا

ومنه:

لا تعذلى كرمى على الإسراف ... ربح المحامد متجر الأشراف
أجرى كأنا فى الخلاف سائقًا ... وأنشد ما قد استيئست أسلافى
إنى من القوم الذين أكفهم ... معتادة الإحلاف والإتلاف

ولغيره:

لسنا وإن كرمت مغارسنا ... يومًا على الإحسان نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ... ونفعل مثل ما فعلوا

وبويع بعده إبراهيم ابن المقتدر بإشارة كانت بحكم أبى عبد الله الكوفى، ولقب المتقى بالله، وتصرف بجكم فى الخلفاء، وأخذ فرش الخلافة وآلاتها، وصار التدبير

مكان الوزارة إلى كـاتب بجكم، ثم قـتل بجكم بعد حكمـه سنتـين وثمانيـة أشهـر، واستولى على الأمر البربرى.

ثم أخرج من بغـداد واستولى على الأمـر كورتكين، ثم أخرج، وكـان ابن رائق قد استـولى على بغداد، ثم جـاء ناصر الدولة ابن حمـدان إلى المتقى، وخلع عليـه بأمره الأمراء، وأخذ بغداد وخلع على أخيه ولقبه سيف الدولة.

وفى هذه السنة: توفى أبو الحسن على بن إسـماعيل بن أبى بشـر الأشعرى[1] ودفن ببغداد بشرعـة المراويا، ثم طمس قبره خوفًا من أن تنبشه الحنابلة، فإنهم كـان يعتقدون كفره، ويبيحون دمه. وهو من ولد أبى موسى الأشعرى وسبب ظهور مذهبه وترجيحه، أنه ناظر أبا على الجبائى على قواعد مذهبه ـ وكان زوج أمه ـ فى وجوب الأصلح على الله تعالى. وأثبت الجـبائى على قواعـد مذهبه فـقال له أبو الحسن: مـا تقول فى ثلاثة صبية اخـترم أحدهم قبل البلوغ وبقى الأخران فكفر واحـد وأسلم الأخر، ما العلة فى إخرام الصغيـر؟ فقال: لأنه علم أنه لو بلغ لكفر، فقال الأشـعرى: ها قد بلغ أحدهم فكفر، فقال الجبائى: إنما أحياه ليعرضه إلى أعلى المراتب ـ يريد البلوغ والتكليف ـ فإنها المرتبة الإنسـانية، فقـال الأشعرى: فلم لا أحيـا الذى اخترمـه كذلك، فقال الجـبائى: وسوست، فقال: لا ولكن وقف حمار الشيخ ـ يعنى انقطع فى البحث ـ.

وفى سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة:

مات نصر بن أحـمد السامانى صاحب خـراسان وما وراء النهر، وكان عـمره ثمانيًا وثلاثين سنة وثلاثة عشر يومًا، وكان حليمًا كريمًا، وولى بعده ابنه نوح.

وفيها: طلب ملك الروم من المتـقى منديلاً كان فى كنيسـة الرها زعمـوا أن المسيح ـ عليه السلام ـ مسح وجهه فيه فـانتقشت صورته فيه، ووعد على ذلك بإطلاق الأسرى من المسلمين.

---

(١) هو على بن إسماعيل الأشعرى، يرجع نسبـه إلى أبى موسى الأشعرى الصحابى الجليل برع فى علمى الكلام والجدل عـلى طريقة المعتـزلة حتى صار من رؤسـائهم. قيل. إنه مـالكى، وقيل: شافعى، وقيل: كـان مستقلاً فى فهم النصوص واستنبـاط الأحكام، وإليه ينسب الأشاعرة. من شيوخه: أبو إسحاق المروزى، والساجى، والجبائى. من تلاميذه: بندار، والقفال، والمروزى. من تآليفه: إثبات القياس، والمختزن فى التفسير، والإبانة، ولد عام ٢٦٠ هـ، وتوفى عام ٣٢٤ هـ. وفيات الأعيان (٢/ ٤٤٦)، والديباج (٢/ ٩٤)، وطبقات السبكى (٣/ ٣٤٧).

واختلف الفقهاء فى ذلك، وآخر الأمر أرسلوه إليه وجاءوا بأسرى كثيرة.

وفى سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة:

سار المتقى عن بغداد خوفًا من توزون، وأعطى شيراز إلى عمه ناصر الدولة بالموصل، ثم كتب إلى توزون ليصالحه.

وفيها: خرج طائفة من الروس فى البحر فاستولوا على بزدعة فقتلوا ونهبوا ورجعوا فى المراكب.

وفيها: مات أبو طاهر رئيس القرامطة بالجدرى.

وفيها: كان غلاء عظيم ببغداد.

وفيها: استعمل ناصر الدولة ابن حمدان أبا بكر على بن مقاتل على قنسرين وحمص والعواصم، ثم استعمل بعده فيها ابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان.

وفى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة:

أمسك توزون المتقى، وسمل عينيه، وبويع المستكفى بالله أبو القاسم عبد الله ابن المعتضد بالله أحمد ابن الموفق بالله طلحة، وكانت خلافة المتقى بالله إبراهيم ابن المقتدر جعفر ابن المكتفى ابن المعتضد بالله أحمد ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يومًا.

فرحل سيف الدولة من العواصم وأخذ حلب من يانس المؤنسى، وأخذ حمص.

وفى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة:

مات توزون فسار معز الدولة بن بويه وأمن الأهواز إلى بغداد وملكها، وبايعه المستكفى.

وفى ذلك اليوم لقبه معز الدولة وضرب اسمه فى الدراهم والدنانير، ورتب معز الدولة للمستكفى كل يوم خمسة آلاف.

ثم خلع معز الدولة ابن بويه المستكفى، وبويع المطيع لله الفضل ابن المقتدر، وازدادت الخلافة ذلاً، وتسلمت عمال ابن بويه العراق بأسره، وأقطع معز الدولة للخليفة ما يقوم بأوده، فسار بأمر الدولة ابن حمدان من سامر إلى بغداد، وجرى بينه وبين معز الدولة حروب، ثم اصطلحا.

وفيها: مات القائم بأمر الله أبو القاسم محمد ابن المهدى عبيد الله صاحب المغرب،

وكان قد خرج عليه خارجى اسمه أبو يزيد وأخذ غالب بلاده وحصره فى المهدية واختفى موته.

وقام بالأمر بعده ولده إسماعيل ولقب بالمنصور بالله وقاتل أبا يزيد الخارجى وطرده.

وفيها: مات الإخشيد بدمشق وملكها سيف الدولة، وولى مصر ولد الإخشيد أبو القاسم أبو جور، وتفسيره محمود، وكان صغيراً والحاكم غيره كافور الطواشى الأسود، وسار إلى دمشق فطرد سيف الدولة عنها.

وفيها: توفى عمر بن الحسين الخرقى، وأبو بكر الشبلى حاجبا الموفق بالله طلحة، ثم تاب وصحب الفقراء، وكان مالكيًا المذهب وقرأ الموطأ.

وفى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة:

توفى أبو بكر القولى، وكان عالمًا بفنون الأدب والأخبار، وبه يضرَب المثل فى لعب الشطرنج وليس بواضعه، وإنما واضعه هو برداهر النينوى.

وفى سنة ست وثلاثين وثلثمائة:

كان بالشام غلاء عظيم لم يسمع بمثله وأكلت الحمير والقطاط والصبيان.

وفيها: عقد المنصور العلوى ولاية وزرة صقلية للحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى، واستمر يفتح البلاد ويغزو إلى أن مات المنصور.

وفى سنة سبع وثلاثين وثلثمائة:

ملك معز الدولة الموصل وملك سيف الدولة حصن نرونه.

وفى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة:

احترق حصن الجامكية، وكان بيد المغاربة، فنازله الدوقسى فى ثلاثين ألفًا وجرت على أخذه موقعة ثم جمعان إلى دمشق فى جهة المغاربة، وقتل الدوقسى وقتل من عسكره أربعة عشر ألفًا وأسر منهم خلق كثير.

وفيها: مات عماد الدولة ابن بويه بالأسقام، وكان قد جعل ابن أخيه فناخسرو ولى عهده على فارس وحكم وجاءه أبوه ركن الدولة فزار قبر أخيه فاضطر قافيًا وعسكره كذلك، ثم فصل الحامية، وقدَّر قواعد ما كان عماد الدولة أمير الأمراء به، ثم جاء ركن الدولة أمير الأمراء.

وفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة:

أعادت القرامطة الحجر الأسود إلى الكعبة، وكان مدة مكثه عندهم اثنتى وعشرين سنة.

وفيها: مات عبد الرحمن الزجاج النحوى صاحب الجمل.

وفيها: توفى الفارابى.

وفى سنة إحدى وأرربعين وثلثمائة:

توفى المنصور الفاطمى صاحب المغرب، وكان شجاعًا فصيحًا يؤلف الخطب لوقتها، وعهد إلى ابنه المعز لدين الله، وكانت خلافة المنصور سبع سنين وستة عشر يومًا وعمره تسعًا وثلاثين سنة. وبويع ولده المعز لدين الله أبو تميم معد ابن المنصور إسماعيل، وقوى أمر المعز وملك غالب الغرب، وبلغ صاحب الأندلس الناصرى عبد الرحمن الأموى قوة المعز الفاطمى وتلقبه بأمير المؤمنين، وبلغه ضعف الخلافة بالعراق، تلقب هو أيضًا بأمير المؤمنين وتسمى ذلك اليوم بالناصر إلى أن مات فى سنة خمسين وثلثمائة، وكانت مدة خلافته وإمارته خمسين سنة ونصفًا، وعمره ثلاثًا وسبعين سنة.

وولى الأمر بعده ولده الحاكم وتلقب بالمنتصر.

وفى سنة اثنين وأربعين وثلثمائة:

رجع سيف الدولة من الروم مؤيدًا منصورًا، وقد أسر قسطنطين بن الدمستق، واستمر عنده مكرمًا إلى أن مات، ولكن حمل البطريق إلى بيت المال، وكان أمرد بديع الحسن.

وفى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة:

جاء سيف الدولة الغدر، وجمع الدمستق خلائق من الأتراك والبلغار وغيرهما، فعاقبهم سيف الدولة على ذلك ونصره الله عليهم، وقتل وأسر ما لا يحصى وغنم كثيراً من الغنائم.

وفى سنة خمس وأربعين وثلثمائة:

غلبت الروم على طرسوس فقتلوا وسبوا وحرقوا قراها.

وفيها: قصد روبهار الديلمى العراق فالتقاه نصير الدولة ومعه الخليفة فانكسر فيها روبهار وأسر.

وفى سنة ست وأربعين وثلثمائة:

سار جوهر عبد العز إلى أقاصى المغرب فلما جاء إلى فاس أعلى أحمد بن بكر أبوابها، فلم يقدر جوهر عليها ومضى جوهر إلى البحر المحيط، ثم عاد وفتح فاس عنوة.

وفى سنة تسع وأربعين وثلثمائة:

أسلم من الأتراك نحو مائتى ألف.

وفيها: أخذ السيلُ حاج مصر والشام ليلاً وتم العود.

وفى سنة عشر وثلثمائة:

تقنطر بعبد الملك بن نوح السلمانى فرسه فمات بخراسان ووليها أخوه منصور.

وفى هذه السنة: ولى قضاء القضاه ببغداد أبو العباس عبد الله بن أبى الحسن بن أبى الشوارب والتزم كل سنة بمائتى ألف درهم، وهو أول من ضمن القضاء ثم الحسبة والشرطة.

وفى هذه السنة سنة إحدى وخمسين وثلثمائة:

قدم دمستق ملك الروم إلى حلب بغتة وهرب سيف الدولة بعد أن قاتل، وقُتل من جماعته خلق كثير، وحصرها مدة وهو على جبل جوشن حول دار سيف الدولة بعد أن هبها ثم حدث بين عوام حلب وشرطتها فتنة فاستعلوا عن الأسوار فهجم الروم إلى حلب، وفتحوا الأبواب ووضعوا السيف وسبوا بضعة عشر ألف صبى وصبية وغنموا ما لا يوصف كثرة، وحرقوا ما عجزوا عن حمله. وعاد الدمستق عنها إلى بلاده بعد أن قام بها تسعة أيام، ولم ينهب القرى وأمرهم بالزرع ليعود.

وفى سنة أربع وخمسين وثلثمائة:

أخذ ملك الروم المصيصة بالسيف وأسر وقتل، وكان أهلها فوق مائتى ألف إنسان وأخذ أنطاكية وطرسوس.

وفيها: قتل المتنبى الشاعر وابنه، قتلهما بنو ضبَّة فى السفر، واسمه أحمد بن الحسين ابن الحسن بن عبد الصمد الكندى، فإنه ولد سنة ثلاث وثلثمائة برحلة كندة من عمل الكوفة، وأما نسبه فجعى، وكان أبوه سقا بالكوفة ولذلك أنشد فيه بعض حساده:

أتى فضل الشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا

عاش حينًا يبيع فى الكوفة الماء وحينًا يبيع ماء المحيًا

كان شعره إلى النهاية ورزق فيه السعادة، وكان إمامًا فى اللغة، سأله أبو على الفارسى يومًا: كم لنا من الجموع على وزن فعلى، فقال: فى خجلى وضربى. قال أبو على: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال فلم أجد ثالثًا.

كان ادَّعى النبوة فى برية السماوة وتبعه خلق كثير من بنى كلاب وغيرهم فخرج إليا لؤلؤ نائب الإخشيد بمصر، ثم هجاه ولحق بعضد الدولة ابن بويه بفارس، ثم رجع قاصدًا الكوفة فقتل بالنعمانية من جواد بغداد.

وفى سنة ست وخمسين وثلثمائة:

مات معز الدولة ابن بويه، وولى بعده ابنه بختيار، وكانت مدة معز الدولة أحد وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا، وكان مقطوع اليد، قطعت لحرب فى كرمان، وهو الذى أنشأ السعادة ببغداد.

وفيها: مات كافور الإخشيدى، ومات سيف الدولة بن حمدان وهو أول من استقل بحلب، أخذها من أحمد بن سعيد الكلابى، وكان شعره حسنًا، فمنه ما أنشد لأخيه ناصر الدولة:

وهبت لك العلياء وقد كنت أهلها وقلت فما بينى وبين أخى فرق

وما كان لى عنها نكول وإنما تجاوزت عن حقى فتم لك الحق

أما كنت ترضى أن أكون مصليًا إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

وكان شجاعًا كريمًا، قدم إليه أبو الفرج الأصبهانى كتاب الأغانى، وكان قد جمعه فى خمسين سنة فأعطاه ألف دينار واعتذر.

وفى هذه السنة: توفى أبو الفرج المذكور، واسمه على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس، ومع هذا كان متشيعًا.

وفى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة:

سيَّر المعز الفاطمى غلام والده جوهر الرومى فى جيش عظيم إلى مصر فاستولى عليها، وشرع فى بناء القاهرة، وخطب على المنابر باسم المعز، وقطعت خطبة العباسيين، ونودى فى الأذان بحى على خير العمل، وجهر فى الصلاة ببسم الله

الرحمن الرحيم، ثم خطب له بالشام وحلب ومدينة النبى ﷺ.

وفيها: دخل ملك الروم الشام بلا ممانعة أحد وملك ثمانيـة عشر منبرًا، وأقام بالشام شهرين وعاد بالأسرى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفى سنة تسع وخمسين وثلثمائة:

ملك الروم أنطاكية بالسـيف وقصدوا حلب فصولحـوا على مال عن حلب وحمص وحماه وما والاهـا، فرحلوا ومعهم الرهائن على ذلك، وصارت البلاد سـائبة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها: طمع نقفـور الروم فى ملك جميع الشام، ولـم يكن من بيت الملك وإنما قتل الملك الذى قبله وتزوج امـرأته وأراد أن يخصى أولادها لينقطع نسلهـم ويبقى الملك فى نسله، فاتفقت أمهم مع الدمستق وأدخلته فى جـماعة على زى النساء إلى كنيسة متصلة بدار نقفور فـدخلوا عليه وقتلوه، وأقام الدمستق أحـد الأولاد المذكورين ملكًا، وكانت المرأة زوجة أرمانوسى فـقتلته، وتزوجت نقفور فـقتلته، وتزوجت بأنس بن مشـحشيق وولته الملك، ثم خافـته على ولديها مسلر وقسطنطين ابنا أرمانوسـى وجهزت إليه وهو بالشام سُمًا فقتلته قبل عوده إلى الروم، فلا عفا الله عنهم أجمعين.

وفى سنة ستين وثلثمائة:

وصلت القرامطة إلى دمشق، ركبـوا جعفر بن فلاح عبد المعـز خارج دمشق وقتلوه وملكوا دمشق وأمنوا أهلها.

وقصـدوا الرملة واجتمع إليـهم خلق من الإخشـيديين فقـصدوا مصـر ونزلوا بعين شمس، وجرت بـينهم وبين المغاربة وجوهر حروب فـانتصرت القرامطة، ثم انـتصرت المغاربة، وعادت القرامطة إلى الشام وكسرهـم جند الحسن بن نعمة.

وفيها: توفى السرى الرفا الشاعر.

وفى سنة إحدى وستين وثلثمائة:

رحل المعز إلى مـصر بأهله وأمـواله وجعل الذهب مـزدات طواحين وحمـلها على الجمال ومعـه ابن هانىء الشاعر الأندلسى، قتل غيلة فى الطريق وتغـالى فى مدح المعز حتى كفر حين قال:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

وفيها: وصلت الروم إلى الجزيرة والرُّها ونصيبين فغنموا وقتلوا، واستصرخ المسلمون بأهل بغداد فقامت العامة، وطلب بختيار من الخليفة المطيع مالاً لينفقه فى الغزاة، فقال له: أنا ليس لى غير الخطبة فإن أحببتم اغتربت، فهدده بختيار فباع قماشه وغيره حتى حمل إلى بختيار أربعمائة ألف درهم فصرفها بختيار فى مصارفها وبطلت الغزاة، وشاع أن الخليفة صودر حتى باع قماشه، كذا فى تاريخ المؤيد، وفى تاريخ الذهبى أن بختيار أرسل العسكر فانتصروا.

وفى سنة اثنين وستين وثلثمائة:

وصل المعز ودخل القاهرة ثامن عشر من رمضان.

وفيها: وصل الدمستق إلى جهة ميافارقين فنهب واستهان بالمسلمين، فجهز إليه أبو تغلب ابن ناصر الدولة أخاه عبد الله فكسر الدمستق وأُسر فمرض ومات محبوسًا.

وفى سنة ثلاث وستين وثلثمائة:

سار بختيار والأمراء ببغداد إلى الأهواز واستخلف سبكتكين ببغداد، فخرج عليه ونهب داره وأمر المطيع أن يخلع نفسه، وكانت خلافته تسعًا وعشرين سنة وشهراً. وبويع ولده الطائع عبد الكريم.

وفى سته خمس وستين وثلثمائة:

توفى المعز بمصر وعمره خمس وأربعون سنة، وكان يعمل بأقوال المنجمين، وبويع ولده العزيز وخطب له بمكة.

وفيها: قنص عضد الدولة ابن بويه على وزيره الفتح بن العمير وسمل عينيه وقطع أنفه، وكان قد أنشرح ليلة مسكه انشراحًا عظيمًا وأنشد:

دعوت المنى ودعوت العلى ... فلما أجابا دعوت القرح

وقلت لأيام شرح الشباب ... إلىَّ فبهذا أوان الفرح

إذا بلغ المرء ما له ... فليس له بعدها مفترح

ولحنت له وغنيت فطرب لها وسكر بالخمر والملاهى.

وفى سنة ست وستين وثلثمائة:

توفى الحكم بن عبد الرحمن الأموى، وكانت إمارته خمسة عشر سنة وكسراً،

وعمره ثلاث وستين سنة وكسراً.

وبويع ولده هشام ولقب المؤيد، وبلغ معالى الأمور حتى مات سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة.

واستولى عضد الدولة على العراق وغيره وقتل بختيار ووزيره ابن بقية، ورثاه أبو الحسن الأنبارى بقصيدته المشهورة التى منها:

علو فى الحياة والممات	بحق أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا	وفود نداك أيام الصلات
مددت يدك نحوهم اقتفاءاً	كمدهم إليهم فى الهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن	يضم علاك من بعد الممات
أصاروا لجوء قبرك واستنا	بوا عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمك فى النفوس تبيت تُرعى	بحواس وحفاظ ثقات
وتشعل عندك النيران ليلاً	كما قد كنت أيام الحياة

وفيها: توفى قاضى القضاة السكندمية أبو قريعة محمد بن عبد الرحمن، وكان من عجائب الدنيا فى سرعة الأجوبة الهزلية منها:

أن الوزير المهلبى أغرى العباس بن المهلى الكاتب على سؤاله هذلاً فكتب إليه: ما يقول القاضى الفاضل وفقه الله تعالى فى يهودى زنى بنصرانية فولدت ولداً جسمه للبشر ووجهه للبقر، فكتب الجواب: بدنها هذا من أعدل الشهود على اليهود أنهم أشربوا العجل فى صدورهم، فخرج من أيورهم، وأرى أن يناط برأس اليهودى رأس العجل، ويصلب على رأس النصرانية الساق مع الرجل ويسحبا على الأرض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض، والسلام.

والسكندم قرية على نهر عيسى فى بغداد.

وفى سنة ثمان وستين وثلثمائة:

فتح أبو الوفا مقدم عسكر عضد الدولة ميافارقين بالأمان، ثم سار ففتح آمد واستولى عضد الدولة على ديار بكر وسار أبو تغلب إلى دمشق فمنعه منها مسام عامل العزيز صاحب مصر، فسار إلى طبرية ثم إلى الرمله، وهناك دغنك والفضل من قواد

العزيز فقاتلوا أبا تغلب فانهزم فتبعوه وأرسلوا برأسه إلى العزيز بمصر.

وفى سنة سبعين وثلثمائة:

مات الأحدب المزوِّر، وكان يكتب خط كل أحد فلا يشك المكتوب عنه أنه خطه.

وفى سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة:

مات عضد الدولة فخسرو ابن ركن الدولة حسن بن بويه، ودفن بمشهد على بن أبى طالب، وكانت ولايته العراق خمس سنين ونصف، وعمره سبعًا وأربعين سنة، وهو الذى بنى لمدينة النبى ﷺ سورًا. كان آخر كلامه: ﴿ما أغنى عنى ماليه * هلك عن سلطانيه﴾.

قيل: إنه أنشد أبياتًا فلازمه الصرع بعد إلى أن مات:

ليس شرب الكاس إلا فى المطر وغناء من جوار فى السحر

غانيات سالبات للنهى ناغمات فى تضاعيف الوتر

عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر

وولى بعده صمصام الدولة أبى كاليجار المرزبان.

وفى سنة أربع وسبعين وثلثمائة:

توفى الخطيب أبو يحيى عبد الرحيم بن إسماعيل بن نباتة بميافارقين، وكان إمامًا فى الأدب لم يلحق فى الخطب.

رأى النبى ﷺ فى المنام وقال له: مرحبًا بخطيب الخطباء وأدناه وتفل فى فيه فلم تزل رائحة المسك فى فيه إلى أن مات بعد أيام.

وفى سنة خمس وسبعين وثلثمائة:

ذكر ابن الأثير أنه خرج من البحر طائر أكبر من الفيل بعُمان وصاح بصوت عال: قد قرب - ثلاث مرات - ثم غاص فى البحر فعل ذلك ثلاث مرات وغاب ولم يعد.

وفى سنة ست وسبعين وثلثمائة:

قبض شرف الدولة سيرزيك بن بويه على أخيه صمصام الدولة وحبسه، ثم بعد سنتين وثمانية أشهر مات شرف الدولة واستقر بعده أخوه أبو نصر بهاء الدولة وخلع عليه الطائع وقلده السلطة، وأخذ بغداد فكانت ولاية صمصام الدولة ثلاث سنين.

وفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة:

أهدى الصاحب ابن عباد إلى فخر الدولة على بن حسن ابن ركن الدولة ابن بويه دينارًا وزنه ألف مثقال مكتوب عليه:

وأحمر يحكى الشمس شكلاً وصورة فأوصافها مشتقة من صفاته
فإن قيل دينار فقد صدق اسمه وإن قيل ألف فهو بعض سماته
بديع ولم يطبع على الدهر مثله ولا ضربت أضرابه لسراته
وصار إلى شاهان شاه انتسابه على أنه مستصغر لعفاته
يخبر أن تبقى سنين كوزنه لتستبشر الدنيا بطول حياته

وفى سنة إحدى وثمانين وثلثمائة:

سأل بهاء الدولة من الطائع أن يجدد عهده، فلما دخل عليه جاء بعض الديلم ليقبل يد الخليفة فأمسكها وأنزله عن سريره، وأخذ إلى دار بهاء الدولة وهو يسترجع ويستغيث وخلع، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر.

وكان من جملة الحاضرين الشريف الرضى وأنشد:

أمسيت أرحم من قد كنت أعطيه لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكنى يا قرب ما عاد بالضراء يبكينى

وبويع بالخلافة القادر بالله أبو العباس أحمد ابن الأمير إسحاق ابن المقتدر ابن المعتضد وبقى الطائع عنده مكرمًا إلى أن مات فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ليلة الفطر.

وفى سنة خمس وثمانين وثلثمائة:

مات الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد بالرى، ونقل إلى أصفهان ودفن وكان أوحد زمانه علمًا وتدبيرًا وكرمًا. وهو أول من لُقب بالصاحب لصحبته ابن العميد، ومولده سنة ست وثلاثين وثلثمائة.

وفيها: توفى أبو الحسن على بن أحمد الدارقطنى[1] الشافعى ببغداد، ومولده سنة

---

(١) هو الإمام الحافظ أمير المؤمنين فى الحديث على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله أبو الحسن الدارقطنى. من شيوخه: إبراهيم بن أحمد القرميسينى، إبراهيم بن حماد بن إسحاق وغيرهم. من تلاميذه: أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم =

ست وثلثمائة. ودار قطن محلة كبيرة ببغداد.

وفى سنة ست وثمانين وثلثمائة:

توفى العزيز بالله نزار ابن المعز لله معد ابن المنصور إسماعيل العلوى الفاطمى ببلبيس وعمره ثنتان وأربعون سنة، وخلافته إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر، وكان قد ولى كتابته رجلاً نصرانيًا اسمه عيسى بن نسطورس، واستناب بالشام رجلاً يهوديًا اسمه منشا، وعظم شأن اليهود والنصارى فعمل أهل مصر صورة امرأة من قراطيس وفى يدها قصة فيها: بالذى أعزَّ اليهود بمنشا والنصارى بابن نسطورس وأذَّل المسلمين بك ألا كشفت عنا، فقبض على النصرانى وصادره.

وبُويع ولده المنصور أبو على الحاكم بأمر الله، وكان عمره أحد عشر سنة، وكان عهد إليه أبوه بالخلافة ودبَّره خادم أبوه أرجوان الخصى الأبيض، فلما كبر الحاكم استقل بالأمر وقتل أرجوان.

وفى هذه السنة: توفى أبو طالب محمد بن على بن عطية المالكى صاحب «قوت القلوب» وكان رحل إلى بغداد واختلط كلامه حتى قال يومًا: ليس على المخلوقين أضرٌ من الخالق، فمنع من الكلام إلى أن مات.

وفى سنة تسع وثمانين وثلثمائة:

انقرضت الدولة السامانية بموت نوح السامانى وخلع ابنه. وكانت قد طبقت كثيراً من الأرض خراسان وبخارى وسائر بلاد العجم، وكانت حسنة السيرة والعدل، وآخرهم عبد الملك بن نوح بن منصور بن فرح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد ابن سامان. وكان ابتداء دولتهم سنة إحدى وستين ومائتين، وملك بعدهم محمود بن سبكتكين، وفتح بلاد الهند وأخذ سجستان، وتلقب بابن الدولة.

وفيها: كان ابتداء دولة بنى حمدان.

= الأصبهانى، أبو بكر البرقانى، أبو طاهر الدقاق. ولد سنة ست وثلثمائة، وتوفى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة. من تآليفه: أحاديث الصفات، أحاديث النزول، الأفراد وغيرها.

انظر تاريخ بغداد (١٢/ ٣٤)، المنتظم (٧/ ١٨٣)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٧)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٥٩)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٩١)، طبقات السبكى (٢/ ٣١٠)، البداية والنهاية (١١/ ٣١٧).

وفى سنة سبع وتسعين وثلثمائة:

خرج على الحاكم بأمر الله شخص أموى اسمه أبو ركوة من ولد هشام بن عبد الملك أمير الغرب وصار له جمع كبير. وأخذ برقه فجهَّز له جيشًا فكسره وملك الصعيد وقوى أمره وجمع عليه الحاكم الجيوش من مصر والشام حتى دحله بعد قتال شديد وطيف برأسه بعد صلبه بالقاهرة.

وفيها: توفى أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى «صاحب الصحاح» بنيسابور، والبديع أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمدانى «صاحب المقامات».

وفى سنة أربعمائة:

كان خرج على المؤيد الأموى ـ هشام ابن المنتصر ـ الحكم بن عبد الرحمن الناصر المذكور، واجتمع عليه الناس وبايعوه بالخلافة، وقبض على المؤيد وحبسه فى قرطبة وتلقب بالمهدى، وبعد مدة خرج عليه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المذكور فى أوائل شوال من سنة أربعمائة، ثم جمع المهدى عليه وعاد إلى الخلافة، وهرب سليمان ثم اجتمع كبار الدولة وأخرجوا المؤيد من الحبس وأعادوه إلى الخلافة فقتل المهدى، ثم جمع سليمان وحصر المؤيد وملك قرطبة بالشريف وخفى أمر المؤيد فلم يظهر له خبر وبويع سليمان بالخلافة ولقب المستعين بالله.

وفيها: أخذ الحاكم فى دعوى التأله، وأمر بإنشاء داراً للعلم، وبقى على ذلك ثلاث سنين، ثم أخذ يقتل أهل العلم وأغلق تلك الدار ومنع من فعل كثير من الخير، ثم ادَّعى ما ادَّعى وسيرته معروفة.

وفى سنة إحدى وأربعمائة:

خطب للحاكم بأمر الله بالكوفة والموصل وبالأنبار والمدائن غيرها.

وفى سنة اثنين وأربعمائة:

ملك حلب صالح بن مرداس بعد ابن حمدان إلى سنة اثنين وسبعين وأربعمائة.

وفى سنة ست وأربعمائة:

توفى الشريف الرضى محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق، ومولده سنة تسع وخمسين وثلثمائة ببغداد.

وفى سنة سبع وأربعمائة:

خرج على المستعين بالله ـ سليمان ـ على بن حمود العلوى وتلقب المتوكل على الله، وهو على بن حمود بن أبى العيش ميمون بن أحمد بن على بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب، وقتل أباه أخاه وأظهر موت المؤيد.

وبويع بالخلافة وبقى فيها سنة، وتسعة أشهر فى نكد وحرب مع العلويين. خُرج عليه وبويع بالخلافة ابنه عبد الرحمن ولُقِّب بالمرتضى، ثم وثب عليه غلمانه فى الحمام وقتلوه.

وبويع بعده أخوه القاسم بن حمود ولُقب القائم وبقى إلى سنة ثنتى عشرة وأربعمائة، ثم خرج عليه ابن أخيه يحيى بن على ولُقب المعتلى، وجرى بينهما حروب وأمسك فى الآخر عمه القاسم وحبسه حتى مات، ثم خرج على يحيى عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموى، ولقب المستظهر بالله هو أحمد المهدى محمد بن هشام، وبويع فى رمضان وقيل فى ذى الحجة.

وبويع محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الأموى ولقب المستكفى، ثم خلع بعد أربعة أشهر وهرب عبد الرحمن وسُمَّ فى الطريق ومات.

ولما كان سنة ثمان عشرة وأربعمائة:

خُلع يحيى بن على بن حمود، وبويع هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموى ولقب المعتمد بالله، وجرت فتن وخلافيات حتى خُلع هشام المذكور سنة ثنتى وعشرين وأربعمائة وانقرضت الخلافة الأموية من المغرب.

وفى سنة إحدى عشرة:

فقد الحاكم بأمر الله لثلاث بقين من شوال، وتحقق قتله، ولكن لم يوجد إلا ثيابه وحماره مجروحًا بحلوان وكانت ولايته خمسًا وعشرين سنة وأيامًا، وعمره ستًا وثلاثين سنة وتسعة أشهر. وكان تصدر عنه أفعال متناقضة.

وبويع بعد موته بسبعة أيام الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على وهو صغير، ودبَّر الأمر له عمته ست الملك إلى أن مات بعد أربع سنين.

وفى سنة ثنتى عشرة وأربعمائة:

توفى على بن هلال المعروف بابن البواب الخطاط، ودفن جوار أحمد بن حنبل ببغداد.

وفى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة:

سار جلال الدولة من البصرة إلى بغداد، استدعاه الجند بأمر الخليفة لما حصل النهب فدخلها بالدومغات وتلقاه الخليفة واستقر ملكًا ببغداد.

وفيها: وقع بالعراق بَرَد كان وزن كل وحدة رطل ورطلان بالبغدادى أصغره كالبيضة.

وفيها: نقضت الدار التى بناها معز الدولة ابن بويه ببغداد، وكان قد بذل فى عمارتها ألف دينار، وصرف فى حكاكة سقف منها ثمانية آلاف دينار.

وفى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة:

توفى السلطان محمود بن سبكتكين، مولده عاشوراء سنة ستين وثلثمائة.

وفى سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة:

توفى القادر بالله أبو العباس أحمد ابن الأمين ابن إسحاق ابن المقتدر وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر وخلافته أحد وأربعون سنة وأشهر.

وبويع ولده القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله ابن القادر.

وفى سنة ست وعشرين وأربعمائة:

انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد جداً.

وفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة:

توفى الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم بأمر الله وعمره ثلاث وثلاثون سنة، وخلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر، وكانت له مصر والشام وإفريقية، وكان جميل السيرة.

وبويع ولده إبراهيم ولقب المستنصر بالله.

وفيها: وقيل فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة توفى الشيخ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى ويقال: الثعالبى. كان أوحد زمانه فى علم التفسير، وله كتاب

«العرائس» فى قصص الأنبياء وهو صحيح النقل.

وفى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة:

توفى مهيار الشاعر وكان مجوسيًا فأسلم وصحب الشريف الرضى، فقال له ابن برهان: يا مهيار انتقلت بإسلامك من زاوية إلى زاوية فى النار فإنك كنت مجوسيًا، ثم صرت سبابًا لأصحاب رسول الله ﷺ.

وفيها: توفى الشيخ أبو الحسن أحمد بن محمد القدورى رئيس الحنفية بالعراق.

وفيها: توفى الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا البخارى، وكان والده من أهل بلخ ختم القرآن وهو ابن عشر سنين فحلٍّ إقليدس والمجنيطى وأيقن الطب فى ثمان سنين، وعمرً ثمانيًا وخمسين سنة. وقد كفره الغزالى فى كتابه «المنقذ من الضلال» وكفَّر أبا نصر الفارابى، ومن الناس من يقول برجوع ابن سينا إلى الشرائع.

وفى سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة:

قويت شوكة طغرلبك وأخيه داود ولدى ميكائيل بن سلجوق بن دقماق. كان دقماق رجلاً شهمًا من مقدمى الأتراك. ولد له سلجوق وظهرت عليه أمارات النجابة، وصارت له جماعة فتغير عليه ملك الترك فهرب إلى بلاد الإسلام، وأقام ببلد وراء بخارى اسمها جند. وصار يغزو الكفار.

توفى بجند وعمره مائة وسبع سنين وخلف من الأولاد أرسلان وميكائيل وموسى فقتل ميكائيل فى الغزو شهيدًا، وخلف أولاده بيغوه وطغرلبك وداود ونزلوا على مدشخيد فى بخارى فأساء أمير بخارى حوارهم، فارتحلا وأقاما بجنيد حتى انقضت الدوله السامانية، وملك أملك خان بخارى فعظم أرسلان بن سلجوق. ولم تزل المقادير تساعد السلجوقية حتى ملك السلجوقية خراسان وكسروا السلطان مسعود وخطب لهم على المنابر.

واستولى داود على كثير من النواحى وملك طغرلبك جرجان وطبرستان وخوارزم وأصفهان. وهرب منه السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين فقتله ابن أخيه أحمد بن محمد بن محمود به سبكتكين، وكان السلطان مسعود كثير الصدقة تصدق مرة فى رمضان بألف ألف درهم، وكان محسنًا إلى العلماء. وصنفوا له التصانيف الكثيرة، وكان يكتب خطًا حسنًا.

وكان ملكه فسيحًا ملك أصفهان والرى وطبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وكرمان وسجستان والسند وغرنة. وأطاعه البر والبحر، وملك بعد السلطان مسعود ولده مودود وقتل ابن عمه أحمد بن محمد قاتل أبيه، ولم يبق منهم أحدًا، وثبتت دولته.

وفى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة:

توفى أبو أحمد محمد بن أبى بسر عباد بن مرى اللخمى الذى ملك أهل إشبيلية عليهم عندما قصدهم الظالم يحيى بن على الأقرسى ولقبوه بالمعتلى. وله أخبار ومناقب كثيرة. وتملك بعده ولده المعتضد عباد وامتدت أيامه.

وفى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة:

أخذ جلال الدولة أبو طاهر ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن ركن الدوله ابن بويه الخراج ببغداد، وكان من قبل ذلك للخليفة، فأرسل الخليفة وهو القائم بأمر الله أبا الحسن الماوردى فلم يلتفت إليه.

وفى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة:

توفى جلال الدولة، وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة، ومدة ملكه لبغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهرًا. واستقر بعده فى سلطنة بغداد أبى كاليجار ابن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن ركن الدولة ابن بويه، وقتها أسلم من الترك خمسة آلاف خركاة، ولم يتأخر عن الإسلام سوى الخطا والتتر.

وفيها: قطع المعز ابن باديس بإفريقية خطبة خلفاء مصر، وخطب لخلفاء بغداد فأرسل المستنصر العرب إليه فقابلوه وأخرجوه عن إفريقية.

وفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة:

توفى أحمد بن يوسف المنارى، وكان من أعيان الفضلاء والشعراء، اجتاز مرة بوادى بذاعًا فأنشد:

وقانا لفحة الرمضاء واد ... وقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحة فحنى علينا ... حُنوا المرضعات على الفطيم
أرشفنا على ظمأ زلالاً ... ألذُّ من المدامة للنديم
يروع حصاه حيالة العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

منسوب إلى منارخهد مدينة عند خرتبرت.

وفى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة:

كان بالعراق غلاء عظيم حتى أكلت الميتة وخلت الأسواق.

وفى سنة أربعين وأربعمائة:

مات أبو كاليجار واسمه المرزبان، وسلطن بعده الملك الرحيم أبو نصر خسره فيروز.

وفى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة:

وقعت فتنة عظيمة بين السُّنة والشيعة أحرق فيها ضريح موسى بن جعفر الصادق وقبر زبيدة وقبور ملوك بنى أمية، وقتل مدرس الحنفية أبو سعيد السرخسى، واحترقت دور الفقهاء، وظهر كوكب له ذؤابة غلب نوره على نور الشمس وسار سيرًا بطيئًا ثم انقضً.

وفى سنة سبع وأربعين وأربعمائة:

دخل طغرلبك بن داود بن سلجوق بغداد وخطب له بها وقبض على الملك الرحيم، وانقضت سلطنة بنى بويه من العراق. فأولهم معز الدولة أحمد بن بويه، ثم ابنه بختيار، ثم ابن عمه عضد الدولة، ثم ابن ركن الدولة أحمد بن بويه، ثم ابنه صمصام الدولة بن عضد الدولة، ثم أخوه شرف الدولة، ثم بهاء الدولة، ثم أخوه جلال الدولة، ثم ابن أخيه أبو كاليجار المرزبان ابن سلطان الدولة، ثم ابنه الملك الرحيم.

وفى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة:

تزوج خليفة بغداد القائم بأمر الله بنت داود أخى طغرلبك.

وفيها: ظهرت دولة الملثمين سُمُّوا بذلك؛ لأنهم لثموا نساءهم فى حرب وانتصروا فيه فلازموه. وكانوا من حمير ساروا فى أيام أبى بكر الصديق من اليمن إلى الشام، ثم إلى مصر ثم إلى المغرب، واستوطنوا الصحراء محبة فى الانفراد.

وفى هذه السنة: توجه رجل منهم اسمه جوهر إلى الحج فلما عاد استصحب معه فقيهًا من القيروان اسمه عبد الله بن ياسين ليعلم القبائل دين الإسلام، فإنه لم يبق فيهم غير الشهادتين والصلاة فى بعضهم، فقالوا: أما الصوم والصلاة والزكاة فقرئت، وأما من قتل يقتل ومن سرق يقطع ومن زنى يرجم فلا نلتزمه، ثم أطاعهما قبيلة جوهر، فقال ابن ياسين للمطيعين: يجب عليكم قتال المخالفين، فأقاموا إليهم أميرًا وسموه أمير المسلمين.

وتبعهم قوم وحصل بينهم قتال قتل فيه ابن ياسين. ولما صار الأمر لغير جوهر داخله الحسد فأفسده، فعقدوا له مجلس وأوجبوا عليه القتل، فأظهر الرضى بذلك وصلى ركعتين، ثم قتل صبرًا. ولما ملك أمير المسلمين أبو بكر بن عمر سلجماسة ولى عليها يوسف بن تاشفين ففتح على يديه، وكان دينًا حارقًا ذا هيبة ولُقب أمير المسلمين، وفتح المغرب حصنًا حصنًا، وبنى مراكش وجعلها تحت ملكه، وملك طنجة وسبته وسلا وغيرها، وكثرت عساكره.

وفى سنة أربعين وأربعمائة:

توفى أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرِّى الأعمى، ومولده سنة ثلاث وستين وثلثمائة، عمى فى صغره من الجدرى وهو ابن ثلاث سنين، وقيل ولد أعمى، وكان عالمًا لغويًا شاعرًا، دخل بغداد واستفاد من علمائها، وأقام بها سنة ونصفًا لم يتلمذ لأحدٍ أصلاً، ثم عاد إلى المعرَّة ولذم بيته وترك أكل اللحم خمسًا وأربعين سنة على مذهب الهنود، وترك البيض واللبن وحرَّم إتلاف الحيوان.

وله مصنفات، وكان فاسد العقيدة يظهر الكفر، يزعم أن له باطنًا وأنه مسلم فى الباطن. وأشعاره الدالة على كفره منها:

وقالوا لا نبى بعد هذا فظل القوم بعد غدٍ وأمس
ومهما عشت فى دنياك هذى فما تخليل من قمر وشمس
إذا قلت المحال رفعت صوتى وإن قلت الصحيح أطلت همسى

ومنها:

تاه النصارى والحنيفية ما اهتدت ويهود حيرى والمجوس مضلله
قسم الورى قسمين هذا عاقل لا دين فيه ودِّين لا عقل له

وفى سنة خمسين وأربعمائة:

غاب طغرلبك عن بغداد، فدخل البساسيرى فى جماعة وقتل رئيس الرؤساء، وأخرج الخليفة منها، وخطب للمستنصر العلوى خليفة مصر، فلما عاد طغرلبك تسحَّب البساسيرى فأرسل فى طلبه وقبض على عسكره فقتله وبعث رأسه إلى الخليفة نعلق بباب الخلافه. وكان البساسيرى مملوكًا تركميًا من مماليك بهاء الدوله ابن عضد لدولة ابن بويه، وكان اسمه رسلان، وكان يأجره من بسا.

وفيها: توفى أبو الحسين على بن حبيب الماوردى الشافعى وعمره ست وثمانون سنة. له تصانيف كثيرة منها: الحاوى المشهور، والأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والدين. نسبته إلى بيع الماورد.

وفى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة:

مات المعز ابن باديس صاحب إفريقية، وكانت مدة ملكه سبعًا وأربعين سنة، وعمره ستًا وخمسين سنة، وملك بعده ابنه تميم، وهو آخرهم، ومات نصر الدولة أبو نصر أحمد بن مروان الكردى صاحب ديار بكر، وكان عمره سبعًا وثمانين سنة، وسارت تتبعه الركبان، اشترى بعض جواريه المغنيات بخمسة آلاف دينار وأكثر، وملك خمسمائة سُرية سوى توابعهنّ، وخمسمائة خادم، وكانت تزيد قيمة آلات مجلسه على مائتى ألف دينار، وأرسل طباخيه إلى مصر حتى يتعلموا أنواع الأطعمة.

ومات أمير مكة شكر العلوى الحسينى وله شعر حسن منه:

قوض خيامك عن أرض يضام بها   وجانب الذل إن الذل مجتنب
وارحل إذا كان فى الأوطان منقصة   فالمنزل الرطب فى أوطانه حطب

وفى سنة أربع وخمسين وأربعمائة:

تزوج طغرلبك بنت الخليفة القائم بأمر الله فكان العقد فى شعبان بظاهر تبرند.

وفى سنة خمس وخمسين وأربعمائة:

دخل بغداد وبنى على زوجته ثم سار عن بغداد بعدما حصل لأهلها الأذية من عسكره، فلما وصل إلى الرَّى مرض ومات يوم الجمعة ثامن رمضان من هذه السنة، وكان عمره تقريبًا سبعين سنة، وكان عقيمًا، واستقرت السلطنة بعده لابن أخيه ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق. فقبض على عمه عميد الملك وحبسه سنة، ثم قتله، وكان عميد الملك يقع فى حق الإمام الشافعى.

ومن غريب ما اتفق له: أن ذكره دفن بخوارزم لما خصاه طغرلبك بسبب أنه أرسله يخطب امرأة فتزوج بها وأريق دمه بمرو، ودفن جسده بكيدر، ودفن نصف رأسه بكرفان ودفن بقية رأسه بنيسابور.

وعصى عليه تطلومش وكان من السلجوقية، وهو أبو ملوك قونية وأقصرا وملطية إلى أن أخذها التتر. وكان قد أتقن من علم النجوم فركب إليه ألب أرسلان واقتتل

العسكران وانكسر تطلومش فلما هرب عسكره وجد ميتًا من غير جرح وعظم ذلك على ألب أرسلان وبكى عليه.

وفى سنة ست وخمسين وأربعمائة:

اتفقت غريبة: وهو أنه شاع ببغداد والعراق وكثير من البلاد أن جماعة من الأتراك خرجوا إلى الصيد فرأوا فى البرية خيمًا سوادًا وسمعوا فيها لطمًا شديدًا وعويلاً طويلاً وقائلاً يقول: قد مات سيدُ دوك ملك الجن وأى بلد لم تلطم أهله قطع أصله. فخرج جماعة من النساء وسفلة من الرجال إلى المقابر ولطموا.

قال ابن الأثير: ولقد جرى وأنا بالموصل وغيرها بتلك البلاد فى سنة ستمائة مثل هذا، وهو أن الناس أصابهم وجع فى حلوقهم، فشاع أن امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها، وكل من لا يعزيها يصيبه هذا المرض، فجعل النساء وأوباش الناس يلطمون ويقولون: يا أم عنقود أعذرينا مات عنقود وما درينا.

وبلغنى أنه جرى نظير ذلك، وهو أنه فى أول الدولة الظاهرية أصاب الناس وجع فى حلوقهم، فجعلوا يطبخون العصيدة ويلقونها فى النيل ويقولون يا أم حلقوم أعذرينا مات حلقوم وما درينا.

وفى سنة سبع وخمسين وأربعمائة:

ابتدأ نظام الملك وزير ألب أرسلان فى عمارة المدرسة النظامية ببغداد وفرغت فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة واستقر مدرسها أبو إسحاق الشيرازى، فلما اجتمع الفقهاء للدَّرس تأخر أبو إسحاق، لأن بلغه شاذًا أن أرضها مغصوبة، فدرس الدرس يوسف بن الصباغ صاحب الشامل مدة عشرين يومًا، ثم لم يزالوا بالشيخ أبى إسحاق حتى حضر المدرسة ودرَّس بها.

وفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة:

توفى أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى.

وفى سنة ستين وأربعمائة:

كانت بمصر وفلسطين زلزلة عظيمة طلع فيها الماء إلى رؤوس الآبار وتملك بالردم خلق عظيم، وزال البحر عن مكانه مصر يومًا حتى نزل الناس إلى أرضه يلتقطون فعاد عليهم وأهلك خلقًا كثيرًا.

وفى سنة اثنتين وستين وأربعمائة:

حصل بمصر غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضًا، وأنفق خليفة مصر المستنصر العلوى ثمانين ألف قطعة بلور ومثلها ديباج وعشرين ألف سيف محلًى.

وفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة:

ملك السلطان ألب أرسلان ديار بكر وحلب، واستمر بحلب صاحبها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس وقاتل ملك الروم أرمانوس واستأسره ثم أطلقه. وفتح ولده ملك شاه القدس والرملة وأخذها من نواب الخليفة المستنصر صاحب مصر.

وفيها: توفى أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون الأندلسى القرطبى وزير المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية وله من الأشعار الفائقة منها:

يا بائعًا حظه منى ولو بذلت لى الحياة بحظى منه لم أبع

يكفيك أنك لو حملت قلبى ما لم تستطعه قلوب الناس يستطع

به أحتمل واستطل أصبر وعزاهُن وولى أقبل وقل أسمع ومُر أطع

ومن قصائده المشهورة قصيدته النونية التى منها:

يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الأسى لولا تأسِّينا

وفى السنة المذكورة: توفى الإمام يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر صاحب التصانيف المشهورة منها: «الاستيعاب» و «التمهيد على موطأ مالك» و «الدرر فى المغازى والسير»، و«بهجة المجالس» الذى منه أن رسول الله ﷺ رأى فى منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها عقدًا أعجبه فقال: لمن هذا؟ قيل لأبى جهل فقال: ما لأبى جهل وللجنة، والله لا يدخلها أبدًا، فجاء عكرمة بن أبى جهل مسلمًا فرح به وناوله ذلك العقد.

ومنه أن رسول الله ﷺ رأى فى منامه كأن كلبًا أبقع بلغ فى دمه، فكان شمر بن أبى جوشن قاتل الحسين، تفسر بعد خمسين سنة.

ومنه: أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر: رأيت كأنى رأيت وأنت ترقى فى درجه فسبقتك بمرقاتين ونصف، فقال: يا رسول الله يقبضك الله إلى رحمته وأعيش بعدك

ستتين ونصفًا.

ومنه: أن شخصًا من أهل الشام قصَّ على عــمر بن الخطاب منامًا فقال: رأيت كأن الشمس والقــمر اقتتــلا ومع كل واحد منهمــا فريق من النجوم، فــقال: مع من كنت؟ قال: مع القــمر. قال مع الآية الممحــوه. والله لا توليت لى عملاً، فقــتل المذكور على صفين وكان مع معاوية.

ومنه: أن عائشة رأت كأن ثلاثة أقمار ســقطن فى حجرها، فقال لها أبوها أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يدفن فى بيتك ثلاثة من خيــار أهل الأرض، فلما دفن رسول الله ﷺ قال: هذا أحد أقمارك.

وفى سنة خمس وستين وأربعمائة:

قتل السلطان ألب أرســلان، وكان اسمه مــحمدًا، وذلك أنه سار إلى مــا وراء النهر وعسكره مائتا ألف فارس، وعقد على جيــحون جسرًا، ومدَّ سماطه، وذلك على قرية فيــربر، وهنالك حصن على شــاطىء جيحــون وقع حارسه فى جــريمة وغــضب عليه السلطان فأحضره وأمر به أن يشد فى أربع سكك، وكان اسمه يوسف الخوارزمى، فقال للسلطان: يا مــخنث، مثلى يقتل هــذه القتلة، فأخــذ السلطان القوس والنشــاب وقال للموكلين به: خلياه ورماه بسهم فأخطأه، ولم يكن سهمه يخطىء، فوثب يوسف على السلطان بسكين كــانت معــه فقــام السلطان على السرير فــوقع لوجهــه فضــربه يوسف بالسكين وجرح من الواقفــين واحدًا وقتل آخر، ثم قطع بالسيــوف، فقال السلطان ألب أرسلان وهو مجــروح: لما كان بالأمس صعدت على جبــل فارتجَّ بى من عظم الجيش، فقلت فى نفسى: أنا ملك الدنيــا وما يقدر أحد علىَّ فعجــزنى الله بأضعف خلقه، وأنا أستغفر الله من ذلك الخاطر، ولم يزل به الجرح حتى مات بعد خمسة أيام. وكان عمره أربعين سنة وشهرًا، ومدة سلطنته تسع سنــين. واستقر فى السلطنة بعده ولده ملك شاه واستقر نظام الملك وزيرًا وزاده وفوَّض إليه طوس وعملها ولقبه أتابك.

وفى سنة ست وستين وأربعمائة:

حاصر ناصر الدولة ابن حمدان مصر وأخــذها ثم قتل، ثم حكم بمصر أمير الجيوش بدر الجمــالى فعدل بهــا وقدَّر أمورها، وأصلح أحــوال المستنصــر العلوى، ثم عاد إلى سواحل الشام مكانه.

وفى سنة سبع وستين وأربعمائة:

توفى القائم بأمر الله أبو جعفر ابن القادر أحمد ابن الأمير إسحاق ابن المقتدر بأمرالله جعفر ابن المعتضد أحمد، وكان عمره ستًا وستين سنة وشهرًا، ومدة خلافته أربعًا وأربعين سنة وشهورًا.

وبويع بالخلافة ولد ولده عبد الله بن محمد ولقب المقتدى بأمر الله، وكان أبوه مات فى حياة جده القائم بأمر الله، وكان لقبه ذخيرة الدين، وكانت له جارية اسمها أرجوان فجاءت بهذا عبد الله المقتدى بعد وفاة والده بستة أشهر، وسُرَّ به القائم سرورًا عظيمًا.

وفى هذه السنة: جمع ملك شاه ونظام الملك المنجمين ونقل النيروز من نصف الحوت إلى أول الحمل.

وفى سنة ثمان وستين وأربعمائة:

توفى الشريف العباس بن مسعود بن عبد العزيز بالبياض، وله أشعار حسنة فمنها:

كيف يدوى عشب أشواقى ... ولى طرف مطير
إن يكن فى العشق خير ... فأنا العبد الأسير

ومنها:

يا من لبست لبعده ثوب الضنا ... حتى خفيت به عن العواد
وأيست بالشهر الطويل فأنسيت ... أجفان عينى كيف كان رقادى
إن كان يوصف الجمال متقطع الأ ... يدى فأنت مقطع الأكباد

وفى سنة تسع وستين وأربعمائة:

توفى محمود بن نصر بن صالح الكلائى صاحب حلب.

وفيها: توفى أبو الحسن طارق بن باشاذ، وكان يأكل فرأى قطًا ينقل الطعام إلى قط أعمى فاستعفى من خدمة السلطان ولازم الاشتغال منقطعًا إلى أن مات.

وفى سنة سبعين وأربعمائة:

كانت فى كره بسبب الاعتقاد، ووقع النهب فى البلد فركب العسكر وقتلوا جماعة حتى سكنت.

وفيها: توفى أبو القاسم عبد الرحمن بن منده.

وفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة:

دخل ناصر الدولة أخـو السلطان ملك شاه، إلى الشـام فرجـمه أخيـه وأخذ حلب ودمشق، وكان عسكره التركمان، وعدل.

وفى سنة اثنين وسبعين وأربعمائة:

سار شـرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران بن المقلد بن المصـبب صاحب الموصل إلى حلب وملكهـا بعـد حصـارها سنة، واسـتـمر إلى أن فـتح سليـمـان بن تطلمش السلجوقى أنطاكـية فى سنة سبع وسبعـين وأربعمائة، وكانت بيـد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، فأرسل شـرف الدولة يطلب الحمل من سليمان بن قطلمش فأجابه: إن الذى كان يحمل إليك كان كـافراً وأنا مسلم، فركب إليه واقتتـلا فقتل شرف الدولة وقتل بين يديه أربعمائة من أخيار حلب، وأرسل سليمان بن تطلمش يطلب سُلم حلب فمنعوه منهـا، فركب إليها وقاتل وانهـزم عسكره عنه فقتل نفـسه، وسار السلطان ملك شاه إلى حلب وملك فى طريقه حوران واستنقذ الرها من يد الروم وأخذ قلعة جعبر من يد صاحبهـا سابق الدين جعبر الأعمى، وكان اسـمها قبل ذلك الدوس. ولما دخل إلى حلب دخل الأميـر نصر بن على بن منقذ صـاحب السير تحت طاعـته، ثم سلّم حلب آقسنقر وارتحل عنها إلى بغـداد وأقام بها، فلما كانت سنة ثنتين وثمـانين وأربعمائة سار بجيوش لا تحصى إلى ما وراء النهر وملك بخارى وسمرقند.

وفى هذه السنة: وقيل فى سنة ثمانين وأربعمـائة ملك يوسف بن تاشفين غرناطة من الأندلس وانقرضت دولة الصناهجـة، واجتمع إليه أهل الأندلس وكسـر الإفرنج، وقتل منهم خلقًا كثيراً، وعمل روبيتهم وأذن عليه وسمى أمير المسلمين وملك غالب الغرب.

وفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة:

هبّت ريح عظيمـة سوداء كالليل ببغـداد وقت العصر وتبلقع الرعد والـبرق ووقعت عدة صواعق وبقى النهـار ليلاً بينهما، وسقط الرمل بدل المطر وظن الناس أنهـا الساعة فدام ذلك إلى المغرب سـامراً. ذكر ذلك الإمام أبو بكر الطرطوسى، ذكـره فى أماليه، وقاله الذهبى فى تاريخه الصغير.

وفى سنة اثنين وثمانين وأربعمائة:

عمّر القاضى أبو الحسن بن الخشاب منارة جامع حلب.

وفى سنة أربع وثمانين وأربعمائة:

جاء السلطان ملك شاه إلى بغداد وحضر إليه أخو تتش من دمشق وآقسنقر من حلب، وغالب نوابه من الأعمال، وعمل الميلاد واحتفل له الناس، وامتدحه الشعراء وأمر بعمارة الجامع المعروف بجامع السلطان ببغداد.

وفيها: توفى أرتق بن أكشك التركمانى جد ملوك ماردين بالقدس. واستقر بالقدس ولده أبلغازى وسقمان. واستقرت بأيديهما إلى أن سار الأفضل ابن أمير الجيوش من مصر إليها وأخذها.

وفى سنة خمس وثمانين وأربعمائة:

حصلت وحشة بين ملك شاه ووزيره نظام الملك الحسين بن على بن إسحاق، فانصرف نظام الملك بعد الفطور عاشر رمضان إلى خيمته بنهاوند، فوثب عليه غلام السلطان ملك شاه ديلمى فى صورة مستعط فقتله، ثم أدركه غلام نظام الملك فقتله.

وبعده بخمسة وثلاثين يومًا مات السلطان ملك شاه بعد أن عاد إلى بغداد بحمّى محرقه، وكان مولده سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وكان حسن السيرة والشكل، وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام ومن أقاصى بلاد الإسلام فى الشمال إلى آخر بلاد اليمن، وكانت أيامه أيام عدل وأمن، عمرت البلاد فى أيامه وكثرت الأرزاق وبنى المصانع بطريق مكة، وكان يحب الصيد ويتصدق عن كل نسمة بدينار حتى أنه اصطاد مرة عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف.

وفى سنة سبع وثمانين وأربعمائة:

توفى المقتدى بأمر الله فجأة يوم السبت خامس عشر المحرم، وكان عمره ثمانيًا وثلاثين سنة وثمانية أشهر، وله أم ولد أرسية تسمى أرجوان.

وبويع ولده المستظهر بالله أبو العباس أحمد.

وفيها: جمع تتش بن ألب أرسلان على آقسنقر صاحب حلب واقتتلا على تل سلطان، وقتل آقسنقر وملك تتش حلب وحران والرّها وبلاد الجزيرة وديار بكر.

وفى هذه السنة: توفى أمير الجيوش بدر الجمالى بمصر فى ربيع الأول وعمره فوق الثمانين سنة، وكان هو الحاكم فى أيام المستنصر العلوى، وولى بعده ولده الأفضل، وبعده فى ذى الحجة توفى المستنصر العلوى أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله ابن

الحاكم بأمر الله، وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر وعمره سبعًا وستين سنة، وكان طويل الروح قليل السر، لقى ضيقًا كثيراً حتى لم يبق له إلا سجادة فجلس عليها وولى الخلافة بعده بمصر ولده أبو القاسم أحمد المستعلى بالله.

وفى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة:

قتل تتش بن آلب أرسلان، قتله ابن أخيه بركيارق.

وفيها: قتل أحمد خان صاحب سمرقند، قتله علماؤها بعد ثبوت زندقته خنقًا. وولى بعده ابن عمه مسعود، وكان لتتش ولدان: رضوان، والآخر دقاق. فملك رضوان حلب، وملك دقاق دمشق.

وفى هذه السنة: توفى المعتمد ابن عباد صاحب إشبيلية مسجونًا بأغمات، وله أشعار مشهورة وأخبار حسنة ومن شعره حين جاءته بناته فى يوم عيد وهو فى السجن:

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً ... فجاءك العيد فى أغمات مكسورا

ترى بناتك فى الأطمار جائعة ... يغزلن للناس ما يملكن قطميرا

يظللن فى الطين والأقدام حافية ... كأنها لم تطأ مسكًا وكافورا

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً ... فردك الدهر منهيًا ومأمورا

من بات بعدك فى ملك يُسرُّ به ... فإنما بات فى الأحلام مغرورا

وفى هذه السنة: ترك الغزالى درس النظامية ولبس الخشن وتوجه إلى الحجاز ثم عاد إلى بغداد وسار إلى خراسان.

وفى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة:

اختلفت كلمة ملوك الإسلام فصار يقاتلون على الملك ويقتل بعضهم بعضًا، وكان ذلك سببًا لأن خرجت الفرنج وحاصروا أنطاكية سبعة أشهر وأخذوها عنوة، وخرج إليهم المسلمون فانكسروا، وتبعهم الفرنج إلى المعرَّة وقتلوا وفتكوا، وأقاموا بها، وقتلوا فيها مائة ألف مسلم، وبعد أربعين يومًا ساروا إلى حمص فصالحهم أهلها، ثم توجهوا إلى القدس وحاصروها نيف وأربعين يومًا، وأخذوها وقتلوا ما يزيد على سبعين ألف مسلم فى المسجد الأقصى، وغنموا ما لا يقع عليه الحصر، وتم بيت المقدس فى أيدى الفرنج إلى أن استنقذه صلاح الدين يوسف بن أيوب.

وفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة:

توفى المستعلى بأمر الله، وكان المدبر لدولته الأفضل ابن أمير الجيوش.

وبويع بالخلافة ولده أبو على منصور ولقب الآمر بأحكام الله.

واستمرت الفرنج عامين فى بلاد الإسلام يحاصرون البعض ويأخذون البعض، وأخذوا مكة وملوك المسلمين مشغولين بقتال بعضهم بعضًا، وحصرت الفرنج طرابلس واستمر القتال بينهم خمس سنين.

ودخلت سنة خمسمائة:

وفيها: توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب والأندلس، وكان لبس السلطنة جاءه من الخليفة المستظهر ببغداد، وكان حسن السيرة، وهو بانى مدينة مراكش، وملك بعده البلاد ابنه على ولُقب أمير المسلمين أيضًا.

وفى سنة ثلاث وخمسمائة:

مَلك الفرنج مدينة طرابلس بالسيف، وخافت المسلمون.

وفى سنة أربع وخمسمائة:

سلَّموا صيدا بالأمان، وصالح رضوان صاحب حلب الفرنج على اثنين وثلاثين ألف دينار يحملها مع خيل وثياب. وصالحهم أهل مدينة صور على سبعة آلاف دينار. وصالحهم ابن منقذ صاحب شيراز على أربعة آلاف دينار. وصالحهم الكردى صاحب حماه على ألفين دينار.

وفى هذه: توفى الكيا الطبرى - ومعنى الكيا الكبير القدر المقدّم بين الناس - واسمه أبو الحسن على بن محمد بن على، مولده سنة خمسين وأربعمائة، وكان حسن الصورة والصوت فصيح العبارة، تفقه على إمام الحرمين، وولى درس النظامية.

فيها: قال ابن خلكان - أو فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة -: قصد بزدويك الفرنجى ديار مصر ووصل إلى الفوة وملكها جميعها وحرقها، ورحل عنها وهو مريض فهلك قبل أن يصل العريش، فشق أصحابه بطنه ورموا كرشه هنالك .

وهو الذى يرجموه بالحجارة المسمى اليوم بقبر بزدويك فى طريق مصر، وجثته نقلت إلى القدس ودفنوها بقمامة.

وفيها: توفى الإمام أبو حامد الغزالى زين الدين الطوسى، ومولده سنة خمس وأربعمائة.

وفى سنة تسع وخمسمائة:

حصل بين المسلمين والفرنج قتال عظيم بالقرب من طبرية، ونصر الله المسلمين وعادوا إلى دمشق منصورين وقتلوا من الفرنج ما شاء الله.

وفيها: توفى رضوان صاحب حلب وملكها ولده ألب أرسلان الأخرس، ولقب بذلك، لأنه كان تمتامًا.

وفيها: توفى الإمام إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقى ببيهق، ومولده سنة ثمان وعشرين وأربعمائة.

وفيها: توفى الشاعر محمد بن أحمد الأبيورى، ومن شعره:

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى أعز وأحوال الزمان تهون

وظل يرينى الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون

وفى سنة ثمان وخمسمائة:

قُتل ألب أرسلان الأخرس صاحب حلب، وولى مكانه أخوه سلطان شاه بن رضوان ابن تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، قتله غلمانه بالقلعة.

وفى سنة إحدى عشرة وخمسمائة:

مات السلطان محمد بن ملك شاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، وكان قد قارب ملك والده ملك شاه، لقى ضياقًا كثيرة، وكان حسن السيرة.

أطلق المكوس والضرائب فى سائر مملكته وعهد بالملك إلى ولده محمود، وخافت أهل حلب من الفرنج وسلموها إلى أبلغارى بن أرتق صاحب ماردين فأرسل إليها ولده تمرتاش، واستمرت تحت حكم أبلغارى بن أرتق.

وفى سنة ثنتى عشرة وخمسمائة:

توفى المستظهر بالله أحمد ابن المقتدى بأمر الله عبد الله ابن الذخيرة محمد ابن القائم، وعمره إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، ومن الاتفاق الغريب أنه لما توفى السلطان ألب أرسلان توفى بعده القائم بأمر الله.

ولما توفى السلطان ملك شاه توفى بعده المقتدى بأمر الله، ولما توفى السلطان محمد توفى بعده المستظهر بالله.

وبويع بالخلافة ولده المسترشد بالله أبو منصور فضل بن أحمد، وهو التاسع عشر منهم.

وفى سنة ثلاث عشر وخمسمائة:

وقع بين السلطان محمود بن السلطان محمد وبين عمه سنجر، واشتركا فى السلطنة.

وفيها: كانت وقعة عظيمة بين أبلغازى بن أرتق وبين الفرنج عند عفرين حلب، وانتصر فيها المسلمون، ومما مدح به أبلغازى بسبب هذه الوقعة:

قل ما تشاء فقولك المقبول ... وعليك بعد الخالق التعويل

استبشر القرآن حين نصرته ... وبكى لفقد رجاله الإنجيل

وفيها: كانت وقعة بين العرب والفرنج انتصرت فيها العرب، وكان أميرهم مرة بن ربيعة، وقتل من الفرنج وأسر عدداً كثيراً.

وفيها: ظهر قبر الخليل وولديه إسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ بالقرب من بيت المقدس، ورآهم خلق كثير من الناس لم تنل أجسادهم، وعندهم فى الغار قناديل من ذهب وفضة.

وفى سنة أربع عشرة وخمسمائة:

كان ابتداء أمر محمد بن تومرت، وملك عبد المؤمن المغرب، وهو محمد بن عبد الله ابن تومرت العلوى الحسينى من قبيلة المصامدة من جبل السوس، رحل إلى المشرق وأتقن العلوم وعاد مرشداً إلى قومه ينكر عليهم ترك الصلاة، وصل إلى قرية اسمها ثلالة بالقرب من بجاية، اتصل به عبد المؤمن، وسار معه وتلقب ابن تومرت بالمهدى، ووصل إلى مراكش، وتشدَّد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكثر أتباعه واستحضره على بن يوسف بن تاشفين، وجمع عليه الفقهاء فناظرهم وقطعهم، فقال له وزيره مالك بن وهب: هذا غرضه الملك ألبسه نكلاً أو يستعمل طيلاً فلم يقتل وأمر بإخراجه من مراكش، فسار إلى أغمات، واجتمع عليه الناس واستفحل أمره، وبايعه عبد المؤمن بن على فى جماعة من الناس، فأرسل إليه أمير المسلمين جيشاً فكسره وآخر

فكسره، وعظم أمره وأقبلت إليه القبائل يبايعونه على أنه هو المهدى الموعود بذكره، وسمى الذين يتبعونه الموحدين. قيل: إنه قتل سبعين ألفًا كان يخافهم بالحيل منها: أنه قال: قد أعطانى الله نوراً أعرف أهل الجنة من أهل النار، وخرج بالناس إلى جبل وجعل يقول عمَّن يأمنه هذا من أهل الجنة ويأخذه عن يمينه وعمن يخافه هذا من أهل النار فيلقى من أعلى الجبل ميتًا. وبلغ جيشه الذى جهزه أربعين ألفًا ومعهم عبد المؤمن واستمر على العظمة والعلو إلى سنة أربع وعشرين وخمسمائة، فجهز عبد المؤمن جيشه العظيم وحاصر أمير المسلمين بمراكش عشرين يومًا، ثم انهزم سالمًا فبلغ ذلك محمد بن تومرت فأمر الناس بنصرة عبد المؤمن، وكان عمره إحدى وخمسين سنة ومدة ولايته عشر سنين، وعاد عبد المؤمن إلى أن تميل قلوب الناس، ثم استولى على الجبال، ثم تقابل هو وعلى بن يوسف بن تاشفين ووقع عن فرسه فمات.

وملك عبد المؤمن غالب البلاد، ثم ملك فارس بالأمان فى آخر سنة أربعين وخمسمائة. وفتح سلا، ثم سار إلى مراكش، وقد مات على بن يوسف بن تاشفين، فحاصر ابن ابنه إسحاق بن تاشفين أحد عشر شهراً، ثم فتحها بالسيف وضرب عنق إسحاق وهو صبى صغير.

وبه انقرضت دولة المرابطين، وكانت مدة ملكهم سبعين سنة، فسبحان من لا يبيد ملكه.

وفى سنة خمس عشرة وخمسمائة:

قُتل الأفضل ابن أمير الجيوش بمصر، وثب عليه ثلاثة وهو راكب فقتلوه بسوق الضيافة، ثم قطعوا بالسيوف، وحمل إلى الآمر بأحكام الله خليفة مصر من دار الأفضل أموالاً لا تحصى، فولى بعده أبو عبد الله البطائحى.

وفيها: انهدم بعض الركن اليمانى من الكعبة.

وفيها: توفى أبو محمد الحريرى مصنف المقامات، وكان أشار عليه بتصنيفها أنو شروان بن خالد وزير السلطان محمود، وكان الحريرى ينسب إلى ربيعة الفرس، وهو بصرى المولد، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة.

وفيها: توفى الشيخ مؤيد الدين إسماعيل الحسين بن على بن محمد الطغراى من ولد أبى الأسود الدؤلى من أهل أصفهان، وكان يخدم السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان،

واستوزره السلطان مسعود، فلما انهزم مسعود من أخيه محمود أمسك الطغرای وقتله صبرًا. ومن شعره الحسن قصيدته المشهورة التى أولها:

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

قال السلطان محمود لما قتله: ثبت عندى فساد عقيدته. وكان قد جاوز عمره ستين سنة، وكان مولعًا بالكيمياء.

وفيها: توفى أبلغازى بن أرتق، واستقر مكانه بماردين ابنه تمرتاش، واستقر مكانه بحلب ابن عمه سليمان بن عبد الجبار بن أرتق، واستقر بحلب إلى أن ضعف حاله، وهادن الفرنج وسلَّم إليهم الأثارب، وبلغ ذلك ابن عمه بلك بن بهرام بن أرتق، فسار إلى حلب وملكها، ثم قتل بلك فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة فى حصار مُنبج بسهم غرب، فعاد ابن عمه ترتاش بن أبلغازى إلى حلب.

ثم إن الفرنج حاصروا مدينة صور وملكوها، وخرج المسلمون منها بأموالهم واجتمعت الفرنج وانضم إليهم ربيس بن صدقيا من العرب، وحاصروا حلب وضعف عنهم تمرتاش فأرسل أهل حلب إلى آقسنقر البرشقى صاحب الموصل فجاء إليهم، فلما قرب حلب هربت الإفرنج عنها، واستقرت حلب مع الموصل لآقسنقر البرشقى. وسار إلى كفرطاب وأخذها من الفرنج، ثم سار إلى عزاز ليأخذها فاجتمعت عليه الفرنج وكسروه، وتوجه إلى الموصل وجعل ولده عز الدين مسعود فى حلب.

فلما كان فى سنة عشرين وخمسمائة وثب عليه جماعة من الباطنية وهو فى صلاة الجمعة فقتلوه، وكان مملوكًا شجاعًا من خيار الولاه.

فحضر ولده مسعود من حلب وأخذ الموصل، واجتمعت الفرنج وقصدوا دمشق ونزلوا سفحب، وخرج إليهم طغتكين حاجب دمشق وكان معه خيالة ورجالة كثيرون فانهزم هو والخيالة ومنعهم الفرنج فقصدت الرجالة محتم الفرنج وقتلوا كل من وجوده ونهبوا أموالهم، فبلغ ذلك الفرنج فانهزموا أيضًا.

وفى سنة إحدى وعشرين وخمسمائة:

أعطى السلطان شحنكية العراق لعماد الدين زنكى بن آقسنقر مضافًا لما بيده من ولاية واسط، وعظم أمره وأخذ نصيبين وسنجار وحران وجزيرة ابن عمر. ومات مسعود بن آقسنقر البرشقى فولاه السلطان محمود الموصل أيضًا.

وكان لما قتل آقسنقر البرشقى وجاء ولده مسعود إلى الموصل جعل مكانه بحلب أمير اسمه قمار، ثم استخلف عليها فأساء السيرة. وكان مقيمًا بها سليمان بن عبد الجبار بن أرتق الذى كان صاحبها أولاً فاجتمع أهل حلب على ولايته، واستقر بحلب ونفى قلع بالقلعة عاصيًا عليهم فبلغ ذلك الفرنج فقصدوها وصالحهم أهلها، فبلغ ذلك السلطان محمود، فكتب توقيعًا لعماد الدين زنكى بالشام جميعه، فأرسل زنكى قراقوس إلى حلب، وتوجه سليمان وقلع إلى زنكى فأصلح بينهما، وركب بنفسه إلى حلب وطلع أهل حلب إلى تلقيه واستبشروا، ودخلها وملك قلعتها فى المحرم سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة.

وفى هذه السنة: سار السلطان سنجر من خراسان وسار إليه ابن أخيه السلطان محمود والتقيا بالرى وجلسا على سرير واحد، وصفح محمود عن دبيس بأمر عمه وأعاده إلى إمرته.

وفيها: توفى صاحب دمشق طغتكين، وهو من مماليك تتش بن ألب أرسلان، وكان عاقلاً خيرًا ولقبه ظهير الدين، وعهد إلى ولده تاج الملوك توزى.

وفى سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة:

ملك عماد الدين زنكى حماه، وذلك أنه أرسل إلى توزى صاحب دمشق يستنجده على الفرنج، فأرسل إليه ولده سونج، وكان نائبه بحماه، فلما وصل إليه قبض عليه ونهبه وركب من ساعته إلى حماه فأخذها، وتوجه إلى الموصل وصحب سونج وأمراء دمشق معلقين، وجمع عساكره ودعا إلى الشام وقصد حصن الأثارب لشدة كانت تلحق بالمسلمين منها، فإن فرنجها كانوا يقاسمون أهل حلب على سائر البلاد الغربية حتى طاحون غربية بباب الجنان، ثم جمع الفرنج جموعهم، والتقى الجمعان ونصر الله المسلمين، وقتل من الفرنج وأسر جمع كبير، وخرَّب عماد الدين زنكى الأثارب وجعلها دكًا لا أثر لها.

وفى سنة أربع وعشرين وخمسمائة:

وثبت الباطنية على خليفة مصر الآمر بأحكام الله أبى على منصور ابن المستعلى أحمد ابن المنتصر سعد العلوى فقتلوه، وكانت خلافته تسعًا وعشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يومًا، وعمره أربعًا وثلاثين سنة، وهو العاشر من ولد المهدى عبد الله،

والعاشر من الخلفاء العلويين.

وولى بعده ابن عمه الحافظ عبد المجيد ابن أبى القاسم ابن المستنصر، واستوزر أبا أحمد ابن الأفضل بن بدر الجمالى فاستبد بالأمر وتغلَّب على الحافظ إلى أن قتله سنة ست وعشرين وخمسمائة.

وفى السنة التى قبلها:

توفى السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقى بهمدان، واستقرَّ ابنه داود فى السلطنة، توفى وعمره سبع وعشرين سنة، وكانت ولايته ثنتى وعشرين سنة وتسعة أشهر وعشرين يومًا، وكان حليمًا عاقلاً.

وفيها: أعنى سنة ست وعشرين وخمسمائة:

توفى صاحب دمشق تاج الملوك توزى بن طغتكين فأوصى بالملك لولده شمس الملوك إسماعيل، وأوصى لولده شمس الدولة ببعلبك وأعمالها، وقوى إسماعيل بدمشق وأخذ من الفرنج بانياس بالسيف وقلعها بالأمان، وأخذ حماه من عماد الدين زنكى عنوة، وخافت الفرنج منه ورحل غالبهم إلى بلادهم.

وفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة:

قُتل شمس الملوك إسماعيل بن توزى، قتله جماعة من غلمانه باتفاق والدته، وسُرَّ الناس بقتله لما كان عليه من الظلم، واستقر بدمشق بعده شهاب الدين أحمد بن توزى، وجاء إليه عماد الدين زنكى وحاول أخذها فلم يقدر وعاد بعد مصالحتهم.

وفيها: أغرى بالخليفة المسترشد فخرج لقتال السلطان مسعود فهرب عنه عسكره وأسره السلطان مسعود، وسار به إلى مراغة فوصل عسكر سنجر فركب مسعود على عقله فدخلت الباطنية على المسترشد فقتلوه وكان عمره ثلاثًا وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وخلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يومًا وأمه أم ولد، وكان شهمًا فصيحًا حسن الخط.

وبويع ولده الراشد بالله أبو جعفر ابن منصور ابن المسترشد فضل ابن المستظهر أحمد، وبعده بقليل قتل السلطان مسعود صبرًا.

وفى سنة ثلاثين وخمسمائة:

سارت عساكر عماد الدين زنكى من حلب وحماه إلى بلاد الفرنج وأوقعوا بهم

وكسبوا منهم ما ملأ الشام قماشًا ودقيقًا.

وفيها: خلع الراشد من الخلافة فكانت مدة خلافته أحد عشر شهرًا وأحد عشر يومًا.

وبويع عمه المقتفى لأمر الله محمد ابن المستظهر فهو والمسترشد ابنا المستظهر أخوان وليا الخلافة. وكذلك السفاح والمنصور أخوان وليا الخلافة، وكذلك المهدى والرشيد، وكذلك الواثق والمتوكل. وأما الثلاثة إخوة ولوا الخلافة: فالأمين والمأمون والمعتصم أولاد الرشيد، وكذلك المقتفى والمقتدر والقاهر أولاد المعتضد، وكذلك الراضى والمكتفى والمطيع أولاد المقتدر. وأما أربعة أخوة ولوا الخلافة: فالوليد وسليمان ويزيد وهشام أولاد عبد الملك بن مروان لا يعرف غيرهم.

وفى سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة:

عزل الحافظ خليفة مصر وزيره بهرام الأرمينى بسبب إهانته المسلمين، واستوزر رضوان الوحشى ولقبه الملك الأفضل، وهو أول وزير لقب بالملك بمصر.

وفيها: فتح عماد الدين زنكى المعرَّة وكفر طاب وملك حمص.

وفى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة:

حاصر زنكى بعلبك ونصب عليها أربعة عشر منجنيقًا وتسلمها بالأمان، فلما نزلوا إليهم غرر بهم، وكان عادته الغدر وصلبهم عن آخرهم.

وفيها: قتل شهاب الدين محمود صاحب دمشق، قتله ثلاثة من غلمانه غيلة على مراغة ونجا واحد منهم وقتل اثنان، وحضر أخوه جمال الدين محمد بن توزى صاحب بعلبك إليها وولى دمشق، وهذا كان السبب فى طمع زنكى فى بعلبك، فإن هذا كان فى شوال ومسير زنكى إلى بعلبك فى ذى القعدة.

وفيها: توالت الزلازل بالشام لا سيما حلب، خرج أهلها إلى الصحراء من رابع صفر إلى تاسع عشر.

وفى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة:

قصد عماد الدين زنكى دمشق وحاصرها ومضى صاحبها جمال الدين محمد ومات، وقام ولده مجير الدين فى الملك، وعجز عنها زنكى وعاد وملك فى عودته شهرزور من صاحبها قنجق بن أرسلان شاه التركمانى وصار من جملة عسكره.

وفى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة:

توفى الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان قتيلاً فى خندق مراكش، وكان فاضلاً، ألف عدة كتب منها: قلائد العقيان ذكر فيه كثيراً من الفضلاء وأشعارهم وأجاد فيها.

وفى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة:

توفى العلامة الكبير الشهير شيخ الإسلام أبو حفص عمر النسفى المترجم، مفتى الإنس والجن، صاحب التيسير فى التفسير، وكتاب القند فى تاريخ سمرقند، وشهرته تغنى عن الإطناب فى ترجمته، ومن شعره:

كم ساكت أبلغ من ناطق ... وراجل أفرس من فارس

ولاحق يسبق عديا يطول ... بفضل دين وما فارس

وفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة:

اصطلح عماد الدين زنكى مع السلطان مسعود وفتح ديار بكر وحصونها وما كان بيد الفرنج منها.

وفيها: قتل داود ابن السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه، قتله جماعة اغتالوه ولم يُعرفوا.

وفيها: توفى أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، ومولده فى رجب سنة تسع وستين وأربعمائة.

وزمخشر قرية من قرى خوارزم، وفضائله وتصانيفه أشهر من أن تذكر.

وفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة:

أخذ عماد الدين زنكى الرها من الفرنج بالسيف ومدينه سروج وسائر الأماكن التى كانت بيد الفرنج شرقى الفرات، وحاصر الفرنج بالبيرة، ثم رحل عنها لسبب قتل نائبه بالموصل، فلما رحل عنها خافت الفرنج عوده فسلموها لنجم الدين صاحب ماردين بالليل وهربوا إلى بلادهم.

وفى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة:

حاصر عماد الدين زنكى جعبر فوثب عليه جماعة من مماليكه وهو نائم فقتلوه، وكان حسن الصورة أسمر اللون وحطَّه الشيب، وزاد عمره على ستين سنة.

وكان شديد الهيبة على عسكره، ملك الموصل وما معها من البلاد، والشام كله خلا دمشق، ولما مات أخذ ولده نور الدين محمود خاتمه من أصبعه وسار إلى حلب فملكها، وسار ولده سيف الدولة عادى من شهرزور إلى الموصل فملكها، وسارا - أعنى سيف الدولة عادى ونور الدين محمود - ولدى عماد الدين إلى دمشق مساعدين مجير الدين أبق بن محمد بن توزى بن طغتكين حين حصرها الفرنج بجموع عظيمة من الألمان والقسطنطينية فخاف الفرنج منهما ورحلوا عن دمشق عند وصولهما حمص. وكان فى بعض القتال على دمشق قتل نور الدولة شاهنشاه بن أيوب أخو السلطان.

وفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة:

مات سيف الدولة غازى بن زنكى بمرض حاد، وكان كريمًا شجاعًا. وهو أول من على رأسه وأمر الأجناد أن يشدوا السيوف فى أوساطهم والدبابيس تحت أركنهم. واستقر أخوه مودود فى الموصل وبلادها.

وفيها: توفى الحافظ لدين الله عبد المجيد ابن الأمير أبى القاسم ابن المستنصر العلوى صاحب مصر، وكانت خلافته عشرين سنة إلا خمسة أشهر، وكان عمره سبع وسبعين سنة، ولم يكن من خلفاء مصر من أبوه خليفة إلا هذا الحافظ.

وفيها: حاصر نور الدين زنكى حارم وأمير البرنس صاحب أنطاكيه وجماعة من الفرنج.

وفيها: وفيها توفى ناصح الدين الأرجانى، وأرجان من أعمال تستر، وكان قاضيًا بتستر واسمه أحمد بن محمد بن الحسين، وله أشعار حسنة منها:

ولما طفت الناس أطلب عندهم	أخا ثقة عند اشتداد الشدائد
تطلعت فى حالى رخاءًا وشدة	وناديت فى الأحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءنى غير شامت	ولم أر فيما سرّنى غير حاسد
تمتعتما يا مقلتى بنظرة وأورد	تما قلبى أشرٌ الموارد
أعينى كفا عن فؤادى فإنه من	البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وفيها: توفى بمراكش القاضى عياض السبتى، ومولده سنة ست وسبعين وأربعمائة، ومن تصانيفه: الإكمال فى شرح مسلم، ومشارق الأنوار فى غريب الحديث، والشفا وغيره.

وفى سنة ست وأربعين وخمسمائة:

جمع نور الدين زنكى عساكره وتوجه إلى الفرنج بعد أن كسره منهم شجاع عظيم اسمه جوسلين، ثم أمسكه التركمان لما خرج يتصيَّد وأحضروه إلى نور الدين أسيراً، فملك نور الدين سائر القلاع التى له: تل باشر، وعين تاب، ودلوك، وعزاز، وتل خالد، وقورس، والراندوان، وبرج البرصاص، وحصن الباره، وكفر سود، وكفر لاثاء، ومرعش، ونهر الجوز وغير ذلك، فكان فتحًا عظيمًا للمسلمين.

وفى سنة سبع وأربعين وخمسمائة:

مات السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه بهمدان، ومولده سنة اثنين وخمسمائة، وبه انقضت سعادة البيت السلجوقى، ولم يشتهر بعد ذلك لولده رئاسة ولا سمعة.

وفيها: توفى صاحب ماردين وميافارمين حسام الدين تمرتاش بن أبلغازى بن أرتق.

وفيها: انقرضت دولة آل سبكتكين حين أمسك خسرو شاه وحبس هو وولده، ولم يظهر لهما بعد ذلك خبر، حبسهما غياث الدين محمد بن شامة الآتى ذكره. وهذا خسرو شاه هو ابن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين، ملكوا مائتى سنة وثلاثة عشر سنة. وكانوا من أحسن الملوك سيرة بغزنة وما تابعها من بلاد العجم.

وملك بعدهم الغورية أولهم: السلطان علاء الدين الحسين ولقب بالسلطان المعظم، واستعمل على غزنة غياث الدين محمد بن شهاب الدين محمد ولد أخيه سام، ورتب الأمراء على طريق السلجوقية، واتسعت مملكتهم، وكثرت عساكرهم، وملكوا غالب بلاد الهند، ووصلوا إلى ما لم يصل إليه أحد من ملوك المسلمين.

وفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة:

وقع بين السلطان سنجر وبين الأتراك فتنة عظيمة وقتال كبير انتصر سنجر ثم انكسر، ثم أسر، ثم أطلق، ثم تزهَّد وترك الملك وتصوف بخنقاه مرة.

واستولى الغز على بلاد المسلمين خراسان وغيرها، وقتلوا القضاة والعلماء والصلحاء، وخرَّبوا الجوامع، ثم اجتمع المسلمون على شخص من مماليك سنجر اسمه أبيه لقبوه العادل فأزاح الغُز عن غالب بلاد المسلمين، وأظهر العدل فانضم إليه مملوك

آخر لسنجر اسمه إيتاخ وعظم شأنهما.

وفيها: توفى أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستانى الأشعرى صاحب «نهاية الأقدام فى علـم الكلام» و «الملل والنحل». ومولده سنة سبع وستـين وأربعمائة بشهرستان، وتوفى بها.

وشهرستان التى هذا العالم منها هى مـدينة بناها عبد الله بن طاهر أمير خراسان بين نيسابور وخوارزم، وثم مدينة أخرى اسمها شهرستان بينها وبين الينهودية مدينة أصفهان نحو ميل، ومدينة أخرى اسمها شهرستان بأرض فارس.

وفى سنة تسع وأربعين وخمسمائة:

قتل الظافر بالله أبو منصور إسماعيل ابـن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى، قتله وزيره عباس الصنهاجى لما قيل: إنه يفسق فى ولده نصر، وقتل أخويه يوسف وجبريل، وولى الخلافة لابنه عيسى وكان عمره خمس سنين ولقب الفائز بنصر الله ابن الظافر بالله إسماعيل ابن الحـافظ لدين الله عبد المجيد، ثم هرب العباس بعد مـدة إلى الشام فقتله الفرنج فى الطـريق وأسروا ابنه نصر واسـتقـرّ فى الوزارة طلائع بن رزيك ولقب الملك الصالح.

وفى هذه السنة: بلغ نور الدين محمود بن زنكى أن الفـرنج تأهبوا أن يأخذوا دمشق حتى أنهـم أطلقوا كل أسيـر بدمشق من الجـوار والمماليك الذين لم يسلمـوا على زعم أسيـادهم، وكاتب أهل دمشق واسـتمال أهلهـا وسار إليها وحـاصرها ففـتح له الباب الشرقى فـدخل منه وملك المدينة وحـصر صاحـبها مـجيـر الدين محمـد بن توزى بن طغتكين فى القلعة، ثم نزل إليه بالأمان وأعطاه نيابـة حمص، وقبل وصوله إليها عزله عنها وأعطاه نابلس فغضب وراح إلى بغداد وسكنها حتى مات.

وفى سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة:

فى رجب جاءت زلازل عظيمة بالشام حتى خرّبت بها شيزر وحماه وحمص وحصن الأكراد وطرابلس وأنطاكية، ووقعت القلاع والأسوار، وهلك تحت الهدم ما لا يحصى.

قال السلطان عماد الدين: كـان بمدينة حماه إذ ذاك كتاب سقط على جمـيع الصبيان وكان الفقـيه غائبًا، قال الفقـيه: مات كل من فى الكتاب، ولم يحضـر أحد يسأل عن صبى كان له، قال: وكان صاحب شـيزر قد ختن ولدًا له وجمع أهله فى دار بنى منقذ

كلهم، فلما جاءت الزلزلة وقع البيت عليهم أجمعين ولم ينج منهم إلاً واحد خرج إلى الباب فضربته فرس كان على الباب فقتله. وبلغ ذلك نور الدين فأرسل إليها وأخذها.

قال ابن الأثير فى الكامل: إن بنى منقذ ملكوا شيزر فى أيام صالح بن دمرداش حين ملك حلب فى سنة أربع عشرة وأربعمائة.

وذكر ابن خلكان وابن أبى الدم: أن بنى منقذ ملكوا شيزر فى سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

وفيها: فى ربيع الأول توفى السلطان سنجر بن ملك شاه بن ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق بالقولنج، ومولده بسنجاق فى رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة، خطب له على منابر الإسلام بالسلطنة أربعين سنة، وخطب بالملك قبلها عشرين سنة.

وفيها: استولى أبو سعيد عبد المؤمن على غرناطة من الأندلس وأخذها من الملثمين وانقضت دولة الملثمين، وفتح المرية من أيدى الفرنج وكانت معهم عشر سنين.

وفيها: ملك نور الدين محمود بن زنكى بعلبك أخذها من ضحاك البقاعى.

وفيها: قلع المقتفى الخليفة ببغداد باب الكعبة، وعمل عوضًا عنه بابًا صفَّحه بالفضة المذهبة وعمل لنفسه تابوتًا من الباب يدفن فيه.

وفى سنة أربع وخمسين وخمسمائة:

فتح عبد المؤمن المهدية من أيدى الفرنج، وكانت معهم ثنتى عشرة سنة.

وفى سنة خمس وخمسين وخمسمائة:

توفى الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى ابن الظافر إسماعيل خليفة مصر، وكانت خلافته ست سنين وشهرين. واستقرَّ فى الخلافة العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله ابن محمد ابن الأمير يوسف ابن الحافظ لدين الله.

وفيها: توفى المقتفى لأمر الله أبو عبد الله محمد ابن المستظهر خليفة بغداد، وكانت خلافته أربعًا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يومًا. وكان حسن السيرة، وهو أول من استبد بالعراق عن سلطان تكون معه.

وبويع ولده يوسف ولقب المستنجد بالله، وأمه تدعى طاووس.

وفى سنة ست وخمسين وخمسمائة:

توفى السلطان علاء الدين بن الحسين الغورى، وكان عادلاً حسن السيرة، وملك موضعه ابن أخيه غياث الدين محمد.

وفيها: قتل الملك الصالح طلائع بن رزيك أرسلت إليه عمة العاضد الخليفة من قتله بالسكين، ولم يمت من ساعته وحمل إلى بيته وأرسل يعتب العاضد، فاعتذر وحلف وأرسل عمته إليه فقتلها، ثم مات واستقر ابنه رزيك فى الوزارة، ولقب الملك العادل.
وكان لطلائع المذكور شعراً منه:

أبى الله إلا أن يدين لنا الدهر ويخدمنا فى ملكنا العز والنصر
علمنا بأن المال يفنى ألوفه ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر
خلطنا الندى بالبأس حتى كانتا سحاب لديه الرعد والبرق والقطر

وفى سنة سبع وخميسن وخمسمائة:

توفى الشيخ عدى بن مسافر الزاهد المقيم بالهكارية من عمل الموصل، وأصله من بلد بعلبك.

وفى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة:

استقر شاور خادم طلائع فى وزارة العاضد بمصر ولقب أمير الجيوش، فجمع عليه الضرغام ونازعه فى الوزارة وانهزم شاور إلى نور الدين زنكى، واستقر الضرغام فى الوزارة وقتل كثيراً من أمراء مصر، وضعفت مصر بسبب ذلك وطمع فيها الفرنج.

وفيها: توفى عبد المؤمن سلطان الغرب بمدينة سلا، وكانت مدة ولايته ثلاثًا وستين سنة وشهراً.

وكان كثير السفك للدماء كشيخه ابن تومرت يقتل على الذنب اليسير. وكان حسن السياسة، وجمع الناس فى الغرب على مذهب مالك بن أنس فى الفقه، وعلى مذهب أبى الحسن الأشعرى فى الأصول، وكان من وجده وقت الصلاة غير مُصلٍ قتله.

وفى سنة تسع وخمسين وخمسمائة:

عرَّف شاور نور الدين محمود بن زنكى أن بلاد مصر غلب عليها الفرنج، ووعده إن أعاده إلى وزارة مصر يقوم له بثلث أموالها بعد إقامة الجند، فأرسل نور الدين عساكره

معه إلى مصر وجعل مقدمتهم جد عمه أسد الدين شيركوه بن شادى، فوصلوا إلى مصر، وانكسر عسكر الضرغام، وهرب ودخل أسد الدين شيركوه مصر واستقر شاور فى الوزارة فغدر بنور الدين ولم يف له بشىء مما وعده، وسار أسد الدين واستولى على بلبيس والشرقيه، فأرسل شاور إلى الفرنج وجمعهم على شيركوه وحاصروا بلبيس ثلاثة شهور، ثم خاف الفرنج من نور الدين ففتحوا لشيركوه، وجعلوا له طريقًا إلى الرواح فسار بمن معه من الجيوش سالمين.

وفى هذه السنة: فتح نور الدين قلعة حارم بعد مضاق عظيم مع الفرنج وأسد الدين صاحب أنطاكية والقومس صاحب طرابلس، وغنم المسلمون منهم شيئًا كثيرًا. وفتح بانياس وكانت مع الفرنج من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

وفى هذه السنة: توفى جمال الدين أبو جعفر محمد بن على بن أبى منصور الأصفهانى وزير قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل، وكان مقبوضًا عليه من مخدومه مدة سنة.

وكان قد تعاهد مع أسد الدين شيركوه أنه من مات منهما قبل الآخر ينقله من بلده إلى مدينة النبى ﷺ ويدفنه فيها فوفّى له شيركوه وجعل معه قراء يقرءون القرآن عند شيله وحطه وينادى فى كل بلدة ينزلونها بالصلاة عليه، ولما أرادوا الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على موضع مرتفع وأنشد:

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما ... سرى جوده فوق الرقاب ونايله
يمر على الوادى فيثنى رماله عليه ... وبالنادى فتثنى أرامله

فطيف به حول الكعبة ودفن فى رباط بالمدينة كان بناه لنفسه بين قبره وقبر النبى ﷺ نحو خمسة عشر ذراعًا. وهذا جمال الدين هو الذى جدد مسجد الخيف بمنى، وبنى الحجر بجانب البيت وزخرف، وغرم جملة طائلة لصاحب مكة والمقتفى حتى مكناه من ذلك، وبنى المسجد الذى على جبل عرفات، وعمل الدرج الذى إليه، وعمل بعرفات مصانع الماء، وبنى سورًا على مدينة النبى ﷺ، وبنى على دجلة جسرًا عند جزيرة ابن عمر بالحجر والحديد والرصاص والنحاس وقبض قبل أن يفرغ منه، وبنى الربط وغيرها.

وفى هذه السنة: توفى نصر بن خلف ملك سجستان وعمره فوق المائة سنة، ومدة

ملكه ثمانون سنة، واستقر ولده موضعه أبو الفتح أحمد بن نصر.

وفى سنة ستين وخمسمائة:

توفى الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله المعروف بأمين الدولة، وكان نصرانيًا قد ناهز المائة، وكانت له فضلة زائدة فى النسب والأدب، وكان قسيس النصارى وشيخهم، وكان فضلاء عصره يتعجبون منه كيف حُرم فضيلة الإسلام مع فضله وفهمه. والله يهدى من يشاء بفضله ويضل من يشاء بحكمه.

وكان له رفيق فى الحكمة يهودى عالى الهمة، وهو الحكيم المشهور بابن ملكان واسمه هبة الله، وكان رفيعًا متكبراً يكنى بأبى البركات، فأنشد أمين الدولة النصرانى:

لنا صديق يهودى حماقته إذا تكلم يبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه

وله تصانيف خمسة منها: كتاب أقرانا دين وهو معتمد عليه عند الأطباء.

وفى سنة إحدى وستين وخمسمائة:

توفى الشيخ عبد القادر الجيلانى وهو غنى عن الترجمة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفى سنة ثنتين وستين وخمسمائة:

جهز نور الدين محمود بن زنكى ألفى فارس إلى مصر ومقدمهم أسد الدين شيركوه، وخرج إليه شاور بمن معه من الفرنج، فانكسر شاور وانهزم الفرنج عنه، واستولى شيركوه على بلاد الجيزة، ثم سار إلى الأسكندريه وملكها وجعل فيها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، فجاء المصريون ومعهم الفرنج وحاصروا الأسكندرية، وعاد إليهم شيركوه واتفقوا على الصلح على مال يحملونه إلى شيركوه ويرجع عنهم إلى الشام، وعاد شيركوه وصلاخ الدين إلى الشام سالمين، واصطلح المصريون والفرنج على أن يكون من الفرنج سكنة بالقاهرة، وتكون أبوابها بيد فرسانهم، ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار.

وفى سنة أربع وستين وخمسمائة:

أخذ نور الدين قلعة جعبر.

وفى هذه السنة: تمكن الفرنج من الديار المصرية وملكوا بلبيس قهراً ونهبوها وقتلوا أهلها وأسروهم، ونزلوا على القاهرة وحاصروها وأحرق شاور مصر خوفًا من أن تملكها

الفرنج، وانتقلت أهلها إلى القاهرة وبقيت النار تحرق فيها أربعة وخمسين يومًا، فأرسل العاضد خليفة مصر نور الدين محمود بن زنكى يستغيث به وأرسل فى الكتب بشعور النساء وصالح الفرنج على ألف ألف دينار، وحمل منها مائة ألف دينار. وقال لهم: ارحلوا وأنا أجهز لكم الباقى فرحلوا وجهز إليهم نور الدين محمود بن زنكى عساكره وأنفق فيهم المال العظيم وأعطى شيركوه مائتى ألف دينار سوى الثياب والأسلحة والدواب، وأرسل معه عدة أمراء منهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان صلاح الدين يكره الرواح معه لما قاساه من قصة الأسكندرية. وكان فى الرواح سعده وانتقال الملك إليه وقيام الدولة الأيوبية ﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا﴾ ولم يشعر نور الدين أن فى إلزامه صلاح الدين ذهاب الملك من يده.

فلما قارب شيركوه مصر هرب الفرنج إلى بلادهم، ودخل شيركوه إلى القاهرة فى رابع ربيع الأول، واجتمع بالعاضد فخلع عليه وأجرى عليه وعلى عساكره الإقامات الوافرة، وجعل شاور كل يوم يركب إلى وظاف شيركوه ويعدهم ويمنيهم بالوفاء بما كان التزم به أولاً، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً. وقصد أن يعزم على شيركوه وأمرائه ويعمل لهم ضيافة ويمكنهم. ففطن صلاح الدين يوسف وجرد بك، وجاء شاور فلم يجد شيركوه فى مخيمه وأخبره صلاح الدين يوسف أنه توجه لزيارة الشافعى وركبا وركب معهما جرد بك قاصدين الشافعى، فوثب على شاور صلاح الدين وجرد بك ورمياه عن فرسه وأمسكاه وهرب أصحابه فحضر شيركوه، وحضر قاصد العاضد يأمر بإحضار رأس شاور إليه فقتله وأرسل رأسه إليه، ودخل بعد ذلك شيركوه إلى القصر فاستقر به الخليفة وزيراً مكان شاور ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش، وسكن دار الوزارة التى كانت فيها شاور، وجاءت مدائح الشعراء إلى شيركوه واستمر شهرين وخمسة أيام، وجاء أجله ومات ـ رحمه الله ـ.

وكان شيركوه وأيوب ابنى شادى. قال ابن الأثير: أصلهما من الأكراد الراويرية قصدا العراق وخدما بهروز سبخنة السلجوقية وجعلهما بتكريت يحفظان قلعها فقتل شيركوه إنسانًا بتكريت، وكان أصغر من أيوب فأخرجهما بهروز من تكريت فلحقا بخدمة عماد الدين زنكى. ولما توفى شيركوه طلب العاضد صلاح الدين يوسف وولاه الوزارة ولقبه الملك الناصر، فأرسل صلاح الدين إلى نور الدين يقول: أنا نائبك بمصر، فأرسل إلى بأبى وأهلى، فأرسلهم إليه مكرمين، ورتب لهم صلاح الدين الإقطاعات

بمصـر. وتمكن من ملك مـصر وقـتل الطواشى مـؤتمن الخلافـة وقـرر مكانه الطواشى قراقوش الأسدى، وتمكن من القصر وضعف أمر الخليفة العاضد.

قال ابن الأثير: رأيت كثيراً من ابتدأ بالملك ينتقل الملك إلى غير عقبه، معاوية تغلب على الملك فانتقل إلى بنى مروان، وملك السفاح من بنى العباس فانتقل الملك إلى عقب أخيه المنصور.

وكذلك السامانية، أول من استبد بالملك منـهم نصر بن أحمد فانتقل الملك إلى أخيه إسماعيل، وابتدأ بالملك عمـاد الدولة بن بويه فانتقل الملك إلى عقب أخيه ركن الدولة، ثم ملك طغرلبك السلجوقى وانتقل الملك إلى عقب أخيه داود، ثم شيركوه فانتقل الملك إلى ابن أخيه صلاح الدين.

وفى هذه السنة: توفى الشيخ أبو محمد الفارقى صاحب الكرامات الظاهرة.

وفيها: توفى يادوق أرسلان التركمانى، وكانت له خلقة عظيمة، سكن ظاهر حلب، وكان مقدمًا كبيراً بها، وله عمارة ظاهر حلب تعرف بالفاروقية.

وفى سنة خمس وستين وخمسمائة:

توفى قطب الدين مودود بن زنكى بن آقسنقر صاحب المـوصل، واستقر عوضه ولده الأصغر سيف الدين غازى.

وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة، وعمره أربعين سنة. وكان من أحسن الملوك سيرة.

وفيها: توفى مجـد الدين أبو بكر بن الداية رضيع نور الدين، وكـانت حلب وحارم وجعبر إقطاعه، فأقرها نور الدين لولده على.

وفيها: توفى محمد بن محمد بن ظفر صاحب سلوان المطاع، مولده بصقليه ومنشأه بها، ثم أقام بمكة، ثم سكن حماه وبها مات فقيراً.

وفى سنة ست وستين وخمسمائة:

توفى المستنجـد بالله أبو المظفر يوسف ابن المقـتفى ابن المستـظهر تاسع ربيع الأول، وكان تقليده فى مستهل شهر ربيع الآخـر سنة عشر وخمسمائة. وبويع ولده أبو الحسن ولقب المستضىء بالله، ولم يل الخلافة من اسمه الحسن غيره.

وفى هذه السنة: ولى صلاح الدين بمصر قضاة الشافعية، وعزل الذين كانوا قضاة من

الشيعة، وبنا مدرسة للشافعية، وعظم شأنه، وأجلى كثيراً من الفرنج عن بلاد الساحل.

وفى سنة سبع وستين وخمسمائة:

بلغ نور الدين محمود أن صلاح الدين يوسف تمكن من الديار المصرية غاية التمكن فسرّه ذلك وأرسل إليه أنك تقطع خطبة العلوية بمصر وتخطب للخليفة العباسى المستضىء خليفة بغداد وأكّد عليه، فما أمكن صلاح الدين يوسف المخالفة، وكان العاضد ضعيفًا فأمر صلاح الدين الخطباء بذلك، وخطبوا ثانى جمعة من المحرم باسم المستضىء، وانقطعت الخلافة العلوية من مصر، ولم ينتطح فيها عنزان، واشتد مرض العاضد ومات ولم يعلم بذلك يوم عاشوراء، وتسلّم صلاح الدين القصر وما فيه من الأشياء النفيسة الخارجة عن الإحصاء. قال ابن الأثير صاحب الكامل: من ذلك حبل ياقوت كان وزنه سبعة عشر درهمًا أو مثقالاً، قال: أنا رأيته ووقفت على وزنه.

وانتهت الخلافة العلوية وهم أربعة عشر: المهدى، والقائم، والمنصور، والمعز، والعزيز، والحاكم، والظاهر، والمستضىء، والمستعلى، والآمر، والحافظ، والظافر، والفائز، والعاضد. ومدة خلافتهم من حين ظهر المهدى بسلجماسة فى ذى الحجة سنة ست وتسعين ومائتين إلى أن توفى العاضد فى هذه السنة، مائتان واثنان وسبعين سنة.

وضربت البشائر عدة أيام ببغداد، وجهزت منها خلع وإنعام إلى نور الدين وخطبًا وأعلام سود.

ومن غريب ما اتفق أن العاضد رأى فى منامه أن عقربًا خرجت من مسجد بمصر فلدغته، وعبرت له هذه الرؤيا أنه يناله مكروه من شخص يسكن ذلك المسجد، فطلب أهل ذلك المسجد، فأحضر له شيخ صوفى يقال له نجم الدين الخبوشانى، فاستخبره العاضد عن مقدمه وسبب سكناه هذا المسجد فأخبره بالصحيح، فرأى العاضد أضعف من أن يناله مكروه منه فوصله بمال وقال له: ادع لنا يا شيخ وصرفه. فلما أراد السلطان صلاح الدين إزالة الخلافة العلوية استفتى أهل العلم فى ذلك، فكان الشيخ نجم الدين المذكور هو المكثر فى ذلك الفتوى من الكلام وعدد مساوىء العلوية حتى أخرجهم عن الإيمان، فتأول الناس ذلك ما رآه العاضد فى منامه.

وفى سنة تسع وستين وخمسمائة:

ظهرت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين فجهّز صلاح الدين أخاه توران شاه

شمس الدين، بعد موت أبيه أيوب فى السنة التى قبلها إلى اليمن بعساكر عظيمة، بحيث أن نور الدين إذا أخذ مصر يقابله صلاح الدين فإن انكسر هرب إلى مملكة أخرى غيرها، فيسر الله على أخيه توران شاه، وملك بلاد اليمن، واستقرت لصلاح الدين يوسف، وصلب جماعة من أكابر المصريين كانوا قصدوا إعادة الخلافة العلوية، منهم: عمارة بن على اليمنى الشاعر صاحب المرثاة العظيمة فى العلوية منها:

يا عاذلى فى هوا أبناء فاطمة ... لك الملامة إن قصرت فى عدلى
جرعت بأرتك الأقنى فانفك ... لا ينفك ما بين الشين والخجل
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة ... على فجيعتها فى أكرم الدول
لله در ساحة القصرين وابك ... معى عليها لا على صفين والجمل
ماذا ترى الإفرنج فاعلة ... فى نسل آل أمير المؤمنين على
مررت بالقصر والأركان خالية ... من الوفود وكانت قبلة القتل

وله فيهم أيضًا:

غصبت أمية أرث آل محمد ... سفهًا وشنت غارة السنان
وغدت تخالف فى الخلافة أهلها ... وتقابل البرهان بالبهتان
وأتى زياد فى القبيح زيادة ... تركت يزيد يزيد فى الطغيان
وتسلقوا فى رتبة نبوية ... لم يبنها لهم أبو سفيان

ولما كان يوم الأربعاء حادى عشر شوال من هذه السنة توفى السلطان نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة بقلعة دمشق بعلة الجولنق، وكان عزمه التوجه إلى مصر وأخذها من صلاح الدين، وكان أسمر اللون طويل القامة، ليس له لحية إلا فى حنكه شعيرات، وكان حسن الصورة، وكان اتسع ملكه وخطب له بالحرمين واليمن لَّما ملكها توران شاه بن أيوب، وكان يخطب له بمصر، وكان مولده فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة. وطبق الأرض ذكره بحسن السيرة والعدل والشجاعة، وكان من الزهد والعبادة يقوم كثيرًا من الليل، وكان عارفًا بفقه الحنفية غير متعصب، وهو الذى بنى أسوار بلاد الشام: دمشق وحلب وحمص وشيزر وبعلبك لما هدمت بالزلازل.

وبنى المدارس الكثيرة الحنفية والشافعية.

وفيه أنشد:

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن الحراب فى المحراب

واستقر ولده إسماعيل بن نور الدين مكان أبيه ولقب الملك الصالح وخطب له بمصر والشام، وضربت السكة باسمه، وملك ابن عمه سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن زنكى بلاد الجزيرة مع الموصل.

وفى سنة سبعين وخمسمائة:

أرسل شمس الدين بن الداية المقيم بحلب يستدعى الصالح إسماعيل بن نور الدين من دمشق إلى حلب ليكون مقامه بحلب مع سعد الدين كمشتكين فأجابه إلى ذلك.

ولما استقر بحلب وثب كمشتكين على ابن الداية وابن الخشاب رئيس حلب وقبضهما واستقل بتدبير الملك الصالح، وكان طفلاً عمره ثنتا عشر سنة، وبلغ ذلك أهل الشام فخافوا من كمشتكين فكاتبوا صلاح الدين صاحب مصر فسار إليهم فى سبعمائة فارس، ووصل إلى دمشق والتقاه الناس وفرحوا به، ونزل فى دار أبيه أيوب المعروفة بدار العقيقى وسلمت إليه القلعة وصعد إليها، واستخلف عليها أخاه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، وسار إلى حمص وملكها، وسار إلى حلب وحاصر الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود ولم يقدر عليه، وبلغه أن الفرنج قصدوا حمص فعاد إليها، وسار إلى بعلبك فملكها، واستنجد الملك الصالح ابن نور الدين ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل، وجمع وقصد صلاح الدين، اجتمعوا على قرون حماه واقتتلوا قتالاً كبيراً، فانكسر الملك الصالح وتبعه صلاح الدين إلى حلب وحاصرهم بها، ثم صالحهم ورحل عن حلب إلى دمشق وقطع خطبة الملك الصالح واستبد بالسلطنة، ثم عاد فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وأخذ بزاعة وفتح منبج وأخذ عزاز، وهرب منه سيف الدين غازى صاحب الموصل، ونهب أمواله ونزل على حلب وحاصر الملك الصالح أيضًا، فأخرجوا إليه بنتًا صغيرة للسلطان نور الدين محمود فقبّلها وأعطاها شيئًا كثيراً وقال لها: ما تريدين، قالت: أريد قلعة عزاز فسلمها إليهم ورحل عن حلب فى العشرين من المحرَّم سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة، واستمر سائرًا إلى مصر، وقتل فى طريقه أهل مصيات وخربها، وأفنى الإسماعيلية، ثم صفح عمن بقى

منهم بشفاعة خاله شهاب الدين الحارمى.

ولما وصل إلى مصر أمر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة وطول السور تسعة وعشرون ألف ذراع، ولم يزل العمل فيه إلى أن مات. وأمر ببناء المدرسة التى على قبر الشافعى، وعمل بالقاهرة مارستانًا.

وفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائه:

سار السلطان صلاح الدين إلى سواحل الشام لغزو الفرنج، فوصل إلى عسقلان وتفرقت العساكر عنه للإغارة، فلم يشعر إلاَّ والفرنج قد قطعت عليه، فقاتل قتالاً شديدًا، وتمت الهزيمة على المسلمين، ووصل السلطان إلى مصر هاربًا بمن معه ولقوا شدة من العطش وهلك كثير من الدواب، وأخذت الفرنج العساكر الذين تفرقوا للإغارة أسرى.

قال الشيخ عز الدين بن الأثير مؤلف الكامل: رأيت كتابًا بخط السلطان صلاح الدين إلى أخيه توران شاه يذكر فيه الوقعة فى أوله:

ذكرتك والخطى يخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر

نجونا من الموت الرحى غير مرة وما يئست إلا وفى نفسها أمر

وجاء الفرنج إلى حماه وحاصروها، وكان بها شهاب الدين الحارمى نائبًا ورحلوا عنها بعد أن كادوا يأخذونها.

ومات شهاب الدين الحارمى من مرض كان به، وراحت الفرنج إلى حارم وحاصروها، فأرسل إليهم الملك الصالح مالاً ورحَّلهم عنها.

وفى سنة أربع وسبعين وخمسمائة:

أرسل السلطان صلاح الدين ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب إلى حماه، وابن عمه محمد بن شيركوه إلى حمص وأمر كلاً منهما بحفظ بلاده.

وفى هذه السنة: توفى الحيص بيص الشاعر واسمه سعد بن محمد بن سعد، ومن شعره:

لا تلمنى فى شقاى بالعلى رغد العيش كربات الحجال

سيف عز زانه رونقه فهو بالطبع عنى عن صقال

وفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة:

جهَّز سلطان الروم قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان عشرين ألف فارس لحصار شمس الدين بن المقدم بحصن رعبان، فركب إليه تقى الدين عمر بن شاهنشاه فى ألف فارس فكسرهم وانهزموا، وكان تقى الدين يفتخر بها ويقول: كسرت بألف عشرين ألفًا.

وفيها: فى ثانى ذى القعدة توفى المستضىء بأمر الله أبو الحسن بن يوسف المستنجد بالله، وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وخلافته نحو تسع سنين.

وبويع بالخلافة ولده الإمام الناصر لدين الله وهو رابع ثلاثتهم.

وفيها: انتقل توران شاه من بعلبك إلى الأسكندرية، وأضيفت إليه بلاد اليمن جميعها، واستمر بها إلى أن مات، واستقر فى بعلبك عز الدين فرح شاه بن شاهنشاه.

وفى سنة ست وسبعين وخمسمائة:

مات صاحب الموصل بالسُّل سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى، وكان عمره ثلاثين سنة.

وكانت ولايته عشر سنين وثلاثة أشهر، وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة عادلاً عاقلاً عفيفًا شديد الغيرة لا يدخل بيته إلا الخصيان الصغار. وأوصى بالمملكة بعده إلى ابن أخيه عز الدين مسعود بن مودود، وجزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجر شاه بن غازى.

وفيها: عاد السلطان صلاح الدين إلى مصر بعد أن كان سار إلى بلاد الروم مؤيدًا منصورًا واستخلف بدمشق ابن أخيه عز الدين فرح شاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك.

وفى سنة سبع وسبعين وخمسمائة:

عزم البرنس الفرنجى صاحب الكرك على المسير إلى مدينة النبى ﷺ والاستيلاء على تلك البقاع الشريفة، وجمع جموعه لذلك فبلغ عز الدين فرح شاه، فطلع إليه بعساكره وأغار على بلاده وفرَّق جموعه وانقطع عزمه عن المسير.

وفيها: توفى الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب وعمره نحو تسع عشرة سنة. وكان عفيفًا صالحًا تقيًا، وصف له الخمر فى مرضه الذى مات فيه

بالقولنـج فلم يذقه، وأوصى بحلب لابن عـمه عز الدين مـسعود بـن مودود بن زنكى صاحب الموصل، وجاء إلى حلب ثم استقر مكانه بحلب أخوه زنكى بن مودود صاحب سنجار، واستقر هو بالموصل وسنجار.

وفى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة:

سار السلطان صلاح الدين إلى الشام، واستخلف نصر الملك العادل أبا بكر أخاه.

ومن غريب مـا اتفق أنه لما خرج من القـاهرة وخرج مـعه الناس يودعـونه وأنشدت الشعراء فى ذلك أشياء لطيفة، وبينهم فقيه يُعلم أولاد السلطان أخرج رأسه من الجماعة وقال:

تودع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عداد

فتطير السلطان صلاح الدين وانقبض بعـد انبساطه، وتنكَّد المجلس على الحاضرين، ولم يعد صلاح الدين بعدها إلى مصر مع طول المدة.

وفيها: سيَّر السلطان صلاح الدين أخـاه طغتكين سيف الإسلام إلى اليـمن ليقطع ما صار بها من الفتن فعصى عليه نائبها حطَّان صاحب زبيد وعثمان الزنجبيلى بعدن فتلطف سيف الإسلام لحطان حتى قبضه وأخذ أمواله منها سبعون غلاق زردية مملوءة ذهبًا عينًا، فكان آخر العهـد بحطان. فلما بلغ عفان قصـد الشام، وسيَّر أمواله فى البحـر فأخذها أصحاب سيف الإسلام، وصفت بلاد اليمن لسيف الإسلام طغتكين بن أيوب.

وفيها: سار السلطـان صلاح الدين يوسف بن أيوب من دمشـق، ثم خرج إلى بلاد الجزيرة وملك الرها والرقـة والخابور جميعـه ونصيبين، وملك سنجـر وحاصر الموصل ومعه صاحب حصن كيفا، ومعه تاج الملوك توزى بن أيوب، ثم رحل عنها.

وفيها: توفى عـز الدين فرح شـاه بن شاهنشـاه بن أيوب بدمشق، وكـان نائبه بـها وببعلبك عن عمـه الملك الناصر صلاح الدين يوسف، وكان ثقـته من بين أهله، وكان شجـاعًا كريمًا فاضـلاً له شعر جـيد، ووصل خبـر موته إلى صـلاح الدين وهو ببلاد الجزيرة، فجـهز شمس الدين محمـد بن عبد الملك المقدم ليكون بدمشق. واسـتمر ولد فرح شاه بهرام شاه على بعلبك، وكان فيها نائبًا عن أبيه قبل وفاته.

وفيها: توفى الشـيخ أحمـد الرفاعى ـ رحـمه الله تعـالى ـ من سواد واسط، وكـان صالحًا عظيمًا، وله قبول عند الناس وتلامذته لا تحصى.

وفى سنة تسع وسبعين وخمسمائة:

حاصر صلاح الدين آمد وملكها وأعطاها لصاحب حصن كيفا نور الدين محمود بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق ملك عين تاب ولقى صاحبها عليها، ونازل حلب وحاصرها فاتفق معه صحابها عماد الدين زنكى على أن يسلمها إليه ويعارض عنها بسنجار ونصيبين والخابور على أن يحضر إليه بعسكره كلما طلبه، وتسلم حلب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى صفر من هذه السنة.

ومن الاتفاق العجيب أن القاضى محيى الدين بن الزكى قاضى دمشق مدح السلطان بقصيدة منها:

وفتحكم حلبًا بالسيف فى صفر ... مبشراً بفتوح القدس فى رجب

توافق فتح القدس فى رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وكان من جملة من قتل على حلب تاج الملوك توزى أخو السلطان صلاح الدين الأصغر وكان قد طعن فى ركبته، وكان السلطان فى دعوة عملها عماد الدين زنكى بسبب الصلح حافلة، فجاء شخص أسر إلى السلطان فى أذنه أن تاج الملوك مات فأمر بتجهزه سراً، ولم يعلم الحاضرين بذلك لئلا ينكد عليهم مع وجده العظيم عليه، وكان يقول بعد ذلك: ما وقعت علينا حلب رخيصة.

ثم تولَّ ولده الملك الظاهر غازى بحلب وسار إلى دمشق، ثم توجه إلى الغزو وأغار على شيشان وحرقها، وطلب أخاه الملك العادل أبا بكر فجاءه إلى الكرك وحاصرها مدة، ثم عاد إلى دمشق وأعطى أخاه الملك العادل أبا بكر حلب، وأعطى مصر لابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه، وأحضر ولده الملك الظاهر غازى إلى دمشق، وحاصر الكرك مدة أخرى وعاد سالمًا إلى دمشق.

وفى سنة ثمانين وخمسمائة:

مات سلطان الغرب أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن مغازيًا فى بلاد الفرنج، وحُمل على تابوت إلى إشبيلية. وكانت مدة ملكه ثنتين وعشرين سنة وشهراً.

وبويع ولده يعقوب بن يوسف وكنيته أبو يوسف.

وفيها: مات قطب الدين أبلغازى بن نجم الدين تمرتاش بن أبلغازى بن أرتق صاحب ماردين، واستقر بعده ولده بولق أرسلان.

وفيها: غزا السلطان صلاح الدين الكرك وقارب أخذها وأحرق نابلس وأسر كثيراً ونهب.

وفى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة:

سار إلى الموصل وحاصرها ورحل عنها وأخذ ميافارقين، ثم عاد إلى الموصل واصطلح مع صاحبها على أن يخطب لصلاح الدين على منابر الموصل وما بيده من البلاد وتضرب السكة باسمه واستقر الصلح، وأمنت البلاد، وعاد إلى دمشق بعد مرض أصابه فى الطريق أشرف منه على الموت، قيل: إنه لما بلغ ابن عمه محمد بن شيركوه نائب حمص ذلك فوقع فى نفسه موت صلاح الدين يوسف، وأرسل إلى بعض أكابر دمشق أنهم يسلمونها إليه إذا مات، وبلغ صلاح الدين ذلك، فلم يكن بعد قليل إلاً وأصبح محمد بن شيركوه متنافى فى داره بحمص، وكانت ليلة عيد الأضحى، قيل: إن صلاح الدين دسَّ عليه سُمًا واستقر ولده شيركوه مكانه.

وفى سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة:

أحضر السلطان صلاح الدين ولده الأفضل من عند ابن عمه تقى الدين عمر من مصر وأقطعه دمشق، وطلب الملك الأفضل تقى الدين عمر من مصر واستقر به بحماه وأضاف إليه منبج والمعرَّة وكفر طاب وميافارقين، وأحضر أخاه الملك العادل من حلب وجعل ولده العزيز عثمان معه وجهزه إلى مصر نيابة عنه.

وفى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة:

جمع السلطان صلاح الدين عساكره وتوجه إلى الغزو ونزل على الكرك وأرسل ولده الملك الأفضل مغيراً على عكا وبلادها، فغنم شيئًا كثيراً، ثم سار صلاح الدين إلى مدينة طبرية وفتحها بالسيف، وكانت للقرمص صاحب طرابلس، فجمع الفرنج وخرج لقتال صلاح الدين فسار إليهم صلاح الدين، والتقى الجمعان فكانت وقعة حطين المشهورة، نصر الله فيها المسلمين نصراً عظيمًا، وفتح سائر البلاد البحرية والجبلية وأباد المسلمون الفرنج قتلاً وأسراً، وجلس السلطان الملك صلاح الدين فى خيمة عظيمة وأحضر ملك الفرنج وأجلسه إلى جانبه، وكان عطشانًا، وكان البرنس صاحب الكرك إلى جانبه، فأحضر السلطان ماءًا باردًا أسقى منه ملك الفرنج، فسقى ملك الفرنج بعدما شرب البرنس، فقال السلطان: لم يشرب هذا الملعون بإذنى ليكون له أمانًا، ثم التفت

إليه وقال له: يا برنس لم غدرت بالمسلمين وقصدت الحرمين الشريفين وفعلت وفعلت، ونهض من وقتــه وضرب عنقه بيده فخـاف ملك الفرنج، فسكن السلطان جـأشه وأمره بالرحيل عن بلاد المسلمين، ثم ركـب السلطان وعاد إلى طبرية ففتح قلعتـها وفتح عكًا وسائر القلاع التى تليها، وفتح قلعة نابلس وصـيدا وبيروت وعسقلان والرملة وغزة وما يليهـا إلى القدس، ونازل القـدس وبه من النصارى مـا لا يعلم عددهم إلا الله تـعالى فضايقهم بالنقـابين، واشتد القتال وتعلق الفرنج بالسور فطلبوا الأمـان مرارًا فلم يجبهم وقال: لا آخذها إلا بالسيف كما أخذت من المسلمين ثم طلبوا الأمان فاشترط عليهم أن يعطى كل رجل بها عشرة دنانير وكل امـرأة خمسة دنانير وكل طفل دينارين، وكل من عجز عن الأداء كان أسيرًا، فـوقع الصلح على ذلك، وتسلم المسلمون القدس الشريف يوم الجمـعة سـابع عشرين رجب، ورفـعت الأعلام الإسـلامية عـلى الأسوار، ورتب السلطان على الأبواب من يقبض المال، وكان على رأس قبة الصخر صليب كبير مذهب فلما قلعه المسلمون كانت لهم ضجة عظيمة لم يسمع بمثلها.

وكانت الفرنج قد عملوا بالجامع الأقـصى مُستراحًا فأزاله السلطان وأعاد الجامع إلى ما كان، وأحـضر من حلب منبرًا عظيمًا كـان عمله نور الدين محمـود بن زنكى لبيت المقدس.

وأقام السلطان صلاح الدين بالقدس الشريف يرتب أموره، وأمر ببناء الربط ومدارس الشافعية، ورحل فى خامس عشرين شعبان.

وفى هذه السنة: توفى شمس الدين محمد بن عبـد الملك المعروف بابن المقدم شهيدًا حاجًا، ودفن بمقبرة العلى من وقـعة بين الحجاج الشاميين والعراقـيين بسبب أن شمس الدين بن المقدم كان أمير حاج الشاميين وقصد الإفاضة قبل العراقيين، فمنعوه من ذلك واستمر السلطان صلاح الـدين يفتح فى البلاد ويذهب الفرنج، ودخل حلب وهو على ذلك وسـبى على عكا ولم يدخل دمـشق إلا مارًا بهـا نحو خـمسـة أيام ونزل بحبـرة القدس.

وفى سنة أربع وثمانين وخمسمائة:

اجتمـعت عليه العسـاكر جميـعها منهم عمـاد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن آقـسنقر صـاحب سنجار ونصـيبـين ودخل بالعـساكـر فنزل على حصن الأكـراد وشن

الغارات، ثم رحل إلى أنطرسوس فوجد الفرنج قد أخلوها، فسار إلى جبلة وتسلّمها، وسار إلى اللاذقية وحصرها وتسلم قلعتها بالأمان، وسلمها إلى ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه فعمرها، وكان تقى الدين عظيم الهمة فى عمارة القلاع وتحصينها، وسار إلى صهيون فتسلمها بعد أن حاصرها فنزلوا على ما نزلوا عليه أهل القدس وسلمها إلى الأمير ناصر الدين منكورس صاحب قلعة أبى قبيس، وسار إلى الثغر وبكاس فتسلمها، ثم إلى برزية فحصرها وأخذها، ثم إلى الدرئسال فأخذها، ثم إلى بغراس فحصرها وأخذها، ثم قصد أنطاكية فأرسل صاحبها وكان عظيم ملوك الفرنج اسمه فلمير يطلب المهادنة، والتزم بإطلاق كل أسير عنده فأجابه السلطان إلى ذلك ثمانية أشهر، ثم سار السلطان صلاح الدين إلى حلب، ثم إلى الشام وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح أبا زكريا المغربى، وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة.

ودخل السلطان دمشق فى شهر رمضان، فأشار عليه أصحابه بتفريق عساكره ليستريحوا فقال: إن العمر قصير والأجل غير مأمون، وبلغه أن أخاه الملك العادل فتح الكرك بالأمان وتسلمها والشوبك وسائر الجهات، فسار إلى صفر وتسلّمها بالأمان، ثم سار إلى القدس وعمل فيه عيد الأضحى، وتوجه إلى عكًا فأقام بها حتى خرجت السنة.

وفيها: توفى محمد بن عبد الله الكاتب الشهير بابن التعاويذى الشاعر، وله أشعار حسنة منها ـ وقد صودر جماعة من الدواوين من جملة ـ قصيدة:

يا قاصداً بغداد عن بلدة	الجور فيها زجرة وعتاب
والناس قد قامت قيامتهم	فلا أنساب بينهم ولا أحساب
شهدوا معادهم فعاد مصدقًا	من كان قبل بيعته يرتاب
حشر وميزان وعرض جرائد	وصحائف منشورة وحساب
ما فاتهم من كل ما وعدوا به	فى الحشر إلا راحم وهّاب

وفى سنة خمس وثمانين وخمسمائة:

كان قد اجتمع فى صور سائر الفرنج الذين أخرجوا بالأمان فصاروا جمعًا كثيراً لا يحصى، وأرسلوا إلى بلادهم يستنجدون ملوكهم ويتوسلون إليهم بصورة المسيح

وبنساءهم، فاجتمع عدة ملوك منهم ووصلوا إلى عكا ونازلوها فى منتصف رجب من هذه السنة، واستمروا يحاصرونها إلى سابع جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة فإنهم كانوا مُحاصرين ومحصورين من السلطان صلاح الدين فإنه سار إليهم مرتين وقاتلهم قتالاً شديدًا، فلما عجز المسلمون وملّوا سلم الفرنج عكا بالأمان وغدروا وقتلوا من المسلمين خلقًا كثيرًا، وأسروا الباقى وتوجهوا إلى قيسارية، ووقع بينهم وبين المسلمين مصاف عظيم ترجحوا فيه، ثم سار إلى يافا وقد أخلاها المسلمون فملكوها وخرب السلطان صلاح الدين عسقلان خوفًا لئلا يحصل بها مثل عكا، وخرب حصن الرملة وكنيسة لُد، ثم سار إلى القدس وقرر أموره، ثم عاد إلى مخيمه بالنطرون ثامن رمضان سنة سبع وثمانين وخمسمائة، وتراسل الإفرنج والسلطان بالصلح على أن يتزوج الملك العادل أخو السلطان أخت ملك الإنكلتار، ويكون له القدس ولها عكًا، فحضر القسيسون ومنعوا من ذلك إلا أن يتنصر الملك العادل، فلم يتفق حال، وصارت المناوشة بين المسلمين والفرنج، وانتقل الفرنج من يافا إلى الرملة، وسار السلطان إلى القدس وأخذ فى عمارته وتحصينه.

وفيها: كان الملك المظفر تقى الدين عمر أوغل فيما وراء الفرات من أخذ البلاد والقلاع، وحصر بكتمر صاحب خلاط وأخذ معظم البلاد هناك، فمرض، ومات ليلة الجمعة حادى عشر رمضان، فأخفى ولده الملك المنصور محمد وفاته، وكان معه، ورحل عن بلاد كرد ووصل حماة ودفنه بظاهرها، وبنى إلى جانب التربة مدرسة مشهورة هناك، واستقر ولده على ما كان بيده خلا البلاد الشرقية فإنها استقرت للعادل.

وفيها: قدم معز الدين قنصر شاه بن قلبج بن أرسلان صاحب الروم إلى السلطان صلاح الدين فأكرمه وزوجه بابنة أخيه الملك العادل، وأعاده إلى ملطية، قال ابن الأثير: لما ركب السلطان صلاح الدين ليودع قنصر شاه ترجل قنصر شاه فترجل السلطان صلاح الدين، فلما ركب عضّده قنصر شاه وركبه، وكان علاء الدين بن عز الدين صاحب الموصل حاضرًا إذ ذاك فسوّى ثياب السلطان فقال بعض الحاضرين: ما بقيت تبالى يا ابن أيوب بأى موتة تموت، يركبك ملك سلجوقى ويصلح ثيابك ابن أتابك زنكى.

وفيها: قتل أبو الفتح يحيى بن حبيس بن أميرك الملقب شهاب الدين السهروردى الحكيم الفيلسوف بقلعة حلب محبوسًا، أمر بخنقه السلطان الملك الظاهر بأمر السلطان

صلاح الدين حين أفتى الفقهاء بإباحة دمه لما ظهر من سوء عقيدته، وكان كثير العلم قليل العمل.

قال الشيخ سيف الدين الآمدى: اجتمعت به فى حلب فقال لى: لابد أن أملك الأرض، فإنى رأيت فى المنام كأنى شربت ماء البحر، فقلت له: لعله العلم فأمسك عن هذا فوجد على. وكان عمره لما قتل ثمانيًا وثلاثين سنة، وكان قرأ الحكمة والأصلين بمراغة على شمس الدين الجيلى شيخ الإمام فخر الدين الرازى، وله عدة مصنفات فى الحكمة، وكان ينسب إلى معرفة السيمياء، وله نظم حسن منه:

أبدًا تحن إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والسراح

وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم إلى جميل لقاكم ترتاح

وارحمتا للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى وضاح

وفى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة:

وقعت الهدنة بين المسلمين والفرنج، وأعطى يده ملك الإنكلتار واعتذر عن الحلف بأن الملوك لا يحلفون وحلف سائر ملوك الفرنج وعظمائهم، ووصلت رسلهم إلى السلطان صلاح الدين فأعطى يده وحلف الملك العادل أخو السلطان والملكين الأفضل والظاهر ابنى السلطان، والملك المنصور صاحب حماة محمد بن تقى الدين عمر، والملك المجاهد شيركوه صاحب حمص، والملك الأمجد بهرام شاه بن فرحشاه صاحب بعلبك، وتوجه السلطان إلى القدس، ثم عاد إلى دمشق بعد أربع سنين، وفرح الناس به فرحًا شديدًا. وكانت الهدنة عامة البر والبحر مدتها ثلاث سنين وثلاثة أشهر، أولها أيلول الموافق لحادى عشر شعبان من تلك السنة وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج يافا وعملها وقيسارية وعملها وأرسوف وعملها وحيفا وعملها وعكا وعملها، وأن تكون عسقلان خرابًا، وأن تكون لُدّ والرملة مناصفة.

وفيها: توفى سلطان الروم عز الدين قلبج أرسلان بن مسعود بن أقلج أرسلان بن سليمان بن مطليوش بن أرسلان بن سلجوق. وكان ملكه فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وكانت هيبته عظيمة وعدله وافر وغزواته كثيرة، وكان له عشرة أولاد، كل واحد منهم ملك بقطر من بلاد الروم، وأكبرهم قطب الدين ملكشاه صاحب سبواس، أراد الانفراد بالسلطنة فهجم على أبيه قلبج أرسلان بن قليج بمدينة قونية فقبض عليه

وقال له: أنا بين يديك أنفذ أوامرك، فأشهد عليه أنه ولى عهده وسار مقبوضًا عليه إلى أخيه نور الدين سلطان شاه صاحب قيسارية، فخرج إليه عسكر قيسارية يقاتلونه، فوجد أبيه قلبج أرسلان فرصة حال اشتغال العساكر بالقتال فهرب ودخل إلى ولده سلطان شاه بقيسارية فأكرمه فرجع قطب ملكشاه إلى قونية وخطب لنفسه بالسلطنة، وبقى أبوه قلبج أرسلان يتردد فى المملكة بين أولاده، فلما كان عند ولده كيخسرو صاحب برغلوا جمع جمعًا كبيرًا، وأنفق أموالاً جزيلة، وسار إلى قونية فأخذها من ابنه ملك شاه بعد قليل، واستقر كيخسرو فى ملك قونية، ثم قوى عليه ركن الدين سليمان، وأخذ منه قونية، وهرب كيسخرو إلى الشام مستجيرًا بالملك الظاهر صاحب حلب.

ثم مات سليمان المذكور سنة ستمائة، وملك بعده ولده قلبج أرسلان بلاد الروم جميعًا، واستقرت له السلطنة إلى أن قتل، وملك موضعه ولده كيكاوس، ثم توفى كيكاوس وملك بعده السلطان علاء الدين كتغاد سنة أربع وثلاثين وستمائة، وملك ولده غياث الدين كيخسرو، وبقى إلى أن كسره التتر سنة إحدى وستين وستمائة.

وتضعضع ملك السلاطين السلجوقية، وانقضى بموت غياث الدين هذا ملك السلجوقية، وفرغت سلاطين الروم، وحكمت نواب التتر، ولم يبق للسلجوقية غير الاسم، فخطب لصبى منهم مدة، ثم انقطعت.

وفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة:

توفى السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بمرض حاد ليلة الأربعاء رابع عشرين صفر بقلعة دمشق، وولى تجهيزه القاضى الفاضل، والقاضى بهاء الدين بن شداد، وغسله خطيب دمشق، واجتمع الناس بالقلعة، وصلوا عليه فيها، ودفن بالقلعة، بالدار التى مرض بها، وحصل للناس حزن عظيم، وعزاء شديد، جلس فيه ولده الملك الأفضل نور الدين علىّ أكبر أولاده، وكان يتخلف له الناس فى مرض أبيه، وأرسل الكتب بوفاة والده إلى أخيه العزيز بمصر، وإلى أخيه الظاهر غازى بحلب، وإلى محمد العادل أبى بكر بالكرك فحضروا.

وجلس ابنه الأفضل ثلاثة أيام للعزاء بالجامع، وأنفقت أخته ست الشام أموالاً عظيمة، ولم يخلف السلطان صلاح الدين فى خزائنه غير سبعة وأربعين درهمًا، ولم يخلف دينارًا ولا عقارًا.

وقال العماد الكاتب: حسبت ما أطلقه فى مدة مقامه بمرج عكا فكان اثنى عشر ألف فرس، غير ما أطلقه من الأثمان، غير الخيل المصابة، ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به، ولم يؤخر صلاة عن وقتها، ولا صلى إلا فى جماعة، ولا يفضل يومًا على يوم، وكان حسن الخلق، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، طاهر المجلس واللسان.

قال العماد الكاتب: مات بموت السلطان الرجال، وفات بفواته الأفضال، وغاضت الأيادى، وفاضت الأعادى، وفجع الزمان بواحده وسلطانه، وزوى الإسلام بمشيد أركانه.

وكان مولده ـ رحمه الله ـ بتكريت فى سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة، ومدة ملكه بالشام قريبًا من تسع عشرة سنة، والديار المصرية قريبًا من أربع وعشرين سنة، وخلف سبعة عشر ولدًا ذكرًا وبنتًا واحدة، بقيت حتى تزوجها ابن عمها الملك الكامل بمصر.

ذكر أولاد الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب واستقرارهم بالبلاد المصرية والشامية وغير ذلك:

واستقر بدمشق وبلاده ولده الملك الأفضل نور الدين علىّ، وبالديار المصرية ولده الملك العزيز عثمان، كان أصغر من الأفضل بسنتين، وبحلب ولده الملك الظاهر غياث الدين غازى أصغر من العزيز، وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية أخوه الملك العادل سيف الدين أبو بكر، وبحماة وسلمية ومنبج والمعرة وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر، وببعلبك الملك الأمجد بهرام شاه بن فرح شاه بن شاهنشاه بن أيوب، وبحمص والرحبة وتدمر شيركوه بن شادى.

وفيها: توفى عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل فى سابع عشرين شعبان، وكان مدة ملكه الموصل ثلاثة عشر سنة ونصفًا، وكان دينًا خيرًا كثير الإحسان، أسمر، خفيف العارضين، يشبه جده زنكى، واستقر مكانه ولده أرسلان.

وفيها: قتل بكتمر صاحب خلاط، وكان قد أظهر الشماتة بموت صلاح الدين ودق البشائر، ولقب نفسه الملك صلاح الدين، وسمّى نفسه عبد العزيز، فمات بعده بشهرين مقتولاً، وملك بعده أخلاط هزار دينارى.

وفى سنة تسعين وخمسمائة:

قتل طغرلبك بن أرسلان شاه بن طغر لـبك بن محمد بن ملك شاه بن ألب أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق، وهو آخر الملوك السلجـوقية، قتله تتش فى الحرب، وملك بلاد العـجم جميـعهـا، وكان ابتـداء الدولة السلجوقـية فى سنة اثنتـين وثلاثين وأربعمـائة، أول من ملك منهم العـراق وأزال دولة ابن بويه طغر لبك بن مـيكائيل بن سلجوق.

وفيها: ظهرت الوحشة بين الأخـوين العزيز والأفضل ولدى السلطان صلاح الدين، وسار العزيز بعساكر مصر والأفـضل بدمشق، فأرسل إلى عمه العادل، وأخيه الظاهر، وابن عمه المنصور، فحضروا وأصلحـوا بينهما ورجع العزيز إلى مصر، وكل ملك إلى بلده، وانهمك الأفـضل على المعاصى، وفوض الأمر إلى وزيره ضيـاء الدين بن الأثير الجزرى يدبر برأيه الفاسد، ثم تاب الملك الأفضل وواظب على الصلاة، ونسخ مصحفًا بيده.

وفى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة:

غزا ملك العرب يعـقوب بن يوسف بن عبد المؤمن غزوة عظيمـة فى الفرنج، وقتل وأسر ما لا يحصى.

وفيها: قصـد العزيز أيضًا دمـشق، ثم رجع عنها من الطريق، فـخرج إليـه الأفضل وتبعه هو وعمه العادل، ووصلا بلبـيس وخرج القاضى الفاضل من القاهرة إلى العادل وأصلح بينهم، وعاد الأفضل، وأقام العادل عند العزيز بمصر، وتزهد وقنع.

وفى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة:

فرغت التربة التى كان بناها لأبيه السـلطان صلاح الدين بالقرب من الجامع، وكانت دار الرجل الصالح، فنقله من القلعة إليها، وكانت مدة لبثه بالقلعة ثلاث سنين.

وفيها: كثرت البلوى من ضـياء الدين بن الأثير الجزرى، واخـتلفت الأحوال، فبلغ ذلك الملك العادل والملك العزيز بمصـر، فاتفقا على أخذ دمشق، وسارا إليـها وحاصرا الأفضل، ودخـلا دمشق، الملك العـزيز من باب الفرج، والملك العـادل من باب توما، وأنزل الأفضل من القلعـة، واستقر بدمـشق العادل، وعاد العزيز إلى مـصر، وضربت السكة باسم العزيز، والخطبة أيـضًا، وسار الأفضل إلى صرخد واستـوطنها وكتب إلى

الخليفة الإمام الناصر يشكوا ابن عمه أبى بكر وأخيه عثمان.

أول الكتاب: مولاى إن أبا بكر وصاحبه عثمان قد أخذا بالظلم حق علىّ، فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقى من الأواخر ما لاقى من الأوائل، فكتب جوابه الإمام الناصر:

غصبوا عليًا حقه إذ لم يكن ... بعد النبى له بيثرب ناصر

فاصبر فإن غدًا عليه حسابهم ... وأبشر منًا صول الإمام الناصر

وفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة:

توفى ملك شاه بن تكش بنيسابور، وكان أبوه خوارزم شاه تكش قد جعله فيها، فجعل ولده الآخر قطب الدين محمد عوضه، وهو الذى ملك بعد أبيه، وغير لقبه إلى علاء الدين.

وفيها: توفى سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب صاحب اليمن بزنبك، وكان مضيعًا على رعيته، جمع أموالاً عظيمة فى ذات طواحين ذهبًا أحمر، واستقر ولده المعز إسماعيل.

وفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة:

توفى عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن آقسنقر صاحب سنجار والجابور والرقة، وكان حسن السيرة، محبًا فى العلماء، وملك بعده ولده قطب الدين محمد.

وفيها: توفى هزار دينارى صاحب خلاط، ووقع فيها خباط إلى أن أخذها الملك الأوحد أيوب بن الملك العادل ابن أبى بكر بن أيوب بن شادى، واستمرت معه ثمان سنين.

وفيها: توفى الملك العزيز عثمان بن الناصر صلاح الدين يوسف صاحب مصر بها، وكان عمره سبعًا وعشرين سنة وشهرًا، وملكه ست سنين إلا شهرًا، وكان محسنًا إلى الرعية، حسن السيرة، واستقر موضعه ولده الملك المنصور محمد وعمره تسع سنين، وجاء إليه عمه الأفضل من صرخد يريده، ثم قصد الأفضل بعد مدة دمشق لما بلغه أن الملك العادل توجه منها وهو محاصر ماردين فبلغ ذلك الملك العادل، فترك على حصار ماردين ولده الملك الكامل وسبق الأفضل إلى دمشق.

ثم وصل الأفضل إلى دمشق وحاصرها، وجاءه أخواه الظاهر صاحب حلب وعاونه

على ذلك وقاربا أخذ دمشق فوقع بينهما الخلاف بسبب مملوك كان للملك الظاهر اسمه أيبك عدم، فأرسل إليه العادل من المدينة يقول له: إن أخاك الأفضل أفسده، وهو مغيب عند محمود السكرت، فقبض الظاهر على محمود المذكور فوجد الغلام عنده، فتغير على أخيه الأفضل وتفرقا عن حصار دمشق، فخرج العادل وتبع الأفضل إلى مصر، فخرج إليه الأفضل، فانكسر هاربًا إلى القاهرة، فنازلها ثمانية أيام، ثم تسلمها وصار مدبرًا لابن أخيه الملك المنصور محمد مدة يسيرة، ثم عزله واستقر فى السلطنة بمصر.

وتوجه الأفضل إلى صرخد حيث كان أولاً، واستقر بدمشق ثانيًا ولده المعظم عيسى، وكاتب الملك الظاهر صاحب حلب عمه الملك العادل، واعتذر إليه وصالحه، وجعل الخطبة والسكة باسمه.

وفى أثناء هذه المساحرية توفى القاضى الفاضل، قال ابن الأثير: كان دخول العادل القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخرة سنة ست وتسعين وخمسمائة، ثم توفى القاضى الفاضل قبل ذلك بيوم واحد، وكان عمره نحو سبعين سنة، وفضله وأدبه مشهور، واسمه عبد الرحيم.

وفى السنة التى قبلها:

مات يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك العرب، وكانت ولايته خمس عشرة سنة، وعمره ثمانيًا وأربعين سنة، وكان ظاهرى المذهب، وكان لقبه المنصور واستقر بعده مكانه ولده الناصر محمد، وعبد المؤمن وبنوه كلهم كانوا يسمون أمير المؤمنين.

وفيها: توفى محمد بن عبد الملك بن زهير الطبيب الأندلسى، وهو الذى قيل فيه:

قل للوباء أنت وابن زهير ... قد حزتما الحد فى النكاية
ترفقا بالورى قليلاً ... فى واحد منكما كفاية

وفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة:

جاء السلطان الملك الظاهر صاحب حلب، وانضم إليه أخوه الأفضل، وحصرا دمشق على أن تكون للأفضل، ثم يسيرا إلى مصر فتكون للظاهر، وبلغ ذلك العادل فتوجه إليها وأقام على نابلس، ولم يجسر عليهما، فلما قاربا أخذ دمشق أوقع الله فى قلب الظاهر حسد أخيه الأفضل، فقال له: اعكس المسألة واجعل دمشق لى ومصر

لك، فامتنـع وانقلب الأمر، إلا أنهم كانوا يقاتلون لأجل الأفـضل، فرحل الظاهر عن دمشق من أول المحرم سنة ثمان وتسعين وخمـسمائة، وسار الأفضل إلى حمص، وكان قد سبقه أهله إليها فى سنة سبع المذكورة.

وتوفى العماد الكاتب محمد بن عبد الله بن حـامد الأصفهانى، وله الفضل الكثير، والمصنفات العديدة، منها: خريدة العصر وجريدة القصر، ومنها: البرق الشامى.

وفيها: توفى سعمان بن محمد بن قـرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيـفا، وقع من سطح ومات، وملك بعده أخوه مـحمود بعد فتـرة، وكان بمصر غلاء شديد، وبالشام زلزلة عظيمة.

قال الذهبى: وما ظن الناس إلا أن القيامة جاءت دفعتين دامت الواحدة مقدار ساعة وأزيد، وقيل: أن عـفار لم يسلم بها سـوى رجل، ونابلس لم يبق بها حـائط، ومات بمصر تحت الردم خلق كـثير، وذكر أيضًا أن فى هذه السنة كان بمصـر وباء عظيم بحيث قال: ولقد كان ببلد أربعمائة نول للحياكة، فلم يبق بها ناقح بلد.

وفيها: توفى أبو الفرج عبد الرحمن على بـن الجوزى الحنبلى الواعظ المشهور، وكان مولده سنة عشر وخمسمائة، قال السلطان عماد الدين: كان كثير الوقيعة فى العلماء.

وفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة:

قتل الملك المعز إسماعيل بن سيف الإسلام بن طغتكين بن أيوب، قتله الأمراء لهوج كان به حمله على أنه ادعى أنه من بنى أمية، ولبس الخـضرة، وخطب لنفسه بالخلافة، وعمل طول كمه عشـرين شبرًا، وأقاموا فى المملكة أخا له صغيـرًا وسموه الناصر، ثم سمه بعض الأمراء وبقيت اليمن بغيـر سلطان، وانحازت أم الناصر إلى زبيد، وجمعت الأموال منتظرة من يقدم عليها من بنى أيوب.

وكان للملك المظفر تقى الدين عمر بن شـاهنشاه بن أيوب ولد اسمه شاهنشاه، وله ولد اسمه سليـمان، وكان قد خرج هذا سليمـان بن شاهنشاه فقيـرًا يحمل الركوة على كتفه، ويسبح مع الفقراء، فوجده غلام لأم الناصـر بمكة، فأحضره معه إليها، فتزوجت به وملكته بلاد اليمن، فملأها ظلمًا وجورًا، وأعرض عن زوجته أم الناصر، وكتب إلى عم جده السلطان الملك العادل كتابًا أوله إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، فاستدل به على قلة عقله.

وفيها: أخرج السلطان الملك العادل محمد المنصور بن عثمان من مصر، فسار بوالدته وإخوته إلى الظاهر بحلب.

وفى سنة إحدى وستمائة:

استولت الفرنج على قسطنطينية وأخذوها من الروم، واستمرت مع الفرنج إلى سنة ستين وستمائة، فاستعادها الروم من الفرنج.

وفى السنة التى قبلها:

كانت زلازل عظيمة، عمت مصر والشام وبلاد الروم، وقبوس والعراق، وخربت فيها مدينة صور.

وفيها: استولت الفرنج على مدينة فوة ونهبوها خمسة أيام.

وفى سنة أربع وستمائة:

ملك الملك الأوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل خلاط وأعمالها، ووصلت خلعة الإمام الناصر الخليفة ببغداد، وتقلده الملك العادل بدمشق صحبة الشيخ شهاب الدين السهروردى فلبسها، ولبس أيضًا ولده خليل؛ والملك المعظم، وخوطب الملك العادل شاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين.

وتوجه شهاب الدين السهروردى إلى مصر، فخلع على الملك الكامل وجرى بها نظير ما جرى بدمشق من الاحتفال.

وفى سنة خمس وستمائة:

قتل غياث الدين محمود بن غياث الدين بن سام بن الحسين، واستقامت خراسان كلها لمحمد خوارزم شاه بن محمد بن تكمين، وكان هذا غياث الدين محمود شجاعًا كريمًا، وكان آخر الملوك الغورية، وكانت دولته آخر الدول.

وفيها: توجه الملك الأشرف موسى ابن السلطان الملك العادل من دمشق إلى البلاد الشرقية، واجتاز بحلب، فأكرمه الملك الظاهر، وتلقاه أمراء الملك الظاهر بإجراء قلعة جيلان إلى حلب، وأصرف عليها مالاً كثيرًا.

وفى سنة ست وستمائة:

توفى الملك المؤيد نجم الدين مسعود ابن السلطان صلاح الدين.

وفيها: توفى الإمام فخر الدين محمد بن عمر خطيب الرى ابن الحسين بن الحسن بن على التميمى البكرى الطبرستانى الرازى المولد الفقيه الشافعى.

قال ابن الأثير: بلغنى أن مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وكان يعظ الناس بالعربى والعجمى، وكان له اليد الطولى فى العلوم خلا العربية، وسافر البلاد، وصحب الملوك، وجرت بسببه فتنة عظيمة بمصر، فإن غياث الدين كان بالغ فى إكرام الإمام فخر الدين، وبنى له مدرسة بهراة، فعظم ذلك على أهلها الكرامية الذين مذهبهم التجسيم والتشبيه، فاتفق أن العلماء الكرامية والحنفية والشافعية حضروا عند غياث الدين للمناظرة وحضر فخر الدين الرازى والقاضى عبد المجيد بن القدوة، وهو أكبر الكرامية وأعلمهم وأزهدهم، فتكلم الرازى، فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام.

وقام غياث الدين فاستطال الرازى على ابن القدوة وشتمه فغضب لذلك الملك ضياء الدين ابن عم غياث الدين وذم فخر الدين ونسبه إلى الزندقة والفلسفة عند غياث الدين، فلم يصغ إليه، فلما كان الغد وعظ الناس ابن القدوة فى الجامع فحمدل وصلى وقال: ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول، أيها الناس إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله ﷺ وأما علم أرسطو، وكفريات ابن سينا، وفلسفة الفارابى، فلا نعلمها، فلأى حال يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن دين الله وسنة نبيه، وبكى فبكيت الكرامية، واستغاثوا، وثار الناس من كل جانب، وامتلأت البلد فتنة وبلغ السلطان غياث الدين، فسكن الفتنة، ووعد الناس بإخراج فخر الدين، ثم أمره بالعود إلى هراة فعاد إليها، ثم عاد إلى خراسان، وحظى عند السلطان خوارزم شاه بن محمد ابن تكمين، وله نظم حسن منه:

نهاية إقدام العقول عقال	وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا	وحاصل دنيانا أذى ووبالُ
ولم نستفد فى بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة	فبادوا جميعًا مسرعين وزالوا

وفيها: توفى مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، وهذا هو أخو عز الدين المؤرخ صاحب الكامل، ومولده سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وكان فقيهًا أصوليًا لغويًا محدثًا.

وفيها: توفى المجيد المطرزى النحوى، وكان إمامًا فى النحو، وله التصانيف.

وفى سنة سبع وستمائة:

قصدت الكرج خلاط وحصروا الملك الأوحد أيوب بن الملك العادل بها، واتفق أن ملك الكرج سكر وتقدم فى عشرين فارسًا وخرجت إليه المسلمون فتقنطرت به فرسه، وأمسك أسيرًا، فافتدى نفسه بعدة قلاع، وإطلاق خمسة آلاف أسير من المسلمين، ومائة ألف دينار وعقد الهدنة ثلاثين سنة، وزوج ابنته للملك الأوحد، وأطلق.

ثم بعد قليل مات السلطان الملك الأوحد، واستقر مكانه أخوه الملك الأشرف مضافًا لما بيده من البلاد الشرقية وعظم شأنه، ولقب شاه أرض.

وفيها: توفى نور الدين أرسلان شاه ابن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل، وكان ملك الموصل سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرًا، واستقر مكانه ولده الملك القاهر عز الدين مسعود.

وفيها: قتل غياث الدين كبخسرو صاحب بلاد الروم، وملك بعده ابنه كيكاوس.

وفى سنة ثمان وستمائة:

توفى الفاضل الرئيس المشهور هبة الله بن جعفر بن شاه الملك، وله الأشعار الحسنة، منها:

لا الغصن تحكيك ولا الجود ... وحسنك مما كثروا أكثر
يا باسمًا أهدى لنا ثغره ... عقدًا ولكن كله جوهر
قال لى اللاحى أما تستمع ... فقلت للاحى أما تنظر

وفى سنة تسع وستمائة:

عقد عقدة للملك الظاهر صاحب حلب على ضيفة خاتون بنت الملك العادل، وكان المهر خمسين ألف دينار، واحتفل الظاهر بلقائها حين قدمت عليه من الشام.

وفى سنة عشر وستمائة:

قتل كيكاوس عمه طغرابك وأخذ بلاده.

وفيها: توفى ملك العرب محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وكانت مدة ملكه ست عشر سنة، واستقر مكانه ولده يوسف، ويلقب بالمستنصر أمير

المؤمنين.

وفيها: توفى عيسى بن عبد المؤمن الجزولى النحوى صاحب الجزولية التى حوت نحواً كثيراً، وجزولية: بضم الجيم بطن من البربر.

وفى سنة إحدى عشرة وستمائة:

توفى الشيخ على بن أبى بكر الهروى، وتربته معروفة ظاهر حلب دار غالب المعمور، وكان عارفًا بالشعبذة والكيمياء.

وفى سنة اثنتى عشرة وستمائة:

جهز الملك الكامل ابن الملك العادل ولده الملك المسعود يوسف إلى اليمن، فملكها وأمسك سليمان بن شاهنشاه وأرسله إلى مصر، فأجرى عليه الملك الكامل نفقة إلى أن خرج معاديًا للمنصور، فقتل شهيداً فى سنة تسع وأربعين وستمائة.

وفيها: توفى الوجيه: هو المبارك بن أبى الأزهر سعيد بن الدهان النحوى الضرير، وكان فاضلاً حنبليًا فصار حنفيًا، ثم صار شافعيًا، فقال فيه أبو البركات زيد الكرينى شعراً:

ألا مبلغ عنى الوجيه رسالة ... وإن كانت لا تجدى إليه الرسائل

تمذهبت للنعمان من بعد أحمد ... وفارقته إذ أعوزتك المآكل

وما اخترت رأى الشافعى تدينًا ... ولكنما تهوى الذى هو حاصل

فعما قليل أنت لا شك صائر ... إلى مالك فافطن لما أنا قائل

وفى سنة ثلاث عشرة وستمائة:

توفى الملك الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب صاحب حلب، توفى ليلة العشرين من شهر جمادى الآخرة، وكان مولده فى منتصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة بمصر، وكانت مدة ملكه بحلب منذ وهبها له أبوه إحدى وثلاثين سنة، واستقر بعده بحلب ولده الملك العزيز وعمره سنتان، فإنه كان لما اشتد مرضه حلف الناس أن تكون بعده حلب لولده الصغير الملك العزيز ويدبره شهاب الدين طغرلبك الخادم، وأن تكون من بعد العزيز لولده الكبير الصالح صلاح الدين أحمد، ومن بعدهما لابن عمهما الملك المنصور محمد ابن العزيز عثمان ابن السلطان الملك العزيز صلاح الدين.

ولما علم كيكاوس صاحب بلاد الروم بموت الظاهر أرسل إلى الملك الأفضل وهو بسميصاط ليس بيده غيرها، واتفقا على أخذ حلب وبلادها وتسليمها إلى الأفضل، ثم يتوجهان إلى البلاد الشرقية ويأخذانها من يد الأشرف ابن العادل، ويتسلمها كيكاوس.

وتوجها نحو حلب فانفرط الأمر منهما ولم يصلا إلى ذلك، وعاد الأفضل إلى سميصاط وعرف بها ولم يتحرك بعدها إلى أن مات الملك القاهر صاحب الموصل عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر، وكانت مدة ملكه تسع سنين وتسعة أشهر، وانقرض بموته ملك البيت الأتابكى زنكى، فإنه كان أوصى بالملك لولده أرسلان شاه وعمره عشر سنين، فقبض عليه مدبره لؤلؤ واستبد بالملك لنفسه وبعده بقليل مات.

ثم مات أخوه، ثم مات عمه صاحب سنجار قطب الدين محمد بن زنكى بن مودود ابن زنكى بن آقسنقر، واستقر ولده شاهنشاه مكانه يسيراً، ثم وثب عليه أخوه فذبحه، وانقرضوا جميعًا واستقر بملك الموصل بدر الدين لؤلؤ من سنة تسع عشر إلى سنة نيف وستين وستمائة، وتسمى بالملك الرحيم.

وفيها: توفى العلامة أبو اليمن زيد الكندى الحنفى، كتب إليه أبو شجاع الدهان الفرضى شعراً:

يا زيد زادك ربى من مواهبه	نعمًا يقصر عن إدراكها الأمل
لا غير الله حالاً قد حباك بها	فإن رتب النحاة الحال والبدل
النحو أنت أحق العالمين به	أليس باسمك فيه يضرب المثل

وفى سنة خمس عشرة وستمائة:

توفى الملك القاهر عبد الله بن مسعود.

وفيها: قصد ملك الروم قلب العضد العزيز، واستدعى الملك الأفضل كما تقدم، ولم يتم ذلك.

وفيها: توفى الملك العادل أبو بكر بن أيوب بعقبة فيه، ولد سنة أربعين وخمسمائة، وكانت مدة ملكه لدمشق ثلاثًا وعشرين سنة، ومدة ملكه لمصر نحو تسع عشرة سنة، وحين توفى كان ولده الكامل بالقاهرة عاقلاً حكيمًا صبوراً مكاراً، خلف ستة عشر ولدًا ذكراً غير البنات، لم يسر أحد من الملوك ما سر هو بهم، ولم يكن أحد منهم حاضراً

موته، لكن حضر إليه ولده الملك المعظم عيسى، وكان بنابلس وكتم موته وأخذه فى محفة وعاد به إلى دمشق، واحتوى على جميع ما كان مع أبيه من الجواهر والخيول والسلاح، وحلف أهل دمشق لنفسه وكتب بموت أبيه إلى أخوته، وكان فى خزائنه سبعمائة ألف دينار عين، ومما مدح به فى قصيدة لابن عنين منها:

ماذا على طيف الأحبة لو سرى	وعليهم لو سامحونى بالكرى
العادل الملك الذى أسماؤه	فى كل ناحية تشرف منبرا
ما فى أبى بكر لمعتقد الهدى	شك يريب بأنه خير الورى
بين الملوك الغابرين وبينه	فى الفضل ما بين الثريا والثرى
لا تسمعن حديث ملك غيره يرى	فكل الصيد فى جوف الفرا
ولا توفى كل أرض منهم	ملك يجر إلى الثرى
من كل وضاح الجبين يخاله	بدرًا فإن شهد الورى فغضنفرا

وفيها: توفى الإمام أفضل الدين محمد بن محمد بن محمد بن العهدى الحنفى الفاضل الكبير المصنف لكتاب الإرشاد فى الخلاف، شيخ نظام الدين أحمد بن محمود الحصرى والشيخ نظام الدين، قتله التتر بنيسابور عند خروجهم سنة ست عشرة وستمائة.

وفى هذه السنة: أعنى سنة ست عشرة وستمائة:

أرسل الملك المعظم صاحب دمشق إلى بيت المقدس بجرف أسواره خوفًا من الفرنج.

وفيها: هجم الفرنج على دمياط وأخذوها وأسروا وجعلوا الجامع كنيسة، فبنى الملك الكامل مدينة عند تفرق البحرين الأخر أحدهما إلى دمياط والآخر إلى أشمون وسماها المنصورة.

ولما ظهرت التتر فى هذه السنة خربت كثيراً من بلاد المسلمين، وقتلوا وأسروا، هم من ناحية، والفرنج من ناحية، ورجف المسلمون وأصيبوا مصابًا عظيمًا قال السلطان عماد الدين: لم يفجع المسلمون منذ ظهور دين الإسلام بمثلها، وكان ملك التتر جنكزخان صاحب الصين استولى على الملك بسيفه، وانتزعه من الطورخان أول ما دخلوا بلاد العجم، وعاثوا فيه وقتلوا كل من كان من بخارى، واستولى جنكزخان على ما وراء النهر.

وفيها: توفى الملك العادل عز الدين كيكاوس بن كبخسرو بن قلبج بن أرسلان صاحب الروم، وملك مكانه أخوه كيقاد.

وفيها: توفى الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة بقلعتها، وكان شجاعًا عالمًا كان فى خدمته نحو مائتين فقيه ونحوى وصنف عدة مصنفات، منها المضمار فى التاريخ وطبقات الشعراء، وكان ينظم الشعر.

ولما توفى السلطان محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق صاحب آمد، واستقر بعده ولده الملك المسعود إلى أن أخذها منه السلطان الملك الكامل.

وفى سنة ثمان عشرة وستمائة:

طغت الفرنج فى أخذ البلاد المصرية، ورحلوا إلى المنصورة، وطلب الملك الكامل صاحب مصر الملك المعظم من دمشق والملك الأشرف من الشرقيات والملك القاهر من حماة، والملك الأمجد من بعلبك، والملك المجاهد من حمص، فلحقوه وهو فى قتال الفرنج على المنصورة ومعهم عسكر كبير تفوق المسلمون وضعفت الفرنج بعد أن اشتد القتال حتى تعب المسلمون غير مرة يطلبون الصلح على أن يسلموا القدس للفرنج، وكذلك كل مدينة فتحها صلاح الدين ما عدا الكرك والشوبك ودمياط، فأبوا إلا عليها، وعلى ثلثمائة ألف دينار عوضًا عن تخريب الملك المعظم سور القدس، فعبر جماعة من المسلمين من بحر المحلة إلى الأرض التى عليها الفرنج، ففجروا فرجة عظيمة من النيل وكان من زيادته، فركب الماء تلك الأرض وحال بين الفرنج وبين دمياط وانقطعت المسيرة عنهم فهلكوا جوعًا، وطلبوا الصلح الذى كانوا سألوه وأن ينزلوا عن جميع ما بذله المسلمون لهم، وعن دمياط، ويعقدوا الصلح.

وكان الكامل قد هجر له مدة ثلاث سنين يقاتلهم، فأجابهم إلى ذلك، ووقع الصلح، وأخذ منهم ملوكًا رهناء، وأعطاهم ولده الملك الصالح أيوب رهنًا، وتسلمت المسلمون دمياط فى تاسع رجب.

وفيها: اتفق أن أمير مكة قتادة بن إدريس العلوى الحسينى أرسل عسكرًا مع أخيه، ومعه ابنه الحسن بن قتادة لأخذ مدينة النبى ﷺ من صاحبها، فوثب الحسن فى أثناء الطريق على عمه فقتله وعاد إلى مكة فخنق أباه، وأرسل إلى أخ له بالينبع فأحضره إليه وقتله، وكان عمر قتادة حين خنقه ولده نحو تسعين سنة، وكان له شعر حسن، منه ما

أجاب به حين عوتب على امتناعه من الحضور إلى أمير الحاج العراقى:

ولى كف ضرغام أصول ببطشها ... وأشرى بها بين الورى وأبيع

تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها ... وفى وسطها للمجدبين ربيع

أأجعلها تحت الرحائم أبتغى ... خلاصًا لها إنى إذًا لرقيع

وما أنا إلا المسك فى كل بلدة ... يضوع وأما عندكم فيضيع

وفى سنة تسع عشرة وستمائة:

انتزع الملك المسعـود يوسف صاحب اليمن مكة ـ شرفهـا الله تعالى ـ من الحسن بن قتادة.

وفيها: توفى الشيخ يونس بن يوسف بن مساعد الصـالح الكبير صاحب الكرامات، وهو الذى ينسب إليه اليونسية.

وفى سنة عشرين وستمائة:

توفى المستنصر صاحب العرب، ولم يخلف ولدًا واسـتقر مكانه عم أبيه عبد المؤمن جد ابن يوسف بن عبـد المؤمن، وكان حرفوشًا فانهمك على اللذات، فـخلع، واستقر مكانه بعد تسعـة أشهر ابن أخيه عـبد الله، ولقب بالعادل وهو عبـد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن.

وفى سنة إحدى وعشرين وستمائة:

استولى غيـاث الدين نصر شاه من خوارزم شاه مـحمد بعد غيبة أخـيه جلال الدين على بلاد فارس، وسكن شيـراز كرسى فارس، وأزاح عنها صاحبهـا الأتابك سعد بن دكلا، فلما جـاء أخوه جلال الدين من الهند فى السنة التى بعدهـا ملك عراق العجم، وأعاد شـيراز إلى صاحبـها سعد بن دكـلا، وقويت شوكة جـلال الدين، وعظم أمره، وخافه الخليفة ببغداد، وأخـذ تبريز، وهرب منه صاحب أذربيجان مظفر الدين أربل بن البهلوان، وثبت على قـاضى تبريز وقوع طلاق ابن البهلوان على زوجـته بنت السلطان طغرلبك آخر ملوك السلجـوقية، وتزوجها السلطان جـلال الدين وعظم أمره، واتسعت ممالكه فى هذه السنة ـ أعنى سنة ثنتى وعشرين وستمائة ـ.

وفيها: توفى الملك الأفـضل نور الدين على ابـن السلطان صـلاح الدين يوسف بن أيوب فجأة، وعمـره سبع وخمسون سنة، وكان حسن الفـضائل والأخلاق، وأنشد فى

سوء حظه:

يا من يسوّد شعره بخضابه لعساه من أهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظى مرة ولك الأمان بأنها لا تنصل

وأنشد أيضًا:

أى صديق سألت عنه ففى ذل وتحت الخمول فى الوطن
وأى ضد سألت حالته سمعت ما لا تحبه أذنى

وأبياته إلى الخليفة تقدمت.

وفيها: توفى الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد ابن المستضىء حسن ابن المستنجد يوسف ابن المصفى محمد ابن المستظهر أحمد ابن المقتدى.

ولما توفى كان ولده الملك المظفر المعهود إليه بالسلطنة عند خاله الملك الكامل بمصر فى الجهاد، وكان ولده الآخر الملك الناصر صلاح الدين قلبج أرسلان عند خاله الآخر الملك المعظم صاحب دمشق، معه بالساحل فى الجهاد، فاستقر به أهل حماة، واستلانوا جانبه وكاتبوه، فحضر وملك حماة وعمره تسعة عشرة سنة.

وفيها: توفى خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكين بن أرسلان هاربًا من التتر، وكان قد اتسع ملكه وعظم محله، ملك من حد العراق إلى تركستان، وغزنة وسجستان وكرمان، وكرسان وجُرجان وخراسان وفارس، وكان عالمًا بالفقه والأصول، ورجع التتر حين أنبئوه، فأخذوا ماريدران وقتلوا أهلها، وكذلك فعلوا بالرى وهمدان ومراغه، وخراسان، وخوارزم، وفعلوا بهذه من قتل العلماء والصلحاء وتحريق المصاحف وتخريب الجوامع ما لم يسمع بمثله، وعادوا إلى بلادهم.

ثم جهز جنكزخان إلى جلال الدين ولد خوارزم شاه المذكور اثنى عشر ألف تترى، وكان جلال الدين فى عرنة ومعه ستون ألفًا، فكسرهم المسلمون وغنموهم، فجاء هو وكل جموعه، وكان جلال الدين قد تفرقت عنه غالب عسكره، فاستضعفت نفسه وهرب إلى الهند، وتبعه جنكزخان وأدركه على عظيم بلد السند وتقاتلا قتالاً تفرقوا عنه فرقًا منه، وتوجه جلال الدين إلى الهند، وعاد جنكزخان واستولى على عرنة وقتل أهلها، وسارت فرقة، فأخذوا بلاد القنجق وسروان والروس.

وفيها: توفى الملك عبد الله ابن الأمير ذخيرة الدين محمد ابن القائم عبد الله ابن

القادر أحمد ابن الأمير إسحاق ابن المقتدر جعفر ابن المعتضد بن أحمد ابن الأمير الموفق طلحة أو محمد ابن المتوكل جعفر ابن المعتصم محمد ابن الرشيد هارون ابن المهتدى محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن عم النبى ﷺ العباس بن عبد المطلب، وكان عمره نحو سبعين سنة قد عمى، ومدة خلافته أربعين سنة.

وبويع بالخلافة ولده الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد، وعاش تسعة أشهر ومات وكان على ضد أبيه قصير المدة وأبوه طويلها، يحسن إلى الرعية وأبوه مسىء إليها، وسخى وهّاب وأبوه بخيل، مولع بالفضائل وأبوه يرمى بالبندق والحمام، قيل إنه كان السبب الأعظم فى مجيئ التتر بحيث تشغل عنه خوارزم شاه بهم.

ولما توفى الظاهر بأمر الله بويع ولده المستنصر بالله أبو جعفر المنصور وسلك مسلك أبيه الظاهر فى العدل والإحسان.

وفى سنة أربع وعشرين وستمائة:

فى القعدة منها توفى الملك الأعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بقلعة دمشق، وعمره تسع وأربعون سنة، ومدة ملكة لدمشق تسع سنين وشهور، وكان فاضلاً نحويًا مطرح التكلف، وكان حنفيًا متعصبًا لمذهبه دون أهل بيته اشتغل على جمال الدين الحصرى الحنفى، واستقر مكانه ولده الملك الناصر صلاح الدين داود.

وفى سنة ست وعشرين وستمائة:

لم يجد الملك الكامل بدًا من مهادنة الفرنج فصالح أنيرطون ملك الفرنج، ومعنى أنيرطون: ملك الأمراء، صالحهم على أن يسلمهم القدس، وتستمر أسوارها خرابًا ولا يتعرضوا إلى قبة الصخرة ولا إلى الجامع الأقصى، ويكون الحكم فى الرساتيق إلى الفرنج والى المسلمين، فسلم الأنيرطون القدس فى ربيع الأول.

وكانت دمشق محصورة يحاصرها الملك الأشرف بأمر أخيه الملك الكامل، فتوجه الملك الكامل إليها واشتد حصارها، فأخذت، واستولى عليها، وعوض الناصر داود عنها بالكرك والبلقاء والصلت والأغوار والشوبك، وتسلم دمشق الملك الأشرف وانضافت البلاد الشرقية إلى الملك الكامل صاحب مصر.

وفيها: توفى الملك المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب اليمن بمكة، فإنها كانت له، ودفن بالمعلى وعمره ست وعشرون سنة، ومدة

ملكه أربع عشـرة سنة، واستقـر عوضه باليمن الملك المظـفر محمـود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمـر شاه بن أيوب فى سلطنة حماة بتولية من الملك الكامل عـوضًا عن أخيـه قلبج أرسلان الملك الـناصر وانتـقل قلبج أرسلان إلى قلعـة باردين.

وفى سنة سبع وعشرين وستمائة:

قتل الملك الأمجـد بهرام شاه بن فرح شاه بن شاهنشـاه بن أيوب بعد أن أخرج من بعلبك بالحصـار وأخذها منه الملك الأشرف، قتله مملوك له كـان قد حبسـه فى مرقده، فخرج عليـه وهو يلعب بالنرد، فضربه بسيف فقتلـه، ثم طلع إلى السطح وألقى نفسه فمـات، ودفن الملك الأمجد بمـدرسة والده بالسرف بدمـشق، وكان مدة ملكـه ببعلبك تسعًا وأربعين سنة، وكان أسعد بنى أيوب.

وفى سنة ثمان وعشرين وستمائة:

ضعـفت دولة السلطان جلال الدين واختل عـقله بموت مملوك كان يحبـه، حتى أنه استـعجبه مـيتًا مدة طويلة، كل يوم يعمل له غـداء ويرسل إليه من الطعام ويعـود عليه الجواب بأنه أصلح مما كـان أمس، وأخذت التتـر سائر بلاد العـجم، وفعلوا أنجس من فعليهم الأولى، وكسبوا السلطان جلال الدين أسيرًا، ثم هرب منهم فقتله كردن كان قد قتل أخاه حين عرفه وأنشد كاتب أنسابه:

فمناهـم ويسطهم حرير وصبحهـم وبسطهم تراب

ومن فى كفه منهم قناة كمن فى كفه منهم خضاب

وكان هذا جلال الدين قد اتسع ملكه نحو ملك أبيـه خوارزم شاه محمد بن تكش. قال محمد المنسى صاحب تاريخ التتـر: إن علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش بن أرسلان بن الحسن بن أبى شبلين ملك إحدى وعشرين سنة، وعظم ملكه واتسع وفوض إلى ولده الأكبـر جلال الدين منكـرى ملك عرنة وما يلـيها إلى الهنـد، وملك خوارزم وخراسان وماريدران إلى ولده قطب الدين إيلاغ شاه، وملك كرمان وليس ومكران إلى ولده غياث الدين بتر شاه، وملك العـراق إلى ولده ركن الدين غور شاه، وضرب لكل واحد منـهم النبوت الخمـيس فى أوقات الصـلوات على عادة السلجـوقية، وانـفرد هو بنبوتية دى جرس يضـرب وقتى طلوع الشمس وغروبها، وكانت زيادته سـبعًا وعشرين

زيدية مرصعة بالجواهر، وكذا باقى آلات النوبتية أول يوم يرسها ضربها سبعة وعشرين ملكًا أكابر الملوك منهم ابن طغرل بن أرسلان السلجوقى، والملك العادل علاء الدين صاحب سامان، والملك تاج الدين صاحب بلخ، وولده الملك المعظم صاحب يزيد، والملك سنجر صاحب بخارى، وكانت أمه تركان تحكم وتعلم اعتصمت بالله وحده، وتلقبت عصمة الدنيا والدين ملكة نساء العالمين، أخذ من جملة أمواله جنكزخان عشرة صناديق مملوءة من الجواهر ما يساوى خراج الأرض يحملنها، وكان له ثلاثون جشار من الجبل وحدها.

وتوفى سنة تسع عشرة وستمائة هربًا من التتر كما قدمناه، ولم يكن عنده يكفن فيه سوى قميصه الذى مات فيه.

وأما جلال الدين ملك غالب ملك أبيه، وكان يكتب إلى ملك الروم، وملوك مصر والشام ولا يكتب أخوه ولا الخادم، وكان يكتب لخليفة بغداد الخادم، ويكتب لصاحب موصل وأمثاله العلامة فقط وهى النصرة من الله وحده، وكان يخاطب بخوتد عالم، وكان شديد الغيرة، لما أدركته خيل التتر كان على نهر السند كما قدمناه، قال له حريمه: بالله بالله أقتلنا وخلصنا، فأمر بهن فأغرقن.

وفيها: توفى بالقاهرة أبو الحسن يحيى بن المعطى بن عبد النور الزفاوى النحوى صاحب الألفية، ومولده سنة أربع وخمسين وخمسمائة، والزفاوى قبيلة بظاهر بجاية.

وفى سنة تسع وعشرين وستمائة:

أخذ الملك الكامل آمد وحصن كيفا من الملك المسعود ابن الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق لسوء سيرته وتعرضه إلى نساء رعيته، واستقر مكانه الملك الصالح أيوب ولد السلطان الملك الكامل.

وفى سنة ثلاثين:

أخذ الملك العزيز صاحب حلب شيزر وهنَّاه يحيى بن خالد العسراى بقوله:

يا مالكًا عم أهل الأرض كاملة ... وخص إحسانه الدانى مع القاصى

لما رأت شيزر آيات نصرك فى ... أرجائها ألقت المعاصى على العاصى

وفيها: توفى بالموصل الشيخ عز الدين على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى ولد بحرة عبد العزيز بن عمر فى رابع

جماد الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ونشأ بها وهو مصنف الكامل فى التاريخ الذى بدؤه من هبوط آدم، وانتهاؤه فى سنة ثمان وعشرين وستمائة، وعبد العزيز بن عمر رجل من أهل برقعيد من عمل الموصل بنى هذه المدينة، وينسب إليه.

وفى سنة إحدى وثلاثين وستمائة:

توفى الشيخ سيف الدين الآمدى، وهو على بن محمد بن سالم الثعلبى، وكان حنبليًا، ثم صار شافعيًا، وبرع فى العلوم وتعصب عليه الفقهاء بمصر حين أخذ تدريس الشافعى وكتبوا محضراً بانحلال عقيدته، وكتب عليه بعض الفقهاء حين أرادوا شهادته عليه منه:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدًا ولومًا إنه لدميم

فسار إلى حماة، وأقام بها، ثم عاد إلى دمشق فتوفى بها، ومولده فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

وفى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة:

توفى الملك الزاهد داود ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى ربيع الأول وعمره ثلاث وعشرون سنة وشهور، وكان حسن السيرة فى الرعية، واستقر مكانه ولده صلاح الدين الملك الناصر يوسف، وعمره نحو سبع سنين، ورجع الأمور إلى والدة أبيه صفية خاتون بنت الملك العادل.

وفيها: توفى شرف الدين عمر بن على بن على بن مرشد الحموصى الأصل.

قال الذهبى: حجة أهل التوحيد وحامل لواء الشعراء.

وفيها: توفى الشيخ شهاب الدين السهروردى بن ماران، مقدم أهل التوحيد شيخ الفقهاء التيمى البكرى.

وفيها: توفى كيفاد بن كيخسرو السلجوقى صاحب بلاد الروم وملك بعده غياث الدين كيخسرو.

وفى سنة خمس وثلاثين وستمائة:

توفى الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب بدمشق، وعهد

بها لأخيه الملك الصالح إسماعيل، وكانت مدة ملك الأشرف بدمشق ثمان سنين وشهورًا، وعمره نحو ستين سنة، وكان كريمًا جدًا، ميمون الطلعة، لم تنهزم له راية قط.

وبلغ ذلك الملك الكامل، فسار من مصر إلى دمشق وحاصر الملك الصالح وأخذها منه، وعوضه بعلبك والبقاع وبصرى، ولما دخل دمشق أرسل من وقته العساكر لأخذ حمص من الملك المجاهد شيركوه، فإنه كان أرسل خمسين رجلاً نجدة للملك الصالح، وظفر بهم الملك الكامل، وشنقهم بين السانين، فمرض الكامل ومات لسبع بقين من رجب، وكان دخوله دمشق لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأول، وكان بينه وبين أخيه الأشرف نحو ستة أشهر، وكان عمره نحو ستين سنة، ومدة ملكه لمصر عشرين سنة، وكان نائبًا بها قبل ذلك نحو عشرين سنة، وكذا كان معاوية بدمشق نائبًا عشرين سنة وملكًا عشرين سنة.

وكانت حسنت مصر وأحوال العلماء فى أيامه بها، وكان يباحث العلماء، ويدرس الطلبة، ويمتحن الفضلاء بأسئلة غريبة فى النحو والفقه، وبذلك تقدم ابن معطر وحظى عنده.

واستقر بدمشق الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب، وخلفوا جميعًا الملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل واستقر بمصر، وكان نائبًا عن أبيه بها إذ ذاك.

وفى سنة ست وثلاثين وستمائة:

استقر الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل بدمشق، وسلمها إليه الملك الجواد برضاه، وتعوض عنها بسنجار والرقة وعانة.

وفى سنة سبع وثلاثين وستمائة:

كان الملك الصالح توجه إلى مصر بالعساكر ليأخذها، فسار الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبك ومعه شيركوه صاحب حمص للحما أعلى دمشق وأخذاها وبلغ ذلك الملك الصالح أيوب، فتفرقت عساكره عنه بالغور فقصد نابلس ونزل بها، وكان الملك الناصر داود صاحب الكرك قد وصل بعساكره إلى الكرك فقصد الملك الصالح أيوب وأمسكه، وأرسله إلى الكرك معتقلاً عليه مع الإحسان إليه، ثم بدا له فأطلقه بعد أن

كان توجه إلى القدس وحاصرها وفتحها، وخـرب قلعتها التى بناها الفرنج فسارا جميعًا إلى القدس، وتحالفا فى قبة الصخرا على أن تكون مصر للصالح أيوب، ودمشق والبلاد الشرقية للناصر داود، وتوجـها إلى مصر، فخرج إليهما العـادل صاحب مصر، وخرج من ورائهمـا الصالح إسماعـيل صاحب دمشق، وضـاقت الأرض بما رحبت على داود وأيوب، وإذا بالخبر وصل إليهما أن مماليك العادل أمـسكوه، فسارا مسرعين إلى مصر، ودخل الملك الصالح أيوب قلعة الجبل، وزينت له البلاد، وفرح الناس به.

وفى هذه السنة: توفى الملك شيركوه صاحب حمص، وكانت مدة ملكه حمص نحو ست وخمسين سنة، وكـان عمره نحو سبعين سنة، واسـتقر مكانه ولده الملك المنصور إبراهيم.

وفيها: توفى صاحب ماردين ناصر الدين أرتق أرسلان بن أبلغازى بن آلى بن تمرتاش ابن أبلغـازى بن أرتق، ولقبه الملـك المنصور، وكان ملكـها بعد أخـيه مـولق أرسلان، واستقر مكانه ولده الملك السعيـد نجم الدين غازى إلى أن توفى فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

ثم ملك ابنه المظفـر قرا أرسلان إلى سنة إحـدى وسبعـين وستمـائة، ثم ملك ولده شمس الدين داود سنة وسـبعة أشهـر، ثم ملك أخوه المنصور نجم الدين غـازى بن قرا أرسلان إلى أن توفى فى سنة ثنتى عشرة وسبعمائة.

وفى سنة ثمان وثلاثين وستمائة:

سلم الملك الصالح إسـماعيل صـفد والسفيف للـفرنج خوفًا من ابن أخيـه الصالح أيوب، وشق ذلك على المسلمـين، ورحل عن دمشق الشيخ عـز الدين عبـد العزيز بن عبـد السلام إلى مصـر، فولى القـضاء بها جـبرًا، والشيخ جـمال الدين بن عـمر بن الحاجب إلى الكرك، ونظم هناك للناصر داود مقدمة الكافية.

وفى سنة تسع وثلاثين وستمائة:

توفى الشيخ العلامة كمال الدين موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك، إمام وقتـه فى مذهب الشافعى، وعـنده كانت تحل كتب المذاهب كلهـا والمجنيطى وإقليدس والتوراة والإنجيل وكتاب سيبويه، قرأ عليه الشيخ أثير الدين الأبهرى.

قـال القاضى شـمس الدين بن خلكان: شـاهدت الشـيخ أثير الدين الأبهـرى وهو

جالس بين يدى الشيخ كمال الدين بن يونس، فقرأ عليه المجنيطى، وقرأ عليه الشيخ تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح.

وفى سنة أربعين وستمائة:

توفيت صفية خاتون بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب حلب، ودفنت بقلعتها ومولدها سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بها أيضًا، تصرفت فى حلب تصرف السلاطين نحو ست سنين.

وفيها: توفى المستنصر بالله أبو جعفر المنصور ابن الظاهر محمد ابن الإمام الناصر، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة إلا شهراً، وكان حسن السيرة، وبنى المدرسة المستنصرية، على شاطىء دجلة ببغداد وبالجانب الشرقى، واستقر فى الخلافة بعده ولده المستعصم بالله عبد الله، وهو سابع ثلاثتهم وآخرهم.

وفى سنة إحدى وأربعين وستمائة:

استولت التتر على غالب بلاد الروم، وأخذوا أخلاط وآمد، ودخل تحت طاعتهم غياث الدين كيخسرو السلجوقى.

وفيها: توثب الفرنج بأرض الشام لضعف قوة الصالح إسماعيل صاحب دمشق، واعتضاده بهم على صاحب مصر، وأعطاهم عسقلان وطبرية، ومكنهم من بيت المقدس غاية التمكين.

قال القاضى جمال الدين بن واصل: مررت إذ ذاك على القدس مجازاً إلى مصر، ورأيت القسوس وقد جعلوا قنانى الخمر على الصخرة.

وفى سنة ثنتين وأربعين وستمائة:

توفى الملك المظفر صاحب حماة تقى الدين محمود ابن المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام، وعمره ثلاثًا وأربعين سنة، وكان شجاعًا كريمًا ذكيًا محبًا فى أهل الفضل، واستقر مكانه ولده الملك المنصور محمد بن محمود وعمره نحو عشرين سنة.

وفيها: توفى الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب ميافارقين، واستقر مكانه ولده الملك الكامل محمد.

وفيها: توفى الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح أيوب صاحب مصر فى حبس الملك الصالح صاحب دمشق، واستقرت العداوة بينهما، وكان صاحب دمشق محاصراً بعساكر صاحب مصر، وبعد قليل تسلمت عساكر صاحب مصر دمشق، وخرج منها الصالح إسماعيل على أن له بعلبك، فانقلب معه غالب عساكر صاحب مصر، والخوارزميون الذين كان استدعاهم الصالح أيوب من بلادهم، وانجمع إليهم الناصر داود صاحب الكرك، وساروا إلى دمشق وحاصروها، وأذاقوا أهلها شدة عظيمة فلم يشعروا إلا وجاءهم الخبر بأن الحلبيين ساروا إليهم ومعهم الملك المنصور فرحلت الخوارزميون عن دمشق، والتقوا مع الحلبيين وصاحب حمص فانكسروا، وقتل مقدمهم بركة خان، وحمل رأسه إلى حلب، وجاء الصالح إسماعيل إلى حلب مستجيراً بصاحبها الملك الناصر يوسف، وحوصرت بعد قليل بعلبك وبها أولاده، وأخذت وجهزت أولاد الصالح إسماعيل ووزيره أمير الدولة الذى كان سامريًا وأسلم إلى مصر، فاعتقلهم الملك الصالح أيوب.

وفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة:

قدمت التتر بغداد، فخرجت عساكر بغداد للقائهم، فانهزم التتر ليلاً.

وفيها: توفى الشيخ تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان ، الشهير بابن الصلاح الفقيه المحدث، والشيخ علم الدين السخاوى، والشيخ موفق الدين أبو البقاء النحوى.

وفى سنة أربع وأربعين وستمائة:

توفى الملك المنصور إبراهيم بن شيركوه صاحب حمص بدمشق، وكان متوجهًا إلى مصر إلى خدمة الملك الصالح أيوب، فنقل إلى حمص ودفن بها، واستقر مكانه ولده الملك الأشرف مظفر الدين موسى.

وفى سنة خمس وأربعين وستمائة:

استعاد المسلمون قلعتى عسقلان وطبرية من الفرنج فتحًا.

وفيها: توفى الملك العادل أبو بكر ابن الملك الكامل بالحبس، وكان له محبوسًا مدة ثمان سنين.

وفيها: توفى إمام النحو بالغرب أبو على عمر بن محمد بن عبد الله المعروف

بالشلوتين، قال القاضي شمس الدين بن خلكان: الشلوتين هو الأبيض الأشقر بلغة أهل الأندلس.

قال السلطان عماد الدين: ليس هذا بصحيح، إنما هو الشلوتينى، نسبة إلى حصن يقال له: الشلوتين، قال: هكذا ذكر سعيد المغربى فى كتابه الكبير المسمى المغرب فى أخبار المغرب فى المجلدة الخامسة عشر، بعد ذكر غرناطة ، وصف حصن شلوتين المذكور، وقال: ومنه الشيخ أبو على عمر الشلوتين.

قال: وقرأ عليه النحو وكان فى طبقة أبى على الفارسى.

وفى سنة ست وأربعين وستمائة:

أرسل الملك الناصر صاحب حلب حاصر حمص وأخذها من الملك الأشرف موسى، وتعوض عنها تل باشر مضافًا لما بيده من الرحبة وتدمر.

وفيها: توفى الشيخ جمال الدين أبو عمر عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس المعروف بابن الحاجب، وكان والده حاجبًا للأمير عز الدين موسك الكردى، مات بالأسكندرية، وكان عمره خمسًا وسبعين سنة.

وفيها: توفى الطبيب البارع ضياء الدين عبد الله بن أحمد بن البيطار صاحب المفردات.

وفى سنة سبع وأربعين وستمائة:

استولت الفرنج على دمياط وهى خالية، وقد هرب منها بنو كنانة الموكلون بها، فشنقهم السلطان الملك الصالح أيوب عن آخرهم.

وفيها: استضعف نفسه صاحب الكرك الناصر داود، وسار إلى حلب مستجيرًا بصاحبها الملك الناصر ومعه ما بقى من الجواهر ما قيمته فوق خمسمائة ألف دينار، فأرسلها إلى الخليفة المعتصم ببغداد وديعة عنده، فلم ترها عينه بعد ذلك، واستخلف بالكرك ولده الملك المظفر عيسى، فغار أخوه الأمجد حسن والظاهر شادى وقبضا على أخيهما، وتوجه الأمجد إلى مصر، وسلم الكرك إلى الملك الصالح أيوب، ففرح بذلك فرحًا شديدًا.

وبعد شهرين أو أقل توفى السلطان الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ليلة الأحد رابع عشر شعبان، وكانت مدة ملكه تسع

سنين وثمانيــة أشهر وعشرين يومًا، وكــان عمره نحو أربعة وأربعــين سنة، وكان طاهر اللسان والذيل، عالى الهمة، عظيم الهيبة، لا يخـاطب إلا جوابًا، كانت أكثر عساكره وأمرائه مماليكه مــن الترك، رتب جمــاعة من مماليكه بدهليــزه وسماهم البـحرية لوضع القصص بيــن يديه ليكتب عليهــا بخطه، ثم تخرج للمــوقعين، وهو الذى بـنى مدينة الصالحية لأجل الصيد، وبنى الكبش بين مصر والقاهرة.

وكانت أولاده الثلاثة الذكور مات اثنان منهم قبله، ونفى واحد وهو توران شاه الملك المعظم بحصن كيفا، وكان له جارية اسمــها شجرة الدر، فكتمت موته وجمعت الأمراء وأرباب الدولة، وقــالت: السلطان يأمركم أن تحلـفوا له ولولده من بعــده الملك المعظم توران شــاه، فأجــابوها إلى ذلك وحلفــوا، واستــمرت شــجــرة الدر تحكم وتعلم عن السلطان إلى أن وصل توران شاه إلى المنصورة، وقاتل الفرنج بعد استطالتهم، وكسرهم المسلمون وغنموا منهم، وبلغت عدة القـتلى من الفرنج ثلاثين ألفًا، وأسر ملك الفرنج زندا فرنس وقيد وسجن ببيت كــاتب الإنشاء فخر الدين بن لقمان، ووكل به الطواشى صبيح المعظمى ورحل المعظم من المنصورة منصــورًا، ونزل بفارس كور وأخذ فى تهديد مماليك أبيه، فــهجموا عليــه وقتلوه، وأول ضارب له بالسيف ركن الدين بــيبرس الذى سيصير سلطانًا بعد هذا، وكانت له قبة خشب فهرب إليها فألقوا فيها النار، فهرب منها وألقى نفسه فى البحر فأدركوه وأتموا قتله.

وكانت مدة ملكه شهرين وأيامًا، واجتمعت أمراء الترك على أن يقيموا شجرة الدر، وخطب لها على المنابر، وضربت السكة باسمــها، وهى أم خليل، فإنه كان لها ولد من الملك الصالح مات صغيرًا اسمه خليل.

وتسلم المسلمون دميــاط وأطلقوا زندا فرنس فى صفر سنة ثمان وأربعــين وستمائة، وهذا زندا فرنس هو المقول له من كمال جمال الدين بن مطروح من أبيات:

قل للفرنسيس إذا جئتــه	مقال صــدق عن قؤول فصيح
أتيت مصرًا تبتغى ملكها	تحسب أن الذمر باطل ريح
وكــل أصحــابك أوردتهم	بحسن تدبيــرك بطن الضريح
خمســون ألفًا لا ترى منهم	غير قتيــل أو أسير جريح
وقل لهم إن أضمروا عــودة	لأخذ ثار أو لقصــد صحيح

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشى صبيح

وكان الملك المعظم توران شاه حين وصل إلى الديار المصرية أمسك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبى بكر ابن الكامل محمد ابن العادل أبى بكر بن أيوب، وأرسله إلى الشوبك محبوسًا فلما قتل توران شاه أفرج عن الملك المغيث، وتسلم الكرك والشوبك، وسار الملك الناصر صاحب حلب إلى دمشق وملكها فى ثامن ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة.

وفى آخر ربيع الآخر: استقر عز الدين أيبك الجاشنكير التركمانى فى سلطنة مصر، ولقب بالملك المعز، وعُزلت شجرة الدر وهو أول ملوك الترك.

وفى خامس جمادى الأول: عُزل واستقر أتابك العساكر، واستقرت السلطنة للملك الأشرف موسى بن يوسف صاحب اليمن من الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب، وعقدوا البيعة للخليفة المستعصم ببغداد، وخربوا سور دمياط، وبنوا بالقرب منها مدينة اسمها المنشية.

وفى مستهل شعبان: قبض الملك الناصر صاحب حلب ودمشق على الناصر داود واعتقله بحمص وسار إلى حمص فى منتصف رمضان ومعه من بنى أيوب نحو العشرة، وسائر عساكرهم، وخرج إليهم المصريون، والتقى الجمعان بالعباسية، وانكسر كل من الفريقين وولى هاربًا، حتى أنه خطب للملك الناصر يوسف فى تلك الجمعة بقلعة الجبل ومصر، ولم تقم بالقاهرة خطبة، ودخل أيبك التركمانى إلى القاهرة معظمًا، فإنه هو الذى كسر الشاميين بعدما انكسر المصريون وتفرقت عنه، وقتل بين يديه الأمير شمس الدين لؤلؤ صبرًا، وكذلك الأمير ضياء الدين ابن القيمرى وأسر الملك الصالح إسماعيل والأشرف صاحب حمص، والمعظم توران شاه بن صلاح الدين وأخوه نصرة الدين، وأخرج أمين الدولة السامرى وزير الملك الصالح إسماعيل فقتلوه وعمره نحو خمسين سنة، وظهر له من الأموال والذخائر شىء عظيم حتى قالوا: إن قيمة ذلك ثلاثة آلاف ألف دينار، غير ما كان له فى الودائع، ووجد له عشرة آلاف مجلد من الكتب النفيسة، وكان ساعيًا فى علوم الشريعة، ومن زوال ملك أسياده الملك الصالح، وقيل إنه ما كان يتدين إلا بالسامرية ولا بالإسلام، بل كان يظهر بالإسلام ويبالغ فى تعظيم الدين على بما يؤمن، يظهر بالإسلام من الظاهر ويبطن خلاف ذلك.

وفى سنة تسع وأربعين وستمائة:

اعتقل الناصر داود بحمص فقال وهو أسير:

إلهى أنت - أعلى وأعلم ... بحقوق ما تبدى القدور وتكتم

وأنت الذى ترجى لكل عظيمة ... وتُخشى وأنت الحاكم لا تحكم

ولما آيسنا نصركم ونوالكم ... وهو بأيامك القوم وهو مرخم

وقطع من ما آثرت ... وإحلال أبعاد والقرابة تحرم

مليكى أتعلونى الملوك بتبرها ... وأنت سلاوى منهم

فحسبى اعتصامًا أننى بك لائذ ... إذا ندر خطى وجود يخدم

وفيها: أخذ المغيث ابن العادل الكرك والشوبك.

وفيها: نقل الصالح أيوب إلى تربته بالقاهرة، ولبس الأمراء ثياب العزاء، وتصدقت شجرة الدر بمال عظيم.

وفيها: أخذت الترك دمياط، وحملوا أهلها إلى مصر.

وفيها: تزوج المعز أيبك أم خليل شجرة الدر وعلى صداق جملته ثلاثون ألف دينار، وكان أهل مصر فى شك وجور ومصارعة والله لطيف بعباده.

وفيها: توفى الصاحب محى الدين بن مطروح، وكان فاضلاً ومن شعره:

عانقته فسكرت من طيب الشذا ... مخمور صابه منذ شذا

جاء العذول يلومنى من بعد ما ... أخذ الغرام على فيه مأخذا

لا أرعوى لا أنثنى لا أنتهى ... عن حبه فليهذ فيه من هذا

إن عشت عشت على الغرام وإن ... أمت وجدًا به وصبابة يا حبذا

وفى سنة خمسين وستمائة:

توفى العلامة أبو الفضائل جار الله الحسن بن محمد الصاغانى الحنفى إمام اللغة، وكان مولده سنة ٥٧٧، ومن مؤلفاته: مجمع البحرين فى اللغة ١٣ مجلدًا، والعباب ٣٥، ولم يكمله، والشوارد، ومشارق الأنوار فى الحديث، وشرح البخارى، والفصل، وغير ذلك.

وفيها: توفى فخر القضاة نصر الله بن بعاقة العبادى الحنفى الشاعر المفلق، كان بديع

النظم والنثر خصيصًا بالمعظم عيسى وبابنه الناصر داود، ولد بقوص سنة ٥٧٩ وتوفى بدمشق، ومن شعره:

على ورد خديه وآس عذاره يلين بمن يهواه خلع عذاره

أبذل جهدى فى مداراة قلبه ولولا الهوى يقتادنى لم أداره

أرى جنة فى خده غير أننى أرى جل نارى شىء من حلباره

كغصن النقا فى لينه واعتداله وريم الفلاة فى جيده ونحاره

سكرت بكأس من رحيق رضابه ولم أدر أن الموت عقبى خماره

وفى سنة إحدى وخمسين وستمائة:

ظهرت ناراً فى أرض عدن مدة، تظهر بالليل ويرتفع لها دخان بالنهار.

وفى سنة ثنتين وخمسين وستمائة:

قوى أمر المعز التركمانى أيبك بمصر، وقتل خشداشة أقطاى الحمدار، وقطع خطبة الأشرف موسى، ولم يخطب بعد ذلك لبنى أيوب بمصر.

وفى سنة ثلاث وخمسين وستمائة:

مشى نجم الدين إلى الديار المصرية فى الصلح بين المعز والناصر داود على أن للناصر الشام إلى العريش وللمعز أيبك الديار المصرية، ورجع إلى بلاده.

وفى سنة أربع وخمسين وستمائة:

مات كيخسرو ملك الروم، واستقر مكانه ولده عز الدين كيكاوس، وركن الدين قلبج أرسلان.

وفيها: توجه الكمال بن المقدم رسولاً من الملك الناصر يوسف إلى الخليفة المستعصم يتقدمه خليله وطلب خلعة، فعاد خائبًا مسكين، ثم عرض هدنته.

وفى سنة خمس وخمسين وستمائة:

قتل المعز أيبك التركمانى بأمر زوجته شجرة الدر أم خليل، فإنه كان تزوجها، ثم قصد أن يتزوج عليها ثم بعد قليل قتلت شجرة الدر.

وفيها: ظهرت نار عند مدينة النبى ﷺ لها ضوء بالليل عظيم، يظهر من بعد، ووافق ذلك أن الخدام بالحرم غفلوا ليلة فاستعرت النار فى الحرم فى المسجد، وأضرت سقوفه

ويعض المنبر، وتألم المسلمون لذلك.

وفى سنة ست وخمسين وستمائة:

قصد هولاكو بغداد وملكها وقتل الخليفة المستعصم بالله، ودخلت التتر بغداد وقتلوا ونهبوا نحو أربعين يومًا، وكان ذلك باستدعاء الوزير العلقمى لهم، وكان هذا المستعصم آخر العباسيين، وكان ابتداء دولتهم بالسفاح فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فكانت خلافة المستعصم ست عشرة سنة تقريبًا.

روى عن على بن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهم - أنه قال: والله لتكونن الخلافة فى ولدى، حتى يأتيهم العلج من خراسان.

وفيها: توفى الملك الناصر داود ابن الملك الأعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وعمره نحو ثلاثًا وخمسين سنة، واتفقت له غريبة، وهى أنه كان أمسكه المغيث صاحب الكرك خوفًا منه، حتى كان بالتيه مع الغربان، وحمله إلى الشوبك ليحبس بها فى مطمورة، وكان واقفًا والمطمورة تحفر، وإذا برسول الخليفة المستعصم جاء بمطلبه ليكون فى مقدمة عسكره فى قتال التتر ففرج الله عنه قبل إتمام المطمورة، فلما وصل إلى دمشق جاء الخبر باستيلاء التتر على بغداد، وتركه الرسول وانصرف، فسار الناصر إلى البويضا شرقى دمشق، ومات بالطاعون وخرج إليه الناصر يوسف وأسف عليه ونقله إلى دمشق ودفنه بالصالحية عند والده المعظم.

وله - رحمه الله - أشعار فائقة، منها:

عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك القلوب سكون

تصول ببيض وهى سود يدرها ... ذبول فتون والجفون حصون

إذا ما رأت قلبًا خاليًا من الهوى ... تقول له كن مغرمًا فيكون

ومنها:

طرفى وقلبى قاتل وشهيد ... ودمى على خديك منه شهود

وأنا وحبك لست أضمر سلوة ... عن صبوتى ودع الفؤاد يبيد

وفى بطيفك بعدما منع الكرى ... عن ناظرى البعد والتنهيد

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لى والحديد ألانه داود

وبعده:

يا أيها الرشأ الذى لحظاتُهُ كم دونهن صوارم وأسود
والذ ما لاقيت فيك منيتى وأقل ما بالنفس فيك أجود

وفيها: توفى الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن على المهلبى كاتب إنشاء الملك الصالح أيوب، ومولده بوادى نخلة من مكة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، ودفن بالقرافة الصغرى ومن شعره وزن اخترعه هو:

يا من لعبت به الشمول ما ألطف هذه الشمائل
ها عبدك واقفًا ذليلاً بالباب يمد كف سائل
من وصلك بالقليل يرضى الطَلّ من الحبيب وابل

ومنه:

بروحى من اسمها بستى فتنظرنى النحاة بعين مقت
يرون بأننى قد قلت لحنًا وكيف وإننى لزهير وقت
ولكن غادة ملكت حياتى فلم ألحن إذا ما قلت ستى

وفيها: توفى الشيخ شمس الدين يوسف سبط بن الجوزى صاحب مرآة الزمان.

وفيها: توفى الشيخ زكى الدين عبد العظيم المنذرى.

وفيها: توفى سيف الدين على بن سابق الدين قزل المعروف بابن المشد، ومن شعره الحسن ـ وكان أميرًا كبيرًا من أمراء الملك الناصر يوسف صاحب الشام ـ:

باكر كؤوس المدام واشرب واستجل وجه الحبيب واشرب
ولا تخف للهموم داء فهو دواء له مجرب
عن يد ساق له رضاب كالسهد لكن خباه أعذب

وفى سنة سبع وخمسين وستمائة:

توفى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بعد حكمه بها ثلاثًا وأربعين سنة، واستقر ولده الصالح بالموصل، وولده علاء الدين بسنجار.

وفيها: سلطن بالديار المصرية قطز، وخلع ابن أستاذه الملك المنصور عليًا، وتلقب بالملك المظفر، وكان قد قدم على الملك المنصور الكمال بن العديم رسولاً من الملك

الناصر يوسف صاحب الشـام يستنجده على التتر، فعاد خـائبًا، وكان شؤمًا على الملك المنصور.

وفى سنة ثمان وخمسين وستمائة:

استولت التتر على حلب يوم الأحد تاسع صـفر من عند حمام حمدان فى ذيل قلعة الشريف، واستـمر النهب والقتل بهـا إلى رابع عشر صفر، ثم تـادى هولاكو بالأمان، وحاصر القلعة وبها الملك المعظم توران شاه بن الملك السلطان صلاح الدين، ثم تسلمها بالأمان يوم الإثنين حادى عشـر ربيع الأول، وأمر هولاكو أن كل من سلم من المسلمين يتوجـه إلى داره فلا يعـارض فى ملكه، وجاءت إليـه مفـاتيح حماة، فـأمنهم وأرسل شخصًا اسمه خسرو شاه يزعم أنه من ذرية خالد بن الوليد، وأحسن إليهم، وجاء الملك الأشرف صـاحب حمص إلى هولاكو بحـلب فأكرمـه وأعاده إلى حمص، وقـدم إليه محـيى الدين بن الزكى فولاه قضاء دمـشق، فتوجـه إليها وقرأ توقـيع هولاكو، ولبس خلعته، وباشر.

وكان الملك الناصـر لما بلغه أخذ حلب توجـه من دمشق نحو مـصر وصحـبه الملك المنصور صاحب حمـاة، ووصل بعساكره إلى قطية واستولت التـتر على دمشق، وسائر الشام إلى غزة، واستقرت شجعانهم بها، وكان أخذ التتر لدمشق بالأمان، فلم يتعرضوا إليهم، لكن القلعة عصت عليهم أيامًا، ثم أخذوها بالأمان فى منتصف جمادى الأول، ونهبوا جميع ما فيها وخربوا أسوارها.

ومن قطية خـاف الملك الناصر من السلطان قطز فـجهز العـساكر مـع الملك المنصور صاحب حماة إلى مـصر فتلقاهم قطز وأحسن إليـهم، وتوجه الملك الناصر يوسف إلى التيه.

وأما هولاكو فـعاد من حلب إلى بلاده، ودخل إلى حارم فقـتل أهلها عن آخرهم، وأمر بخراب أسوار حلب، وأسـوار قلعتها فخربت عن آخـرها، وكذلك أسوار حمص وقلعة حماة، وكان هولاكو قد استناب على دمشق كتبغا فعرف موضع الناصر يوسف، فأرسل إليه وأمسكه وأرسله إلى هولاكو فلما جازوا به على حلب أنشد:

يعز علينا أن نرى ربعكم يُخلا وكانت به آيات حسنكم تتلى

فلما وصل إلى هولاكو أقبل عليـه، ووعده برد ملكه إليه، ولما اجـتمعت العسـاكر

الإسلامية بمصر سار بهم الملك المظفر قطز مملوك أيبك التركمانى فى أوائل رمضان، وجمع كتبغا عساكره وخرج إليهم، والتقى الجمعان بالغور، فانهزمت التتر وأخذتهم سيوف المسلمين، وقتل كتبغا وأسر ابنه، وتبعهم بيبرس البندقدارى إلى أطراف البلاد.

وأحسن قطز إلى الملك المنصور صاحب حماة وأقره عليها، وجاء الملك الأشرف موسى صاحب حمص وكان قد أنضم إلى التتر ثانيًا، فأقبل عليه وأقره على حمص، وأحضر إليه الملك السعيد صاحب الصبيبة أسيرًا فقتله لما كان اعتمده من الفسق والفجور حال انتمائه إلى التتر.

واستقرت البلاد كلها للملك المظفر قطز، وولى نيابة دمشق لعلم الدين سنجر الحلبى، وحلب للملك السعيد لؤلؤ بدر الدين صاحب الموصل، وتوجه الملك المظفر قطز إلى الديار المصرية، فلما قارب الصالحية قامت أرنبة فتبعها ومعه ثلاثة أمراء، أحدهم بيبرس البندقدارى، فاتفقوا على قتله، فتشفع أحدهم فى شخص محبوس فأجابه السلطان، فأهوى يقبل يده، فأمسكها وضربه بيبرس بالسيف وتحاملوا عليه ورموه عن فرسه وقتلوه، فكانت مدة ملكه أحد عشر شهرًا وثلاثة عشر يومًا، وعادوا إلى المخيم الشريف، فقال لهم نائب السلطان فارس الدين أقطاى: من قتله منكم، فقال بيبرس: أنا، قال: أنت أحق بمنزلته، فجلس فى دست السلطنة، وحلفت له جميع الأمراء، وتلقب بالملك القاهر، فقيل له: إنه لقب غير مبارك، فتلقب بالظاهر، وساق إلى القاهرة، وفتحت له القلعة وتسلمها فى سابع عشر ذى القعدة من هذه السنة.

وفيها: بلغ ذلك نائب الشام علم الدين سنجر الحلبى وكان قد عمر القلعة لدمشق، وأحبه الناس حتى عمَّرت النساء معه، طلب الناس وحلفهم لنفسه بالسلطنة فحلفوا، وخطب له على المنابر بها، وتلقب بالمجاهد.

وفيها: بلغ ذلك أمراء حلب، وقرب التتر فأمسكوا نائبهم لسفاهة رأيه، وخرجوا إلى التتر وانكسروا وهربوا إلى حماة واستولت التتر على حلب، وقتلوا غالب أهلها، وخرج صاحب حماة والعساكر إلى حمص فى سنة تسع وخمسين وستمائة ولحقهم التتر، والتقى الجمعان بظاهر حمص يوم الجمعة خامس عشر المحرم سنة تسع وخمسين وستمائة، فنصر الله المسلمين وقتلوا وأسروا ونهبوا فى التتر ما شاء الله.

وفى ثالث عشر صفر: وصل علاء الدين أيد كيت البندقدارى أستاذ السلطان الملك

الظاهر بيبـرس إلى دمشق، وأخذها بالسيف من علم الدين سنجـر، وعادت إلى ملك الظاهر بيبرس.

ولما بلغ هولاكو قتل نائبه بدمشق كتبغا وانكسـار عساكره بعين جالوت وبحمص مرة أخرى، استحضر الملك الناصر يوسف وأخاه الظاهر غـازى وقتلهما ومن معهما، وكان عـمـر الناصر يـوسف نحو ثنـتين وثلاثـين سنة، وكـان قد اتسع مـلكه، ملك حلب ودمشق، وغالب بلاد الشـام، لولا هروبه من قطية لملك مصر، كـان يذبح فى مطبخه كل يوم أربعـين رأسًا غنمًا، وكـان حليمًا إلى الغـاية، لا يقـيم على أحـد حدًا حـتى انقطعت الطرقـات فى أيامه، وكان إذا قـدم إليه مـستحق القـتل يقول: الحى خـير من الميت، ويطلقه، وكان يحفظ كثيرًا من الشعر، ومن شعره:

فوالله لو قطعت قلبى ثانيًا وجرعتنى كاسات دمعى صرفا

لما زادنى إلا هوًى ومحبة ولا اتخذت روحي سوال لها إلفًا

وفى هذه السـنة فى رجب: قدم إلى مصر جماعة من الـعرب، معهم شخص أسمر اللون اسمه أحـمد، زعموا أنه ابن الإمـام الظاهر بالله محمد ابن الإمـام الناصر، وأنه هرب من دار الخلافة ببغداد لما طلبها التتر، فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلسًا عظيمًا فيه القاضى عز الدين بن عبد السـلام، والقاضى تاج الدين عبد الوهاب بن خلف ابن بنت الأعز، وعينا جماعة من الموقعين سمعـوا كلام أولئك العرب، ثم شهدوا بالاستفاضة، وثبت النسب عند القـاضى تاج الدين عبد الوهاب، ولقـبوه المستنصـر بالله أبو القاسـم أحمـد، وبايعه الملك الظاهر بيبـرس والناس بالخلافة، وعـمل له بيرق الخلافـة، قيل: صرف على ذلك ألف ألف دينار، وكانت العامة تلقب الخليفة المذكور بالزراتبتى.

ولما خرج الملك الظاهر إلى دمشق خرج معه الخليـفة المذكور، وجهزه من دمشق إلى بغداد بأحسن جهاز، فقتله التتر قبل وصوله إلى بغداد.

وفيها: ورد الخبر عن فرنج عكا أنهم فى حـصر عظيم، ولبس سواد ونواح لما بلغهم أن سبع جزائر فى البحر خـسفت بأهلها وما فيها، فجهـز الملك الظاهر بيبرس عسكرًا، وأخذ منهم الشوبك.

وفى سنة ستين وستمائة:

توفى الشيخ عز الدين بن عبد السلام الدمشقى بمصر.

وفيها: توفى الصاحب كمال الدين عمر بن عبد العزيز بن أبى جرادة الحنفى المعروف بابن العديم، أصله من قرية معرموبية مـن بلاد الحفة، رأس بتقدمه عند الناصر يوسف المقدم ذكره، وله تاريخ مختص بحلب يعرفه من وقف عليه، وكان له مملوك قد فضل، ومن لطيف ما وقع منه متمـثلاً حين امتدح بالعلم والعقل مـعرضًا بالشكوى من أستاذه المذكور:

وما ينفع العلم والآداب والحجى وصاحبها عند الكمـال يموت

وفى سنة إحدى وستين وستمائة:

فى ثمانى المحرم بويع بالخلافة الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن الأمير ابن على بن على بن أبى بـكر ابن أميـر المؤمنين المسـتـرشد بالله أبى المنصـور الفـضل ابن المستظهر.

وفيها: سـار الملك الظاهر بيبـرس من الديار المصـرية إلى دمـشق، يعمل الحـيلة فى إمسـاك الملك المغيث فتح الدين عمـر ابن الملك العادل أبى بكر ابن الكامل محـمد ابن الملك العـادل أبى بكر بن أيوب، ولم يزل يرسل إليـه الهدايـا والتحف ويطلب الفـوز برؤيته ليحظى ببركته، ومن جملة ما كتب إليه: إن المملوك ينشد فى قدوم مولانا:

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما بأحسن من مولى يمشى إلى عبد

فلما وصل الملك المغيث إلى بيسان خرج إليه الملك الظاهر ولاقاه، فلما وصل المخيم أمسكه، وجهزه إلى مصر، وكان آخر العهـد به قيل إنه جهزه إلى امرأته فقتلته جوارها بالقباقيب إلى أن مات، فإنه لما هرب بيبـرس من الكرك حين كان محبوسًا مع المماليك البحرية ترك زوجته بالكرك فأكـرمها المغيث والله أعلم، وسار الملك الظاهر إلى الكرك، فأحكم أمرها، ثم عاد إلى مصر.

وفيها: توفى الملك الأشـرف مـوسى ابن الملك المـنصـور إبراهيم ابن الملك المجـاهد شيركوه ابن ناصـر الدين محمد بن شيركوه بن شادى صـاحب حمص، وتسلمها الملك الظاهر، وهذا الأشرف هو آخر من ملك حمص من بنى شيركوه خمسة ملوك مرتبه ابن عن أب.

وفى سنة ثلاث وستين وستمائة:

سار الملك الظاهر بعساكره للجهاد بالسواحل، وفتح قيسارية الشام.

وفيها: مات هولاكو بن طوطلو بن جنكزخان، واستقر ولده أبغا على ما كان عليه بيد والده من الممالك، وهى مملكة خراسان، وكرسيها بنيسابور، وعراق العجم وكرسيها أصفهان، وعراق العرب وكرسيها بغداد، ومملكة أذربيجان وكرسيها تبريز، ومملكة فارس وكرسيها شيراز، ومملكة خوزستان وكرسيها تستر، وديار بكر وكرسيها الموصل، وبلاد الروم وكرسيها قونية، وما بين هذه الممالك من البلاد الكثيرة.

وفيها: تجدد بمصر أربعة قضاة من المذاهب الأربعة وكان المشير بذلك الأمير جمال بن أيدغدى المقريزى، فاستحسن السلطان ذلك، ثم فعل كذلك بالممالك الشامية.

وفى سنة أربع وستين وستمائة:

سار الملك الظاهر بعساكره إلى دمشق، وفتحت صفد بعد حصارها، وأخذها بالأمان وقتل كل من بها، وبث عساكره ففتحوا إيلا وطرابلس وبلاد سيس، وقتل فى عوده إلى مصر أهل قنانا ونهبها وكانوا نصارى مناطنين على المسلمين.

وفى سنة خمس وستين وستمائة:

توجه الملك الظاهر من مصر إلى دمشق، وأقام بها خمسة أيام، ثم عاد.

وفى سنة ست وستين وستمائة:

توجه أيضًا إلى الشام وفتح يافا ونازل أنطاكية وفتحها بالسيف، وأخذ بغراس، ودرسال، وشيح الحديد، وغالب تلك النواحى، وعاد إلى مصر.

وفى سنة سبع وستين وستمائة:

خرج الظاهر إلى الشام وعاد إلى مصر خفية، وعاد إلى الشام، ثم توجه إلى الكرك، ثم توجه فيها إلى الحجاز الشريف، فزار قبر النبى ﷺ وحج وعاد إلى الكرك فى سلخ ذى الحجة، وتوجه إلى دمشق فوصل بغتة.

وفى يومه توجه إلى حماة وساعة وصوله إليها توجه إلى حلب، فلم يشعر أهلها إلا وهو معهم فى الموكب، وعاد إلى دمشق، ثم إلى القدس، ثم إلى القاهرة، دخلها فى ثالث صفر من سنة ثمان وستين وستمائة.

ثم عاد إلى الشام وعاد على عكا، وتوجه إلى دمشق ثم إلى حماة، وجهز عساكره إلى الإسماعيلية بمصاف وتسلمها فى رجب، ثم عاد إلى دمشق، ثم إلى مصر، ونازل حصن الأكراد وفتحها بالأمان، ثم نازل حصن عكا وفتحه بالأمان وعمل عيد رمضان

وأنشده محى الدين بن عبد الظاهر:

يا مليك الأرض بشراك فقد نلت الإرادة   إن عكا وأنعينا هى عكا وزيادة

وتوجه إلى دمشق، وعاد إلى مصر.

وفى سنة سبعين وستمائة:

خرج أيضًا إلى الشام وعزل أقوش النجيبى عن نيابة دمشق، وولى مكانه أيدكين الفخرى، ثم توجه إلى حمص، ثم إلى حصن الأكراد، وعاد إلى دمشق.

وبلغه الخبر بوصول التتر إلى عينتاب، فتوجه إلى حلب ثم عاد إلى مصر، وبعد أربعة أشهر عاد إلى الشام.

وفى سنة إحدى وسبعين وستمائة:

عاد إلى مصر جريدة، وأقام بالقلعة خمسة عشر يومًا، ثم عاد إلى الشام وتسلم صهيون لوفاة صاحبها سيف الدين أحمد ابن مظفر الدين عثمان، وبلغه أن التتر حاصروا البيرة فتوجه إليها وهزم التتر عنها، وصارت للمسلمين، وعاد إلى مصر دخلها فى خامس عشر جمادى الآخر.

وفى سنة ثنتين وسبعين وستمائة:

استقرت بنو زين ملوك العرب وانقرضت دولة بنى عبد المؤمن.

وفيها: توفى الشيخ العلامة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجنابى، وفضله مشهور.

وفيها: توفى ببغداد الشيخ العلامة نصر الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسى، ومولده حادى عشر جماد الأول سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وقد تكلم عنه، والله تعالى أعلم.

وفى سنة ثلاث وسبعين وستمائة:

توجه الملك الظاهر إلى بلاد سيس وغنم، وعاد إلى دمشق، وأقام بها صلغة ابن التتر نازلوا البيرة فخرج إليهم فى أوائل سنة أربع وسبعين وستمائة، فجاءهم الخبر فى القطيعة أنهم رحلوا عنها، فأتم السير إلى حلب، ثم عاد إلى مصر، وجهز عساكره إلى النوبة، فنهبوا وغنموا وقتلوا وعادوا.

وفى سنة خمس وسبعين وستمائة:

بلغه أن أمراء الروم وفدوا إليه، فخرج إليهم من مصر، ولاقهم فى حلب، ثم عاد إلى مصر فى العشرين من رمضان، ووصل إلى دمشق، ثم عاد إلى النهر الأزرق، ثم إلى البلستين، والتقى مع التتر فانهزموا، وقتل منهم وأسر، ومن جملة من أسر تنجق وسلار الآتى ذكرهما إن شاء الله تعالى.

ثم سار إلى قيسارية وأخذها، وخطب له على منابرها، ثم عاد إلى العمق وأقام بها شهراً، ثم توجه إلى دمشق فوصلها خامس المحرم سنة ست وسبعين وستمائة.

وفى السابع والعشرين من هذا الشهر: مات السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس الصالحى النجمى ـ رحمه الله ـ بدمشق، قيل: إنه انكسف القمر كسوفًا كليًا، وتحدث المنجمون أنه بموت رجل جليل القدر، فقصد الظاهر أن يظهر ذلك فى غيره فاستدعى بشخص من الأيوبية اسمه الملك القاهر من ولد الناصر داود بن المعظم عيسى، وسقاه خمراً مسمومًا، ثم شرب هو فى ذلك القدح غير مسموم، وكانت به بقية من السم، فماتا ودفن الملك بدمشق سراً، وأظهر أنه فى محفة متوجه إلى القاهرة، فلما دخلت حراسه إلى القلعة بالجبل أظهروا موته، وبايعوا ولده الملك السعيد بركة، فكانت مدة سلطنة الظاهر سبع عشرة سنة وشهوراً، وأصله مملوك قنجاقى أسمر اللون أزرق العينين، عرض على المنصور صاحب حماة فما أعجبه، فاشتراه أيدكين البندقدارى الصالحى وهو محبوس بقلعة فى جامعها، وبعد أن أفرج عنه قدمه لأستاذه الملك الصالح أيوب صاحب مصر.

وفيها: توفى شيخ الإسلام محى الدين يحيى بن شرف الدين المزّى النووى ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفى سنة سبع وسبعين وستمائة:

سار السعيد بركة إلى الشام ودخل دمشق وجرد العسكر صحبة الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى، فشنوا الإغارة على بلاد سيس، وغنموا وعادوا، فلم يدخلوا دمشق، فاستعطفهم السعيد، فلم يلووا عليه، واتفقوا على خلعه، واستمروا متوجهين إلى مصر، فركب السعيد من فوره وسبقهم إلى مصر، ونزل بالقلعة، واستمر الأمر على ذلك إلى السنة الآتية، كما سنذكره.

وفيها: توفى عز الدين كيكاوس بن كبخسرو السلجوقى.

وفى سنة ثمان وسبعين وستمائة:

خلع الملك السعيد بركة وأعطى الكرك واستقر فى سلطنة مصر أخوه سلامش، ولقبوه العادل وعمره سبع سنين وشهور، واستقر الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى أتابك العساكر على المنصورة، واستمر شمس الدين مستقر فى نيابة دمشق، وآقوش الشمسى فى نيابة حلب، وبعد أربعة أشهر وعشرة أيام يوم الأحد ثانى عشر رجب جلس قلاوون فى دست السلطنة وخلع سلامش وتلقب بالملك المنصور.

وفى رابع عشر القعدة: جبس سنقر الأشقر فى دست السلطنة بدمشق، وحلف أمراؤها، وتلقب بالملك الكامل وكان عيسى بن مهنا ملك العرب معه.

ومات السعيد بركة فى الكرك، فنقل إلى دمشق ودفن عند والده الظاهر، واستقر بالكرك أخوه نجم الدين خسْرو ولقب الملك المسعود.

وفى سنة تسع وسبعين وستمائة:

جهز الملك المنصور عساكره إلى دمشق، وخرج إليهم سنقر الأشقر بعساكره وعيسى ابن مهنا فانكسروا واستقر بدمشق مكانه الذى كان نائب قلعتها حسام الدين لاجين السلحدار، فإنه لم يكن وافق سنقر.

ومات نائب حلب واستقر مكانه علم الدين سنجر الباشعردى، وكان سنقر الأشقر هرب إلى شيزر فاستقر به السلطان بالثغر وبكاس.

وفى سنة ثمانين وستمائة:

قصد أبغا بن هولاكو الشام وحشد ووصل إلى الرحبة، وسير جيوشه إلى الشام مع أخيه منكوتمر، وخرج السلطان الملك المنصور قلاوون من الديار المصرية بعساكره واجتمعت إليه نواب الشام وسائر عساكر الإسلام حتى سنقر الأشقر، والتقى الجمعان بظاهر حمص الضحوة الكبرى من يوم الخميس رابع عشر رجب وكانت عدة التتر ثمانين ألف فارس غير الأتباع فنصر الله المسلمين وقتلوا وأسروا وغنموا ما لا يحصى، ووصل الخبر إلى القاهرة، ووصل الخبر إلى أبغا وهو يحاصر الرحبة فرحل عنها منهزمًا، ومات أخوه منكوتمر منهزمًا بجزيرة ابن عمر، واتهم أبغا علاء الدين ملك بن محمد الحموى صاحب الديوان ببغداد بمواطأة المسلمين فأخذوا أمواله وقتله، وكان من

الفضلاء العظام ومن شعره فى تركية:

أبادية الأعراب عنى فإننى ... بحاضرة الأتراك نيطت علائقى

وأهلك يا نجل العيون فإننى ... جننت بهذا الناظر المتضايق

وعاد المنصور منصوراً.

وفيها: توفى الشيخ موفق الدين أحمد بن يوسف الطواشى المفكر.

وفى سنة إحدى وثمانين وستمائة:

مات أبغا بن هولاكو ببلاد همدان، فكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة، وشهوراً، وملك بعده أخوه أحمد بن هولاكو، وأرسل الشيخ قطب الدين محمود الشيرازى، وكان إذ ذاك قاضيًا بسيواس إلى الملك المنصور قلاوون، ومضمون رسالته أنه مسلم، وأنه يطلب الصلح مع المسلمين، ولم يتنظم ذلك وعزل السلطان نائب حلب، واستقر فيها قرا سنقر.

وفيها: توفى القاضى العلامة شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان البرمكى، ومولده على ما ذكره هو فى تاريخه يوم الخميس بعد صلاة العصر حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة، بمدينة أربل بمدرسة سلطانها مظفر الدين.

وفى سنة ثنتين وثمانين وستمائة:

خرج أرغون بن أبغا على عمه أحمد سلطان لكونه أسلم، وأمر التتر بالإسلام، فانكسر، وأسره أحمد، ثم اتفقت التتر وأخرجت أرغون من الاعتقال، وركبوا على أحمد سلطان فقتلوه وملكوا أرغون، فقرر ولديه فاران وخر بندا بخراسان.

وفيها: فى رجب قدم السلطان المنصور إلى دمشق، وجاءها فى شعبان سيل عظيم، وخرب عمائر كثيرة، واقتلع أشجار غزيرة، وأخذ من الجبال والخيل والحمير ما لا يحصى، ورجع السلطان إلى مصر.

وفى سنة ثلاث وثمانين وستمائة:

عاد السلطان إلى دمشق وجاء إليه الملك المنصور صاحب حماة، ثم عاد كل منهما إلى بلده، ومات صاحب حماة الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر محمود ابن المنصور عمر بن شاهنشاه بن أيوب فى شوال وعمره إحدى وخمسين سنة وستة أشهر وأربعة عشر يومًا، ومدة سلطنته إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام، وكان

ملكًا حليمًا، قدم مرة الظاهر بيبرس إلى حماة فرفع الحمويون عنده قصص بالشكوى على المنصور فجمعها الظاهر وأرسلها إليه، وخاف الحمويون من ذلك فأحضر المنصور نارًا وأحرق القصص ولم يعلم من هو ولا أحد ما فيها، بحيث لا يتغير خاطره على أحد منهم.

واستقر بعده الملك المظفر محمود وجاءه التشريف من سلطان مصر.

وفى سنة أربع وثمانين وستمائة:

قدم السلطان الملك المنصور قلاوون إلى دمشق، وحاصر المرقب، وأخذها.

قال السلطان عماد الدين المؤيد إسماعيل فى تاريخه: كنت حاضرًا وعمرى ثنتى عشرة سنة.

وعاد السلطان إلى بحيرة حمص، وورد عليه الخبر بولاية ولده الملك الناصر، وعاد إلى مصر مسرورًا فرحًا.

وفى سنة خمس وثمانين وستمائة:

أرسل قلاوون عسكرًا حاصروا الكرك وأخذها بالأمان من خسرو وسلامش ولدى الظاهر بيبرس، ثم خرج إليها، فقرر أمرها وعاد إلى مصر.

وفى سنة سبع وثمانين وستمائة:

توفى الشيخ إبراهيم بن معضاد الجعبرى الزاهد القدوة وشيخ الأمير علاء الدين على ابن أبى الحسن بن يتمش القرشى الدمشقى بمصر.

وفى سنة ثمان وثمانين وستمائة:

توجه الملك المنصور قلاوون بالعساكر إلى طرابلس وحاصرها وفتحها بالسيف، وغنم المسلمين ما لا يحصى، ثم هدمها إلى الأرض، وكان لها مع الفرنج نحو مائة وخمسة وثمانين سنة.

وفى سنة تسع وثمانين وستمائة:

مات السلطان الملك المنصور قلاوون فكانت مدة ملكه نحو إحدى عشرة سنة وأربعة أشهر واستقر فى السلطنة ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل.

وفى سنة تسعين وستمائة:

توجه الأشرف خليل إلى عكا بالعساكر المصرية والشامية وحاصرها بالمناجنيق،

وفتحها بالسيف، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة، وهدمت إلى الأرض، ورعبت الفرنج من ذلك فأخلوا صيدا وبيروت وعثلية، وأنطرسوس، وصور، وخربت جميعها، وخلت سواحل الشام من الفرنج.

وفيها: حمل قراسنقر عمارة قلعة حلب، وكان لها ثلاث وثلاثون سنة خرابًا منذ خربها هولاكو.

وفى سنة إحدى وتسعين وستمائة:

سار الملك الأشرف بالعساكر الإسلامية إلى قلعة الروم وحاصرها، وفتحها بالسيف وقلعها بالأمان على أرواحهم مع أسرهم، وأخذ أموالهم، ولما عاد السلطان عزل قراسنقر عن حلب وأخذه معه، وولى مكانه بلبان البطاحى، وعزل علم الدين سنجر الشجاعى عن دمشق، وكان ولاه فى حصارها عكا دمشق عوضًا عن حسام الدين لاجين، وولى عز الدين أتبك الحموى.

وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة:

توجه السلطان الملك الأشرف من مصر إلى الشام، ونزل قريبًا من حمص، فجاءه بعيسى بن مهنا وأخواه محمد وفضل وولده موسى فقبض عليهم وأرسلهم إلى قلعة الجبل، ثم عاد إلى مصر.

وفى السنة المذكورة: قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وكان فى الصيد فى بروجة، فركب عليه مماليك أبيه بيدرا ولاجين الذى كان نائبًا بالشام، وقراسنقر الذى كان نائب حلب، وكان إذ ذاك راكبًا يسير فى قليل من خواصه، وضربه بيدرا، ثم لاجين حتى فارق، فحمله والى بروجة إلى القاهرة، ودفنه بتربته، وانجمعوا مماليك السلطان وتبعوا بيدرا فقتلوه ورفعوا رأسه على رمح، وأما لاجين وقراسنقر فاختفيا

وانعقد الأمراء على سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون واستقر الأمير زين الدين المنصورى فى نيابة السلطنة، وعلم الدين سنجر الشجاعى وزيرًا، وجلس على سرير الملك فى العشر الأوسط من المحرم، ثم ظفروا بمن كان مع قتلة الملك الأشرف من الأمراء فأمسكوا وقطعت أيديهم وأرجلهم، ثم صلبوا، وحصلت الشفاعة فى لاجين وقراسنقر فظهرا وأمِّرا.

وفى سنة أربع وتسعين وستمائة:

جلس كتبغا فى دست السلطنة وتلقب الملك العادل، وضربت السكة، وأقيمت الخطبة باسمه فى مصر والشام، وجعل السلطان الملك الناصر بن قلاوون فى قاعة محجوبًا، وأفرج عن أولاد عيسى بن مهنا، وقصر النيل عن الوفاء وأعقب ذلك غلاء عظيمًا ووباء.

وفيها: أسلم غازان ملك التتر، ونثر على الخلق الذهب، وكان يومًا مشهودًا.

وفى سنة خمس وتسعين وستمائة:

قدمت الغورانية إلى بلاد الإسلام هاربين من قازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو لما استولى على ملك التتر، وقتل عمه بيدر بن طرغنة بن هولاكو، وكانوا نحو عشرة آلاف إنسان، قابلهم السلطان كتبغا بالساحل وأحسن إليهم كيف جاءوا مسلمين، وأعطاهم الإقطاعات.

وفيها: توجه السلطان كتبغا إلى الشام، وعزل نائب دمشق أتبك الحموى، وولى مملوكه غرلو نيابة دمشق، ثم توجه إلى القاهرة فى مستهل سنة ست وتسعين وستمائة، فلما كان بمخيمة العوجا ركب عليه لاجين، وكان كتبغا قد استقر به فى نيابة السلطنة بعد أن تشفع فيه حين كان مختفيًا، وركب معه قراسنقر أيضًا ومن معهما من الأمراء، فهرب كتبغا إلى دمشق، وخلع نفسه من السلطنة، وأرسل يطلب الأمان من لاجين، فأمنه وأعطاه صرخد، وبويع للاجين بالسلطنة، ولقب الملك المنصور، وتوجه بالعساكر إلى مصر، فلما وصل أرسل بسيف الدين قبجق نائبًا إلى الشام، وأرسل الملك الناصر محمد بن قلاوون من القاعة التى كان فيها محترزًا عليه إلى الكرك.

وفى سنة سبع وتسعين وستمائة:

جهز السلطان لاجين عساكره إلى بلاد الأرمن، وفتحت جميعها خلا سيس.

وفيها: توفى فى ثامن عشرين شوال القاضى العلامة جمال الدين محمد بن سالم بن واصل قاضى القضاة الشافعية بحماة، ومولده سنة أربع وستمائة.

وفى سنة ثمان وتسعين وستمائة:

وثب على السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين جماعة من مماليكه الصبيان أول الليل وهو يلعب بالشطرنج فقتلوه، فكانت مدة ملكه سنتين وثلاثة أشهر، واتفقت

الأمراء على إعادة الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى مملكته، فأحضروه، واستقر فى السلطنة، وولى نيابة مصر سدار، ونيابة دمشق آقوش الأقرم.

وفيها: توفى الملك المظفر تقى الدين محمود بن الملك المنصور محمد سلطان حماة، وعمره إحدى وأربعين سنة وعشرة أشهر وسبعة أيام، ومدة سلطنته خمسة عشر سنة وشهرًا، ويومًا، واستقر قراسنقر نائب السلطنة بحماة.

وفى سنة تسع وتسعين وستمائة:

وصل قازان بمجموعة إلى حلب، وخرب وأسر وقتل، وسار إلى حماة، وخرجت العساكر الإسلامية وسلطانهم الملك الناصر والتقى الجمعان بالقرب من حمص، ووقع قتال عظيم وانكسرت المسلمون، واستولت التتر على دمشق، وتبعوا المنهزمين إلى غزة والقدس والكرك، وغصبت قلعة دمشق، وكان نائبها أرجواش المنصورى فقام فى حفظها أتم قيام، وحرق كل ما حولها دار النيابة وغيرها، وبذلت أهل دمشق لقازان مالاً عظيمًا، فأمنهم، ورحل عنهم إلى بلاده، وقرر بدمشق قبجق، وجرد معه بمدة من الغل، وبلغ المصريون سير قازان على دمشق، فخرج السلطان بهم إلى الصالحية، وجهز سلار وبيبرس الجاشنكير، وعاد هو إلى القاهرة.

فلما قاربت العساكر دمشق هرب إليهم قبجق، وهربت المغل ووصل سلار وبيبرس إلى دمشق، وقرزا أمرها، واستقر بقراسنقر فى نيابة حلب، وبالأقرم فى نيابة دمشق وكتبغا المنصورى الذى كان سلطان مصر فى نيابة حماة، وعاد إلى القاهرة، وأما الأرمن فإنهم طمعوا واستعادوا قلاعهم، وما جاورها، خلا شغلان.

وفى سنة سبعمائة:

عادت التتر وقطعوا الفرات، وعاثوا فى بلاد حلب، وجفلت أهل حلب وحماة نحو الشام، وخرج عسكر مصر والسلطان، ووصلوا إلى العوجا، فردت التتر إلى بلادهم وكفى الله المؤمنين شر القتال، وتوجه السلطان إلى مصر.

وفيها: بسبب مجيئ التتر استخرج من غالب الأغنياء بمصر والشام ثلث أموالهم لاستخدام المقاتلة.

وفيها: ألزمت أهل الذمة النصارى واليهود والسّمرة بلبس الأزرق والأصفر والأحمر.

وفى سنة إحدى وسبعمائة:

توفى الخليفة بمصر أبو العباس أحمد الحاكم بأمر الله، كان قدم إلى مصر، فعمل له الظاهر بيبرس مجلسًا عامًا فى سنة ستين وستمائة وأثبت أنه من ولد العباس عم النبى ﷺ، من ولد المسترشد ابن المستظهر، وحبسه فى برج مع الإحسان إليه، وأشركه فى الخطبة مع اسمه، واستقر مكانه ولده أبو الربيع سليمان المكتفى بالله.

وفى سنة ثنتين وسبعمائة:

جاءت التتر بجموعهم إلى بلاد المسلمين صحبة فطلو شاه نائب قاران، وانحازت العساكر الشامية إلى دمشق، وتوجهت العساكر المصرية نحو الشام، واجتمعوا بمرج الصفر، وتجاوزت التتر دمشق ونزلوا بقسحب، وتراءى الفريقان وفى تلك الساعة وصل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ووقع القتال الشديد من العصر ثانى يوم رمضان إلى أن دخل الليل، واستشهد جماعة من المسلمين، وانكسرت التتر، وقتل منهم خلق كثير، واحتاط المسلمون بالتتر، فلما أصبحوا ورأوا كثرة المسلمين ولوا على ديارهم، وتبعهم المسلمون قتلاً، وأسرًا، وغرق فى الفرات غالب من هرب منهم، ونصر الله المؤمنين نصراً مؤيداً.

وفى الحجة منها: توفى زيد الدين كتبغا العادل نائب السلطنة بحماة، واستقر مكانه قبجق.

وفيها: توفى قاض القضاة بدر الدين الحموى، المعروف بابن جماعة.

وفيها: كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام، هلك فيها خلق كثير، وخرب من أسوار حمص ست وأربعون بدنة، وبعض أسوار حماة.

وفى سنة ثلاث وسبعمائة:

توفى قاران بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان بالرى، فكانت مدة ملكه ثمان سنين وعشرة أشهر، واستقر مكانه أخوه خربندا، وتلقب الحسن سلطان.

وفيها: وقع فى الخيل موت حتى كادت أن تعدم بالجملة.

وفى سنة أربع وسبعمائة:

طلب الشيخ تقى الدين بن تيمية إلى مصر وعقد له مجلس، وأودع فى السجن، وكان سئل عن عقيدته وادعى على أنه نقل أن الاستواء على العرش هو الجلوس وأن الله

- عز وجل - يتكلم بصوت وحرف، وعقد له بدمشق ثلاث مجالس، ثم طلب إلى مصر فعقد له مجلس، وأودع فى السجن فى جب هو وأخوه بضعة عشر شهراً، ثم أخرج، ثم حبس بحبس الحاكم، ثم اقتيد إلى الأسكندرية إلى سنة تسع[1].

وفى سنة خمس وسبعمائة:

مات صاحب الغرب أبو يعقوب يوسف.

وفى سنة ثمان وسبعمائة:

أظهر السلطان الملك الناصر قصد الحجار، وتوجه إلى الكرك وأقام بها، وجهز نائب الكرك جمال الدين آقوش إلى الديار المصرية يعلم الناس أن السلطان كره الإقامة بمصر لتغلب بيبرس وسلار عليه، فاتفقوا على سلطنة بيبرس، وركب بأبهة السلطنة، وتلقب الملك المظفر.

وحلف له نواب الشام جميعهم، واستقروا بالسلطان الملك الناصر فى نيابة الكرك.

وفى سنة تسع وسبعمائة:

خرجت من مصر جماعة من الأمراء على حمية إلى الكرك، وجاءت كتب من بلاد الشام، وخرج السلطان الملك الناصر من الكرك، ثم بلغه بخبر الأقرم نائب الشام فرجع ثم كثر طلب الناس له، فخرج، فلما وصل الشام هرب الأقرم، ثم طلب الأمان وحضر، وحضرت نواب الشام حلب وحماة وغيرها، وسار السلطان بعساكره نحو مصر، فلما وصل غزة جاء أمراء مصر أولاً فأولاً طائعين وأرسل بيبرس يطلب الأمان، وهرب إلى جهة الصعيد، وخرج سلار إلى ملاقاة السلطان، ودخل قلعة الجبل.

وكانت هذه سلطنته الثالثة فى يوم الجمعة ثالث شوال وأحضر بيبرس بين يدى السلطان فأمر بحبسه، وكان آخر العهد به، واستقر فى نيابة السلطنة بكتمر الجوكندار، واستقر قراسنقر فى نيابة الشام، واستقر مكانه بحلب قبجق الذى كان بحماة، واستقر مكانه بحماة أستدمر.

---

(١) جرى الشيخ على عادته فى ذكر الحنابلة وذكر ما يسوؤهم بغير ما إنصاف، ولكنه هذه المرة تعرض لبستان زاهر، وجبل شاهق بديع الألوان والمناظر، فكان لابد أن يقف ليصفه ويعرض ما فيه من الأبهة والعظمة ولكنه ما فعل. نسأل الله الإنصاف.

وفى سنة عشر وسبعمائة:

استقـر الملك المؤيد عماد الدين إسمـاعيل صاحب التاريخ فى نيابة السـلطنة بحماة، وانتقل أستـدمر الكرخى إلى نيابة حلب، وأمسك قـبجق، وتوفى بظاهر حلب، ودفن بحمـاة، وفرح أهل حمـاة، بل سائر الناس بذلك، وأنشـد الشيخ زين الدين عـمر بن الوردى:

وفـار المؤيـد فى يومـه بما كان يرجـوه فى أمسه
وكم قد شكى الجيف من دهره فأنصفـه الدهر مـن نفسـه

واستـقر نائبًا بحمـاة مدة عشر سنين، فـى كل سنة يتوجه إلى الملك الناصـر بهدايا عظيمة من الجواهر وغيرها، ويبالغ السلطان فى إكرامه.

وفيها: قدم صدر الدين بن الوكيل إلى حلب حين عزل عن وظائفه بدمشق، وأكرمه أستدمر، ورتب له معلومًا بجامع حلب.

وفيها: أفرج عن الشيخ تقى الدين بن تيمية، أخرج من حبس الأسكندرية.

وفى سنة إحدى عشرة وسبعمائة:

استـقر الأميـر أرغون الداوادار نائب الملك بالديار المصرية، وباشـر مباشـرة حسنة، واستمر ست عشـرة سنة، وعظمت دولة الملك الناصر، وطالت مدة نوابه بالممالك تنكز بالشام والكتبغا بحلب وليها بعد سوريا فى سنة أربع عشرة وسبعمائة.

وفى سنة تسع عشرة وسبعمائة:

حج السلطان الملك الناصر ومعه الملك المؤيد نائب حماة، فلما عاد إلى القاهرة ولاه سلطنة حماة على قاعدة أيامـه، يخطب له بحماة، ولا يرد عليه بوضع ولا منشور من القاهرة، وأركبه بشعار السلطنة والغاشية والشبابة بمصر، ومشى فى خدمته أرغون نائب الملك وأمراء القاهرة فى يوم مشهود.

وتوجه إلى حماة فى يومه فى يوم الخميس سابع عشر المحرم سنة عشرين وسبعمائة، ولقبه الملك الصالح، ورسم لتنكز ولسائر المـماليك أن يكتبوا له بقتل الأرمن، ثم لقب الملك المؤيد.

وفى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة:

وقع بالقاهرة حريق عظيم وتوالى الحريق، ونسب ذلك إلى النصارى، فأمسك منهم

جماعة، فأقروا، فأحرق منهم خمسة وضرب عنق سادس.

وفى سنة ست وعشرين وسبعمائة:

توجه الأمير أرغون النائب إلى الحجاز وتغير عليه السلطان فى غيبته، فلما حضر أرسله نائبا إلى حلب، وطلب الطنبغا إلى مصر، واجتمعت الأمراء الثلاثة بدمشق تنكز وأرغون والطنبغا.

وفى سنة سبع وعشرين وسبعمائة:

توفى قاضى القضاة كمال الدين أبو المعالى محمد ابن الإمام علاء الدين على بن عبد الواحد بن عبد الدايم التركمانى، كانت انتهت إليه رئاسة مذهب الشافعى ولى قضاء حلب فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة، توفى ببلبيس ودفن بالقاهرة.

وفى سنة ثلاثين وسبعمائة:

توفى القاضى علاء الدين بن الأثير، كاتب السر بمصر واستقر عوضه محى الدين بن فضل الله.

وفى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة:

نهار الأربعاء تاسع صفر وصل نهر الساجور إلى حلب فزيد فيه نهر فوتق بساقية بناها الأمير أرغون الداوادار وكان يوم وصوله يومًا مشهودًا، خرج لتلقيه ملك الأمراء وسائر الناس مشاة مكبرين مهللين، ومنع أهل الذمة من الخروج معهم، وكذا المطربين، وكان قبله الأمير سودى نائب حلب، فصد سوقه، وشرع فيه، فقيل له: من ساقه يموت فى عامه، فتأخر عنه، وقيل مثله لأرغون، فقال: لا أرجع عن خير عزمت عليه، فقدر الله أنه مرض قبل أربعين يومًا، ومات ـ رحمه الله تعالى ـ وأنشد القاضى الفاضل شرف الدين الحسين بن ريان ـ رحمه الله تعالى ـ:

لما أتى نهر الساجور قلت له كم ذا التأخير من حين إلى حين
فقال أخرّنى ربى ليجعلنى من بعض معروف سيف الدين أرغون

وأنشد القاضى الفاضل بدر الدين حسن بن حبيب ـ رحمه الله تعالى ـ:

قد أضحت الشهباء تثنى على أرغون فى صبح وديجور
من نهر الساجور أجرى بها للناس بحرًا غير مسجور

ودفن فى التربة التى أنشأها بسوق الخيل بين ثانى القوس، وكان عمره نحو الخمسين، اشتراه الملك المنصور قلاوون صغيراً لولده الملك الناصر، وربى معه بالكرك، ثم ولاه نيابة الملك بمصر بعد بيبرس الداوادار ست عشرة سنة كما تقدم.

ثم نقله إلى نيابة حلب، ثم طلب الحضور فحضر واجتمع بالسلطان وتباكيا ثم عاد إلى حلب ومات بها، وكان حنفيًا ورعًا، أذن له بالإفتاء على مذهبه، سمع صحيح البخارى على الشيخ أبى العباس أحمد بن الشحنة الحجار ووُزَيْرَة بنت عمر بن أسعد بن المنجى بمصر فى سنة خمس عشرة وسبعمائة، فقرأه الشيخ أبى حيان، كتب بخطه مجلداً منه، وعاد الأمير الطنبغا إلى نيابة حلب واستمر ثمان سنين.

وفى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة:

توفى الملك المؤيد إسماعيل ابن الملك الأفضل ابن السلطان الملك المظفر تقى الدين محمود ابن السلطان الملك المنصور محمد ابن السلطان الملك المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادى، كان من أعيان الأمراء، قائمًا فى أمر السلطنة فى مهماتها، حضر فتح المرقب فى خدمة السلطان الملك المنصور قلاوون سنة أربع وثمانين وستمائة، وفتح قلعة الروم فى خدمة الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وفتح طرابلس، وفتح عكا، ثم صار نائبًا بحماة، ثم سلطانًا كما حكيناه، فكان عالمًا أديبًا، له اليد الطولى فى الرياضة والهندسة والهيئة، أخذ ذلك عن الشيخ أمين الدين الأبهرى، وامتدحه الشعراء من البلاد، ووقفوا عليه، وأجرى عليهم الجوائز، منهم صفى الدين الحلبى عبد العزيز بن سرايا، ومن شعره:

سواء بتنا والنقع والسمر والظباء ... وأحسابنا والحلم واليأس والبر

هبوب الصبا والليل والبرق والقضاء ... وشمس الضحى والطود والنار والبحر

ومنه:

وظبى تقفز فوق طرف مفرق ... لقوس رمى فى النقع وحشًا باسهم

كبدر بأفق فوق برق بكفه ... هلال رمى فى الليل حينًا بأنجم

وللشيخ جمال الدين أبى بكر محمد بن محمد بن محمد بن نباتة المصرى كتب مفردة فى مدائحه، منها: «منتخب الهدية فى المدائح المؤيدية» لم ينظم بعد فى طبقته، وللسلطان عماد الدين - رحمه الله تعالى - عدة مؤلفات فى أنواع العلوم، وأشعار

رائقة، فمن مؤلفاته نظم الحاوى الصغير، وشرحها قاضى القضاة شرف الدين أبو القاسم هبة الله البارزى، ومنها نوادر العلوم فى مجلدين، ومنها كتاب الكائن فى مجلدين، وكتاب تقويم الأبدان، وكتاب الموازين، وكتاب التاريخ المسمى: «بالمختصر فى أخبار البشر» ومن أشعاره:

اقرأ على طيب الحياة ... سلام صبٍ ذاب حزنا
واعلم بذاك أحبتة ... بخلَ الزمان بهم وضنا
لو كان يُشرى قربهم ... بالمال والأرواح جُدنا
فتجرع كأس الفراق ... نبيت للأشجان رهنا
صب قضى وجداً ولم ... يقضى له ما قد تمنى

ومنه:

أكرم به طرفا يفوت به القضاء ... إن رمته فى مطلب أو مهرب
مثل الغزالة ما بدت فى مشرق ... إلا بدت أنوارها فى المغرب

ومنه:

كم من دم حللت وما ندمت ... تفعل ما تشتهى فلا عدمت
لو أمكن الشمس عند رؤيتها ... لثم مواطىء أقدامها لثمت

كانت وفاته بحماة، ودفن بتربته ـ رحمه الله تعالى ـ واستقر بعده فى سلطنة حماة ولده الملك الأفضل محمد، وفيه يقول الشيخ جمال الدين محمد بن نباته المصرى:

أهلاً بمقدمك السعيد وحبذا ... عيش على رغم الأعادى مقبل
طلع الهلال بمنٍّ وجهد للورى ... يتفاضلان فكنت أنت الأفضل

وفى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة:

ورد لؤلؤ القندسى شاذ الدواوين بالقاهرة لمصادرة أهل حلب. وقتل فى المسلمين حتى أنشد فيه ابن الوردى ـ رحمه الله تعالى ـ:

قلبى لعمر الله معلول ... بما جرى للناس مع لؤلؤ
يا رب قد شرد عنا الكرى ... سيف على العالم مسلول
ما لهذا السيف من مغمد ... سواك يا من لطفه السول

وفى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة:

توفى الحافظ أبو الفتح بن سيد الناس بالقاهرة منتصف شعبان.

وفى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة:

عمَّر تنكز نائب الشام قلعة جعبر بأمر السلطان الملك الناصر.

وفيها: حضر الطنبغا نائب حلب قلعة النقر وخربها.

وفيها: توجه الطنبغا ومعه عساكر مصر والشام، وحاصروا إياس وأخذوها بالأمان وتسلموا القلاع التى شرقى نهر جيحان.

وفى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة:

توفى قاضى القضاة شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن المسلم البارزى الجهنى الحموى، وكان عالمًا كبيرًا، رحلت إليه الناس، وأخذوا عنه العلم.

وفى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة:

توفى الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان العباسى.

وفى سنة أربعين وسبعمائة:

توفى الأمير تنكز الناصرى نائب دمشق، وكان عفيفًا صارمًا، أنشأ بدمشق جامعه المعروف، وأنواعًا من المعروف، وطالت مدته نحو ثلاثين سنة، وأنشد فى ذلك القاضى الفاضل صلاح الدين بن أتبك الصفدى:

ألا هل لليلات تقضت على الحمى ... تعود بوعد للسرور منجز

ليال إذا رام المبالغ وصفها ... يشبهها حسنًا بأيام تنكز

وفيها: ولى نيابة دمشق الأمير الطنبغا الصالحى عوضًا عن الأمير تنكر.

وفيها: ولى نيابة حلب الأمير سيف الدين طوغان عوضًا عن الطنبغا.

وفيها: أى فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة:

توفى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان عمره نحو ثمان وخمسين سنة، ومدة سلطنته نحو ثلاث وأربعين سنة.

قال القاضى بدر الدين الحسن بن حبيب فى تاريخه عنه: جلس على سرير الملك

ثلاث مرات، وظفر بما لا يعد من التهانى والمسرات، واستقر فى السلطنة ولده المنصور أبو بكر بعهد من أبيه إليه، واستقر فى نيابة حلب الأمير تكتمر عوضًا عن طوغان.

وفى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة:

توفى الملك المنصور أبو بكر بن محمد بن قلاوون، واستقر أخوه الملك الأشرف كجك فى أول شهر ربيع الأول، وخلع فى رمضان، وكان عمره ثمان سنين واستقر فى السلطنة أخوه الملك الناصر أحمد.

وفيها: توفى الملك الأفضل محمد ابن المؤيد صاحب حماة.

وفيها: توفى الطنبغا الصالحى مقبوضًا عليه بالاسكندرية، وكان مليكًا جليلاً، خيرًا دينًا، له غزوات عديدة فى بلاد سيس، ولى نيابة دمشق، وولى حلب مرتين نحو عشرين سنة، وعمَّر بظاهرها جامعه المعروف، وعدة قساطل وسبلانات.

وفيها: توفى الأمير موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا حاكم العرب بتدمر.

وفيها: توفى الحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكى بن عبد الرحمن بن يوسف المزى، وهو القائل: إن عاد يومًا رجل مسلم أخًا له فى الله أو زاره فهو جدير عند أهل النهى بأن يحط الله أوزاره.

توفى بدمشق وعمره ناهز التسعين.

وفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة:

توجه السلطان أحمد إلى الكرك، وعصى بها، واستقر فى السلطنة بمصر أخوه الملك الصالح إسماعيل، واستقر الأمير تغردمر الحموى فى نيابة حلب عوضًا عن أيدغمش، ونقل أيد غمش إلى نيابة دمشق، واستقر عوضه بحلب علاء الدين الطنبغا الماردينى، وتوفى الأمير طمر الناصرى المعروف بحمص أخضر مقتولاً بالكرك، ومطلوبغا الفخرى نائب الشام كذلك.

وفيها: وردت رسل ملك الخطا بأنه قد هداه الله إلى الإسلام، وسأل فى وجد عالم يعرفهم شرائع الإسلام، ويطلب كتب علم الشريعة.

وفى سنة أربع وأربعين وسبعمائة:

كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام، وخرجت الناس إلى الصحارى، وتواترت بعدها زلازل مدة، وأنشد:

زلزلت الأرض بنا زلزالها وقال كل من عليها ما لها

فقلت إذ فروا إلى الصحراء ها قد أخرجت أرضكم أثقالها

وفيها: توفى الطنبغا الماردينى، واستقر عوضه بليغا اللحياوى، وبعد ستتين نقل إلى نيابة دمشق، واستقر مكانه أرقطاى.

وفى سنة ست وأربعين وسبعمائة:

توفى السلطان الملك الصالح إسماعيل، قيل: إنه لما حوصر أخوه السلطان أحمد بالكرك، وأحضر رأسه إلى الصالح ارتجف ومرض، ومات، واستقر فى السلطنة أخوه الملك الكامل شعبان، وفيه أنشد الشيخ جمال الدين بن نباتة:

جبين سلطاننا المرجى مبارك الطالع البديع

يا بهجة الزهر إذ تبدى هلال شعبان فى ربيع

وفيها: توفى الأمير تغردمر الحموى فى نيابة دمشق، باشر نيابة مصر ودمشق وحلب وحماة ـ رحمة الله تعالى ـ.

وفى سنة سبع وأربعين وسبعمائة:

قتل الملك الكامل شعبان وولى السلطنة أخوه الملك المظفر حاجى، واستقر فى نيابة دمشق الأمير طمر الأحمدى عوضًا عن أرقطاى، ثم استقر فى نيابة حلب عوضه الأمير تدمر البدرى، وورد إلى حلب وبلادها جراد عظيم.

وفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة:

توفى السلطان الملك المظفر حاجى، قيل: قتله يلبغا أروش، واستقر فى السلطنة أخوه الملك الناصر حسن، وفى نيابة حلب عوض بتدمر البدرى الأمير أرغون شاه، ثم نقل إلى دمشق، واستقر بحلب فخر الدين أبار الناصرى، ثم قبض، واستقر عوضه أرقطاى.

وفيها: توفى الأمير بلبغا البحناوى، وكان ملكًا جميلاً، ولى حلب وحماة ودمشق، وبنى جامعه المعروف.

وفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة:

كان الفناء الكبير بمصر والشام وغالب البلاد إلا معرة النعمان.

وأنشد فيه ابن الوردى:

رأى المعرة عينًا زانها حور لكن حاجبها بالجور مقرون
ماذا الذى يصنع الطاعون فى بلد فى كل يوم له بالجور طاعون

وفيها: خرج قراجا بن دلغادر التركمانى عن الطاعة، قال الوردى:

وتسمى بالملك القاهر وأبان عن فجور وحمق ظاهر

وفيها: توفى خليفة مصر الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد وبويع أخوه المعتضد بالله.

وفى سنة خمسين وسبعمائة:

ولى الأمير سيف الدين أرغون الكاملى نيابة حلب عن قطليجا الحموى، وكان وليها نحو شهر ومات ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفيها: توفى الحاج أرقطاى الناصرى، باشر نيابة حمص، ثم صفد، ثم طرابلس، ثم حلب، ثم مصر، ثم حلب، ثم ولى دمشق، فتوجه إليها، مات بعين المباركة، وحمل إلى حلب ودفن بتربة سورى، وكان يحب حلب، وأنشد فيه:

قالوا أرقطاى قد مات قلت فهل فى الموت بعد الحياة من عجب
ما مات من فرجة بنقلته بل مات من حزنه على حلب

وكان عمره سبعين سنة.

وفيها: توفى صفى الدين العزيز بن سرايا الحلبى الشاعر المشهور ببغداد.

وفيها: توفى أرغون شاه نائب دمشق مقتولاً بالمنبيع.

وفى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة:

وقع حريق عظيم بخط البندقاين بالقاهرة، واستمرت النار قرابة يومين وليلتين، وجميع الأمراء وقوف تطفئه.

وفى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة:

خلع السلطان حسن، وحبس، واستقر فى السلطنة أخوه الملك الصالح صالح.

وفى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة:

سار يلبغا أروش نائب حلب ومعه قراجا بن دلغادر إلى مصر طالبًا الملك لنفسه،

وانجرفت معه عساكر عظيمة منها نائب طرابلس، ونائب حماة، ونائب صفد، فخرج إليه الملك الصالح بعساكره، فلما بلغه ذلك رجع من قبلى إلى دمشق إلى جهة حلب، فمنع عنها وتشتت شمله، وتفرقوا أيادى سبأ، واستقر نائبًا بحلب عوضه الأمير أرغون الكاملى.

وفى سنة أربع وخمسين وسبعمائة:

وقع فى القبضة يلبغا أروش، وبكلمش، وأمير أحمد وقتلوا وحضرت رؤسهم من حلب إلى القاهرة.

وفى سنة خمس وخمسين وسبعمائة:

خلع الملك الصالح وأعيد الملك الناصر حسن إلى السلطنة، واستقر طار فى نيابة حلب عوضًا عن أرغون الكاملى.

وفيها: كانت قراءة العهد بيننا وبين أهل الذمة، وألزموا بما فيه وجعل للإسلام وأهله نصرة عظيمة بذلك.

وفى سنة ست وخمسين وسبعمائة:

كملت المدرسة الشيخونية بالقاهرة وحضر بها شيخ شيوخها أمجد الدين الحنفى، وبقية الشيوخ ذوى المذاهب الثلاثة.

وفيها: توفى العلامة تقى الدين السبكى.

وفى سنة سبع وخمسين وسبعمائة:

نودى ألا يستخدم أحد من أهل الذمة فى شىء من الجمعات الديوانية وألا يمكنوا أن يكونوا صيارف.

وفيها: استحوذ الفرنج على صيدا.

وفى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة:

توفى أرغون بن طيحوا الكاملى بالقدس الشريف، ودفن فى تربته هناك وعمره دون الثلاثين سنة، أنشأه الملك الصالح إسماعيل، وزوجه أخته من أمه، وكان يسمى أرغون الصغير، فلما مات الصالح وولى أخوه الكامل أعطى أرغون نقد مائة ألف ونهى أن يسمى أرغون الصغير، فسمى الكامل، وولى نيابة حلب، ثم انتقل إلى نيابة دمشق،

عوضًا عن أتمش، وتوجه فى حركة يلبغا أروش إلى مـلاقاة العساكر المصرية، وعاد مع طار، وسنجوا إلـى حلب وراء يلبغا أروش، واسـتمـر فى حلب نائبًا، وحصَّل يلبـغا أروش وحبـسه فى القلعة، وكـان آخر العهـد به، وحصل أحـمد الساقى نائب حـماة وبكالش نائب طرابلس، وقراجا بن يلغادر، وعـمر بن بصانة المعروف فى حلب داخل قيسيرين، وقف عليه قرية نيش العظمى من العـربات، ثم طلب إلى مصر أميرًا مقدمًا، ثم جهـز إلى الأسكندرية مقـبوضًا عليه، ثم أفـرج عنه وتوجه إلى القـدس الشريف، فكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفيها: توفى الأمير سنجوا.

وفيها: توفى الشيخ العلامة قوام الدين أمير كاتب بن أميـر عمر عميد بن أمير غازى الفارابى الأمـتانى الحنفى مـصنف غاية البناية فى شرح الـهداية، وولى تدريس مشـهد الإمام أبى حنيفـة ـ رحمه الله ـ ببغـداد، وقدم مصر فأكـرمه الأمير صـرغتمش، وبنى المدرسة الطرغتمشية المشهورة بالديار المصرية.

وقرب فى المشيخة والتدريس بها، ويوم حـضور الدرس مشى فى خدمته هو وأعيان مقدمى الألوف من بيته إلى المدرسة، وتوفى بمصر.

وفى سنة تسع وخمسين وسبعمائة:

ولى الأميـر سيف الدين منجك الناصـرى نيابة حلب عـوضًا عن طار، ثم نقل إلى دمشق، واستقر عوضه بحلب الأمير على الماردينى.

وفى سنة ستين وسبعمائة:

طلب منجك إلى مصر فغيب من غزة ولم يعلم له خبر، ونقل الأمير على إلى نيابة دمشق، واستقر عوضه بحلب الأمير بكتـمر المؤمنى، ثم أمسك بكتمر المؤمنى، واستقر عوضه بحلب الأمير بيدمر الخوارزمى.

وفى سنة إحدى وستين وسبعمائة:

توجه الأمير بيدمر بالعساكر الحلبية إلى غزو البلاد السيسية، وفتح أدنة، وطرسوس، ومصّيصاء، وعدة قلاع، وعاد مؤيدًا منصورًا.

وفيها: ولى الأمير شـهاب الدين أحمد بن القشـتمرى نيابة حلب عـوضًا عن بيدمر الخوارزمى.

وفى سنة اثنتين وستين وسبعمائة:

توفى السلطان الملك الناصر حسن قتله مملوكه الأمير يلبغا الخاصكى، واستقر فى السلطنة ابن أخيه الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجى، واستقر فى نيابة حلب قطلبغا الأحمدى عوضًا عن ابن القشتمرى.

وفى سنة ثلاث وستين وسبعمائة:

توفى خليفة مصر الإمام المعتصم بالله أبو الفتح أبو بكر ابن المكتفى بالله أبى الربيع سليمان، واستقر مكانه ولده المتوكل على الله أبو عبد الله محمد.

وفيها: استقر الأمير سيف الدين منكلى بغا الشمسى فى نيابة حلب عوضًا عن قطلبغا الأحمدى، واستمر سنة كاملة.

وفيها: توفى الأمير طاز بدمشق بعد أن كان أمسك حين عصى بحلب، وخرج منها على حمية، وأكحل ثم أطلق.

وفى سنة أربع وستين وسبعمائة:

خلع السلطان الملك المنصور محمد ابن المظفر، واستقر عوضه فى السلطنة ابن عمه الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكانت ولايته فى شهر شعبان، ولم يكن أبوه ولى السلطنة، وكان لقبه الملك الأمجد حسين، وعاد إلى نيابة حلب قطلبغا الأحمدى، ونقل منكلى بغا إلى دمشق نائبًا، وبعد ثلاثة أشهر مات قطلبغا الأحمدى بحلب، واستقر بعده الأمير سيف الدين أسقتمر الماردينى فى أوائل سنة خمس وستين وسبعمائة.

وفيها: أى فى سنة أربع وستين وسبعمائة: توفى القاضى الفاضل صلاح الدين أبو الصفا خليل ابن الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الأليلى الصفدى الفاضل المشهور، جامع أشتات المنظوم والمنثور، باشر كتابة السر بمصر ودمشق وحلب، ومن شعره:

بسهم ألحاظه رمانى وذبت من هجره وبينه
إن مت ما لى سواه خصم فإنه قاتلى بعينه

وفى سنة ست وستين وسبعمائة:

ولى الأمير جرجى نيابة حلب عوضًا عن أسقتمر.

وفى سنة ثمان وستين وسبعمائة:

عاد الأمير منكلى بغا الشمسى إلى نيابة حلب عوضًا عن جرجى الناصرى، وأنشأ جامعه المعروف به بحلب داخل باب قنسرين.

وفيها: توفى الشيخ جمال الدين أبو بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن نباتة المصرى الفارقى بالقاهرة، ومن شعره:

يا عائبين تعللنا لغيدتهم   بطيب لهو ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس فى كفى لياليكم   فالكأس فى راحة والقلب فى تعب

وأنشد بعض أصحابه بدمشق:

لما تبدى فى حنين   تجاريا كبدى وعينى
يا عجب لها من غزوة   جاءت ببدر فى حُنين

فأنكرت عليه الجمع بين المضر والطاهر، وأنشدت بدلها فى المعنى والقافية:

وبدر فى حنين جاء يسطو   بسيف الخط والقد الردينى
فأنى تنكر القتلى وبدر أتانا   وهو يخطر فى حنينى

وفى سنة تسع وستين وسبعمائة:

زاد نهر حلب زيادة عظيمة لم يبلغ قبلها مثلها، وأصبحت منه بيوت لا أثر لها، وقلع كثيراً من الأشجار، وأنشد فيه المولى القاضى بدر الدين الحسين بن عمر بن حبيب:

لما طمى فويق ولم يأت   بسبب بل بسيل غزير
قالت الأشجار من حوله مهلاً   فقد ردت علينا كثير

وفيها: نقل منكلى بغا الشمسى إلى مصر أتابك الجيوش بها، واستقر عوضه فى نيابة حلب الأمير طيبغا الطويل، ثم قبض على الأمير بيدمر واستقر عوضه بدمشق الأمير منجك.

وفى سنة سبعين وسبعمائة:

توفى طيبغا الطويل نائب حلب، قيل بسم دسه إليه المصريون حين بلغهم أنه قصد المخامرة، واستقر فى نيابة حلب أسنبغا الكبير الأبو بكرى، ثم طلب إلى مصر، واستقر

عوضه بحلب أشقتمر المنصورى.

وفى أواخر السنة: خرج إلى العربان، فقتل هو وولده، وجماعة من العسكر، وأعيد إلى نيابة حلب الأمير سيف الدين أشقتمر فى سنة إحدى وسبعين وسبعمائة.

وفى سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة:

ظهر فى السماء نور عظيم اتضحت به الطرق، قارب ضوء النهار فى الثلث الآخر.

وفيها: توفى الأمير علىّ الماردينى نائبًا بمصر، وتوفى الأمير جرجى نائبًا بالشام.

وفى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة:

رسم السلطان الملك الأشرف شعبان أن يكون للأشراف علامة خضراء فى رؤوسهم تعظيمًا لهم واحترامًا، وأنشدت فى ذلك:

شرفت الأشراف من سلطاننا الأشرف بالخضر من القبضات

عزًا وأبدالاً بما قد ألبست أسلافهم فى عالى الجنات

وأنشد الشيخ أبو عبد الله العربى محمد بن جابر الهوارى الأندلسى نزيل حلب شيخ الفضل والأدب فى ذلك:

جعلوا لأبناء الرسول علامته إن العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة فى كريم وجوههم يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وفيها: ولى عز الدين أيدمر الدوادار نيابة حلب عوضًا عن أشقتمر ونقل إلى مكانه بطرابلس نائبًا.

وفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة:

أعيد أشقتمر إلى نيابة حلب.

وفى سنة خمس وسبعين وسبعمائة:

ولى الأمير بيدمر الخوارزمى نيابة حلب عوضًا عن أشقتمر، وبعد أربعة أشهر نقل بيدمر إلى نيابة دمشق وأعيد أشقتمر إلى نيابة حلب.

وفى سنة ست وسبعين وسبعمائة:

توجه نائب حلب إلى الأمير سيف الدين أشقتمر بالعساكر الحلبية بأمر السلطان أشرف لأخذ سيس وفتحها بعد حصار أربعة أشهر، وعاد سالمًا غانمًا، ومعه صاحب

سيس تكفور الأرمنى، وجهزه إلى الديار المصرية، واستقر أتبغا الدوادار نائبًا بها، ثم بعد قليل جعلت سيس مملكة برأسها للفتوحات الجاهانية، وأضيف إليها طرسوس وأدنة، وإياس وغيرها، واستقر فى كفالها الأمير موسى بن شهدى، واستقر بها حجاب وكاتب سر، وأرباب دولة على عادة الممالك، وأقطعت جهاتها بمناشير، وتوفى بها - رحمه الله تعالى - شيخ الحنفية والدى العلامة كمال الدين أبو الفضل تغمده الله تعالى برحمته، وكان جامعًا بين العلم والعمل، ومما رثى به بعد موته:

ذهب الفقه والتقى بالكمال ... مذ دهمتنا به صروف الليالى
أعلم العصر منها فى عفاف وزهد ... أوحد الدين فى جواب السؤال
يا أبا الفضل يا أبا العلم يا ابن ... الشحنة القرم يا محط الرجال
عطلت بعدك الفتاوى وأمسى ... فقه نعمان فى يد الجهال
ما له ملجأ يثوب إليه ... غير أولادك الكرام الفعال

وفيها: توفى العلامة شهاب الدين أحمد الغيابى النحوى، وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن الصائغ الحنفى.

وفيها: توفى السلطان أويس ابن الشيخ حسن بن حسين أقبغا بن أمليكان سلطان العراقيين، كانت مدته تسع عشرة سنة، أخذها عن أبيه، وأبوه عن وأبو سعيد عن خرنبدا المقدم ذكره.

وفيها: توفى شيخى السيد الشريف جمال الدين عبد الله بن محمد بن أحمد الحسنى النيسابورى المعروف بنقريار، وكان سيبويه زمانه، بل زمخشريه، عنه أخذت علم الأصلين والعربية والمنطق.

وفى سنة سبع وسبعين وسبعمائة:

توفى الأمير منجك نائبًا بمصر، وولى نيابة صفد وطرابلس، وحلب، ودمشق، ومصر وله آثار كثيرة من العمائر، منها الصهريج بالقرب من قلعة الجبل، والخانات فى الطرق المخوفة.

وفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة:

كنت نزيل القاهرة مقيمًا بالصدغتمشية، وطلبنى السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين وولانى قضاء حلب، عوضًا عن القاضى جمال الدين إبراهيم بن المقدم، وسببه

أن فقهاء حلب شكوا من جهل ابن العديم، وطلبوا قاضيًا من أهل العلم، وطلب السلطان من علماء مصر من يصلح، فأشار شيخا الإسلام الشيخ سراج الدين عمر ابن البلقينى والشيخ أكمل الدين محمد الحنفى بولايتى، فكانت وبالله التوفيق.

وفى سنة تسع وسبعين وسبعمائة:

توجه السلطان الأشرف إلى الحجاز الشريف، فركب عليه بعض أمرائه بمباطنة طشتمر الدوادار فهرب نحو القاهرة، فلما وصل وجد الأمير قرطاى وأينبك قد ادعيا موته وأقاما بموته ولده سلطانًا ولقب الملك المنصور، فنزل بقبة النصر وعلم به قرطاى وأينبك فأرسلا إليه، فوجداه قد هرب هو ويلبغا الناصرى، وأمسك بقية من كان معه، وقتلوا وهم: صدغتمش، وأرغون شاه، ويلبغا السابقى، وأرغون الأقرم، وبعد يومين أمسك السلطان الأشرف شعبان، وعوقب وقتل ـ رحمه الله تعالى ـ واستمر ولده الملك المنصور فى سلطنته، وكان طشتمر قد تأخر، فلما وصل أرسل إليه قرطاى: إنك قد استقريت فى نيابة دمشق، فرأى العجز، وتوجه إلى نيابة دمشق.

ثم إن أينبك غدر بقرطاى وأمسكه واستقل بالحكم، فبلغ ذلك طشتمر فشق عليه، وكاتب الأمراء أشقتمر نائب حلب وبقية النواب فوافقوه على الخروج على أينبك، وركب أشقتمر ومعه نعير والعساكر الحلبية، واجتمع الكل بدمشق قاصدين الديار المصرية، وخرج أينبك بالسلطان والعساكر المصرية، ففى أول منزله ركب عليه الأمير برقوق وبركة، فهرب أينبك نحو القاهرة، ورجع السلطان والأمراء، وكتب الأمير برقوق وبركة وأرسلوا إلى طشتمر يحضر أميرًا كبيرًا بالقاهرة، فأجاب إلى ذلك، وتفرقت العساكر من الشام، وتوجه طشتمر واستقر أميرًا كبيرًا بمصر.

ولما كان يوم العيد ـ عيد الأضحى ـ من سنة تسع وسبعين وسبعمائة ركبوا على طشتمر وأمسكوه، واستقر الأمير برقوق وبركة يحكمان بالديار المصرية، والأمير كتبغا الحموى بدمشق، والأمير أشقتمر بحلب.

وفى سنة ثمانين وسبعمائة:

استقر فى نيابة حلب منكلى بغا البكرى عوضًا عن أشقتمر، ثم أمسك واستقر عوضه تمر بيه وتوجه إلى التركمان، وانكسر عسكر حلب كسرة لم يسبق إليها من التركمان.

وفيها: عظم شأن التركمان ومنعوا العداد.

وفى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة:

استقر العلامة عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازى الحنفى فى مشيخة خانقاة بيبرس عوضًا عن الشيخ ضياء الدين الفرحى، وولى ودرس الحديث بالمنصورية.

وفيها: عاد الأمير أشقتمر إلى نيابة حلب، ورفع المكس عن أهل عزاز.

وفى سنة ثنتين وثمانين وسبعمائة:

استقر الأمير أشقتمر فى نيابة دمشق، وعاد الأمير منكلى بغا البكرى إلى نيابة حلب، وتوفى بها، واستقر عوضه الأمير أتبال اليوسفى فى نيابة حلب.

وفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة:

ابتدأ الطاعون بالقاهرة، وتوفى السلطان الملك المنصور بن على بن شعبان، واستقر عوضه فى السلطنة أخوه الملك الصالح حاجى بن شعبان، وفتحت مدينة دوركى فى أيامه، واستقر بها نائبًا الأمير صارم الدين إبراهيم بن شهرى.

وفيها: قدم الأمير يلبغا الناصرى إلى القاهرة فكافأه الأمير الكبير إلى ظاهر البلد، وترجل له عن فرسه، وأركبه مركوبًا خاصًا، ثم فى اليوم التالى من قدومه رسم له بتقدمه إليه وأجلس فى الخدمة السلطانية بالإيوان، وأمر الميسرة فوق أمير السلاح.

واستقر الأمير بيدمر فى نيابة دمشق عوضًا عن أشقتمر، واستقر الأمير يلبغا الناصرى فى نيابة حلب عوضًا عن أتبال، وطلب أتبال فلما وصل إلى قطية قبض عليه وجهز إلى الكرك فسجن بها.

وفى سنة أربع وثمانين وسبعمائة:

وقع الطاعون بدمشق ووقع الغلاء بمصر.

وفيها: عيد بيدمر إلى نيابة الشام.

وفيها: يوم الأربعاء تاسع عشر رمضان خلع السلطان الملك الصالح حاجى بن شعبان، واستقر عوضه الأمير سيف الدين برقوق سلطانًا، ولقب بالملك الظاهر أبو سعيد.

وفى سنة خمس وثمانين وسبعمائة:

قدم يلبغا الناصرى نائب حلب إلى القاهرة، وقبل الأرض لدى الظاهر برقوق، وكان بالأمس يلبغا الناصرى من جملة الأمراء الأشرفية، وبرقوق من مماليك الأسياد، إذا جمعهما مجلس قام برقوق على رجليه بين يدى الناصرى فأصبح يقبل الأرض له، ويمتثل أمره ونهيه، فسبحان من يغير ولا يتغير.

ثم إن الناصرى توجه إلى جهة حلب فى عاشر محرم.

وفيها: أراد جماعة القيام على السلطان برقوق ونزعه عن الملك، ووافقهم الخليفة فبلغه ذلك، فأمسك الخليفة وسجنه، وخلعه من الخلافه، وفوضها لقرينه عمر بن إبراهيم ابن الواثق، وأمسك الأمير بيدمر وحبس، ومات فى الحبس، واستقر مكانه فى نيابة دمشق الأمير علاء الدين الجوبانى الناصرى الطنبغا.

وفى سنة ست وثمانين وسبعمائة:

أرسل الأمير علاء الدين الجوبانى إلى الناصرى يطلب منه أبياتًا تنقش على لسان رمح منك، فقد أنشد فيه الفضلاء، فأنشد فيه الحلبيون، وأنشدت:

أنار لأسمر الخطار أسموا إلى العلاء تقصر عنى الرميات وتتمة
حياض البنان فى مبانى وجرت أيامها تهمى دماء وتهمة
وتجنى ثمار النصر منى ختمى ففوزى لعمرك حابل وهو متمة

وفى سنة سبع وثمانين وسبعمائة:

طلب الناصرى وأمسك ببليس وحبس بالأسكندرية، واستقر عوضه بحلب سودون المطغرى، وأساء السير فى أهل حلب، وتخيل من أرباب المناصب أنهم لا يرونه بعين العظمة لكونه نشأ بحلب وضيعًا.

وفى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة:

عصى منطاش بملطيه فاستضعف السلطان سودون عن إحضاره فعزله وأعاد الناصرى إلى نيابة حلب، وأهين سودون غاية الإهانة، واستقر أميرًا بحلب إلى أن قتل بها.

وفى سنة تسع وثمانين وسبعمائة:

توجه الناصرى بمن معه من العساكر المصرية والشامية والحلبية إلى جهة منطاش،

فالتجأ منطاش إلى القاضى برهان الدين صاحب سيوان، ووصل الناصرى إلى سيوان وحاصرها مدة، وقارب أخذها، فأرسل القاضى برهان الدين يطلب الأمان، وسأل الناصرى أن يتأخر عن المدينة قليلاً ليخرج إليه ويسلمه منطاش، فاتفق الناصرى مع عساكره على أن يظهروا الإجابة لذلك، ورحل من جانب النهر إلى الجانب الآخر فلم يسر معه من العساكر بالجانب الآخر إلا القليل، فطلبوا قدام، فتمت الحيلة على الناصرى، وركب عليه برهان الدين ومنطاش بمن معهما من التتار فى نحو عشرين ألفًا، فثبت الناصرى بمن بقى معه، وكانوا دون الألف، ونصر الله الناصرى وكسر برهان الدين، فهرب هو ومنطاش إلى المدينة، وقتل منهم نحو ألف وأسر مثلهم، وعاد.

وفى سنة تسعين وسبعمائة:

أمسك الجوبانى من دمشق واستقر عوضه الأمير طرنطاى، وكان إذ ذاك حاجبًا كبيرًا بها.

وفى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة:

قتل سودون المطغرى بدار العدل فى ثامن صفر، وأظهر الناصرى بعد ذلك الخروج على السلطان، وأرسل وراء منطاش فأحضره، وتوجه بما معه من العساكر نحو دمشق، واجتمع عليه غالب العساكر الشامية وأخذ دمشق وقلعتها، وتمروج الأمر على السلطان الملك الظاهر فجهز الخليفة فى طلب الأمان، وفرق مماليكه واختفى قبل وصول الأمان، فدخل الناصرى إلى مصر وتسلمها وأمسك السلطان بعد تسعة أيام وجهزه معتقلاً عليه إلى الكرك وعرضت عليه السلطنة فأبى، وأعاد الملك الصالح حاجى إلى السلطنة، ولقبه الملك المنصور، وقرر فى نيابة دمشق الأمير بزلار، وفى نيابة حلب الأمير كمشغا الحلبى.

وفيها: توفى الأمير أشقتمر بحلب ودفن بتربته التى أنشأها.

وفى سنة ثنتين وتسعين وسبعمائة:

ركب منطاش على النصارى وأمسكه مع جماعة من الأمراء وأرسلهم إلى الأسكندرية محبوسين، وأرسل إلى بزلار من أمسكه وقتله، واستقر عوضه فى نيابة دمشق الأمير جنتمر أخو طاز، وأرسل إلى الكرك من يقتل السلطان برقوق، وكان الذى أرسله من أهل الكرك، وهو يتعرض لأغنيائهم فقتلوه، وأطلقوا السلطان برقوق، فسار

إلى دمشق بفرقة يسيرة، وخرج إليهم جنتمر بالعساكر الإسلامية الشامية فكسرهم ونزل بقبة يلبغا، وحاصر دمشق، وتوجه إليه نائب حلب كمشبغا بعساكر حلب ناصراً له، واجتمع إليه من كان تفرق عنه، فخرج إليه منطاش من مصر بالسلطان والعساكر المصرية، والخليفة، والقضاة، وقرب من الشام والتقى الجمعان بشقحب، فانتصر بعض كل من الفريقين وانكسر البعض، ولم يعلم أحد حال أحد، فولى كمشبغا هاربًا نحو حلب، وولى منطاش نحو دمشق، ولم يشعر الملك الظاهر برقوق بنفسه إلا وهو على مخيم السلطان الملك المنصور حاجى فنزل وأمسكه، وجلس على الكرسى، وجعل كل من يحضر من الفئتين يجده جالسًا فلم يسعه إلا النزول ويقبل الأرض.

وفى ثانى يوم خرج منطاش، والتقى الجمعان، وتناوشا قليلاً ورجع كل منهما، فتوجه السلطان الملك الظاهر من ليلته إلى جهة مصر، فوصل إليها، ووجد مماليكه قد خرجوا من الحبس وأمسكوا خلفاء منطاش ، ومنطاش مقيم بدمشق، فدخل السلطان إلى مصر فرحًا ، وعاد إلى ملكه مؤيدًا منشرحًا، وأطلق الأمراء الذين كان حبسهم منطاش، وأرسل منطاش قشمر الموساوى إلى حلب نائبًا، وانضم إليه جماعة وهم يحاصرون كمشبغا فى قلعة حلب فجهز السلطان الملك الظاهر عسكرًا من مصر، ومقدمهم الأمير يلبغا الناصرى، وأرسل معه الجوبانى نائبًا بدمشق، وقرادمرداش نائبًا بطرابلس.

وبلغ ذلك منطاش فهرب من دمشق، وبلغ ذلك تمنتمر فهرب من حلب، واستمر الجوبانى فى نيابة دمشق، وكمشبغا نيابة حلب، وخرج الناصرى والجوبانى ومن معهما من العساكر من دمشق فى أثر منطاش وهو منضم إلى نعير وعنقا، وحصلت وقعة على حمص، قتل فيها الجوبانى وجماعة من الأمراء، وعاد النصارى إلى دمشق، فجاءه تقليد نائبها، وبلغ كذلك نائب حلب، فأخذ فى عمارة أسوارها، فعمرت أحسن عمارة، ولم تكن من عهد هولاكو عمرت، وكنتُ ولى عمارة بانى المقام والقناة.

ووصل منطاش ونعير وعنقا بعساكر عظيمة، ونارلوا حلب وحاصروها فى شهر رمضان، وحاصروها وانقلبوا خاسئين، فتوجه منطاش إلى سولى بن دلغادر، وقصدا عينتاب، وكان بها الأمير ناصر الدين محمد بن عز الدين شهرى بن شهرى ابن عم من أشار بوضع هذا التاريخ المشار إليه فى أول الكتاب، وحوصر، فأجاد فى دفعهم،

وظهرت فروسيته وشكر على ذلك، وطلبه السلطان بعد ذلك وأنعم عليه وأكرمه وولاه ملطة.

وطلب الأمير كمشبغا إلى مصر واستقر به أميرًا كبيرًا، واستقر عوضه الأمير قرادمرداش.

وفى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة:

فر منطاش غربى حلب، وتوجه إلى حماة، وأخذها، وهرب نائبها أحمد بن المهمندار وتوجه منطاش إلى بعلبك، فخرج إليه الناصرى من دمشق مخالفه منطاش فى الطريق، ودخل دمشق فى نهار الأحد مستهل رجب منها، ونزل بالميدان والقصر الأبلق.

وفى اليوم الثانى عاد الناصرى إلى دمشق، ولقى منطاش بظاهرها والناصرى داخلها يتناوشان القتال فى كل يوم، وبلغ ذلك السلطان، فخرج نحو دمشق، وبلغ ذلك منطاش فهرب نحو الشرق، وقدم السلطان دمشق، وخرج الناصرى للقائه فترجل له السلطان، وعانقه وأركبه فرسًا من مراكبه الخاصة، وأرسل إليه نعير بالطاعة، وطلب الأمان فأمنه ملزمًا بتحصيل منطاش، ثم توجه السلطان إلى البلاد الشمالية، واستصحب معه الناصرى، وقدم حلب وأقام بها شهورًا، ثم عاد.

وليلة عوده قتل يلبغا الناصرى وجماعة من الأمراء بقلعة حلب وأخذ معه قرادمرداش، وقرر عوضه فى نيابة حلب الأمير سيف الدين جلبان، وقرر فى نيابة دمشق الأمير سيف الدين بطا الدوادار.

وفى سنة أربع وتسعين وسبعمائة:

وصل السلطان الملك الظاهر برقوق إلى مصر، وتوفى بطا نائب دمشق، واستقر عوضه الأمير كمشبغا الخاصكى، وباشر قليلاً ومات، واستقر عوضه سودون الطرنطاوى، وباشر قليلاً ومات، واستقر عوضه الأمير سيف الدين منتم.

وفيها: كان منطاش قد التجأ إلى نعير بن جبار، فأرسل السلطان وعد نعير بإعادة الأمرة إليه، ومنّاه حتى سلم منطاش، وقتل بقلعة حلب، وأحضر رأسه إلى مصر وعلق بباب زويلة، وأرسل السلطان يوبخ نعيرًا ويعيره بأنه خان ذمة العرب، ولم يوله الإمرة.

وفى السنة المذكورة: أخذ قرا يوسف بن محمد بن أمير التركمانى بالشرق مدينة

تبريز، وأرسل مفاتحها للسلطان الملك الظاهر برقوق، فأرسل إليه تشريفة، فلبسه واستقر نائبًا بها.

وفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة:

قدم إلى مصر السلطان أحمد بن أويس هاربًا من تمرلنك، وخرج السلطان إليه، وتلقاه وأمر الأمراء بالمشى فى خدمته، وأكرمه وأخبر أن تمرلنك أخذ بلاد العجم والعراق وتبريز، وأنه أرسل قصاده إلى السلطان، فكتب السلطان إلى نائب الرحبة أن يقتل قصاده عن آخرهم، ففعل، وبلغ تمرلنك ذلك، فتوجه نحو الشام، ووصل إلى الرها وأخذها بالسيف سبيًا ونهبًا، وعاد.

وفى سنة ست وتسعين وسبعمائة:

خرج السلطان الملك الظاهر إلى جهة حلب بسبب تمرلنك، واستصحب السلطان أحمد بن أويس، ولما وصل إلى دمشق خلع عليه، وجهزه بشعار الملك، فتوجه إلى بغداد وأخذها، وضرب السكة باسم السلطان برقوق.

وفى سنة سبع وتسعين وسبعمائة:

عاد السلطان إلى مصر فحضر إليه رسل أبى يزيد بن عثمان بهدايا وتحف فى طلب تشريف من الخليفة له بأن يكون سلطان الروم؛ فجهز له السلطان ذلك، وحين توجه السلطان برقوق إلى مصر بعد إقامته بحلب أربعين يومًا لما بلغه توجه تمرلنك إلى بلاده أخذ معه الأمير جلبان، واستقر بالأمر تغرى بردى فى نيابة حلب.

وفى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة:

توفى القاضى برهان الدين صاحب سيواس، وبلغ ذلك أبا يزيد بن عثمان، فحضر إليها وأخذها وأخذ بلاد قرمان.

وفى سنة تسع وتسعين وسبعمائة:

طلب الأمير تغرى بردى إلى مصر، واستقر بها فى مقدمة ألف واستقر عوضه فى نيابة حلب الأمير أرغون شاه، نقل إليها من طرابلس، وكان قبلها نائبًا بصفد، وأقام بحلب شهورًا ومات ـ رحمه الله تعالى ـ.

وفى سنة ثمانمائة:

استقر فى نيابة حلب الأمير عــلاء الدين أقبغا الكمالى الهندبانى، عوضًا عن أرغون شاه.

وفيها: كانت قضية على باى، وهى مشهورة.

وفيها: خطب للسلطان الظاهر برقوق على منابر ماردين.

وفى سنة إحدى وثمانمائة:

توفى السلطان الملك الظاهر أبو سعــيد برقوق بضعف حصل لــه، ودفن بتربة الشيخ الزيفورى وبـنى عليه تربة مـعظمة، واستـقر عـوضه فى السلطنة حـسب وصيـته ولده السلطان الملك الناصر فرج أبو السعادات.

وعصى تنم نائب الشام، وأرسل إلى أقبغا نائب حلب فوافقه وتوجه إليه، واجتمعت إليه غالب نواب الشام، وأمرائها وطمع ابن عثمان، ونازل ملطية وحاصرها وأخذها.

ودخلت سنة ثنتين وثمانمائة:

خرج السلطان الملـك الناصر فرج نحـو دمشق، وخرج تنم ومن مـعه نحو مـصر، والتقى الجمـعان بأرض فلسطين وانكسر تنم، وأمسك هو وجمـاعة من الأمراء، ودخل السلطان دمـشق، وأقـام بها أيامًا، وقـتل تنم وأتمش، وأحـمـد بن يلبـغا الحـاصكى، وجلبان، وجماعة من الأمراء، وعاد إلى الديار المصرية منصوراً، واستقر فى نيابة دمشق خال السلطان سيدى سودون، وفى نيابة حلب السيفى دمرداش الحاصكى.

وفى سنة ثلاث وثمانمائة:

شاعت الأخـبار بأن تمرلنك خين عـاد من أخذ بلاد الهند بلغـه وفاة السلطان الملك الظاهر برقوق، فاسـتبشر لذلك، وأنعم على مخـبره بجملة كبيرة، وكـان فى نفسه من قتله لرسله، ومن أخذ ابن عثمان سيواس وملطيـة، وأخذ السلطان أحمد بغداد، فقصد بلاد الشام ومعه من العساكر ما لا يحصى.

أخبرنى الحـافظ الخوارزمى أن المدونون من عساكره المحصـرية ثمان مائة ألف، وأنه اجتاز على سيواس وحاصرها وأخـذها بعد أن حلف لأهلها أنه لا يضع فيهم السيف، فلما تمكن منهم حـفر لهم حفـائر ودفنهم فيها أحـياء، قيل: كـانوا ثلاثة آلاف مسلم، وحرقها وخـربها، وتوجه نحو البلستين فـوجد أهلها أخلوها فحرقهـا وخربها، وتوجه

نحو ملطية فهرب من كان بها وأخذها وخربها.

ثم اجتاز على بهشنى فحاصرها ونصب عليها المناجنيق، وهدم قلعتها، ثم أخذها صلحًا، وقصد قلعة المسلمين، وكان نائبها فارس الإسلام المقر الأشرف الناصرى محمد ابن المرحوم الشرفى موسى بن شهدى سبط مولانا السلطان المشار إليه فى أوائل الكتاب، وكان قد برع فى جمائع تمرلنك وطراشته مدة إقامته على بهشنى وقتل منهم جماعة، وأرسل رؤوسهم إلى حلب، وكسر تومانا جهرة، اليد أبخس كسرة، حتى رمى غالب جماعته بأنفسهم بالفرات.

وجهز تمرلنك كتابه إلى المشار إليه، ونعته بقول فيه: إننى خرجت من بلاد سمرقند ولم يقف أحد أمامى، وسائر ملوك البلاد حضروا إلىّ، وأنت سلطت على جمائعى من ينوش عليهم، وتقتل من ظفر به، والآن فقد مشينا عليك بعساكرنا، فإن أشفقت على نفسك ورعيتك فاحضر إلينا لترى من الرحمة والشفقة ما لا مزيد عليه، وإلا نزلنا عليك وخربنا بلدك، وقد قال الله تعالى: ﴿**إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون**﴾ [النمل: ٣٤] فاستعد لما تحيط بك إن أبيت الحضور، فأمسك المشار إليه الرسول وحبسه ولم يلتفت إلى كتاب تمرلنك، فمشى عليه أوائل عسكره فبرز إليهم المشار إليه، وقابلهم وكسرهم، وفى اليوم الثانى نزل تمرلنك على قلعة المسلمين، فبرز إليه المشار إليه وقاتلهم قتالاً شديداً، وكانت وقعة عظيمة رأى تمرلنك منه شدة حزم، ورجع عن محاربته، وأخذ فى مخادعته، وملاطفته وطلب منه الصلح وأن يرسل إليه خيلاً ومالاً لأجل حرمته، فلم ينخدع له، وتنازل معه أن طلب منه خيامًا، فلم يعطه وعاد خائبًا، وأخذ المشار إليه من أواخره نهبًا وقتلاً وأسراً، كل ذلك وباب قلعته مفتوح لم يغلقه يومًا واحدًا، وأنشد فيه لسان الحال:

هذا الأمير الذى أضحت مناقبه ليث الثرى عمت الدنيا مفاخره

ولى تمرلنك مكسوراً أوائله منه فراراً ومذعوراً أواخره

وكان حصول تلك السعادة للمشار إليه دون غيره من الملوك وأصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانة والإخلاص، ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية ـ رضى الله عنه ـ.

ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الأول نازل تمرلنك حلب، وكان نائبها المقر السيفى

دمرداش الحاصكى، وقد حضرت إليه عساكر المملكة الشامية: عسكر دمشق مع نائبها سيدى سودون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفى شيخ الحاصكى، وعسكر حماة مع نائبها المقر السيفى دقماق الحاصكى، وعسكر صفد وغزة، فاختلفت آراءهم بين قائل: ادخلوا المدينة وقاتلوا من الأسوار، وقائل: اخرجوا ظاهر البلد بالخيار، فلما رأى المقر السيفى دمرداش نائب حلب اختلافهم أذن لأهل حلب فى إخلائها والتوجه حيث شاءوا، فكان نعم الرأى، فلم يوافق على ذلك، وضربوا خيامهم ظاهر البلد تلقاء العدو، وحضر قاصد تمرلنك، فقتله نائب دمشق قبل أن يسمع كلامه، ويوم الجمعة حصل بين الأطارق تناوش يسير، فلما كان يوم السبت حادى عشر ربيع الأول زحف تمرلنك بجيوشه وفيلته فولى المسلمون نحو المدينة، وازدحموا فى الأبواب، ومات منهم خلق كثير، والعدو وراءهم يقتل ويأسر، وأخذ تمرلنك حلب عنوة بالسيف، وصعد بواب المملكة وخواص الناس إلى القلعة، وكان أهل حلب قد جعلوا غالب أموالهم فيها، ويوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول أخذ القلعة بالأمان والأيمان التى ليس معها إيمان.

وفى ثانى يوم صعد إليها، وفى آخر النهار طلب علماءها وقضاتها، فحضرنا إليه، فأوقفنا ساعة، ثم أمر بجلوسنا، وطلب من معه من أهل العلم، فقال: لأميرهم عنده، وهو المولى عبد الجبار ابن العلامة نعمان الدين الحنفى، والده من العلماء المشهورين بسمرقند، قل لهم: إنى سائلكم عن مسألة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة، وسائر البلاد التى فتحتها ولم يفصحوا الجواب، فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبنى إلا أعلمكم وأفضلكم، وليعرف ما يتكلم، فإننى خالطت العلماء ولى بهم اختصاص وألفة، ولى فى العلم طلب قديم، وكان يبلغنا عنه أنه يتعنت فى الأسئلة على العلماء، ويجعل ذلك سببًا فى قتلهم أو تعذيبهم.

قال القاضى شرف الدين موسى الأنصارى الشافعى عنى: هذا شيخنا ومدرس هذا البلاد ومفتيها، سلوه وبالله المستعان. فقال لى عبد الجبار: سلطاننا يقول: إنه بالأمس قتل منا ومنكم، فمن الشهيد قتيلنا أم قتيلكم؟ فوجم الجمع، وقلنا فى أنفسنا: هذا الذى بلغنا عنه من التعنت، وسكت القوم. ففتح الله علىّ بجواب سريع بديع، وقلت: هذا سؤال سئل عنه سيدنا رسول الله ﷺ، وأجاب عنه، وأنا مجيب بما أجاب به رسول الله ﷺ.

قال لى صاحبى القاضى شرف الدين موسى الأنصارى بعد أن انقضت الواقعة: والله العظيم لما قلت هذا سؤال سئل عنه رسول الله ﷺ وأجاب، وأنا محدث زمانى، قلت: هذا عالمنا قد اختل عقله، وهو معذور، فإن هذا سؤال لا يمكن الجواب عنه فى هذا المقام، ووقع فى نفس عبد الجبار مثل ذلك.

وألقى تمرلنك إلىّ سمعه وبصره، وقال لى: عبد الجبار يسخر من كلامى، كيف سئل رسول الله ﷺ عن ذلك، وكيف أجاب؟ قلت: جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إن الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليعرف مكانه، ويقاتل للمغنم، فأينا فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»[1] ومن قاتل منا ومنكم لإعلاء كلمة الله فهو الشهيد.

فقال تمرلنك: خب، وقال عبد الجبار: ما أحسن ما قلت، وانفتح باب المؤانسة، وقال: إنى رجل نصف آدمى، وقد أخذت كذا وكذا، وعدد سائر مماليك العجم والعراق والهند والتتار، فقلت: اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الأمة ولا تقتل أحدًا، فقال: والله لم أقتل أحدًا قصدًا، وإنما أنتم قتلتم أنفسكم فى الأبواب، ووالله لا أقتل منكم أحدًا وأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم.

وتكررت الأسئلة منه والأجوبة، فطمع كل من الفقهاء الحاضرين، وجعل يبادر إلى الجواب، ويظن أنه فى المدرسة، والقاضى شرف الدين ينهاهم ويقول لهم: بالله اسكتوا يجاوب هذا الرجل؛ فإنه يعرف ما يقول.

وكان آخر ما سئل عنه: ما تقولون فى علىّ ومعاوية ويزيد؟ فأسر إلىّ القاضى شرف الدين وكان إلى جانبى: أن اعرف كيف تجاوبه فإنه شيعى، فلم أفرغ من سماع كلامه وقد قال القاضى علم الدين القفصى المالكى كلامًا معناه أن الكل مجتهدون، فغضب تمرلنك غضبًا شديدًا، وقال: علىّ على الحق، ومعاوية ظالم، ويزيد فاسق، وأنتم حلبيون تبع لأهل دمشق وهم يزيديون، قتلوا الحسين، فأخذت فى ملاطفته والاعتذار عن المالكى بأنه أجاب بشىء وجده فى كتاب لا يعرف معناه، فعاد إلى دون ما كان

---

(١) رواه البخارى (١/٤٣)، مسلم فى الإمارة ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، أحمد (٤/٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٢)، النسائى (٦/٢٣)، أبو داود فى الجهاد باب ٢٥، الترمذى (١٦٤٦)، ابن ماجه (٣٧٨٣).

عليه من البسط، وأخذ عبد الجبار يسأل منى ومن القاضى شرف الدين، فقال عنى: هذا عالم مليح، وعن شرف الدين هذا رجل فصيح، وسأل تمرلنك عن عمرى، فقلت: مولدى سنة تسع وأربعين وسبع مائة، وقد بلغت الآن أربعًا وخمسين سنة، وقال للقاضى شرف الدين: وأنتم كم عمرك؟ فقال: أنا أكبر منه بسنة، فقال تمرلنك: أنتما فى عمر أولادى، أنا عمرى الآن خمسًا وسبعين سنة، وحضرت صلاة المغرب، وأقيمت الصلاة، وأمّنا عبد الجبار وصلى تمرلنك إلى جانبى قائمًا يركع ويسجد، ثم تفرقنا.

وفى اليوم الثانى غدر بكل من فى القلعة، وأخذ جميع ما كان فيها، وكان فيها من الأموال والأقمشة والأمتعة ما لا يحصى.

أخبرنى بعض كتابه أنه لم يكن أخذ من مدينة قط ما يقارب ما أخذه من هذه القلعة، وعوقب غالب المسلمين بأنواع من العقوبة وحبسوا بالقلعة ما بين مقيد ومزنجر ومسجون، ومرسم عليه، فنزل تمرلنك من القلعة، وأقام بدار النيابة، وصنع وليمة على زى الغل، وقف سائر الملوك والنوابين فى خدمته، وأدار عليهم كؤوس الخمر، والمسلمون فى عذاب وعقاب وسبى وقتل وأسر، وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم فى هدم وحرق وتخريب ونبش إلى آخر شهر ربيع الأول.

طلبنى ورفيقى القاضى شرف الدين، وأعاد السؤال عن علىّ ومعاوية فقلت: لا شك أن الحق كان مع علىّ وليس معاوية من الخلفاء، فإنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»[1]، وقد تمت بعلىّ.

فقال تمرلنك: قل علىٌّ على حق ومعاوية ظالم، قلت: قال صاحب الهداية: يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور، فإن كثيرًا من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية، وكان الحق مع علىّ فى نوبته، فانسر لذلك، وطلب الأمراء الذين عينهم للإقامة بحلب وقال لهم: إن هذين الرجلين نزول عندكم بهذه البلدة، فأحسنوا إليهما وإلى إلزامهما وأصحابهما ومن ينضم إليهما، ولا تمكنوا أحدًا من إيذائهما، وزينوا لهما علوفة، ولا تدعوهما فى القلعة، بل اجعلوا إقامتهما بالمدرسة - يعنى السلطانية التى

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٢١)، الترمذى (٢٢٢٦)، ابن حبان (١٥٣١)، البيهقى فى دلائل النبوة (٦/ ٣٤٢)، وهو حديث صحيح ثابت.

تجاه القلعة ـ وفعلوا ما أوصاهم به، إلا أنهم لم ينزلونا من القلعة.

وقال لنا الذى ولى الحكم منهم بحلب الأمير موسى بن حاجى طغاى: إنى أخاف عليكما، والذى فهمت من نسق تمرلنك أنه إذا أمر بسوء فعله بسرعة، ولا محيد عنه، وإذا أمر بخير فالأمر فيه لمن وليه.

وفى أول يوم من ربيع الآخر برز إلى ظاهر البلد متوجهًا نحو دمشق، وثانى يوم أرسل بطلب علماء البلد، فرحنا إليه والمسلمون فى أمر مرتج وقطع رؤوس، فقلنا: ما الخبر؟ فقيل: إن تمرلنك طلب من عسكره رؤوسًا من المسلمين على عادته التى كان يفعلها فى البلاد التى أخذها، فلما وصلنا إليه جاءنا شخص من غلمانه يقال له: المولى عمر، فسألنا عن طلبنا فقال: يريد أن يستفتيكم فى قتل نائب دمشق الذى قتل رسوله، فقلت: هذه رؤوس المسلمين تقطع وتحضر إليه بغير استفتاء، وهو قد حلف لا يقتل منا أحدًا صبرًا، فعاد إليه، وشخص بنظره وهو بين يديه لحم سليق يأكل منه، فتكلم معه سرًا.

ثم جاء إلينا شخص بشىء من ذلك اللحم، فلم نفرغ من أكله إلا وزعجة قائمة، وتمرلنك صوته عالٍ، وساق شخص هكذا، وشخص هكذا، وجاء أمير يعتذر ويقول: سلطاننا لم يأمر بإحضار رؤوس المسلمين، وإنما أمر بقطع رؤوس القتلى، وأن نجعل منها قبة أمامه لحرمته على جارى عادته، ففهموا عنه غير ما أراد، وأنه أطلقكم فامضوا حيث شئتم.

وركب تمرلنك من ساعته، وتوجه نحو دمشق فعدنا إلى القلعة، ورأينا المصلحة فى الإقامة بها، وأخذ الأمير موسى فى الإحسان إلينا ـ أحسن الله إليه ـ وقبول شفاعتنا وتفقد أحوالنا مدة إقامته بحلب وقلعتها، وتجيئنا الأخبار بأن سلطان المسلمين الملك الناصر فرج قد نزل إلى دمشق، وأنه كسر تمرلنك، ومرة تجيئ بالعكس، إلى أن انجلت القضية عن توجه السلطان إلى مصر بعد أن قاتل مع تمرلنك قتالاً عظيمًا، أشرف تمرلنك منه على الكسر والهزيمة، وإنما حصل من بعض أمرائه خيانة، وكان ذلك سبب توجهه أخذًا بالحزم، ودخل تمرلنك إلى دمشق ونهبها، وفعل فيها فوق ما فعل فى حلب، ولم يدخل طرابلس، بل أحضر إليه منها مال، ولا جاوز فلسطين وعاد نحو حلب راجعًا، طالبًا بلاده.

ولما كان سابع عشرين شعبان من السنة المذكورة وصل تمرلنك عائدًا من الشام من الجبول شرقى حلب، ولم يدخل حلب، بل أمر المقيمين بها من جهته بتخريب القلعة وإحراق المدينة ففعلوا ونزلوا من القلعة، وطلبنى الأمير السيد عز الدين، وكان أكبر أمرائه، وقال: إن الأمير تمرقان يسلم عليكم ويقول: إن عنده مثلك كثير، وهذه البلاد باب مكة ليس بها عالم، فلتكن أنت بها وقد رَسم بإطلاقك ومن معك من القضاة، فاطلب من شئت وكثر، لأروح معكم إلى مشهد الحسين، وأقيم عندكم حتى لا يبقى من عساكرنا أحد، وكان القاضى شرف الدين موسى الأنصارى لا يفارقنى، وطلبنا من تأخر من القضاة بالقلعة، واجتمع معنا نحو ألفى مسلم، وتوجهنا صحبة المشار إليه إلى مشهد الحسين - رضى الله عنه - وأقمنا به ننظر إلى حلب والنار تضرم فى أرجائها.

وبعد ثلاثة أيام لم يبق من التتار أحد، ونزلنا إلى بيوتنا بالمدينة فاستوحشنا منها، ولم يقدر أحد منا على الإقامة ببيته من الفتن والوحشة، ولا يمكن السلوك فى الأزقة من ذلك وأنشد:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وكان نواب الشام مأسورين معه وانفلتوا منه أولاً فأول، وكان المقر السيفى دمرداش الخاصكى حين انفلتت منه من حماة حال بوجهه إلى نحو دمشق، توجه إلى نحو السلطان واتفق ما تقدم ذكره، وجاءه تقليد شريف من السلطان باستمراره فى نيابة حلب، فدخلها وأخذ فى عمارتها، ورمم دار العدل وسكن بها، وتراجعت الناس.

وأما نائب الشام فإنه مات مبطونًا، واستقر فى نيابتها الأمير تغرى بردى.

وفى سنة أربع وثمانمائة:

هرب الأمير تغرى بردى من دمشق إلى حلب، واجتمع بنائب حلب الأمير السيفى دمرداش وهما فى وحشة من أمراء مصر، ثم توجها نحو التركمان، واستقر فى نيابة دمشق الأمير أقبغا الجمالى الهندبانى، وفى نيابة حلب الأمير السيفى دقماق الحاصكى.

وفيها: بلغ تمرلنك وهو يُقرى باغ أن أبا يزيد بن عثمان مشى على أرزنكان وأخذها، وتوجه تمرلنك عند ذلك ومشى على بلاده، وخرج إليه ابن عثمان والتقى الجمعان بأنكورى، وحصل بينهما قتال عظيم، وانكسر ابن عثمان، وأمسكه تمرلنك، وبقّى عنده مأسورًا إلى أن مات بأجله.

واستولى تمرلنك على غالب بلاده، وجهز قصاده إلى السلطان عمر يطلب منه أميراً من الزامه اسمه أطلندى كان قد أمسكه من عدة سنين قرا يوسف وجهزه إلى الملك الظاهر برقوق، واستقر من جملة أمراء مصر محجوزاً عليه معنا.

وفى سنة خمس وثمانمائة:

عادت رسل تمرلنك من مصر ومعهم أطلندى مكرمًا، وفرح بذلك، وأنتجت بينه وبين السلطان بمصر مودة ومهادنة.

وفيها: أرسل تمرلنك إلى سلطان مصر هدية وفيلاً.

وفيها: استقر فى نيابة دمشق المقر السيفى شيخ الحاصكى، واستقر عوضه بطرابلس المقر السيفى دمرداش.

وفى سنة ست وثمانمائة:

دخل السلطان أحمد بن أويس إلى حلب فى صورة فقير، هاربًا من قرا يوسف، وأخذ بغداد منه.

وفيها: مشى عسكر تمرلنك على بغداد وكسروا قرا يوسف، ونهبوا وأخذوا بغداد، وتوجه قرا يوسف هاربًا إلى الشام، فمسك وحبس حسب مرسوم الملك الناصر، وورد مرسوم بطلب السلطان أحمد من حلب إلى دمشق، ثم ورد مرسوم سلطان مصر بإمساكه بدمشق والاعتقال عليه بها، فمسك.

وفيها: استقر الأمير علاء الدين أقبغا الجمالى الهندبانى فى نيابة حلب عائدًا إليها، واستقر بها قليلاً ومات بحلب ودفن بتربته التى أنشأها بسوق الخيل، واستقر فى نيابة حلب المقر السيفى دمرداش الحاصكى عائدًا إليها.

وفى السنة المذكورة: عادت رسل تمرلنك من مصر وصحبهم حاجب مصر متوجهين إلى تمرلنك بما معهم من الهدايا والذرافة، وعدة إنعامات.

وفيها: كانت زلزلة عظيمة بحلب وبلاد كثيرة، وخربت فيها أماكن كثيرة وبلاد، وتبع ذلك زلازل عديدة أخف منها، واجتمعت الزلازل والفتن، وإنما يكثر الزلازل والفتن بين يدى الساعة والظاهر بأن الأمر قد قرب، والدنيا على فراغ، فالزلازل يخوف الله بها أهل المعاصى ويؤذن بزلزلة القيامة، تنشأ فى بعض الأرض، كما نشأ الرعدة للمحموم بإذن الله تعالى.

وذهبت الحكماء إلى أنها بسبب تصاعد الأبخرة.

قال كعب الأحبار ـ رضى الله عنه ـ: لا تتزلزل الأرض إلا لأحد أمور ثلاثة:

إما لأن الله يطلع عليها فتتزلزل فزعًا.

وإما أن يعمل عليها الخطايا فتتزلزل غضبًا للرب.

وإما لأن الحوت الذى عليه الأرض يتحرك بعضه.

* * *

الخاتمة

قال حذيفة ـ رضى الله عنه ـ: إنى لأعلم الناس بكل فتنة هى كائنة فيما بينى وبين الساعة، وقال: أخبرنى رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ:

«إذا هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده، ولتنفقن كنوزهما فى سبيل الله»[1] ومعناه: لا يكون كسرى بالعراق، ولا قيصر بالشام.

وقال: قال رسول الله ﷺ:

«لن تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفًا بالمشرق، وخسفًا بالمغرب، وخسفًا بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[2].

وقال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ: إن رسول الله ﷺ قال:

«يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»[3].

وقال: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، فتقتل الناس عليه، فيقتتل من كل مائة تسع وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلى أكون أنا الذى أنجو، ومن حضره فلا يأخذ منه شيئًا»[4].

---

(١) رواه البخارى (٤/ ١٠٤، ٢٤٦، ٢٤٧)، مسلم فى الفتن ٧٧، أحمد (٢/ ٢٣٣)، الترمذى (٢٢١٦)، البيهقى (٩/ ٧٧) الطبرانى فى الكبير (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥)، الشافعى فى المسند ص ٢٠٨، البيهقى فى دلائل النبوة (٤/ ٣٩٣).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٧)، مسلم فى الفتن ٥٧، ٥٨، أحمد (٢/ ٢٢٠)، الترمذى (٢١٨٣)، الطحاوى فى المشكل (١/ ٤١٨).

(٣) رواه البخارى (٢/ ١٨٢، ١٨٣)، مسلم فى الفتن ٥٧، أحمد (٢/ ٢٢٠)، النسائى (٥/ ٢١٦)، الحاكم (٤/ ٤٥٣)، البيهقى (٤/ ٣٤٠).

(٤) رواه مسلم فى الفتن باب ٨ رقم ٢٩، أحمد (٢/ ٣٣٢)، ابن ماجه (٤٠٤٦)، الطبرانى فى الكبير (١/ ١٦٨).

وقال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاة، ولا تذهب الأيام والليالى حتى يملك رجل يقال له الجهجاه، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا صغار الأعين دلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة» يريد الترك «ولا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من أهل المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فيهزم ثلث المسلمين، لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم وهم أفضل الشهداء عند الله، وينتصر الثلث الباقى، ويفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقسمون الغنائم إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم، فيرجعون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، وبينما هم يسوون الصفوف لقتاله إذا أقيمت الصلاة، فنزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ يؤمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء»[1].

وقال رسول الله ﷺ:

«إذا جاء الصريخ بالدجال تبعث المسلمون عشر فوارس طليعة»[2] وقال أبى: لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، وهم خير فوارس على وجه الأرض يومئذ.

وقال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ عن القسطنطينية:

«هل سمعتم بمدينة جانب منها فى البر، وجانب منها فى البحر؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بنى إسحاق، لا يقاتلون بسلاح ولا يرمون بسهم، بل يقولون: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها، ثم يقولون مثلها فيسقط الجانب الآخر، ثم يقولون ثالثًا فتفرج لهم، فيدخلونها، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ أن الدجال قد خرج، فيتركون كل شىء ويرجعون»[3].

وقال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله؛ يهودى

---

(١) رواه البخارى (٤/ ٢٢٣)، (٩/ ٧٣)، مسلم فى الفتن باب ١٨ رقم ٧٣، أحمد (٢/ ٤١٧).

(٢) رواه مسلم فى الفتن ٣٧، ٧٨، أحمد (١/ ٣٨٥، ٤٢٥).

(٣) رواه مسلم فى الفتن باب ١٨ رقم ٧٨، الحاكم (٤/ ٤٧٥).

خلفى، فيقال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[١].

وقال جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ:

«لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فيقول أميرهم: تعالى صل لنا، فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة لهذه الأمة»[٢].

وقال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[٣].

وقال ثوبان ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله عز وجل زوى لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى منها، وإنى أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة، وألا يسلط عليها عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربى قال: يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإنى أعطيت لأمتك أن لا أهلكهم لسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ـ أو قال: ما بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبى بعضهم بعضًا» الحديث طويل وفيه: «وإن أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف على أمتى لم يرفع عنها إلى يوم القيامة»[٤].

وقالت حفصة ـ رضى الله عنها ـ: قال رسول الله ﷺ:

«ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوساطهم ويساوى آخرهم أولهم، ثم يخسف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذى يخبر عنهم»[٥].

---

(١) رواه مسلم فى الفتن باب ١٨ رقم، ٨٢، أحمد (٢/ ٤١٧).

(٢) رواه مسلم فى الإيمان باب ٧١ رقم ٢٤٧، وفى الإمارة باب ٥٣ رقم ١٧٣، أحمد (٣/ ٣٤٥، ٣٨٤)، (٤/ ٤٣٧)، أبو داوذ (٣٤٨٤)، البيهقى (٩/ ٣٩، ١٨٠).

(٣) رواه مسلم فى الإيمان ٢٤٩، أحمد (٢/ ٤٤٥)، الترمذى (٣٠٧٣)، ابن أبى شيبة (١٥/ ١٧٨).

(٤) رواه مسلم فى الفتن باب ١٩، أحمد (٤/ ١٢٣)، (٥/ ٢٧٨)، أبو داود (٤٢٥٢)، الترمذى (٢١٧٦).

(٥) رواه مسلم فى الفتن (٥/ ٧٣٢) مع النووى.

زادت عائشة ـ رضى الله عنها ـ بعد قوله:

«ليؤمن البيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت». وزادت فقلنا: يا رسول الله الطريق يجمع الناس؟ قال: «نعم فيهم المستنصر والمجبور، وابن السبيل، يهلكون هلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم»[1].

وقالت أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ: قال رسول الله ﷺ:

«يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعثًا، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم»[2].

قال أبو مسلم: قال جعفر: هى بيداء المدينة.

وقال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى[3].

وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ قال رسول الله ﷺ:

«لا يذهب الليل والنهار حتى يعبد اللات والعزى» فقلت: يا رسول الله كنت لا أظن حين أنزل الله تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ذلك تام، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبة، فيتوفى كل من كان فى قلبه مثقال خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيهم، يرجعون إلى دين آبائهم»[4].

وقال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»[5].

وقال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله»[6].

---

(١) رواه مسلم فى الفتن (٥/ ٧٣٣) مع النووى.

(٢) رواه مسلم فى الفتن رقم ٤، الحاكم (٤/ ٤٢٩)، ابن أبى شيبة (١٥/ ٤٤).

(٣) لا أدرى لماذا ذكر المصنف الحديث هاهنا موقوفًا وهو مرفوع من حديث النبى ﷺ، رواه البخارى (٩/ ٧٣)، مسلم فى الفتن باب ١٤ رقم ٤٢.

(٤) رواه مسلم فى الفتن باب ١٧ رقم ٥٢، الحاكم (٤/ ٤٤٦، ٤٤٧، ٥٤٩)، البيهقى (٩/ ١٨١).

(٥) رواه أحمد (١/ ٩٤، ٤٣٥)، مسلم فى الفتن باب ٣٧ رقم ١٣١، ابن ماجه (٤٠٣٩)، الطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٢٧)، الحاكم (٤/ ٤٤١).

(٦) رواه البخارى (٤/ ٢٤٣)، مسلم فى الفتن باب ١٨ رقم ٨٤، أحمد (٢/ ٢٣٧).

وقال أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ:

«ليس من بلد إلا سيطأه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا وعليه الملائكة صافين تحرسها، فينزل بالشيخة فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج منها كل كافر ومنافق»[١].

وقال أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ يأتى الدجال وهو محرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة، فيخرج إليه يعنى من المدينة رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول: أشهد إنك الدجال الذى حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون فى الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة من الآن، قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه، وقال: ويتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفًا، عليهم الطيالسة[٢].

وقال أنس ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ:

«ما من نبى إلا أنذر قومه الأعور الكذاب ألا أنه أعور وربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر»، قال: «وهو ممسوخ العين»[٣].

وقال حذيفة ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ:

«الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر، معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار»[٤].

وقال: قال رسول الله ﷺ:

«لأنا أعلم بما مع الدجال، معه نهران يجريان، أحدهما: رأى العين ماء أبيض، والآخر: رأى العين نار تأجج، وأن الدجال ممسوخ العين، عليها طفرة غليظة، مكتوب بين عينية: كافر، يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»[٥].

وقال حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخارى (٣/ ٢٨)، مسلم فى الفتن باب ٢٤ رقم ١٢٣.

(٢) رواه مسلم فى الفتن رقم ١٠٤ مع النووى.

(٣) رواه أحمد (٣/ ١٧٣، ٢٧٦)، مسلم فى الفتن ١٠١، الترمذى (٢٢٤٥).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٣٨٣)، مسلم فى الفتن باب، ٢٠ رقم ١٠٤.

(٥) رواه مسلم فى الفتن رقم ٩٨.

«فأما الذى تراه النـاس ماء فنار تحرق، وأما الذى يراه الناس ناراً فـماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب»[١].

وقال المغيرة بن شعبـة ـ رضى الله عنه ـ قلت لرسول الله ﷺ: إنهم يقولون إن معه الطعام والأنهار، قال:

«هو أهون عند الله من ذلك»[٢].

وأخبر عنه رسول الله ﷺ حين رآه فى المنام أنه جعد قطط أعور العين اليمنى، كأنها عينه طافية.

والجـمع بين أعور العـين اليـمنى، وأعـور العين اليـسرى، أن العور هو العـيب، والدجال كأن عينيه تعيب.

وقال أبو هريرة: أخـبر رسول الله ﷺ يأتى المـسيح الدجال من قـبل المشرق تتمـته المدينة، حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهته قِبَل الشام وهنالك يهلك.

وقال عليه الصلاة والسلام:

«لا يدخل المدينة رعب المـسيح الدجـال، لها يومـئذ سـبعـة أبواب، على كل باب ملكان»[٣].

وقال النواس بن سمعان ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ عن الدجال:

«إنه شاب قطط، عينه طافية، من أدركه منكـم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق» قلنا: يا رسول الله ومـا لبثه فى الأرض؟ قال: «أربعون يومًا: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله وأما إسراعه فى الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريـح، فيأتى القوم فيدعوهم فيؤمنوا به، ويستجيبون له فيأمر السمـاء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم بارحتهم أطول ما كانت ذرى، وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه، فينصرف عنهم فيصيحون ممحلين، ليس بأيديهم شىء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول

---

(١) رواه مسلم فى الفتن رقم ١٠٠.

(٢) رواه مسلم فى الفتن رقم ١٠٦، ١٠٧.

(٣) رواه البـخارى (٣/٢٨)، مـسلم فى الفتن باب ١٩ رقم ٨٩، أحمـد ٥١/٤٣، ٤٧)، ابن أبى شيبة (١٥/ ١٤٠).

لها: أخرجى كنزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً شاباًا ممتلئًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين، فيدعوه، فيقبل ويتملك وجهه فيضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق، بين مهر ودسن، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يجد ريح نفسه كافر إلا مات، وإن نفسه ينتهى بحيث ينتهى طرفه، فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لد، فيقتله.

ثم يأتى عيسى ـ عليه السلام ـ من عصمه الله من المسيح فيمسح عن وجوههم، ويخبرهم بدرجاتهم فى الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أنى أخرجت عبادًا لى لا يدان لأحد بقتالهم، فخذ عبادى إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يسيرون إلى جبل العمر، فيقولون: لقد قتلنا من فى الأرض هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله تعالى نشابهم مخضوبة دمًا.

ويحضر نبى الله عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبى الله عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه إلى الله، فيرسل الله عليه القصف فى رقابهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة.

ثم يهبط عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه ـ يعنى من الطور ـ فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا مُلِىء بذهمهم ونتنهم، فيرغب عيسى عليه السلام إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم وتطرحهم حيث يشاء الله، ثم يرسل الله مطرًا فتغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة، ثم يقول للأرض: أنبتى ثمرتك ذرى بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك فى الرسل حتى أن اللقحة من الغنم لتكفى الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس، واللقحة من الإبل لتكفى الفخذ من الناس.

وبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، كل روح مؤمن، وكل مسلم، وتبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة[1].

---

(١) رواه مسلم فى الفتن رقم ١٠٣

ولمسلم أيضًا من حديث أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:

«يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فيلقاه المسالح فيستطلعون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكره رسول الله ﷺ فيأمر الدجال به فيشج، فيقول: أما تؤمن بى، فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يخرج من بين رجليه، قال: ثم يمشى الدجال بين القطعتين، ثم يقول: قم، فيستوى قائمًا، ثم يقول له: أوتؤمن بى، فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يقتل بعدى بأحد من الناس، فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلاً، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقى فى الجنة» ، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»[1].

وقال عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ:

«يخرج الدجال فى أمتى، فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يومًا أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا، فيبعث الله عيسى ـ عليه السلام ـ كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنتين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، ويبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، ويأمرهم الشيطان بعبادة الأوثان، وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم.

ثم ينفخ فى الصور، وأول من يسمعه رجل وهو يلوط حوض إبله، فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله تعالى مطرًا كأنه الطل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون[2].

قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ:

«ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت[3].

---

(١) رواه مسلم فى الفتن رقم ١٠٥

(٢) رواه مسلم فى الفتن رقم ١٠٨

(٣) رواه البخارى (٦/١٥٨، ٢٠٨)، مسلم فى الفتن باب ٢٨ رقم ١٤١).

وقال عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أكثر من خلق الدجال»[1].

قلت: وهذا الدجال كان رسول الله ﷺ يحدث عنه كثيراً، ويحذر منه، وكان يقول: «ألا أخبركم عنه حديثًا حدثه نبى لقومه» وتقدم أنه ما من نبى إلا أنذر قومه الأعور الكذاب الدجال، وأكثر ﷺ الفحص فى ابن صياد حتى جزم جماعة من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ أنه الدجال.

قال ابن المنكدر: رأيت جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ يحلف بالله أن ابن صياد هو الدجال، فقلت: أتحلف بالله، فقال: إنى سمعت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يحلف على ذلك عند رسول الله ﷺ فلم ينكره النبى ﷺ.

قلت: وليس حديث تميم الدارى الذى رواه مسلم يدل على أنه ليس هو، وأنه قال: قالت فاطمة بنت قيس ـ رضى الله عنها ـ: نادى منادى رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، فخففت إلى المسجد، فصليت مع الناس، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، وقال: «إن تميمًا الدارى كان رجلاً نصرانيًا، فجاء وبايع وأسلم، وحدثنى حديثًا وافق الذى أحدثكم عن الدجال، حدثنى أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجل من لخم، وجذام، ولعب بهم الريح شهراً فى البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة لمغرب الشمس، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلبُ كثير الشعر، لا يدرون قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق.

قال: لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقًا، وأشده وثاقًا، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قدرتم على خبرى، فأخبرونى ما أنتم؟ فقلنا: نحن أناس من العرب ركبنا سفينة وحكوا البقية إلى أن وصلوا إليه، فقال: أخبرونى عن نخل بيسان هل يثمر؟ قلنا: نعم، قال: أما إنه يوشك ألا يثمر، أخبرونى عن بحيرة طبرية هل بها ماء؟ قالوا: فيها ماء كثير، فقال: إن ماءها يوشك أن يذهب، أخبرونى عن عين زغر، هل فى العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا:

---

(١) رواه أحمد (١٩/٤)، مسلم فى الفتن باب ٢٥ رقم ١٢٦، ١٢٧.

نعم، فقال: أخبرونى عن النبى الأمى ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة، ونزل بيثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع فيهم؟ فأخبرناه أنه ظهر على من يليه من العرب فأطاعوا، قال لهم: كان ذلك؟ قالوا: نعم، قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإنى مخبركم عنى، إنى المسيح، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض، فلا أدع قرية إلا أهبطها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة، هما محرمتان علىّ كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلنى ملك بالسيف صلتًا فيصدنى عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها».

قالت: وطعن رسول الله ﷺ بمخصرته فى المنبر: «هذه طيبة هذه طيبة ـ يعنى المدينة ـ ألا هل كنت حدثتكم ذلك» قال الناس: نعم[1].

قال أبو سعيد الخدرى: قال لى ابن صياد: ما لى ولكم يا أصحاب محمد، ألم يقل نبى الله ﷺ أنه يهودى وقد أسلمت، وقال: لا يولد له، وقد ولد لى، وقال: إن الله حرم عليه مكة وقد حججت، وقال: لا يدخل المدينة فقد كنت بها.

قال أبو سعيد الخدرى: حتى كدت أن أعذره، ثم قال: أما والله إنى لأعرفه وأعرف مولده، وأين هو الآن، فقلت: تبًا لك سائر اليوم[2].

والجواب عما أورده أنه إنما يكون كذلك وقت فتنته وخروجه، وكان ابن صياد تنكر أن يكون هو الدجال.

وكان ابن صياد يتحدث ويتطور مذ كان صبيًا.

قال أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ يومًا لابن صياد: «ما تربة الجنة» قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم، قال: «صدقت»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «ماذا ترى؟» قال: ما بين صادق وكاذب، فقال له رسول الله ﷺ: «خلط عليك الأمر»[4]. ثم أسر رسول الله ﷺ فى نفسه الدجال، وقال له: «إنى خبأت لك خبأ» فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال له ﷺ: «اخسأ فلن تعد وقدرك»،

---

(١) رواه مسلم فى الفتن رقم ١١١.
(٢) رواه مسلم فى الفتن رقم ٨٥.
(٣) رواه مسلم فى الفتن ـ ذكر ابن صياد رقم ٨٦، ٨٧.
(٤) رواه مسلم فى الفتن ـ ذكر ابن صياد رقم ٨٢.

فقال عمر: ذرنى أضرب عنقه، فقال رسول الله: «إن يكن هو فلن تسلط عليه، وإن لم يكن هو فلا خير لك فى قتله»[1].

وقال نافع ـ رضى الله عنه ـ: لقى ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ابن صياد فى بعض طرق المدينة، فقال له قولاً أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السكة، قال: فأعلمت بذلك حفصة ـ رضى الله عنها ـ فقالت: رحمك الله ما أردت من ابن صياد، أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يخرج فى غضبة غضبها»[2].

وقال: لقيه مرة أخرى وقد تعرت عينه، فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدرى، قلت: لا تدرى وهى رأسك؟ فنخر كأشد نخير حمار سمعت، قال: فزعم بعض أصحابى أنى ضربته بعصا كانت معى حتى تكسرت، وأما والله فما شعرت.

قال الخطابى: واختلف السلف فى أمر ابن صياد بعد كبره، فروى أنه مات بالمدينة، وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس.

وقد صح من حديث جابر المتقدم أن ابن صياد فقد يوم الحرة، وهذا يبطل رواية من روى أنه مات بالمدينة وصلى عليه.

قال البيهقى: كان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله بها عباده، فعصم الله منها المسلمين ووقاهم شرها.

قال: وليس فى حديث جابر أكثر من سكوت النبى ﷺ عن قول عمر، فيحتمل أنه ﷺ كان كالمتوقف فى أمره، ثم جاء بالبيان أنه غيره، كما صرح به فى حديث تميم، صريح كلام البيهقى أنه غيره.

وقد صح عن عمر، وابن عمر، وجابر أنه الدجال، فإن قيل: كيف لم يقتله النبى ﷺ مع أنه ادعى النبوة بحضرة النبى ﷺ؟.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه كان غير بالغ.

والثانى: أنه كان فى أيام مهادنة اليهود وحلفائهم ، وكان ابن صياد منهم أو فى حلفائهم.

---

(١) رواه مسلم فى الفتن ـ ذكر ابن صياد رقم ٨١.

(٢) رواه مسلم فى الفتن ـ ذكر ابن صياد رقم ٩٨.

هذا كل ما ورد فى الأحاديث الصحيحة والحسنة مما يكون بين يدى الساعة، ونقل غير ذلك، وتكلمت أصحاب الملاحم على مجموعها وكيفية وقوعها وترتيبها، وذكر أماكنها وأسماء أصحابها وأشكالهم ومددها.

وأقرب ذلك إلى الصحة ما ذكره الكسائى فى كتاب الملكوت أن أول من يخرج من أصحاب الفتن رجل اسمه أصهيب من بلاد الجزيرة، ثم يخرج الجرهمى من بلاد الشام، ويخرج القحطانى من أرض اليمن، لكل واحد منهم شوكة وجور عظيم، فيخرج عليهم السفيانى فى دمشق، واسمه معاوية بن عنبسة، ربعه مجدور، دقيق الوجه، طويل الأنف، فى عينيه كسر، يظهر فى أول أمره الزهد والكرم، ويجتمع إليه العلماء، ويسير بجيش عظيم إلى العراق، ويقاتله القحطانى أولاً وينكسر ويهرب، ثم يفرق جيوشه أثلاثًا، ويجهز الثلث إلى الكعبة، والثلث إلى خراسان، والثلث إلى الروم، ويظهر الكفر والفجور وقتل الصالحين.

وعن على ـ رضى الله عنه ـ أن السفيانى رجل من ولد أبى سفيان بن حرب وأنه يجيئ من قبل المغرب، وسبب خروجه أنه يصبح يومًا متخذ على صخرة عند بابه قد ركز الشيطان ثلثمائة علم من الألوان المختلفة، يمر بالأسكندرية، ويدخل مصر والشام، ويقتل ما شاء الله، ثم يخرج إلى بغداد والكوفة، وتصاب إحدى عينيه، ثم يخرج إلى بلاد خراسان، ويقع بينه وبين أهل مرو قتال شديد على جبل طريك، فينهزم ويرجع إلى اصطخر، فيقاتله رجل يقال له: الحارث مقدم عساكره رجل يقال له شعيب بن صالح، فيهرب منه السفيانى، ويتبعه الرى، ويشتد الحرب، ثم يقال للسفيانى: إن بالمدينة علويًا قد استولى عليها وعلى مكة، فيجهز إليه ثلاثين ألفًا، مقدمهم يقال له: ناجية؛ فيسمع العلوى بخبرهم فينصرف إلى مكة، فيتبعونه من المدينة حتى إذا ذهب إلى أرض بين مكة والمدينة يخسف الله بهم الأرض ويأخذهم إلى أعناقهم فيسمع السفيانى، فيتوجه إليه بنفسه، فيعرض له رجل بالطريق فيقتله، فيجتمع الناس، كلهم ويبايعون العلوى، وهو المهدى ، واسمه محمد بن على، وتأتى إليه ملوك الأرض، ويبايعونه.

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن المهدى ينزل بين الركن والمقام وهو من أولاد الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ وأمه عباسية، يملك عشرين سنة، وفى رواية يلبث سبع سنين ثم يتوفى، مكتوب على رايته: البيعة لله، ويغزو قسطنطينية ويأخذها.

قال الكسائى: وهو بلد يبلغ اثنى عشر فرسخًا، فى مثليه، وفرسخهم ميل ونصف، وفيها قصر للملوك، دوره فرسخ، له ثلثمائة باب من حديد، وفيها كنيسة حيطانها من ذهب وفضة، ومصلى الملك فيها أربعة أذرع فى مثلها، مرصع بالدر والياقوت، وموضع قعود الملك ستة أشبار فى ثلاثة من العود القمارى، وبقرب هذه الكنيسة على نحو عشرة أذرع عمود من حديد طوله ثلثمائة ذراع فى عشرة أذرع، فوقه قبر من رخام أربع أذرع فى مثلها، فيه أرسطاليس، وعلى رأسه تاج، ويده اليمنى قائمة، كأنه يدعو الناس إليه إلى مدينة قسطنطينية.

قال: وعلى باب المدينة الغربى اثنى عشر بابًا صغارًا، كل باب شبر فى شبر، كلما مرت ساعة من الليل انغلق منها باب، وكلما مر ساعةِ من النهار انفتح منها باب من غير أن يلمسه أحد.

قال: وعلى هذه المدينة أسوار عدة، مرتبة لها طلسم، إن دخل الغريب إليها كلما قرب من سورها يرى نفسه كأنه يدور ليخرج منها، فيتحير وينفلت من حيث لا يعلم، فإذا دخل المهدى جعل يكبر على كل سور فينهدم، فيدخل ويقتل ملك الروم الذى بها، وأكثر أصحابه، ويأخذ المسلمون من غنائمها ما لا يحصى.

حتى أن الرجل ليأخذ من الجواهر ما يعجز عن حمله، فبينما هم كذلك إذ جاءهم الرسول بأن الدجال قد خرج واجتمع إليه الناس[1].

وساق الكسائى حديثًا عن أبى أمامة الباهلى، زاد فيه عما تقدم أن رسول الله ﷺ قال: «إنه يقول: إنى نبى ولا نبى بعدى، ثم يقول: أنا ربكم، ولن تروا ربكم حتى تموتوا وإنه يقول لمن يغشه: إنى أبعث لك أباك وأمك يشهدان أنى ربك أتشهد أنى ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له الشيطان على صورة أبيه وأمه، فيقولان: اتبعه يا بنى فإنه ربك، وأنه يخرج من قرية يقال لها: شناباد بين الأهواز وأصفهان على حمار عظيم يستظل فى أذن حماره خلق كثير، ومعه قوم من السحرة، يخيلون للناس ما يفتنهم، والذى يقتله الدجال ويحييه الله ثلاث مرات هو الخضر، فإنه يطأ جميع البلاد إلا أربعة، مكة والمدينة وبيت المقدس وطرسوس، وإن المهدى يقاتله قتالاً شديدًا حتى يقتل من أصحاب الدجال ثلاثين ألفًا، ويرسل الله عليهم ريحًا يموت منها أربعون ألفًا،

(١) لم أقف على كتاب الكسائى هذا، ولا أصل لما ذكره، فالله أعلم.

ويقتل على باب المهدى مائة ألف من جيش الدجال، ويقول لهم: ويحكم أتشكون فى هذا الأعور الكذاب، فيقولون: لا ولكنا نعيش فى طعامه، فيمسخون قردة وخنازير.

ثم يشتد الأمر بالمهدى وينحصر ببيت المقدس، ثم يأتيهم الصريخ بصالح: يا معشر المسلمين قد جاءكم الغوث، فينزل عيسى ـ عليه السلام ـ من السماء الثالثة(١)، كما قال أبو هريرة عنه؛ قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون الشجرة الواحدة خير من الدنيا وما فيها»(٢).

ثم قال أبو هريرة: فاقرأوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ [النساء:١٥٩] الآية، وقد ورد فى ذلك عدة أحاديث.

وفى كتاب الملكوت أنه ينزل ومعه سبعون ألفًا من الملائكة وهو معهم بعمامة خضراء، متقلدًا بسيف على فرس، ومعه حربة، فيدخل المسجد، والمهدى يريد الصلاة للصبح بالناس، فيتأخر ليتقدم عيسى للصلاة، فيقول له عيسى ـ عليه السلام ـ: الصلاة بك أولى، فإذا انصرف من الصلاة قال: افتحوا الباب الذى وراء الدجال، فيفتحونه، فإذا الدجال ومعه سبعون ألف يهودى فإذا وقع بصره على عيسى ـ عليه السلام ـ ذاب كما يذوب الرصاص على الجمر، وينهزم كل من معه، ويأمن المسلمون حتى أن الوليد يضع يده فى جنين الحية، وفمه فى فم الأسد فلا يضره، ويكون الذئب فى الغنم كالكلب، وتنام المرأة بين يدى الرجل فلا تخاف على نفسها، وتظهر كنوز الأرض، ولا يعبد غير الله، ولا يبقى فى الأرض فقر.

ويحكم عيسى ـ عليه السلام ـ بشريعة نبينا محمد ﷺ، ويتزوج امرأة من غسان، وتكون مدته أربعين سنة، ثم يخرج يأجوج ومأجوج وهما أخوان من ولد يافث بن نوح، مسكنهم وراء بلاد الروم، ولا يموت منهم أحد حتى يولد له ألف ولد ولما كثر فسادهم بنى ذو القرنين عليهم سدًا، فإذا خرجوا تحصن الناس منهم، ويكثر طغيانهم فى الأرض، ويرمون السماء بسهامهم فتعود ملطخة بالدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وأهل السماء، فيبعث الله عليهم سيوفًا فى أنفسهم فيقتلهم عن آخرهم، فيحمد اللهَ

(١) لم أقف على هذا الحديث

(٢) رواه البخارى (٣/١٠٧)، مسلم فى الإيمان باب ٧١ رقم ٢٤٢، أحمد (٢/٥٣٨)، عبد الرزاق (٢٠١٤٠)، البيهقى (١/٢٤٤)، (٩/١٨٠).

عيسى ـ عليه السلام ـ وتعود المسلمون إلى أمنهم.

ثم يجيئ الخبر إلى عيسى ـ عليه السلام ـ بأن الجيش قد خرجوا لهدم الكعبة، فيرسل إليهم جيشًا فينكسر، ثم يرسل إليهم جيشًا فينكسر، فإذا قاربوا بيت المقدس يقال لهم: إن عيسى قد مات، قيل: ويدفن فى بيت المقدس، وقيل: ينقل إلى مدينة النبى ﷺ، ويدفن فى الحجرة مع رسول الله ﷺ قبرًا رابعًا.

قال: ويهدم الجيش الكعبة، ويقف بين البيت وحده، وبينهما مسيرة ثلاث ليال، صفوف من الناس يحملون نقض البيت من يد إلى يد حتى يرمى فى البحر.

قال: وعند ذلك تطلع الشمس من مغربها بعد أن تحبس ثلاث ليال هى والقمر تحت العرش، فيفطن لذلك أصحاب الأوراد من المسلمين، ثم يرسل الله تعالى جبريل ـ عليه السلام ـ يأمر الشمس والقمر بأن يرجعا إلى مغاربهما، فيطلعان منه، لأصولهما، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وجمع الشمس والقمر**﴾ [القيامة:٩].

قال: ولم يقبل بعد ذلك من أحد توبة، ولا ينفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك، وذلك قوله تعالى: ﴿**يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا**﴾ [الأنعام:١٥٨].

قال كعب ـ رضى الله عنه ـ: ثم إن الشمس والقمر يكتسيان نورًا، ويطلعان ويعريان كما كانا، وتعمر الناس الدنيا، وتجرى الأنهار، وتنبت الأشجار، ويبنى البنيان حتى تقوم الساعة والثوب بين الرجلين لا يطويانه، والرجل قد رفع لقمته إلى فمه.

وقال عن خروج الدابة: إنها تخرج ثلاث مرات: أولها فى أيام المهدى تفزع الناس، وثانيها فى أيام عيسى ـ عليه السلام ـ تطهر الأرض من المنافقين والكفر والضلال، وتبقى فيهم أربعين سنة، وثالثها بعد طلوع الشمس والقمر من مغربهما، تميز بين الكافر والمسلم.

قال: وهذه الدابة رأسها رأس ثور، وعيناها عينا خنزير، وآذانها آذان فيل، وقرناها قرنا إبل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، تخرج بين الصفا والمروة، وترتفع فى الهواء حتى يراها الناس، ومعها عصى موسى، وخاتم سليمان.

والذى ذكرته من الأحاديث الصحيحة لا يرد شيئًا مما ذكره الكسائى بل يؤيد غالبه،

والذى ورد فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: أن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كان قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا»(١).

يريد أول الآيات التى لا ينفع الإيمان بعدها، غير أنه لا يعلم متى تكون الساعة، غير الله عز وجل.

قال الإمام مسلم فى صحيحه: جاء رجل إلى عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ وقال: ما هذا الحديث الذى تحدث به، تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا، فقال: سبحان الله ـ أو لا إله إلا الله ـ، لقد هممت أن لا أحدث أحدًا شيئًا أبدًا، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا، يحرق البيت، ويكون ويكون.

وحديث جبريل ـ عليه السلام ـ حين جاء فى صورة أعرابى إلى النبى ﷺ وسأله عن الساعة فقال ﷺ: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك بأشراطها: إذا رأيت المرأة تلد ربتها فذلك من أشراطها، وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون فى البنيان فذلك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم يملكون الأرض فذلك من أشراطها(٢)، خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ رسول الله ﷺ: **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير﴾** [لقمان: ٣٤].

وفى عيون المعانى: رأى بعض الخلفاء صورة ملك أو نبى فى المنام، فسأله عن موته، فأشار بأصابعه الخمس، قال بعض المفسرين: تدل على خمس سنين أو خمسة أشهر، أو خمسة أيام، فقال أبو يوسف: هذه إشارة إلى قول الله تعالى: **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث﴾** الآية.

إن هذه العلوم الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى، والله سبحانه وتعالى يمدح هذه الأمة فى كتابه العزيز بأنهم الذين يؤمنون بالغيب، يريد به لما أخبر به رسول الله ﷺ عن الماضى من أخبار الأمم الماضيين وبدء الخلق، والآتى مما حكيناه عنه بطريق الصحة.

---

(١) رواه مسلم فى الفتن ١١٨، أحمد (٢/ ٢٠١)، أبو داود (٤٣١٠)

(٢) رواه البخارى (٦/ ١٤٤)، (١/ ٢٠)، مسلم فى الإيمان ٥، أحمد (٢/ ٤٢٦)، النسائى (٨/ ١٠١).

ومما ثبت عنه أنه ﷺ أخبر عن قيام الساعة وما يتقدمها وخلق الملائكة، والجنان، وعذاب القبر، وفتانى القبر، وفى أن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، والمحشر والبعث والحساب، والصراط، والميزان والشفاعة، وغرفات الجنان، ودركات النيران، والحور والولدان، والكوثر، وغير ذلك مما يقع منا موقع العيان قبل وقوعه، فإن المخبر عنه من الصادق مرئى بعين البصيرة التى لا يخالطها ريب ولا شبهة بخلاف رؤية العين، فقد ترى العين الشىء على خلاف ما هو عليه لضعف المزاج أو تخييل ساحر، وقد وقع لى هذا المعنى فى أوائل قصيدة كتبت بها إلى نائب دمشق، ولم أكن رأيته بعد، وهى:

قسمًا بلين معاطف الأغصان	وغنى الحمام على فروع البان
وتمايل الدوح المرتج بالصبا	سحرًا ونفحة روضة الريان
وبجنة الفردوس والعيش الذى	يقضى بها والحور والولدان
ما مر حلو حديثكم فى مسمعى	إلا وأثمر جنكم بجنانى
وأنا المحب على السماع وقبل ما	تهوى العيون عشقت بالآذان
طافت كؤوس الراح من آذانكم	ممزوجة بالعدل والإحسان
وشربت عن ظمأ فصرت متيمًا	سكران دون بقية الندمان
نشوان من طلب السماع وطالما	فاق السماع فكان فوق عيان
برهانه الإيمان بالمسموع من	قول النبى ومحكم القرآن

* * *

تم والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.

حسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

وكتب على هامش المخطوطة: آخر ما ألفه قاضى القضاة محب الدين أبو الوليد محمد والد قاضى القضاة مجد الدين أبى الفضل محمد، الشهير نسبه الكريم بابن الشحنة المتوفى سنة خمسة عشرة وثمانمائة تغمده الله برحمته.

* * *

الفهرس

الموضـــــــوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

الموضـــــــــوع | الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع | الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع الصفحة

* * *

تم الفهرس والكتاب، ولله الحمد

